

# كنوز جزيرة البنائين

قصة حوارية تربوية

في التنشئة السوية العقدية الاجتماعية

للشباب والكبار

بقلم: أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان

رسوم / عبد الرحمن بكر

إخراج / أحمد حسن

الهيئة العامة  
للكتاب - الكويت

1431H - 1432H

مركز النشر والتوزيع

كنوز جزيرة البنائين

بقلم: أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان



٢٠١٤

عنوان الكتاب:

كنوز جزيرة البنائين  
قصة حوارية تربوية في التنشئة السوية العقدية الاجتماعية للشباب والكبار

المؤلف:

أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان

التصنيف:

الحكايات الأخلاقية والقصص

النشر:

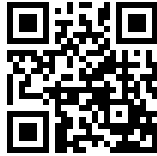
الأول (الإلكتروني)

تاريخ النشر:

ربيع الآخر ١٤٣٦ الهجري

المصدر:

المعهد العالمي للفكر الإسلامي



تم تنزيل هذا الكتاب من موقع العقيدة.

[www.aqeedeh.com](http://www.aqeedeh.com)

[book@aqeedeh.com](mailto:book@aqeedeh.com)

البريد الإلكتروني:

مواقع مجموعة الموحدين

[www.aqeedeh.com](http://www.aqeedeh.com)

[www.mowahedin.com](http://www.mowahedin.com)

[www.islamtxt.com](http://www.islamtxt.com)

[www.videofarsi.com](http://www.videofarsi.com)

[www.shabnam.cc](http://www.shabnam.cc)

[www.zekr.tv](http://www.zekr.tv)

[www.sadaiislam.com](http://www.sadaiislam.com)

[www.mowahed.com](http://www.mowahed.com)



[contact@mowahedin.com](mailto:contact@mowahedin.com)



## د. عَبْدُ الْحَمِيدِ أَحْمَدُ أَبُو سَلِيمَانَ

✦ وُلِدَ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ فِي شَوَّالِ عَامِ ١٣٥٥ هـ. التَّوَفَّقُ دَيْسَمْبَرِ ١٩٣٦ م. وَكَمَلَ تَعْلِيمَهُ الْإِبْتِدَائِيَّ وَالثَّانَوِيَّ بِهَا ١٩٥٢-١٩٥٥ م. وَتَحَصَّلَ عَلَى دَرَجَةِ الْبَكَالَوْرِيُوسِ فِي الْعُلُومِ السِّيَاسِيَةِ عَامَ ١٩٥٩ م. وَعَلَى دَرَجَةِ الْفَاجِسْتَرِ عَامَ ١٩٦٣ م. مِنْ كَلِيَّةِ التَّجَارَةِ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ. وَفِي عَامِ ١٩٦٣ م. تَحَصَّلَ عَلَى دَرَجَةِ الدَّكْتَوْرَاتِ فِي الْعِلَاقَاتِ الثَّنَوِيَّةِ - جَامِعَةِ بَنَسَلْفَانِيَا بِالْوَالِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.

✦ دَرَسَ الْعُلُومَ السِّيَاسِيَةَ بِكَلِيَّةِ الْعُلُومِ الْإِدَارِيَّةِ بِجَامِعَةِ لَبَّكْ سَفُودِ (الرِّيَاضِ سَابِقًا) وَرَأَسَ قِسْمَ الْعُلُومِ السِّيَاسِيَةِ بِهَا ١٩٦٥-١٩٨٨ م.

✦ انْتَهَبَ فِي إِثْنَاءِ جُمُعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْوَالِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَكُنْدَا.

✦ مَوْسَسَ جُمُعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْوَالِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَكُنْدَا.

✦ مَوْسَسَ لِمَجَلَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ لِلْعُلُومِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

✦ الْأَمِينُ الْعَامُ الْمَوْسَسِ لِلْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ لِلْفَنُونَةِ الْعَالِيَةِ لِلشَّيْبَانِ الْإِسْلَامِي ١٩٦٣-١٩٨٠ م.

✦ مَوْسَسَ وَأَقُولَ رَئِيسَ لِمَجَلَّةِ الْعَالَمِيِّ لِلتَّفَكْرِ الْإِسْلَامِيِّ ١٩٨١-١٩٨٦ م.

✦ حَالِيَا يَرَأَسُ الْعَهْدَ الْعَالَمِيِّ لِلتَّفَكْرِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْذُ عَامِ ١٩٩٩ م.

✦ مَوْسَسَ وَمُنْدِيرَ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ بِعَالِيْرِيَا ١٩٨٨-١٩٩٨ م.

✦ حَائِزٌ عَلَى الدَّكْتَوْرَاتِ الْفَخْرِيَّةِ مِنْ جَامِعَةِ هَمْدَرُودِ hamdard عَامَ ٢٠٠١ م.

✦ حَائِزٌ عَلَى الدَّكْتَوْرَاتِ الْفَخْرِيَّةِ فِي التَّرْبِيَةِ مِنْ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ فِي عَالِيْرِيَا عَامَ ٢٠٠٨ م.

✦ لَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَبْحَاثِ وَالْكَتَبِ الْفِكْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْهَا:

✦ تَعْقُرِيَّةُ الْإِسْلَامِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ، الْفَلَسَفَةُ وَالْوَسَائِلُ الْعَاصِرَةُ الْقَاهِرَةُ - الْخَانِجِي ١٩٦٠ م.

✦ تَعْقُرِيَّةُ الْعِلَاقَاتِ الدَّوَلِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ - الْعَهْدَ الْعَالَمِيِّ لِلتَّفَكْرِ الْإِسْلَامِيِّ ١٩٨٦ م.

✦ اِزْمَةُ الْعَقْلِ الْمُسْلِمِ - الْعَهْدَ الْعَالَمِيِّ لِلتَّفَكْرِ الْإِسْلَامِيِّ ١٩٨٦ م.

✦ الْعَنْفُ وَإِدَارَةُ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْمَبْدَا وَالْخِيَارِ. الْقَاهِرَةُ - دَارُ السَّلَامِ ٢٠٠٢ م.

✦ اِزْمَةُ الْإِرَادَةِ وَالْوُجُودِ الْمُسْلِمِ - دَا الْفَكْرَ ٢٠٠٣ م.

✦ قَضِيَّةُ ضَرْبِ التَّرَاةِ وَسَبِيلَةُ لِحُلِّ الْخِلَاقَاتِ الزَّوْجِيَّةِ، رُؤْيَا اجْتِهَادِيَّةٌ قَرَأْنِيَّةٌ - دَارُ السَّلَامِ ٢٠٠٣ م.

✦ الْإِسْلَامِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْعَاصِرُ. الثَّابِتُ وَالْمُتَغَيِّرُ - نِظَامُ الْعُقُوبَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَمُودِحًا - دَارُ السَّلَامِ ٢٠٠٦ م.

✦ اِسْتِكْلَافَةُ الْفَسَادِ وَالْاِسْتِبْدَادِ فِي الْفَكْرِ وَالتَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ الْإِسْلَامِيِّ - مَجَلَّةُ الْمُسْلِمِ الْعَاصِرِ - الْعَدَدُ ١٢٢ - عَامَ ٢٠٠٦ م.

✦ جَزِيرَةُ الْبِلَاتِينِ، قِصَّةُ تَعْلِيمِيَّةٍ فِي الْفَكْرِ الْإِبْدَاعِيِّ وَفِي التَّرْبِيَةِ الْعَقْلَانِيَّةِ وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ - الْعَهْدَ الْعَالَمِيِّ لِلتَّفَكْرِ الْإِسْلَامِيِّ ٢٠٠٦ م.

✦ كُنُوزُ الْجَزِيرَةِ، قِصَّةُ تَعْلِيمِيَّةٍ فِي بِنَاءِ مَقُومَاتِ الشَّخْصِيَّةِ السُّوِيَّةِ - الْعَهْدَ الْعَالَمِيِّ لِلتَّفَكْرِ الْإِسْلَامِيِّ ٢٠٠٦ م.

✦ الْإِنْسَانُ بَيْنَ شَرِيحَتَيْنِ، الْقَاهِرَةُ - دَارُ السَّلَامِ، ط٢ - ٢٠٠٧ م.

✦ الرُّؤْيَا الْكُوْنِيَّةُ الْحَضَارِيَّةُ الْقَرَأْنِيَّةُ، الْمُنْتَقَلُ الْمَسَاسُ لِلْإِسْلَامِ الْإِنْسَانِيِّ - دَارُ السَّلَامِ ٢٠٠٩ م.

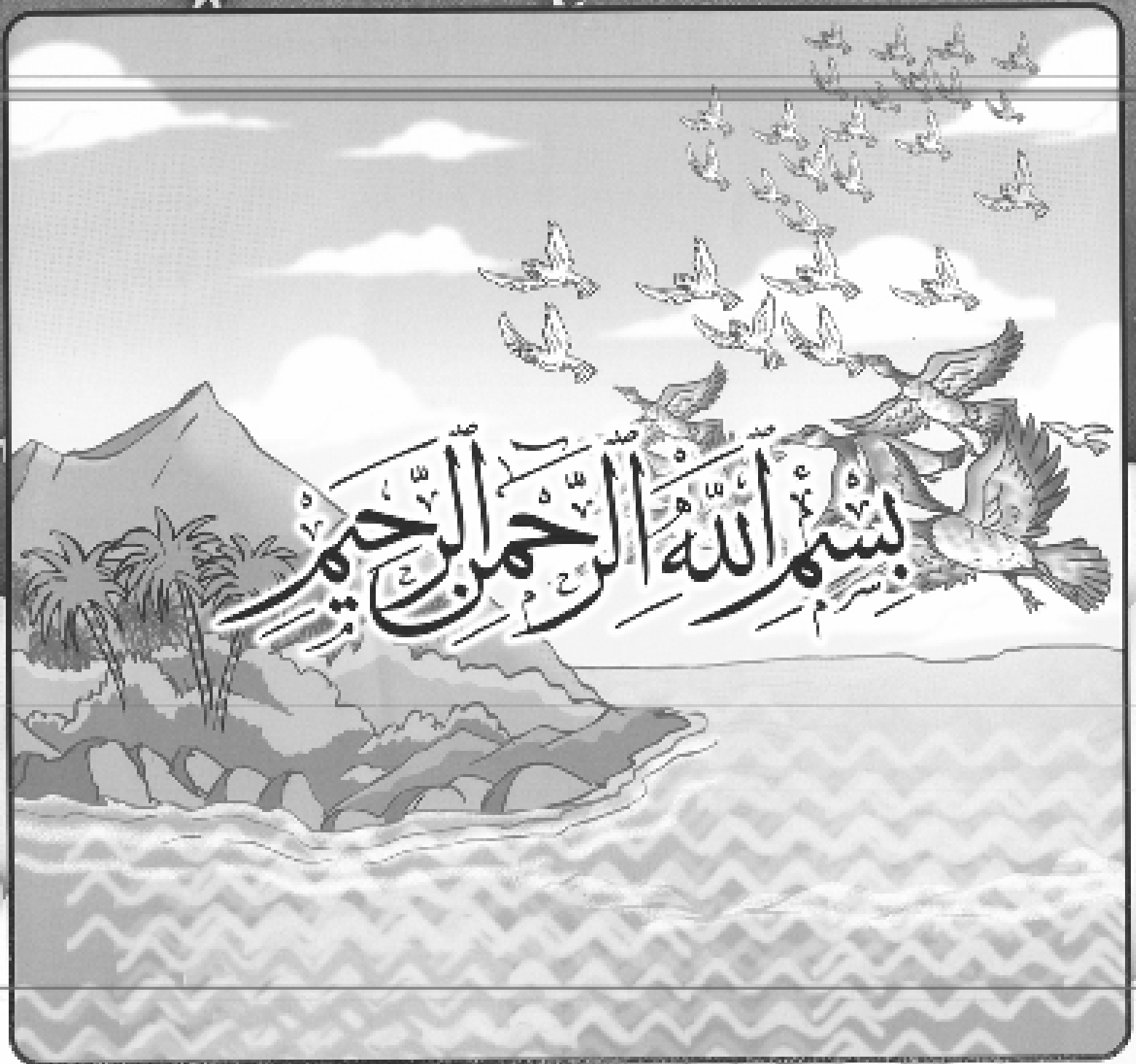




## كنوز جزيرة البنائين

(للشباب والكبار)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



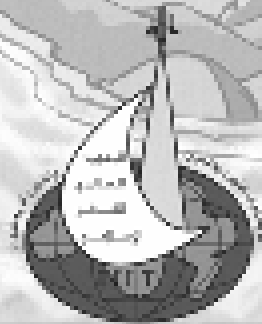
كنوز

# جزيرة البنائين

قصة حوارية تربوية

في التنشئة السوية العقدية الاجتماعية  
للشباب والكبار

بقلم: أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان



١٩٩١م - ١٤١٤هـ

1401AH - 1981AD

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

الطبعة الأولى المعدلة والمصورة المعتمدة ١٤٢٥هـ / ٢٠١٤م.

## كنوز جزيرة البنائين

قصة مصورة

أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان

جميع الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولا يسمح للمعهد بإعادة إصدار هذه القصة أو أي جزء منها، أو نقلها بأي شكل أو واسطة من وسائل نقل المعلومات سواء كانت ورقية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من المعهد العالمي للفكر الإسلامي. وللمرور النشر أو أي جهة أخرى الراغبة في إصدار طبعات ورقية طبق الأصل لهذه القصة دون أي زيادة أو نقص لنشرها أو توزيعها، فإنه يمكنها الحصول على إذن إصدار هذه الطبعات من المعهد مقابل ٢٠٪ من النسخ المطبوعة أو ما يوازي ٢٥٪ من ثمن البيع بالتجزئة. ويحل النشر الإلكتروني حق المعهد العالمي للفكر الإسلامي وحده والتي يوفره المعهد بالوسائل الإلكترونية المختلفة بما في ذلك موقعه.

URL: <http://www.iiit.org> Or <http://www.eiiit.org>

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

تدمك: ٦ - ٥٩ - ٥٢٢٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨  
موضوع الكتاب، القصص التربوي  
رقم الإيداع، ٢٠١٤/١٢٥٨١

كورنيش المزرعة - شارع أحمد تقي الدين  
بناية كولومبيا سنتر - بيروت - لبنان  
الموقع الإلكتروني، <http://www.eiiit.org>

## قائمة المحتويات

٩	.....	المُقدِّمة
١١	.....	١- ابن بطوطة ضيف الجزيرة
٤٣	.....	٢- الماء يشق وديان الأنهار
٦٨	.....	٣- صواعق السحب السوداء
٩١	.....	٤- عند الفجر يصدح البلبل الطليق
١٢٠	.....	٥- الحمامة الحمقاء تلتقط الحب من شباك الصياد
١٣٤	.....	٦- يوم سقطت ورقة الثوب ومشى السلطان عريانا
١٦٧	.....	٧- العزة والفلاح في حب الله
١٨٠	.....	٨- أن يد الله مع الجماعة
١٩٦	.....	٩- الحمد لله الذي خلقني عصفورا
٢٠٣	.....	١٠- لغز كثر الشيخ
٢١٥	.....	١١- يوم أمطرت السماء ذهباً
٢٣٢	.....	١٢- لا جائزة للحامل والظالم
٢٥٨	.....	١٣- البشر أغنى من البقر

- ١٤- الخُرُوفُ الْأَخْمَقُ يَطْلُبُ الْعُشْبَ مِنْ يَدِ الْجَزَارِ ..... ٣٧٩
- ١٥- رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ عَقْلِهِ ..... ٣٨٧
- ١٦- خَلَطَ الْمَفَاهِيمَ وَالْخِطَابَاتِ أَنْكَى مِنْ خَلَطِ الْعَذْبِ بِالْأَجَاجِ ..... ٣٠٣
- ١٧- السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ يَطْلُقُ زَوْجَتَهُ ..... ٣٣٢
- ١٨- أُمِّي الَّتِي لَمْ تَلِدْنِي ..... ٣٦٩
- ١٩- الشَّيْخُ شَاعِرًا ..... ٣٨٦
- ٢٠- حَلَّ لَغْزِ الْكَنْزِ ..... ٤١٣
- ٢١- شِرَاحُ الرَّحَالَةِ يَقْصِدُ الْجَنُوبَ ..... ٤٢٣
- المَلْحَقُ التَّوْضِيحِيُّ الْأَوَّلُ:  
 الْمَفْهُومُ الْقُرْآنِيُّ: أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ..... ٤٣١
- المَلْحَقُ التَّوْضِيحِيُّ الثَّانِي:  
 مَفْهُومُ الْقَانُونِ: إِقْلِيمِيَّةُ الْقَانُونِ، وَشَخْصِيَّةُ الْقَانُونِ ..... ٤٤٤

# الأفداء

إِلَيْنَا جَمِيعاً  
إِلَى جَمِيعِ الْأُمَّهَاتِ  
إِلَى جَمِيعِ الْأَبَاءِ  
إِلَى جَمِيعِ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ  
إِلَيْنَا جَمِيعاً  
أَنْ نَحْمَلَ مَسْئُولِيَّتِنَا  
مَسْئُولِيَّةً  
بِنَاءِ أَجْيَالِ الْغَدِ  
بِنَاءِ أُمَّةِ الرُّوحِ  
أُمَّةِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَاءِ  
أُمَّةِ التَّكَاثُلِ وَالْعَطَاءِ  
أُمَّةِ الْأَعْمَارِ وَالْإِتْقَانِ  
أُمَّةِ السَّلَامِ  
أُمَّةِ الْإِنْسَانِ  
أُمَّةِ الْإِسْلَامِ  
أُمَّةِ الدَّارِينِ





## مُقَدِّمَةٌ

### أَيُّهَا الْقُرَّاءُ الْأَعْرَاءُ:

القِصَّةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، هِيَ قِصَّةٌ، يَدُورُ جِوَارُهَا، وَأَخْدَانُهَا، عَلَى لِسَانِ الْأَدِيبِ الْحَكِيمِ الْقَيْلَسُوفِ "بِهَذَا"، صَاحِبِ الْكِتَابِ الْقِصَصِيِّ الشَّهِيرِ "كَلْبِلَةُ وَدِمْنَةُ"، وَهِيَ امْتِدَادٌ لِلْقِصَّةِ الْمَشَاقِقَةِ "جَزِيرَةُ الْبِنَاتَيْنِ"، لِلْفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ، لِذَاتِ الْمُؤَلِّفِ، وَالْقَصْدُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، وَالْمُوجَّهَةُ إِلَى الشَّبَابِ وَالشَّبَابَاتِ، وَإِلَى الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، هُوَ طَرْحُ مَنَاقِشَةٍ فِكْرِيَّةٍ لِمَا وَرَدَ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ مِنْ مَبَادِيٍّ وَمَفَاهِيمٍ وَرُؤْيَا كَوْنِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ حَضَارِيَّةٍ لِلإِنْسَانِ الْمُعَاصِرِ، تَهْدِيفُ إِلَى أَنْ تُعِينَ عَلَى إِعَادَةِ صِنَاعَةِ مَفَاهِيمِ الْأُمَّةِ، وَرُؤْيَيْهَا الْكَوْنِيَّةِ، وَعَلَى ضَوْءِ الرُّؤْيَا الْكَلِمَةِ الْقُرَّائِيَّةِ (الْإِزْمَانِيَّةِ وَالْإِمْكَانِيَّةِ)، وَعَلَى ضَوْءِ دُرُوسِ تَطْبِيقَاتِ الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَتَجَارِبِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ غَيْرَ تَارِيخِهَا الثَّرِيِّ الطَّوِيلِ.

### أَيُّهَا الْقُرَّاءُ الْأَعْرَاءُ:

إِنَّ مِنَ الْوَاضِحِ، أَنَّهُ مِنْ دُونِ مُرَاجَعَةٍ جَادَّةٍ لِرُؤْيَا الْأُمَّةِ، وَمَنْهَجِ فِكْرِيَّهَا، وَأَسَالِيْبِ تَرْبِيَّةِ أَجْيَالِهَا، لَا يُمَكِّنُ لِلْأُمَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، أَنْ تَسْتَعِيدَ عَافِيَّتَهَا، وَدَافِعِيَّتَهَا، وَدُورَهَا الْهَادِيَّ الرَّائِدَ فِي بِنَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَرْشِيدِ مَسِيرِهَا الْحَضَارِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ.

ولهذا؛ فإننا في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، نعتقد أن هذه القصة، وجواراتها، ونقاشاتها، هو أمر ضروري لكل شاب مسلم، وشابة مسلمة، ولكل أب مسلم، وأم مسلمة، ولكل مثقف مسلم، ومثقفة مسلمة، بل لكل إنسان يتشد الرشد والحكمة؛ لأن من الصعب - إلا على أصحاب الاختصاص؛ بسبب تشعب المعرفة، وكثرة المشاغل والمسؤوليات على الإنسان المعاصر - أن يلم الشباب وعامة المثقفين، بكل القضايا التي تتعرض لها هذه القصة، وأطروحاتها المتشعبة، في مصدايرها اليبينية، والاجتماعية، والفلسفية، والعلمية؛ لذلك كان القصد من هذه القصة أن تقدم للقارئ، كل ذلك في سفر واحد، وبأسلوب قصصي مبسط ييسر يخاطب العقل والوجدان.

لذلك نأمل أن يحرص شبابنا وشاباتنا، والأياء والأمهات، والمثقفون والمثقفات؛ على قراءة هذه القصة، وبعناية وأناة، ومناقشة قضاياها وأفكارها المهمة، وبكل الجدية، وذلك لإدراك مراميها، ولتعميق ما تتضمنه هذه الأفكار وإغنائها، من أجل العقل نحو مستقبل أفضل لأمة الإسلام والإنسانية جمعاء، بإذن الله.

في أطياف الثمنيات والخالص الدعاء بالتوفيق والرشد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

## ابن بطوطة صيف الجزيرة

تتناول هذه القصة المفقودة من قصص الحكيم بئديا ما سمعته بئديا من أخبار جزيرة البتانيين، من الحكيم الرحالة المسلم الشهير ابن بطوطة، وما دار بينهما من حديث وجوار يستهدف المفكرين والمرتبين، ويستهدف الشباب والآباء والأمهات، كما يستهدف المثقفين والإصلاحيين، ولكن بأسلوب قصصي يجعل التعامل مع ما تضمنته الجوازات من القضايا والمفاهيم سهلاً ميسراً؛ لإذراك ما فيها من ثمين الحكمة والنصح، والتبصير في هذه المجالات التي تهتم شعوب الأمة؛ ليتحسّن طريقها نحو النهضة والإصلاح والعزة بإذن الله.

يقول الحكيم بئديا: لقد أخبرني الشيخ الرحالة ابن بطوطة بالكثير العجيب من أخبار جزيرة البتانيين التي قطع في سبيل الوصول إليها القياقي والقفار، وزكّب أهوال أمواج البحار؛ حتى يراها، ويحظى بزيارتها، ويتعرف أحوالها بنفسه، ويقف على الأسباب التي جعلتها أكثر رخاءً وأزدهاراً وأمناً وسلاماً من كثير سواها، وكيف أن ابن بطوطة بعد زيارته تلك الجزيرة لم يكن يملُ رواية أخبارها وما شاهدته فيها؛ فيما يتعلق بمؤسساتها العامة، في تكاملها، ورقي أدائها في إدارة شؤون المجتمع، بقصد العدل



الشيخ يسبح إلى الجزيرة

وَحِمَايَةَ حُقُوقِ الْمُواطِنِينَ، وَصِبَاةَ كِرَامَتِهِمْ، وَالتَّغْيِيرَ الإِجَابِيَّ عَنِ رُؤْيَيْهِمُ الْكُونِيَّةِ  
 وَقِيَمِيَّتِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَإِرَادَتِهِمُ الْعَامَّةِ، وَكَذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَنْشِئَةِ أُنْدَاءِ بِلَادِهِ،  
 وَحُسْنِ تَرْبِيَّتِهِمْ، وَمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ جِسْرِ الْحُرِّيَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَمِنْ شَمَائِلِ الدِّمَاءَةِ وَكَرِيمِ  
 الْمُعَامَلَةِ، وَمَا كَانُوا يَتَخَلَّوْنَ بِهِ مِنَ الْجِدِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ فِي التَّعَامُلِ، وَالْجِدِّ  
 وَالْمُتَابَرَةِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ، وَمِنْ حُسْنِ الإِخَاءِ وَالْمُؤَدَّةِ وَزَوْجِ التَّكَافُلِ، وَكَيْفَ أَنْ  
 مَرَدَّ ذَلِكَ كَانَ يَرْجِعُ فِي جَوْهَرِهِ إِلَى وَضُوحِ رُؤْيَيْهِمُ الْكُونِيَّةِ وَمَسَلَمَةِ مَنَهِجِ فِكْرِهِمْ، وَبِنَاءِ  
 وَجْدَانِهِمْ عَلَى أُسُسٍ سَلِيْمَةٍ مَتِينَةٍ، بِمَا أَوْلُوهُ مِنْ عِنَايَةٍ بِأَمْرِ الْأُمُومَةِ وَبِأَمْرِ الْأُسْرَةِ،  
 وَحُسْنِ ثِقَافَةِ الْوَالِدِينَ فِي شُؤُونِ رِعَايَةِ أُنْبِيَاءِهِمْ نَفْسِيًّا وَوَجْدَانِيًّا، وَغَرْسِ كَرِيمِ الْقِيَمِ  
 وَالْأَخْلَاقِ وَالْمَبَادِي فِي نُفُوسِهِمْ مُنْذُ نُعُومَةِ أَطْفَارِهِمْ، وَمِنْ أَمْرِ بِلَاغِ الصِّفَاتِ الَّتِي  
 حَرَصُوا عَلَى غَرْسِهَا فِي قَرَارَةِ وَجْدَانِهِمْ، وَالَّتِي هِيَ أَسَاسُ أَخْلَاقِيَّاتِ الْفُرْدِ: رِعَايَةُ الْأُسْرَةِ،  
 وَحِفْظُ كِرَامَةِ الْإِنْسَانِ، وَبِأَيِّ فِي مُقَدِّمَتَيْهَا كِرَامَةُ الْأُمُومَةِ وَالْأَثُوَّةِ وَالْإِنْتِجَابِ؛ فَلَمْ تَكُنِ  
 الْأَثُوَّةُ عِنْدَهُمْ بِضَاعَةً رَخِيصَةً لِلتِّجَارَةِ، وَلَا حَقَارَةً لِلِاسْتِخْتَارِ وَالِاقْتِهَانِ، بَلْ كَانَتْ جَلَالِ  
 الْأُمُومَةِ، وَمَنْبَعِ الْكَرَامَةِ، وَمَهْدِ الْمُجْتَمَعِ.

يَقُولُ بِنْدَابًا وَهُوَ يَسْرُحُ بِبَصَرِهِ إِلَى الْأَفْقِ الْبَعِيدِ، يَسْتَعْبِدُ ذِكْرَاتِ لِقَاءَاتِهِ مَعَ الشَّيْخِ



القياصوف يمدوا واستقبل الشيخ الرحالة ابن بطوطة

الرَّحَالَةَ ابْنُ بَطْلُوطَةَ بِقَامَتِهِ الْمَهَبِيَّةِ، وَأَسَارِيرِهِ الْمُتَبَسِّطَةِ، وَوَجْهَهُ النَّاسِمِ الْوَضَاءِ: إِنْ مِنْ أَلْفِ مَا سَمِعْتُ مِنَ الشَّيْخِ ابْنِ بَطْلُوطَةَ فِي شُؤُونِ التَّرْبِيَةِ مَا ذَكَرَهُ عَنْ أُمَّهَاتِ وَآدِي جَزِيرَةِ الْبُنَائِينَ، وَكَيْفَ كَانَ الْحُبُّ وَالتَّشَجُّعُ وَإِثَارَةُ الرَّغْبَةِ فِي الْإِنْجَازِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِبْدَاعِ عِنْدَ الْوَلَدِ وَسِيْلَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِي تَقَاثِمِهِمُ التَّرْبُوِيَّةِ وَتَنْشِئَةِ أَبْنَائِهِمْ.

وَيَضْرِبُ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْلُوطَةَ مِثَالًا لِأَسْلُوبِ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ التَّرْبُوِيِّ الْحَكِيمِ، فَيَقُولُ: يَنْمُو فِي جِبَالِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ شَجَرُ الرُّمَّانِ، وَيَسْتَبِيبُ جُودَةً ثَرِيَّةً هَذِهِ الْجِبَالِ وَرَوْعَةً جَوْهَرًا وَهَوَامِنًا الْعَلِيلِ؛ فَقَدْ كَانَتْ أَشْجَارُ الرُّمَّانِ لَدَيْهِمْ تُعْطِي أَحْلَى ثَمَرٍ وَأَطْيَبَهُ طَعْمًا وَمَذَاقًا، إِلَّا أَنَّ الرُّمَّانَ يُشْكَلُ عِنْدَ الْأُمَّهَاتِ مُشْكَلَةً أَسْرِيَّةً بِيْلِيَّةً.

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى أَنْ يُقَعَّ ثَمَرُ الرُّمَّانِ وَحَبَاتِهِ مِنْ أَكْثَرِ الْأَلْوَانِ ثَبَاتًا عَلَى الشِّيَابِ وَأَثَابِ الْمَنَازِلِ، وَمَنْ الصَّعْبُ الْحِفَاطُ عَلَى حَيَاتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَسْهَلُ تَنَاقُضُهَا عَلَى الشِّيَابِ وَعَلَى فُرُشِ الْمَجَالِمِ وَأَثَابِهَا، خَاصَّةً حِينَ يَتَنَاوَلُهُ الصَّبَاغُ وَالْأَطْفَالُ.

وَلَكُونِ الْأُمَّهَاتِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ بِحُكْمِ تَقَاثِمِ التَّرْبُوِيَّةِ الرَّفِيعَةِ- يُدْرِكَنَّ أَنْ إِصْدَارَ الْأَوَامِرِ إِلَى الْأَطْفَالِ، جَرِصًا مِنْهُمْ عَلَى عَدَمِ وَقُوعِ شَيْءٍ مِنْ حُبُوبِ الرُّمَّانِ عَلَى ثِيَابِهِمْ، أَوْ عَلَى أَثَابِ الْمَنْزِلِ، لَنْ يُجِدِي نَفْعًا؛ وَذَلِكَ لِصُعُوبَةِ تَذَكُّرِ الْوَلَدِ لِلْأَوَامِرِ وَاتِّبَاعِهَا،



وَلِسُرْعَةٍ تَمَثَّلَتْ انْتِبَاهِهِ، وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّحَكُّمِ الْكَامِلِ بِمَا يَفْعَلُونَ وَيُزَاوِلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالنَّمَشَاطَاتِ.

لِذَلِكَ كَلِّهِ لِحَابِ الْأُمّهَاتِ إِلَى جِيلَةٍ لَطِيفَةٍ، تُثَبِّرُ انْتِبَاهَ الْحَلْفَلِ، وَتُثَبِّرُ رَغْبَتَهُ فِي آدَاءِ الْمَطْلُوبِ دُونَ أَيِّ إِحْسَاسٍ بِالْأَمْرِ أَوِ الْإِكْرَاهِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْجِيلَةُ أَنْ تَذَكِّرَ الْأُمّهَاتُ لِلْأَطْفَالِ الصِّغَارِ أَنَّ فِي كُلِّ رَمَانَةٍ حَبَّةً وَاحِدَةً مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ مَنْ يَحْرُصُ عَلَى أَكْلِ كُلِّ حَبَاتِ الرُّمَانِ لَا يَقْوَتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَقَدْ أَكَلَ حَبَّةً مِنْ حَبَاتِ رَمَانِ الْجَنَّةِ.

وَهَكَذَا تُثَبِّرُ الْأُمّهَاتُ الرُّغْبَةَ فِي نُفُوسِ أَطْفَالِهِنَّ لِأَكْلِ كُلِّ حَبَّةٍ مِنْ حَبَاتِ ثَمَرَةِ الرُّمَانِ بِكُلِّ الْحِرْصِ عَلَى عَدَمِ التَّفْرِيطِ فِي أَيَّةِ حَبَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْحَبَاتِ.

لَقَدْ بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْجِيلَةُ التَّرْبِيَّةَ اللَّطِيفَةَ الْبَرِيَّةَ عَلَى إِثَارَةِ مَفْهُومِ الْحُبِّ وَالرُّغْبَةِ بِكُلِّ إِحْبَابِيَّاتِهِمَا؛ لِذَفْعِ الْحَلْفَلِ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَى مَا يُطَلَّبُ مِنْهُ وَيُرْجَى لَهُ، وَهُوَ مَفْهُومُ أَسَاسٍ فِي أَسَالِيبِ التَّرْبِيَّةِ الْإِنْمَائِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ النَّاجِحَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَفَهَّمَهَا الْآبَاءُ وَالْأُمّهَاتُ فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِأَسْلُوبٍ إِحْبَابِيٍّ فَعَّالٍ.

يَقُولُ بِيَدَيَا: وَسَأَلْتُ الشَّيْخَ ابْنَ بَطْلُوطةَ عَنِ مِثَالِ لِمَا رَأَى وَشَاهَدَ فِي حَيَاتِهِ مِنْ أُمَّثَلَةِ  
التَّرْبِيَةِ السَّيِّئَةِ فِي الْبِلَادِ الْمُتَخَلِّفَةِ عَنِ طَرِيقِ الْأَسَالِيبِ التَّرْبَوِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ الْإِمْلَائِيَّةِ  
السُّلْطَوِيَّةِ، بِإِثَارَةِ مَشَاعِرِ الْخَوْفِ وَالرُّهْبَةِ وَالتَّهْيِبِ فِي نُفُوسِ الْأَطْفَالِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْلُوطةَ: التَّرْبِيَةُ السَّيِّئَةُ يَا بَيْدَنَا هِيَ التَّرْبِيَةُ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الْقَهْرِ  
وَالْأَمْرِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَالَّتِي تُغْرِسُ فِي نَفْسِ الْوَلَدِ مَشَاعِرَ الْعَجْزِ وَالتَّهْيِبِ وَالتَّخَوُّفِ وَالتَّكْرَهُ،  
وَتُنْتَهِي بِهِ إِلَى خُلُقِ الْعِنَادِ وَالتَّرَفُّضِ وَالتَّمْسَاكَةِ، أَوْ تُؤَدِّي إِلَى خُلُقِ الْجُبْنِ وَالتَّهْيِبِ  
وَمَشَاعِرِ الْخُضُوعِ وَالتَّمَدُّدِ، وَعَدَمِ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَإِلَى خُلُقِ الْكُذْبِ وَالتَّنْفَاقِ؛ حَسَبَ مَا  
تَدْعُو إِلَيْهِ طَبِيعَةُ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْوَلَدِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَطَبِيعَةُ الْأَسَالِيبِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَيْهَا  
التَّرْبِيَةُ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُ.

وَعَلَى عَكْسِ مَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُهُ لِي مِنْ مِثَالِ أُمَّهَاتِ وَادِي جَزِيرَةِ الْبَنَاتِيْنِ السَّلَامِيَّاتِ  
الطَّيَّبَاتِ، فَقَدْ أُورِدْتُ لِي مِثَالًا آخَرَ عَنِ التَّرْبِيَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَى إِثَارَةِ مَشَاعِرِ الْخَوْفِ  
وَالرُّهْبَةِ فِي نَفْسِ الْوَلَدِ، بِسَبَبِ خُرَافِيَّةِ عَقْلِيَّةِ الْآبَاءِ وَالتَّمْنَاهِ، وَفُضُورِ مَعْلُومَاتِهِمْ  
وَمَعَارِفِهِمْ التَّرْبَوِيَّةِ؛ بِسَبَبِ إِهْمَالِ تِلْكَ الْجَوَابِيبِ الْهَامَّةِ فِي مَنَهِجِ تَعْلِيمِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ  
وَتَقَاتِيمِهِمْ.



الجاهلة تؤذي أبنائها وتجي على الأبرياء

قال الشيخ: أنت تعلم يا بنديبا أن الأمن في العصور الماضية، كان -وما يزال- في كثير من البلاد حتى اليوم، أمرا مفقودا، وفي مثل هذه الحالات نخشى الأمهات بالطبع أشد الخشية على أطفالهن من الخروج من المنازل بعد غروب الشمس؛ لِمَا يُفَكِّرُ أَنْ يَنَالَهُمْ مِنَ الْأَذَى مِنْ مَرَضَى النَّفْسِ وَشِرَارِ الْقَوْمِ.

ولمواجهة هذه الحالة فقد لجأت بعض الأمهات الجاهلات في إحدى البلاد المتخلفة التي لم يخط فيها المواطنون -وخاصة المرأة والأمهات- بالعناية التربوية والثقافة والمعرفة والثقافة العلمية الصحيحة، إلى جيلة مُرْعِبَةٍ تُبِيرُ الْخَوْفَ وَالْهَلَعُ فِي نَفْسِ صِبَاغِهِنَّ؛ حَتَّى لَا يَخْرُجُوا مِنَ الْبُيُوتِ بَعْدَ حُلُولِ اللَّيْلِ وَنُزُولِ الظُّلَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْجِيلَةُ الْخُرَافِيَّةُ الْأُسْطُورِيَّةُ السَّيِّئَةُ هِيَ جِكَايَةُ "الدَّجِيرَةِ"، وَتَعْضُهُمْ يَدْعُوهَا "السَّعْلِيَّةُ"، وَهِيَ مِنْ بَيْنَةِ مُتَخَلِّفَةِ إِلَى أُخْرَى - وَإِنْ اتَّخَذَ الْمُحْتَوَى وَالْأَثَرُ الشَّرِيحِيُّ السَّيِّئُ - أَسْمَاءً كَثِيرَةً أُخْرَى، وَهِيَ جِكَايَةُ خُرَافِيَّةٌ تَتَخَدُّ عَنْ خُرَافَةِ "جَبِّيَّة" شَرِيحَةً تَتَخَفَى بِمَلَابِسِ اللَّيْمَاءِ، وَتَنْطَلِقُ فِي الْخَوَارِي وَالشُّوَارِعِ الضَّيِّقَةِ، وَتَبِينُ الْبُيُوتِ، بَعْدَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ وَتَجَلَّ الظُّلَامُ، وَتَرْمِدُ الْأَطْفَالَ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الضَّيِّقَةِ الْمُرْوِيَّةِ؛ لِتَوَدِّيهِمْ وَتَفْتِكَ بِهِمْ.

وهذه "الدجيرة" الخرافية الأسطورية لا يختلف شكلها الخرافي عن أية امرأة، إلا أنها ليس لها أقدام إنسان، بل لها في هذا الخيال المريض خوافر حيتوانية مثل خوافر الحمام، ولذلك يحذر الأطفال من الخروج من المنازل في الليل حتى لا تؤذيهم أو تحطفهم أو تأكلهم هذه "الدجيرات".

يقول الشيخ ابن بطوطة: "وَلَمْ أَنْ تَتَّبِعْ مَا تُبَيِّنُهُ هَذِهِ الْجِيلَةُ الْخُرَافِيَّةُ التَّرْتُوبِيَّةُ السَّيِّئَةُ وَسِوَاهَا مِنَ الْمَفَاهِيمِ التَّرْتُوبِيَّةِ الْخُرَافِيَّةِ الْجَاهِلَةِ السَّقِيمَةِ فِي نَفْسِ الْأَطْفَالِ مِنَ الْأَثَارِ التَّرْتُوبِيَّةِ السَّلْبِيَّةِ، وَمَا تُؤَلِّدُهُ مِنْ مَشَاعِرِ الْخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ وَالرُّعْبِ مِنَ اللَّيْلِ وَمِنَ الظُّلَامِ، الَّذِي يَغْرَسُ فِي نَفْسِ الْأَطْفَالِ رَهْبَةَ الْخُرُوجِ فِي اللَّيْلِ، بَلْ إِنَّ أَمْرَ ذَلِكَ يَمْتَدُّ فِي نَفْسِ الْأَطْفَالِ وَخَيَالِهِمْ إِلَى خَوْفِ الْخُرُوجِ إِلَى غَيْرِ الْمَأْمُونِ الْمَأْلُوفِ مِنَ الْأَمَاكِنِ؛ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يُؤَدِّي وَلَا يَشْكُ إِلَى سَيْطَرَةِ مَشَاعِرِ التَّهَيُّبِ وَالْجُنَنِ، وَإِلَى قَتْلِ رُوحِ الْجُرْأَةِ وَالْمُعَامَرَةِ فِي نَفْسِ أَبْنَاءِ أَوْلِيكَ الْأُمَّهَاتِ."

يقول بيدبا: "مِنْ أَهَمِّ مَا أَدَّكَرُهُ وَأَرْوِيهِ دَائِمًا عَنْ شَيْخِنَا ابْنِ بَطْوُطَةَ وَدُرُوسِيهِ التَّرْتُوبِيَّةِ الْمَثَالِ الَّذِي رَوَاهُ لَنَا وَالَّذِي يُوضِّحُ الْأَثَارَ التَّرْتُوبِيَّةَ الْخَطِيرَةَ لِلْأَسَالِبِ التَّرْتُوبِيَّةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَنْسَبُ بِهَا الْجَهْلُ التَّرْتُوبِيُّ وَتُؤَدِّي إِلَى أَسْوَأِ النَّتَائِجِ، لِيَمُنَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفَرْدِ فَقَطْ،"

بَلْ يَمْتَدُّ أَثَرُهَا السَّيِّئُ إِلَى الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، عَلَى رَغْمِ أَنْ دَوَافِعَ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ السَّيِّئَةِ قَدْ  
 تَصَدَّرَ بِحُسْنِ نِيَّةٍ وَعَنْ أَنْبَلِ الْعَوَاطِلِ الْأَبْوِيَّةِ وَعَظِيمِ الْجِرَاصِ عَلَى نَفْعِ الْأَبْنَاءِ، وَهَذَا  
 يَجْعَلُهَا مِثَالًا مَجَسَّدًا لِلْجُكَمَةِ الْقَائِلَةِ "عَدُوٌّ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلٍ" وَذَلِكَ حِينَ  
 هَوَى الدُّبُّ بِقُبُضَتِهِ الْكَاسِحَةِ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهِ -حُبًّا فِيهِ وَجِرَاصًا عَلَى رَاحَتِهِ- لِيَقْتُلَ  
 الذَّبَابَةَ الَّتِي حَطَّتْ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ نَائِمٌ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي قَتْلِ صَاحِبِهِ وَتَهْتِيسِمْ رَأْسِهِ،  
 وَافْلَتَتْ الذَّبَابَةُ.

وَهَذَا الْمِثَالُ لِلتَّوْبَةِ السَّيِّئَةِ وَالَّذِي لَمْ يُفَارِقْ ذَاكَرَتِي قَطُّ مُنْذُ أَنْ رَوَّاهُ لَنَا شَيْخُنَا ابْنُ  
 بَطُّوطَةَ، وَهُوَ مِثَالٌ يُصَوِّرُ لَنَا خَالَ بَعْضِ الشُّعُوبِ الْمُتَخَلِّفَةِ الَّتِي عَرَفْنَا، وَكَيْفَ أَنَّهَا  
 بَجَبَلَتَا وَخَرَّافَتَيْهَا وَتَشَوَّهَ رُؤْيَتَا وَتَقَافَتَيْهَا، قَدْ تَبَدَّلَ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ خَالَهَا، وَتَفَقَّدَ الْكَثِيرَ مِنْ  
 كَرِيمِ صِفَاتَيْهَا، وَهُوَ مَا حَطَّ مِنْ شَأْنَيْهَا، وَأَضْعَفَ بُنْيَانَيْهَا، وَأَذْهَبَ شَجَاعَةَ أَبْنَائِهَا وَتَبَدَّلَ  
 صِفَاتَيْهَا، وَمَكَّنَ مِنْهَا أَعْدَاءَهَا.

يَقُولُ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُّوطَةَ: لَقَدْ رَأَى بِأَمِّ عَيْنِيهِ أَحْوَالَ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ كَانَتْ تُنْسَمُ بِالْقُوَّةِ  
 وَالنَّبْلِ وَالصِّدْقِ وَالسُّهَامَةِ، خَالَ خَالَهَا إِلَى الضُّعْفِ وَالتَّمَرُّقِ، وَحَلَّتْ صِفَاتٌ مَسِيئَةٌ  
 مَحَلَّ الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ السَّالِفَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ أَصْبَحَ الْكَذِبُ -بَدَلَ الصِّدْقِ- هُوَ

السِّمَةُ الْغَالِبَةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أُنْبَاءِهَا وَشُعُوبِهَا.

قَالَ بَيْدِيَا: لَا أَكْتُمُ سِرًّا جِيْنَ أَهْوَى: إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَتَصَوَّرُ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَخَوَّلَ أُمَّمٌ وَشُعُوبٌ مِنْ خَالِي إِلَى نَقِيصَتِهَا، وَذَلِكَ سَأَلْتُ الشَّيْخَ أَنْ يَضْرِبَ لَنَا مَثَلًا عَلَى ذَلِكَ يَجْعَلُنَا نُدْرِكُ كَيْفَ يُمَكِّنُ فِي وَاقِعِ حَيَاةِ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ أَنْ يَحْدُثَ مِثْلُ ذَلِكَ.

قَالَ لِي الشَّيْخُ: يَا بَيْدِيَا، إِنَّ تَارِيخَ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ يُعْطِي مِنَ الدَّرُوسِ وَالْعِبَرِ مَا لَا يَسْتَهْلُ عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكُهُ إِذَا لَمْ نَقْرَأِ التَّارِيخَ وَنَسْتَلْهِمْ دُرُوسَهُ وَعِبْرَتَهُ؛ لِتَعْلَمَ كَيْفَ تَحْدُثُ التَّخَوَّلَاتُ الْكُبْرَى وَكَيْفَ يُمَكِّنُ لِلْأُمَّمِ أَنْ تَتَحَرَّفَ مَسِيرَتُهَا، وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَعِيدَ عَاقِبَتَهَا وَتُؤَاصِلَ مَسِيرَتَهَا.

يَا بَيْدِيَا، سَأَشْرِحُ لَكَ وَإِخْوَانِكَ مِثَالًا يُوضِّحُ ذَلِكَ الدَّرْسَ، وَتَتَعَلَّقُ بِصِفَةٍ لَا تُحْطِئُهَا الْعَيْنُ فِي سُلُوكِ الْأَفْرَادِ وَمَا تُحْدِثُهُ مِنْ أَثَارٍ مُدْمِرَةٍ سَلْبِيَّةٍ جِيْنَ تَمَسُّسُرِي بَيْنَ أُنْبَاءِ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ لِتُصْبِحَ سِمَةً غَالِبَةً لِتِلْكَ الشُّعُوبِ وَالْأُمَّمِ.

هَذِهِ الصِّفَةُ -يَا بَيْدِيَا- هِيَ صِفَةُ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَهِيَ صِفَةُ -يَا بَيْدِيَا- عَلَى أَعْظَمِ قَدَرٍ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ وَالتَّأْيِيرِ عَلَى سُلُوكِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَبِنَاءِ الْبِقَّةِ وَسَلَامَةِ التَّوَاصِلِ وَسَلَامَةِ الْأَذَاءِ فِي حَيَاةِ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ، وَتَكُونُ التَّأْيِيرُ إِجَابِيًّا جِيْنَ تَكُونُ الصِّفَةُ الْغَالِبَةُ هِيَ

الصِّدْقِ، وَتَكُونُ النَّائِبُ سَلْبِيًّا مُدَمِّرًا حِينَ تَكُونُ الصِّفَةُ الْعَالِيَةُ بَيْنَ أُنْبَاءِ الشُّعُوبِ هِيَ  
الْكَذِبُ.

قَالَ بَيْدَبَا: قُلْتُ: نَعَمْ، صَدَقْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْعَجَلِيلُ، وَلَكِنْ كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟  
قَالَ الشَّيْخُ: أَنْتَ تَعْلَمُ يَا بَيْدَبَا أَنِّي كُنْتُ وَمَا أَزَالُ كَثِيرَ الْمَسْفَرِ وَالرَّحَالِ، وَلَا يَمْلِكُ  
الرَّحَالَةَ إِلَّا أَنْ يَرْقُبَ أَحْوَالَ مَنْ يَجُلُّ بَيْنَهُمْ وَمَعْرِفَةَ مَا يَشِيَعُ مِنْ صِفَاتِهِمْ.  
وَقَدْ خَلَلْتُ يَوْمًا بِأَرْضِ قَوْمٍ كُنْتُ أَرَى مِنْ أَحْوَالِهِمْ جِرْصَهُمْ عَلَى الصِّدْقِ، وَضَيْقَهُمْ  
وَأَنْزِعَاتِهِمْ مِنَ الْكَذِبِ، فَحَرِصْتُ أَنْ أَعْلَمَ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ تَرْبُوِيَّةٍ أَمَكَّتَهُمْ أَنْ يُشِيَعُوا هَذِهِ  
الصِّفَةَ بَيْنَهُمْ. وَكَانَ أَوَّلُ مَا تَبَيَّنْتُهُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ يَشِيَعُ بَيْنَهُمْ حُبَّ الْمَعْرِفَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْإِطْلَاعِ،  
وَتَرَى الْمَكْتَنَبَاتِ الْعِلْمِيَّةَ الرَّاحِزَةَ مَنْثُورَةً فِي كُلِّ حَيْ-

وَتَبَيَّنْتُ أَنَّ لَهُمْ أَسْلُوبًا تَرْبُويًّا شَائِعًا بَيْنَهُمْ، وَهُوَ اخْتِرَامُ الْطِفْلِ، وَاعْتِمَادُ الْجَوَارِي فِي  
التَّفَاعُلِ مَعَهُ، وَإِعْطَاؤُهُ مَسَاحَةً لِلتَّصَرُّفِ وَالْمُبَادَرَةِ وَالتَّجْرِبِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِبْدَاعِ.  
لَقَدْ وَجَدْتُ أَنَّ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، حُبَّ الْمَعْرِفَةِ وَاخْتِرَامَ الْإِنْسَانِ هُمَا السَّبَبُ فِي  
نَجَاحِهِمْ فِي الْجِرْصِ عَلَى الصِّدْقِ، وَتَذَرِيهِ فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ مِنَ الصِّغَرِ.  
فَكَمَا تَعْلَمُ -يَا بَيْدَبَا- لَا بُدَّ لِلطِّفْلِ فِي صِغَرِهِ وَسَعْيِهِ لِاسْتِكْشَافِ عَالَمِهِ، مِنْ الْوُقُوعِ



في الأخطاء، وهنا وجدت، بسبب ثقافة الآباء التربوية، أنهم حين يقع الطفل في الخطأ فإنهم يتحاورون معه، وتجعلون من ذلك الخطأ وسيلة للتعليم، ودرساً لمعرفة الصواب من الخطأ في حياته؛ فيحرصون ألا يقع في مثله مرة أخرى؛ لأن الطفل بهذا الأسلوب البناء يمكن من إدراك وجه الخطأ، وهو بطبيعته الإنساني منحرص عادة على تلافي الخطأ، وخاصة إذا كان ذلك مما يرغب فيه والذاه اللذان يبادلها الحب والتقدير.

وإذا كان الخطأ مما يستوجب العقاب، فإنهم يحرصون أن يكون العقاب مختلفاً يفسد به التعبير عن جدية الأمر وعدم الرضا عن ذلك السلوك، وتكون العقاب عادة بالجزم من أمر من الأمور التي يرغبها الطفل، مثل الخروج مع الأسرة أو الأصدقاء لمزاولة الهوايات والرحلات ونشاطات الترويح في عطلات إجازات الأسبوع، ولذلك لا يتردد الطفل في قول الصدق حين يقع في الخطأ، وبذلك يصبح الصدق سمة في شخصية الطفل في تعامله مع نفسه ومع الآخرين حين يشب ويكتمل.

وهكذا -يا نبيدنا- أدركت لماذا تشبع صفة الصدق عند تلك الشعوب، ولماذا يحرصون على الصدق في تعاملاتهم، والمسماوية في أداء السلطات في بلادهم، كما

أَدْرَكْتُ أَيْضًا لِمَاذَا يَحْرِصُونَ عَلَى بِنَاءِ مَوْسِمَاتِ الرِّقَابَةِ فِي أَنْظِمَتِهِمْ، وَلِمَاذَا لَا يُجِبُونَ  
الْكَذِبَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَا يَغْفِرُونَ لِقَادَتِهِمْ..

قَالَ بَيْدَبَا: نَعَمْ يَا سَيِّدِي أَدْرَكْتُ بِمَا ذَكَرْتَ لِي تَمَكَّنَ الْإِنْبَاءُ وَالْأَقْبَاتِ بِهَذَا الْأُسْلُوبِ  
الْتَرْتُوبِيِّ السَّلِيمِ أَنْ يُنْشِئُوا أَبْنَاءَهُمْ عَلَى الصِّدْقِ، وَكَيْفَ أَمَكَّنَ بِذَلِكَ أَنْ يُصْبِحَ الصِّدْقُ  
هُوَ السِّمَةُ الْغَالِبَةُ لِتِلْكَ الشُّعُوبِ فِي التُّعَامُلَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَيْفَ أَنْ الْكَذِبَ فِيمَا بَيْنَهُمْ  
امْتِنَاءً مَرْفُوضٌ وَمَقْدُومٌ.

قَالَ بَيْدَبَا: عِنْدَ ذَلِكَ وَجْهْتُ الْجَطَابَ إِلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَطُوطَةَ، وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ  
لَنَا إِنَّمَا هُوَ عَيْنٌ عَنِ الصِّدْقِ، وَإِنَّ لِهَيْفَتَنَا أَشَدَّ أَنْ نَسْمَعَ مِنْكَ كَيْفَ أَمَكَّنَ أَنْ يُصْبِحَ  
الْكَذِبُ صِفَةً مِنْ الصِّفَاتِ الشَّائِعَةِ عِنْدَ بَعْضِ الشُّعُوبِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَشَدُّ غَرَابَةً وَأَصْعَبُ  
فِي التَّصَوُّرِ.

قَالَ الشَّيْخُ الرَّحْمَالِيُّ: هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا بَيْدَبَا، فَإِنَّ الْأَمْرَ عَلَى غَيْرِ مَا تَخَلُّنُ، وَإِنَّ الْوُقُوعَ فِي  
ذَلِكَ الْخَطَأِ الْخَطِيرِ يَحْصُلُ إِذَا سَادَتِ الْعَقْلِيَّةُ الْخُرَافِيَّةُ وَالثَّقَافَةُ الْجَاهِلَةُ السُّلْطَوِيَّةُ،  
وَإِذَا تَضَاعَلَتِ الرَّغْبَةُ فِي الْبُرَاءَةِ وَالْإِطْلَاعِ وَطَلَبِ الْمَعْرِفَةِ.

قَالَ بَيْدَبَا: لَقَدْ رَدَدْتَنَا سَوْفًا أَيْهَا الشَّيْخُ إِلَى سَمَاعِ مَا عِنْدَكَ، فَكَلْنَا أَدَانُ مُصْبَغِيَّةَ لِمَا تَقُولُ.

قال الشيخ: كما سبق أن ذكرت لكم يا بيدبا فإني رأيت ذلك في بلاد عزيزة على نفسي؛ لوهرة ما قرأت عنها وعن ماضيها وأيامها البيضاء على كل من حولها، وما حواد تراثها من الإنجازات الحضارية والقيم السامية، ولكنني حين جئت ربوعها وخيرت قومها لم أستطع إلا أن أخطئ البون المساع بين ما قرأته يوماً عنها وبين ما هي عليه اليوم في واقع الحال.

لقد كان من أهم ما لاحظته على أبناء تلك البلاد أن الكذب أصبح عندهم صفة شائعة، وأنهم لا يأنهون للكذب ولا يستغربونه ولا يلصقون له بالاً، وما عاد يغضبهم ولو كان من قادمهم والأمناء على مصالحهم، بل يكادون لا يتوقعون منهم إلا الكذب، ولا مجال للشفافية في أداء قياداتهم ومؤسساتهم أو العاملين في تلك المؤسسات، ولذلك فلا فائدة ولا جدوى لمؤسسات الرقابة إن وجدت. قال بيدبا ولكن كيف حال عامة هذه الشعوب يا سيدي الشيخ في التعاملات بينهم؟ هل الكذب أيضاً شائع بينهم؟

قال الشيخ ابن بطوطة: يا بيدبا ما كان للقادة ولا للمؤسسات أن تفتقد المصداقية لو كان خلق الأفراد لا يتقبل الكذب، بل إن السبب والأساس لا بد أن تكمن في تكوين الأفراد، فالأفراد وإن كان ماضيهم ومزويبات تراثهم لا تقبل الكذب وتنتهي عنه، إلا أن

جُمْهُورٌ شُعُوبِهِمْ حِينٌ حَيَّمَتِ السُّلْطُونَةُ وَالْخُرَافَةُ وَالْجَهْلُ عَلَى عَقْلِيَّتِهِمْ وَتُقَافِيَّتِهِمْ، هَيَّاتُ نُفُوسِهِمْ لِلْوُقُوعِ فِي كَارِثَةِ صِفَةِ الْكُذِبِ، لِيُصْبِحَ وَسِيلَةً مَنْبِيئَةً حَيَاتِيَّةً لِطَلَبِ الْمَكَاسِبِ، وَطُوقَ نَجَاةٍ سَيِّئًا لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْمَازِي.

قَالَ بَيْدِيَا: وَلَكِنْ كَيْفَ حَلَّتْ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذِهِ الْكَارِثَةُ الْخُلُقِيَّةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ؟ وَكَيْفَ وَقَعُوا فِي هَذِهِ الْخَطِيئَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُدْمِرَةِ؟

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُّوطة: لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ يَا بَيْدِيَا سَهْلًا وَبَسِيطًا وَمُعْتَلَفًا بِحُسْنِ التَّوَاتُؤِ كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ لَكُمْ فِي بَدَايَةِ خَبْرِيئِنَا عَنِ الصَّدِيقِ الْجَاهِلِ.

إِنَّ الَّذِي أَوْقَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى غَيْرِ مَقَاصِدِهِمْ وَسَبَاقِ أَحْوَالِهِمْ، هُوَ الْجَهْلُ وَعَدَمُ الْوَعْيِ السَّلِيمِ بِالْأَسَالِبِ التَّرْبَوِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي يَجِبُ الْعِلْمُ بِهَا، وَالتَّوَسُّلُ بِهَا لِغَرَسِ الصِّفَاتِ وَالسُّلُوكِ الْعَمِيدِ فِي أَصْلِ نَشْأَةِ الْأَبْنَاءِ.

فَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ كَانُوا فِي قَرَارَةِ نُفُوسِهِمْ شَيْبِيذِي الْجُرْصِ عَلَى حُسْنِ تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِمْ وَاسْتِقَامَتِهِمْ، وَلَكِنْ حِينِ سَادَ الْجَهْلُ وَالْخُرَافَةُ تُقَافِيَّتَهُمْ وَعَقْلِيَّتَهُمْ، كَانَتْ الْمَفَاهِيمُ السُّلْطُونِيَّةُ هِيَ جِيلَةُ الْعَاجِزِ الَّذِي يُلْجَأُ إِلَى الْعُنْفِ لِإِمْلَاءِ إِزَادَتِهِ وَالْعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِ مَآرِبِهِ، وَلَا مَجَالَ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ أَطْفَالِهِمْ لِلْجَوَارِ وَالْإِقْنَاعِ وَحُبِّ الْمَعْرِفَةِ وَتَشْجِيعِ الْمَيَادِرَةِ.



أَبٌ جَاهِلٌ "يُؤَذِّبُ" حَائِقًا

وَلَذَلِكَ كَانَ الْأَبَاءُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِذَا وَقَعَ صَغِيرُهُمْ فِي خَطَا فُلِحِبَلِيمَ بِنَفْسِيَّةِ الْوَلَدِ  
وَلِرَغْبَتِهِمْ فِي مَنَعِهِ مِنْ مُعَاوَدَةِ الْخَطَا، يَصُبُّونَ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ جَامُ غَضَبِهِمْ وَيَتَلَجَّأُونَ إِلَى  
أَشَدِّ الْعِقَابِ الْبَدَنِيِّ وَالْمُبَالَغَةِ فِي الضَّرْبِ وَالْأَذَى الْجَسَدِيِّ وَالنَّفْسِيِّ حَتَّى لَا يَعُودَ إِلَى  
فِعْلِهَا مَرَّةً ثَانِيَةً، كَمَا يَقُولُونَ.

وَمَا يَخْدُثُ فِي الْوَاقِعِ يَا بَهْدَبَا هُوَ أَنَّ الْوَلَدَ إِذَا بَدَأَ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ لَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَةَ مَعْنَى  
خَطِيئِهِ، وَلَمْ يَتَعَلَّمْ دَرْسَهُ وَعِبْرَتَهُ، أَصْبَحَ غَاضِبًا مِنْ وَالِدَيْهِ، زَافِضًا لِمُعَامَلَتِهِمْ لَهُ بِتِلْكَ  
الْقَسْوَةِ، بَلْ قَدْ تَسَاوَرَتْ نَفْسُهُ رَغْبَةُ الْإِنْتِقَامِ وَالتَّشْفِي لِمَا أَصَابَهُ بِمُعَاوَدَةِ الْفِعْلِ وَمَا هُوَ  
أَذَى مِنْهُ؛ نِكَايَةً بِوَالِدَيْهِ، وَلَنْ يَقِفَ الْأَمْرُ يَا بَهْدَبَا عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ إِنَّهُ لِلْأَسْفِ يَتَعَدَّى  
ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَى الْكُذِبِ عَلَى وَالِدَيْهِ كَالْيَتِيمِ يَلْقَانِيَّةً لِجَمَافِيَةِ نَفْسِهِ مِنْ قَسْوَةِ وَالِدَيْهِ  
وَأَذَاهُمْ، فَتُصْبِحُ الْخَطِيئَةُ خَطِيئَتَيْنِ وَالْخَطَا خَطَايَيْنِ، بَلْ إِنَّ خَطِيئَةَ الْكُذِبِ أَسْوَأُ أَثْرًا  
وَأَبْغَى مِنْ أَيِّ أَخْطَاءٍ قَدْ يَرْتَكِبُهَا الْوَلَدُ، وَالْبُغْيُ فِي الْغَالِبِ يَسْهُلُ تَصْحِيحُهَا لَوْلَمْ تَقْتَرِنِ  
بِالْيَتِيمِ الْكُذِبَ احْتِمَاءً مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْقَاسِيَةِ الْمَتَوَقَّعَةِ.

وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ الْأَسْلُوبُ التَّرْبَوِيُّ الْخَاطِئِي مِنَ الْوَالِدَيْنِ، عَلَى رَغْمِ حُسْنِ نَوَايَاهُمْ وَنُبْلِ  
مَقْصِدِهِمْ، فَإِنَّ الْفُرْدَ وَالْوَلَدَ فِي ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ، يَتَلَبَّسُ صِفَةَ الْكُذِبِ وَالْإِسْتِهَانَةِ بِأَمْرِهِ

في تصرفاته كافة، كإلية طبيعية لحماية نفسه وتحقيق أهدافه وتضليل المترصين به.

هكذا يا بيدبا تغيرت تلك الشعوب من النقيض إلى النقيض بسبب الخرافة والجهل والشعوذة؛ والتي ينسبونها زورا وهتانا وجهلا إلى نفائس دينهم وثقافتهم وتراثهم. قال بيدبا: نعم يا شيخنا الجليل، الآن أدركنا أهمية دور الأسرة والتربية العلمية الأسرية، وأن آثارها لا تقتصر على الأفراد، بل تمتد آثارها إلى الأمم، كما أدركنا الآن لماذا تفشل المؤسسات العامة في أداء أدوارها المنتظرة منها، من ضبط منطلات الحكم، وتحقيق الشورى والشفافية والرقابة وصدق الأداة؛ لأن غيابها من أهم العقبات التي تحول دون نهوض هذه الشعوب ونموها وتحقيق أهدافها وغاياتها ومقاصدها النبيلة.

قال الشيخ: نعم يا بيدبا، لذلك أرحو أن تذكر ولا تنسى أن "العلم نور" و"الجهل ظلمة"، و"الصدق منجاة"، وأنتك إن شئت أن ترى ابنك الصغير شابا مرفوع الرأس، شجاع القلب، يمتلي ثقة بالنفس وحمس الكرامة والمسؤولية وروح المبادرة والإبداع، فعامله وهو طفل بحسن الثقة والتكريم والاحترام، وعوده حبا كل أنواع المعرفة.

النَّافِعَةَ وَطَلَبَ الْاِهْتِنَاءَ وَلُغَةَ الْجَوَارِ، وَشَجَعَ فِيهِ رُوحَ الْمُبَادَرَةِ وَالْإِبْدَاعِ، وَخَلَى  
الإشكالات، وَالتَّغَلَّبَ عَلَى الصَّعَابِ، فَكَمَا تُعَامِلُهُ صَغِيرًا - يَا بَيْدَبَا - تَجِدُهُ كَبِيرًا.  
قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُفِيدِ يَا بَيْدَبَا أَنْ أَقْصَرَ عَلَيْكَ أَمْرًا لَقْتَ نَظْرِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ، وَأَعْرَبْتُ  
مِنْهُ يَا بَيْدَبَا مَا سَمِعْتُهُ شَرْحًا وَتَوْضِيحًا لِمَا رَأَيْتُ.

قَالَ بَيْدَبَا: لَقَدْ اسْتَدَثَّ رَغْبَتِي أَمَّا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ لِمَعْرِفَةِ مَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ مَا سَمِعْتُ.  
قَالَ الشَّيْخُ: كُنْتُ يَا بَيْدَبَا قَدْ نَزَلْتُ ضَيْفًا عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي دَارِ أَحَدِ كِرَامِ الْجَزِيرَةِ، وَكَانَ  
لَدَيْهِ نَاقَةٌ مِنَ الصَّبَبَانَا وَالصَّبَبِيَانِ، مِنْهُمْ الصَّغِيرُ وَمِنْهُمْ الْمُرَاهِقُ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَمَلَ نُضْجُهُ  
وَاكْتَمَلَ عُوْدُهُ، وَمَا لَقْتُ نَظْرِي أَنَّهُ بَرَعِمٌ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ جَمِيعُ هَؤُلَاءِ مِنْ نَشَاطٍ وَخَبِيْثَةٍ،  
تَجِدُهُمْ دَائِمًا فِي حَالٍ مِنَ الْمَرَحِ وَهُدُوهِ الطَّبَعِ، الْمُرَاهِقِينَ مِنْهُمْ، الَّذِينَ يُظْهِرُونَ -  
عَادَةً - فِي هَذِهِ السَّنَى بِوَادِي رُوحِ الْاِسْتِقْلَالِ بِالْمُمَانِغَةِ وَالتَّمْرُدِ، الَّذِي هُوَ يَصِلُ بِنَعْضِهِمْ  
إِلَى حَدِّ الرَّفْضِ وَالْعِصْيَانِ.

لَمْ أَمْلِكْ يَا بَيْدَبَا بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ مِنْ إِقَامَتِي بَيْنَهُمْ أَنْ أُوْجِهَ السُّؤَالَ إِلَى مُضِيْفِي عَنِ سِرِّ  
هَذِهِ الْعَلَاقَةِ النَّاعِمَةِ الْخَمِيْمَةِ الْمَرِيْحَةِ فِيمَا بَيْنَ أُنْبَاءِهِ، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ وَالِدِيهِمْ، وَخَاصَّةً  
مَنْ هُمْ مِنْهُمْ فِي سِنِّ الْمُرَاهِقَةِ، بَرَعِمٌ كُلِّ مَا تَلْمُسُهُ فِي شَخْصِيَّاتِهِمْ مِنْ قُدْرَةٍ وَنَفْطَلَةٍ.





البيضاء القويمه الوالدان يحاوران أطفالهم

قَالَ الشَّيْخُ : عِنْدَ سَمَاعٍ مُضَيَّفِي سُؤَالِي إِتَاهُ إِلَيْهِ ارْتَمَمْتُ - يَا بِنْدَبَا - عَلَى وَجْهِهِ  
 ابْتِسَامَةً غَرِيضَةً وَهُوَ صَامِتٌ يُوجِّهُ إِلَيَّ نَظْرَاتِهِ، وَكَأَنَّهُ يَسْتَجْمِعُ أَفْكَارَهُ لِيُشْرِحَ لِي مَا  
 أَشْكَلَ عَلَيَّ مِنْ أَمْرٍ. وَبَعْدَ بُرْهَانِهِ لَمْ تَحُلْ قَالَ لِي الْمُضَيَّفُ: أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، مَا رَأَيْتَ  
 مِنْ أَمْرِ أَبْنَائِي وَبَنَاتِي لَيْسَ إِلَّا ثَمْرَةً لِأَسَالِينَا فِي التَّرْبِيَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا صِغَارَتَنَا وَتَوْضِيحُ  
 لَهُمْ وَنِسْمَعُ مِنْهُمْ وَنَحَاوِرُهُمْ وَنُسَجِّعُ فِيهِمْ حَبَّ الْمَعْرِفَةِ وَرُوحَ الْاِقْتِنَاعِ وَحِسْمِ  
 الْمَسْئُولِيَّةِ وَشَجَاعَةِ الْمُبَادَرَةِ، وَالرَّفْعَةِ فِي الْمُحَاوَلَةِ وَالتَّجْرِبَةِ، وَحَلِّ الْمَشْكَالَاتِ  
 وَالتَّغَلُّبِ عَلَى الصِّعَابِ، كَمَا نَعُوذُهُمْ، مُنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهِمْ، أَنْ يَقْبِسُوا فِي مَسْعَاهُمْ  
 وَتَعَامُلَاتِهِمْ مَعَ أَنْفُسِهِمْ أَوْ مَعَ الْآخَرِينَ، عَلَى النُّتَائِجِ لَا عَلَى الدَّعَاوَى، وَأَنْ يَسْمَعُوا  
 بِأَعْيُنِهِمْ لَا بِأَذَانِهِمْ فَقَطْ "وَأَنْ يُعَامِلُوا النَّامَنَ بِمَا يُجِبُّوْنَ أَنْ يُعَامِلُوا بِهِ" فَذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ  
 أَسْرَارِ نَجَاحِ السَّعْيِ وَتَحْقِيقِ الْمَقَاصِدِ.

نَحْنُ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ بِمَا وَعَيْنَا، وَتَتَلَفَّنَا، وَتَعَلَّمْنَا، عَنْ شُؤْنِ التَّرْبِيَةِ الْوَالِدِيَّةِ، وَعَنْ  
 دَوْرِهَا الْمُهْمِّ، فِي تَنْشِئَةِ الْأَبْنَاءِ، فَإِنَّا نَحْرِصُ أَنْ نَجْعَلَ صِغَارَتَنَا فِي جَهْدٍ دَائِمٍ، وَنَشَاطِ  
 مُسْتَمِرٍّ، وَبِأَسَالِيِبِ شَيْقَةٍ، يُفِيدُونَ فِيهَا، تَعَلُّمًا وَتَدْرِيبًا وَجَهْرَةً، وَمُتَعَةً وَتَرْوِيحًا وَلَعِبًا؛  
 لِأَنَّهُ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ إِنْ لَمْ نُشْغَلِ الصَّغِيرَ بِمَا هُوَ سَارٍ وَنَافِعٌ، شُغِلَ بِمَا هُوَ مُسْبِيٌّ وَضَارٌّ

وَهَدَامٌ، وَجِيهًا لَنْ يَسْتَقِيمَ الْعُودُ، وَلَنْ يَنْضَجَ الثَّمَرُ، وَلَنْ يُجِدِيَ الْأَمَى، وَلَنْ يَنْفَعِ النَّدَمُ،  
وَإِذَا كَانَتْ مَنَاسِئُهُ تُعَامَلُ الْمُرَاهِقِينَ قَدْ أَتَا نَائِبَاهُكَ أَكْثَرُ مِنْ سِوَاهُ، فَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ  
ذَلِكَ يَا سَيِّدِي ثَمَرَةٌ تَرْبِيَةِ الْاِحْتِرَامِ وَالْجَوَارِ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكَ؛ فَتَحَنُّنٌ نَسَمَعُهُمْ وَنَسْمَعُ مِنْهُمْ،  
وَتُدِيرُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ لُغَةً الْجَوَارِ نَصِلَ مَعًا إِلَى آرَاءِ وَأَفْكَارِ مُشْتَرَكَةٍ يَتَقَبَّلُونَهَا وَيَلْتَرَمُونَهَا  
بِحَسَنِ الْاِقْتِنَاعِ وَالْكَرَامَةِ.

وَتَابِعَ الْمُضْهِفُ الْحَدِيثَ قَائِلًا: وَمَا ضَرِبَ لَكَ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ مَثَلًا لِهَذَا الْأَسْلُوبِ  
التَّرْتُوبِيِّ، لَعَلَّهُ يُوضِحُ مَا أعْنِي بِشُكْلِ أَفْضَلِ.  
قَالَ الشَّيْخُ: قُلْتُ لِمُضْهِفِي: أَسْمِعْنِي أُمَّهَا الْأَخَّ الْكَرِيمَ هَذَا الْمَثَلِ، فَلَيْسَ كَالْأَمْثِلَةِ  
وَالْأَحْدَابِ أُسْلُوبٌ لِلشَّرْحِ وَالشُّوْضِيحِ.

قَالَ الْمُضْهِفُ: كُنْتُ يَا سَيِّدِي إِذَا أَصْبَحَ الصَّغِيرُ مِنَ الْأَبْنَاءِ مُرَاهِقًا، يَصْغُبُ قِيَادُهُ،  
وَيَمِيلُ إِلَى إِثْبَاتِ ذَاتِهِ وَإِظْهَارِ اسْتِقْلَالِيَّتِهِ، فَمَا كُنَّا أَنَا وَأَمَّهُمْ نَضِيقُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ أَمْرٌ  
طَبِيعِيٌّ، بَلْ وَإِجَابِيٌّ إِذَا أَحْسَنَّا التَّعَامُلَ التَّرْتُوبِيِّ مَعَهُ، وَلِذَلِكَ كُنْتُ أُدِيرُ الْعِلَاقَةَ مَعَهُمْ  
بِالتَّفْهِيمِ وَالصَّبْرِ، وَإِسْمَاعِهِمْ وَالسَّمَاعِ مِنْهُمْ، وَكُنْتُ أُحْرِصُ مُنْذُ الْبِدَايَةِ عَلَى أَنْ أَقِيمَ مَعَ  
الْمُرَاهِقِ إِطَارًا لِعِلَاقَتِنَا، فَكُلُّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ أَسْمَعَ بِهِ مِنْ رَغَبَاتِ الْمُرَاهِقِ وَلَا أَرَى فِيهِ ضَرْرًا

لَا يُسْهَلُ إِصْلَاحُهُ إِنْ وَقَعَ مِنْهُ خَطَأٌ، فَأَنَا أَسْمَحُ بِهِ، وَأَتْرِكُ لِلْمُرَاهِقِ خِيَارَ التَّجْرِبَةِ، وَلَا أَرْفُضُ إِلَّا مَا يَتَجَاوَزُ حُدُودَ الضَّرْرِ الْخَمْرَاءِ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الْمَنَعِ تُخَمِّدُ رُوحَ الْحَيَوِيَّةِ وَالْمُبَادَرَةَ لَدَيْهِمْ، وَتَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ، وَكُنْتُ يَا مَسِيدِي الشَّيْخُ أَقْرَبُ لِهَؤُلَاءِ الْبِاقِعِينَ أَمْرًا غَلَاظِي بِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَرْخَلَةِ بِمِثَالٍ مِنَ الْأَمْثِلَةِ يُدْرِكُونَهُ وَيَنْصَرِبُ إِلَى أَذْهَانِهِمْ مَا أَفْصَدُ إِلَيْهِ، فَأَقُولُ - عَلَى مَسْبِلِ الْمِثَالِ - لِلوَاجِدِ أَوْ الْوَاجِدَةِ مِنْهُمْ، وَهُوَ مَا حَدَثَ فِغْلَاظِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ، وَالَّذِي يَتَكَرَّرُ مَعَ كُلِّ وَاجِدٍ مِنْهُمْ، وَأَحْرَصُ عَلَيْهِ، بِصُورَةٍ أَوْ أُخْرَى، وَهُوَ يُعْطِي دَائِمًا نَفْسَ ذَاتِ النَّتَائِجِ: أَتْرَى يَا بُنَيَّ جِئِنِ يُصَابُ أَحَدُ الصِّغَارِ مِنْ إِخْوَانِكَ أَوْ أَخَوَاتِكَ بِمَرَضٍ، أَلَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَسْقِيَهُ الدَّوَاءَ الضَّرُورِيَّ لِعِلَاجِهِ؟ وَبِالطَّبْعِ يَقُولُ الْمُرَاهِقُ: نَعَمْ، فَأَقُولُ لَهُ: وَلَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الصِّغِيرَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ وَيَرْفُضُ تَعَاظِي الدَّوَاءِ، فَهَلْ نَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ، وَلَا نَعْطِيهِ الدَّوَاءَ؟

فَيَقُولُ الْمُرَاهِقُ: لَا، بِالطَّبْعِ، يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ الدَّوَاءَ، فَأَقُولُ: هَلْ تُرَغِمُهُ عَلَى أَخْذِهِ؟ فَيَقُولُ الْمُرَاهِقُ: بِالطَّبْعِ نَعَمْ، فَاسْأَلِ الْمُرَاهِقَ: وَلَكِنْ لِمَاذَا يَجِبُ أَنْ تُرَغِمَهُ عَلَى أَخْذِ الدَّوَاءِ، بِرَغْمِ أَنَّهُ لَا يَرُغِبُهُ وَلَا يُرِيدُ أَخْذَهُ؟ فَيَقُولُ الْمُرَاهِقُ: لِأَنَّهُ صَغِيرٌ لَا يَفْهَمُ.



الأسرة السعيدة ثقة وإخلاص واحترام

وَهَذَا أَقُولُ لِهَذَا الْمُرَاهِقِي: صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ! الصَّغِيرُ لَا يَعْرِفُ وَلَا يُدْرِكُ مَا يَعْرِفُهُ الْكَبِيرُ؛  
وَذَلِكَ لِمَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الْكَبِيرُ عَادَةً مِنْ مَعْرِفَةٍ، وَلِمَا مَرَّ بِهِ مِنْ خَيْرَةٍ وَتَجْرِبَةٍ، وَكَذَلِكَ الْخَالِ  
مَعَكَ، فَإِنَّا أَكْبَرُ مِنْكَ، وَأَجْبُكَ، وَأَجِبُ الْخَيْرَ لَكَ، وَأَنَا بِحُكْمِ سِنِّي وَخَيْرِي وَتَجْرِبَتِي أَرَى فِي  
بَعْضِ الْأُمُورِ مَا لَا تَرَى، وَأَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُ؛ لِأَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْلَمَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ إِلَّا  
بِنُضْحِ السِّنِّ وَالْخَيْرَةِ وَالتَّجْرِبَةِ، مِثْلَكَ - مَعَ الْفَارِقِي - يَا بُنَيَّ مِثْلُ أَخِيكَ أَوْ أَخِيكَ الَّذِي لَا  
يَرْغَبُ فِي تَنَاوُلِ الدَّوَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ فِي مِثْلِهِ الصَّغِيرَةَ حَاجَتَهُ إِلَى الدَّوَاءِ الَّذِي يَجِبُ عَلَى  
الْمَرِيضِ تَنَاوُلَهُ، وَإِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَا يَجِبُهُ وَلَا يَسْتَسْبِغُ طَعْمَهُ.

وَأَذْكُرُ يَا سَيِّدِي الشَّيْخَ أَنَّ أَحَدَ أَبْنَائِي جِئْنَا إِلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ مِنَ الْجَوَارِقِ قَالَ لِي:  
وَلَكِنْ يَا أَبِي يَرْغَمُ كُلِّ مَا قُلْتَ، فَإِنَّ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ تَكُونَ - يَرْغَمُ السِّنِّ وَالْخَيْرَةَ  
وَالْتَّجْرِبَةَ - عَلَى خَطَأٍ.

أَذْرَكْتُ يَا سَيِّدِي سَلَامَةَ الْمَلْحُوظَةِ الَّتِي أَتَارَهَا الصَّغِيرُ، فَيَرْغَمُ كُلِّ مَا ذَكَرْتُ، لَيْسَ  
هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ الْكَبِيرَ أَنْ يُخْطِئَ " وَجَلَّ مَنْ لَا يُخْطِئُ " .

قُلْتُ لَهُ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ: صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ وَأَصَبْتَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ أَنْ أُخْطِئَ،  
وَلَكِنْ يَا بُنَيَّ: إِنَّ أَحْتِمَالَ أَنْ أَكُونَ أَنَا الْمُخْطِئُ، بَعْدَ أَنْ أَكُونَ قَدْ سَمِعْتُ مِنْكَ وَمَسَمِعْتَ

مِني، هُوَ فِي أَغْلِبِ الاحْتِمَالَاتِ وَاجِدٌ مِنْ مِثْلِهِ، أَمَا احْتِمَالٌ أَنْ تَكُونَ بِعِلْمِكَ وَسِيَّتِكَ  
وَجِبْرَتِكَ، أَنْتَ الْمُخْطِئُ، فَهُوَ بِنِسْبَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ بِالْمِثْلَةِ، وَالْأُولَى بَأَيْتِي أَنْ تَأْخُذَ  
الْمُخَاطَرَةَ بِنِسْبَتِي لَا بِنِسْبَتِكَ.

وَهَكَذَا يَنْتَهِي الْحَدِيثُ وَالْجَوَازُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْإِثْنِ مِنْ هَؤُلَاءِ بِالضَّحِكِ  
وَالْمَلَأْطَفَةِ وَالرِّضَا، وَبِالطَّبَعِ يَا مَسِيدِي الشَّيْخُ، فَإِنَّ شَأْنَ الْمُرَاهِقَاتِ مِنَ الْفَتَيَاتِ، أَنْ  
تَتَوَلَّى أُمَّهُنَّ تَوْجِيهَهُنَّ، وَتَهْدِيَهُنَّ، وَالتَّوَاصُلِ مَعَهُنَّ؛ لِأَنَّهَا أَعْرَفُ بِخُصُوصِيَّاتِهِنَّ،  
وَمَشَاعِرِهِنَّ، وَالْأَسْلُوبِ الْأَفْضَلِ فِي التَّعَامُلِ مَعَهُنَّ، وَبِذَلِكَ فَنَحْنُ - أَنَا وَأُمَّهُنَّ -  
نَتَّقِاسَمُ الْأَدْوَارَ التَّرْتُوبَةَ فِيهَا بَيْنَنَا لِنَتَجَاوَزَ بِأَيْتَانِنَا الْعَوَاقِقَ وَالْعَقَبَاتِ فِي هَذِهِ السَّبِيلِ  
الْخَرِجَةِ الْمَلِينَةِ بِالْمُتَغَيَّرَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ الْعَنيفَةِ الْمُتَمَارِعَةِ.

مِثْلُ هَذَا الْأَسْلُوبِ التَّرْتُوبِيِّ أَيُّهَا الشَّيْخُ هُوَ السَّبَبُ فِيمَا رَأَيْتَ مِنْ هُدُوءِ طَبَعِ  
الْمُرَاهِقِينَ فِي دَارِنَا وَدِيَارِنَا، وَإِجَابَتِهِمْ، وَمَسَلَمَةِ تَعَامُلِهِمْ، وَرُقِيِّ أَخْلَاقِهِمْ.  
قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ كَانَ مَا رَأَيْتُ وَمَا سَمِعْتُ - يَا بَيْدَبَا - مِثَالًا حَيًّا لِتَأْثِيرِ الْأَسَالِيْبِ التَّرْتُوبَةِ  
الصَّحِيحَةِ فِي حُسْنِ تَلْهِئَةِ الْأَجْيَالِ.

قَالَ بَيْدَبَا: نَعَمْ صَدَقْتَ يَا شَيْخَنَا، وَإِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ لَنَا مِنْ الْأَمْثِلَةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ نُنْسَاهَا،

وَلَنْ نُقْصِرَ أَبَدًا فِي تَبْلِيغِهَا وَتَبْصِيرِ الْوَالِدَيْنِ وَالْمُعَلِّمِينَ وَجَمِيعِ النَّاسِ بِهَا فِي حَيَاتِهِمْ  
وَحَيَاةِ أَبْنَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِ أَجْيَالِهِمْ.

يَقُولُ بَيْدَبَا: وَلَقَدْ حَرَصْتُ أَنْ أذْكَرَ فِيمَا أَرَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الشَّيْخِ ابْنِ بَطْوَطَةَ هَذِهِ  
الْأَمْثَلَةَ التَّرَبُّوتِيَّةَ لِمَا فِيهَا مِنْ دُرُوسٍ وَعِظَةٍ وَعِبْرَةٍ تَرَبُّوتِيَّةٍ لِلْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ: لِيُقَدِّرُوا قِيَمَةَ  
الْمَعْرِفَةِ التَّرَبُّوتِيَّةِ، وَالْأَيُّمْتِهِينُوا بِأَيِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِمْ صِغَارًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَتْرُكُ  
فِي نَفْسِهِمْ آثَارًا سَيِّئَةً خَطِيرَةٌ لَا يُدْرِكُونَ أَثَرَهَا عَلَيْهِمْ وَعَلَى شُعُوبِهِمْ إِلَّا بَعْدَ اشْتِدَادِ  
الْعُودِ، وَاكْتِمَالِ النُّمُو النَّفْسِيِّ، وَفَوَاتِ الْأَوَانِ "وَمَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ".

وَيُؤَاصِلُ بَيْدَبَا ذِكْرَاتِهِ عَمَّا ذَكَرَهُ لَهُ الرَّحَالَةُ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَطَةَ فِي لِقَائِهِ بِهِ مِنْ أَحْبَابِ  
جَزِيرَةِ الْبِنَائِينَ، وَكَيْفَ أَنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا لَاحَظَهُ ابْنُ بَطْوَطَةَ عَنْ أَبْنَاءِ تِلْكَ الْبِلَادِ أَنَّهُمْ  
لِحُسْنِ مَنَاجِحِ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ -كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِالْمَهَارَةِ وَالْإِجَابِيَّةِ وَالْمُبَادَرَةِ  
وَالْإِبْدَاعِ وَبِخَرِيَّةِ التَّفْكِيرِ وَشَجَاعَةِ الرَّأْيِ وَالتَّعْبِيرِ، وَتَمَثُّلِ نَفْسِهِمْ بِمَشَاعِرِ الْأَنْفَةِ  
وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، مَعَ كُلِّ التَّوَاضُعِ، مِنْ دُونِ تَطَاهُرٍ وَلَا مَهَانَةٍ أَوْ مَدَلَّةٍ، وَلَا تَمَلُّقٍ أَوْ كَذِبٍ،  
كَذَلِكَ كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِوَفْرَةِ صِنَائِعِهِمْ وَزِرَاعَاتِهِمْ، تَكَادُ لَا تَجِدُ بَيْنَهُمْ قَادِرًا عَاطِلًا عَنِ  
الْعَمَلِ وَلَا مَقْصِرًا فِي الْأَدَاءِ؛ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَهُمْ قُرُوءٌ لَا عَيْثًا.



كَمَا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى حُسْنِ تَخْطِيطِ إِذَارَتِهِمْ، وَعَلَى حُسْنِ تَرْبِيَةِ أبنَائِهِمْ، وَحُسْنِ  
 إِعْدَادِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ، كَمَا يَبْرَهُنُ أَيْضًا عَلَى رُقِيِّ مَدَارِسِهِمْ وَمَعَاهِدِ التَّدْرِيْبِ عِنْدَهُمْ، تَرَى  
 ذَلِكَ وَتَلْمَسُهُ يَا بَيْدَبَا فِي مَكَانَةِ الْمُعَلِّمِ عِنْدَهُمْ. وَفِي حُسْنِ إِعْدَادِهِ وَتَكْرِيمِهِ مَا دَبَّ وَأَدَبًا.  
 لَقَدْ كَانَتْ عِنَايَتُهُمْ بِالْأُمُومَةِ، وَبِالطِّفْلِ، وَبِالنَّاسِئَةِ مِنْ أَرْوَعِ مَا رَأَى وَسَمِعَ عَنْهُ الرَّحَالَةُ  
 ابْنُ بَطْوَطَةَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ؛ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مُنْشَأَةٌ تَرْعَى الْأُمُومَةَ وَالْأَنْوثةَ يَعْلَمُهَا إِلَّا  
 كَانَ لَدَيْهِمْ خَيْرٌ مِنْهَا، وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مُنْشَأَةٌ تَرْبِيَةٌ أَوْ ثِقَافِيَّةٌ أَوْ تَرْوِيْجِيَّةٌ تَنْمِي طَاقَاتِ  
 الطِّفْلِ، وَتَنْمِي قُدْرَاتِهِ، أَوْ تُنْمِي ثِقَافَةَ الْوَالِدِيْنَ وَوَعِيَّتَهُمْ وَقُدْرَاتِهِمْ التَّربِيَوِيَّةَ، إِلَّا كُنْتَ  
 تَجِدُهَا مُتَوَافِرَةً فِي أَحْسَنِ صُورِهَا لَدَيْهِمْ، وَهِيَ تَعَصُّ بِالصِّغَارِ وَالْفَتِيَانِ الَّذِينَ يُمَارِسُونَ  
 عَلَى مَدَارِسِهِمْ، وَفِي كُلِّ أَيَّامِ السَّنَةِ، بِسِتَاءٍ وَصَيْفًا، خَرِيفًا وَرَبِيْعًا، كُلِّ الْوَأْنِ النَّشَاطَاتِ  
 وَالْمَهَارَاتِ، فِي الْمَدَارِسِ، وَفِي الْمَكْتَبَاتِ، وَفِي النَّوَادِي وَالْمُخَيَّمَاتِ، وَفِي الْمُدُنِ وَالْأَرْيَافِ،  
 وَفِي بَطْوَنِ الْأُودِيَةِ، وَعَلَى قِمَمِ الْجِبَالِ، وَعَلَى أَمْوَاجِ الْبَحَارِ وَشَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ.  
 يَا بَيْدَبَا حِينَ تَرْقِي نَوْعِيَّةَ الْمُتَرْبِيِ الْمُعَلِّمِ، الْمُدْرَبِ، وَحِينَ تَرْقِي نَوْعِيَّةَ الْإِدَارَةِ  
 الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمُؤَسَّسَاتِهَا، تَرْقِي يَا بَيْدَبَا نَوْعِيَّةَ الْمُجْتَمَعِ، وَحِينَ يَحْتَاجُ الْمُجْتَمَعُ يَا بَيْدَبَا  
 إِلَى مَزِيْدٍ مِنَ الْأَطِبَّاءِ وَالْمُهَنْدِسِيْنَ وَالْخَبْرَاءِ فَمَسُوفَ يَأْتُونَ إِلَيْهِ وَيَتَّقَطِرُونَ عَلَى أَبْوَابِهِ.

وَجِينَ تَنْحَطُّ يَا بَيْدَا الْمُرِي، الْمُعَلِّمِ، الْمُدْرِبِ، وَجِينَ تَنْحَطُّ نَوْعِيَّةُ الْإِدَارَةِ  
الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، فَإِنَّ نَوْعِيَّةَ الْمُجْتَمَعِ تَنْحَطُّ، وَتَنْحَطُّ نَوْعِيَّةُ مُؤَسَّسَاتِهِ  
الثَّرَوِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ، وَتَنْحَطُّ مُؤَسَّسَاتِ إِدَارَتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ،  
وَعِنْدَهَا يَهْرُبُ النَّوَابِغُ مِنْ أَبْنَائِهِ الْأَطِبَّاءِ وَالْمُهَنْدِسِينَ إِلَى الْبِلَادِ الَّتِي يَجِدُونَ فِيهَا الْإِدَارَةَ  
الْقَوِيَّةَ، وَلَقَمَّةَ الْغَيْشِ الْكَرِيمَةَ، وَيَتَأَلَّوْنَ فِيهَا بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ كَرَامَةٍ وَتَكْرِيمِ.  
يَا بَيْدَا إِنَّ مَا تَخْسَرُهُ الْمُجْتَمَعَاتُ وَالشُّعُوبُ الَّتِي تَنْحَطُّ فِيهَا مَكَانَةُ الْمُرِي وَمَكَانَةُ  
الْمُعَلِّمِ لَا تَخْسَرُ فَقَطْ مَا أَنْفَقَتْهُ بِلَاكِ الشُّعُوبِ عَلَى تَعْلِيمِ الْهَارِبِينَ مِنْ خُبْرَائِهَا وَعُلَمَائِهَا  
وَنَوَابِغِهَا، وَلَكِنَّ الْأَذَى أَنَّهُ تَفْقِيدُ عُقُودِ السِّنِينَ الَّتِي انْقَضَتْ فِي إِعْدَادِهِمْ، وَالَّتِي تُضْبَعُ  
مِنْ عُمْرِهِ الشُّعُوبِ، وَمَسْتَنْقِضِي الْعُقُودِ قَبْلَ أَنْ تُعَوِّضَهُمْ، إِنْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ  
تُعَوِّضَهُمْ، وَإِنْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُحَافِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ تُفِيدَ مِنْهُمْ.



الجَمَارَ والجَمَارَةَ راحَةً ومودَّةً بالليل وعمل وكَدَ بالنهار.

## «الْمَاءُ يَشُقُّ وَدِيَانَ الْأَنْهَارِ»

فَالْ بَيْدَبَا: لَمَّا تَحَدَّثَ الشَّيْخُ الرَّحَالَةَ عَنِ الْأُسْرَةِ وَالْمَرْأَةِ وَنَجَاجِهَا وَمَكَاتِبِهَا فِي الْجَزِيرَةِ سَأَلَتْهُ إِحْدَى السَّيِّدَاتِ الْحَاضِرَاتِ: كَيْفَ تُعَامَلُ النِّسَاءُ وَالرُّؤُوحَاتُ الرَّجَالُ وَالْأَرْوَاحُ فِي بَلَدِ الْجَزِيرَةِ؟ فَأَجَابَهَا الشَّيْخُ جَوَابًا عَجِيبًا فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْغَرَائِبِ وَالْفُكَاهَةِ وَالْمُتَعَبَةِ، وَقَالَ:

أَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ: إِنَّ الرُّؤُوحَاتِ فِي جَزِيرَةِ الْبِنَائِينَ يُعَامَلْنَ رِجَالَهُنَّ كَمَا يُعَامَلُ الْخَمَارُ (أَيْ صَاحِبُ الْخَمَارِ) حِمَارَةَ الَّذِي يَمْلِكُهُ وَيَتَكَسَّبُ مِنْ قِزَائِهِ.

فَالْ بَيْدَبَا لِلشَّيْخِ الرَّحَالَةَ وَهُوَ يَسْمَعُ هَذَا الْجَوَابَ الْمُضْجِكَ الْمُفَاجِئَ الْعَجِيبَ: مَا أَظْنُكَ إِلَّا مَارِحًا أَمَّا الشَّيْخُ! فَأَنْتَ تَمْتَدِّحُ الْجَزِيرَةَ وَأَهْلَهَا، وَالْأُسْرَةَ وَالْمَرْأَةَ وَرِجَالِ الْجَزِيرَةِ، فَكَيْفَ تَقُولُ مَا تَقُولُ بِحَقِّ الرِّجَالِ، مِنْ أَنَّهُمْ يُعَامَلُونَ فِي بَلَدِ الْجَزِيرَةِ الرَّائِعَةِ مُعَامَلَةَ الْخَمِيرِ؟

قَالَ ابْنُ بَطْلُوطةَ: أَنْتَ مُجِبُّ أَمَّا الْحَكِيمُ فِي اسْتِغْرَابِكَ مِنَّمَا سَمِعْتَ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَلَّا تَعْجَلَ حَتَّى تُعَيَّ وَتَفْهَمَ دَلَالََةَ مَا أَقُولُ؛ فَفِيهِمَا ذِكْرُهُ لَكَ حِكْمَةٌ بِاللُّغَةِ لَيْتَ كُلُّ النِّسَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ يَعْبَهُنَّ وَيُدِيرُكُنَّ قِيَمَتَهَا، وَخَاصَّةً مَا نَرَى فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ حَالِ الشَّبَابِ

وَالأُرْوَاجِ، وَمَا يَنْسَبُ بَيْنَهُمْ مِنْ نِزَاجَاتٍ أَسْرِيَّةٍ وَشِجَارَاتٍ وَخَمَاقَاتٍ لِأَسْتَبَابٍ وَإِشْكَالَاتٍ  
عَجِيبَةٍ وَتَاقِيَةِ يَنْتَهِي كَثِيرٌ مِنْهَا -مَعَ الأَسْفِ- إِلَى الطَّلَاقِ وَشِقَاءِ الأَيْتَانِ وَالآبَاءِ.  
قَالَ بَيْدَبَا: قُلْتُ لِلشَّيْخِ: لَا عَلَيْنِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الجَلِيلُ؛ فَأَقْصِحْ عَمَّا تَقْصِدُ، وَاسْتَجِدْنِي  
إِنْ شَاءَ اللهُ وَأَخَوَانِي وَأَخَوَاتِي جَمِيعًا مِنَ المُنْصَبِينَ الصَّابِرِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَطَةَ: لَعَلَّكَ تَذَكَّرْنَا بَيْدَبَا كَيْفَ كَانَتْ تَيْمُ المُوَاصَلَاتِ فِي العُصُورِ  
الْمَاضِيَةِ، بَلِ اليَوْمِ، فِي كَثِيرٍ مِنْ قُرَى بَعْضِ البِلَادِ الفَقِيرَةِ؛ فَقَدْ كَانَ يَيْمُ نَقْلُ الأَحْمَالِ  
عَلَى ظُهُورِ الحَيَوَانَاتِ كَالجَمَالِ وَالبَقَالِ، وَكَانَتِ الحَمِيرُ؛ لِصَبْرِهَا وَقُوَّةِ تَحْمُلِهَا، وَهُدُوءِ  
طَبْعِهَا، وَقِلَّةِ كَلْفَةِ عَظْمِهَا وَطَعَامِهَا، أَكْثَرُ الحَيَوَانَاتِ اسْتِخْدَامًا لِلنَّقْلِ وَالتَّنْقُلِ فِي بَلَدِ  
القُرَى.

وَكَانَ "الْحَمَارَةُ"، أَيُّ أَصْحَابِ الحَمِيرِ، يَفْتَنُونَ الحَمِيرَ لِتَاجِيرِهَا فِي الأَسْوَاقِ لِأَصْحَابِ  
الْحَاجَةِ، وَنَعِيشُونَ مِنْ مَرْدُودِ عَمَلِهَا.

لِذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ الجِمَارِ يَخْرِصُ يَوْمِيًّا عَلَى العِنَايَةِ بِالجِمَارِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ  
وَنِظَافَتِهِ وَمَوْضِعِ نَوْمِهِ؛ يُحَاقِظُ عَلَيْهِ وَعَلَى صِحَّتِهِ لِلعَمَلِ اليَوْمِيِّ الشَّاقِّ، الَّذِي  
يُسَجِّرُهُ لَهُ (وَيَنْعَيْشُ) مِنْ دَخْلِهِ، وَقَدْ لَا يَغْتَنِي صَاحِبُ الجِمَارِ بِنَفْسِهِ قَدْرَ عِنَايَتِهِ

بحِفَارِهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَغْتَنِ بِهِ وَأَصَابَتْهُ الْأَمْرَاضُ فَلَنْ يَعْمَلَ، أَوْ قَدْ يَهْلِكُ، فَيُضَيِّعُ مَعَهُ رَأْسُ مَالِهِ وَمَصْدَرُ رِزْقِهِ.

وَكَانَتْ عَجَائِزُ الْجَزِيرَةِ يَا بَيْدِيَا، فِي بَدَايَةِ حَيَاةِ بَنَاتِهِنَّ الزَّوْجِيَّةِ وَصَدْرِ شَبَابِهِنَّ الْغَضِيَّةِ، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ مَرِحَلَةٌ ضَعْفِيهَا وَخَاجَتُهَا وَخَاجَةُ صِبْغَارِهَا؛ لِأَنَّهَا مَرِحَلَةُ الْإِحْتِصَابِ وَالْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ وَتَرْبِيَةِ الصِّغَارِ عِنْدَ النِّسَاءِ- يَنْصَحُهُنَّ الْمُتَرَوِّجَاتُ مِنْهُنَّ أَنْ يَجْعَلْنَ أَوْلَادَهُنَّ فِي هَذِهِ الْمَرِحَلَةِ الْعِنَايَةَ بِأَسْرِهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ، وَأَنْ عَلَى الْمَرْأَةِ- إِلَى جَانِبِ عِنَايَتِهَا بِأَطْفَالِهَا- الْأْتِهْمَلُ زَوْجَهَا، وَأَنْ تُعْتَى بِهِ جِئْنَ يَعُودُ إِلَى ذَارِهِ فِي الْمَسَاءِ عِنَايَةَ "الْحَمَّارِ" بِحِفَارِهِ؛ لِيُصْبِحَ كَحَمَّارِ الْحَمَّارِ فِي غَدِهِ قَادِرًا نَشِيطًا مُقْبِلًا عَلَى عَمَلِهِ؛ فَيَكُونُ أَقْدَرًا مَا يَكُونُ لِكَسْبِ قُوْتِ صَاحِبِهِ وَقُوْتِ أَهْلِهِ وَتَوْفِيرِ خَاجَتِهِمْ.

وَهَكَذَا كَانَتِ الرُّوْحَاتُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَعْشُرْنَ بِهَذِهِ السِّيَاسَةِ الْخَكِيمَةِ، وَبِهَذِهِ الْحِكْمَةِ الدَّهْبِيَّةِ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ فِي سَعَادَةٍ؛ لِأَنَّهُنَّ يَنْكَبِينَ-اسْتِجَابَةً لِأَوْلِيَّاتِ فِطْرَتِهِنَّ- عَلَى رِعَايَةِ أَبْنَائِهِنَّ وَأَسْرِهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ، فِي إِخْلَاصٍ وَحُبٍّ وَوِفَاقٍ؛ وَلَاأَنَّهِنَّ يَخْرِصْنَ فِي غَيْرِ شَطَلٍ عَلَى رَاحَةِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي اللَّيْلِ جِئْنَ يَعُودُونَ مُجْتَبِدِينَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ؛ فَتَهْتَشِرْنَ وَيَهْتَشِرْنَ فِي وُجُوهِهِمْ، وَيُنَادِمْتَهُمْ، وَيُؤْنِسْتَهُمْ، وَيَتَأَسَّنَ بِهِمْ، وَيَسْعَعِينَ بِحُبٍّ وَهَمَّةٍ فِي

تَلْبِينَةِ خَاجَتِهِمْ، فَلَا يَأَلُ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَانِبِهِمْ جُهْدًا فِي إِرْضَاءِ زَوْجَاتِهِمْ، وَالسَّعْيِ لِمَا فِيهِ خَاجَتُهُنَّ وَخَاجَةُ أَوْلَادِهِنَّ، وَهُوَ مَا عَبَّرَتْ عَنْهُ فَضْلِيَّاتُ الْبِنَاءِ بِمَثَلِ "دَارِجٍ"، وَهُوَ عِبَارَةٌ حَكِيمَةٌ مُخْتَصِرَةٌ، تُعَبِّرُ عَنْ أَهْمِيَّةِ فِهْمِ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِنَا، وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ؛ لِيُصْبِحَ "فِي اللَّيْلِ خَفِيرٌ حَارِسٌ وَفِي النَّهَارِ أَجِيرٌ".

وَلِذَلِكَ كَانَ الْأَبَاءُ أَيْضًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَدْعُونَ لِبَنَاتِهِمْ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ "أَنْ يُجْعَلَ سُوْقٌ بَنَاتِهِمْ نَارًا، وَأَنْ يُجْعَلَ شَارِبُهُمْ حِمَارًا"؛ لِأَنَّ الطَّلَبَ فِي السُّوقِ أَهْمٌ لِصَاحِبِ الْبِضَاعَةِ مِنَ الْعَرْضِيِّ، وَلِذَلِكَ كَانَ التُّجَّارُ وَمَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: "حُسْنُ السُّوقِ، وَلَا حُسْنُ الْبِضَاعَةِ"، وَلَا تُخْطِئُ الْفَهْمُ يَا بَيْدَبَا، فَالْمَقْصُودُ بِالْحِمَارِ هُنَا هُوَ ذَلِكَ الْكَائِنُ الْقَوِيُّ الصَّبِيرُ، وَلَيْسَ مَا يَتَّهَمُ النَّاسُ بِهِ الْجَمَّارَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ مِنْ ظَنِّ الْبِلَادَةِ وَالْغَبَاءِ؛ فَقَدْ جَعَلُوا الصَّبِيرَ وَالْجَلْدَ بِلَادَةَ وَغَبَاءً، فَمَا أَشَدَّ ظَلَمَ النَّاسِ لِلْحَمِيرِ، وَمَا أَشَدَّ ظَلَمَ النَّاسِ لِلصَّبِيرِ الْخَلِيمِ الْعَامِلِ فِي صَمْتٍ مِنَ النَّاسِ وَالْخَيَوَانِ، وَكَمَا يَقُولُ الْعَامَّةُ يَا بَيْدَبَا "يَا مَا فِي السِّجْنِ مِثْلَالِيمٌ".

وَقَفَ أَحَدُ الشُّبَّابِ فِي أَقْصَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ ضَاحِكًا وَقَالَ: صَدَقْتَ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ؛ فَمَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُتَرَوِّجِينَ مِنَ الرِّجَالِ صِفَاتُ "الْحَمِيرِ" وَذَكَوَهُمْ لِمَا تَزَوَّجُوا.

أَصَابَ الشَّيْخَ وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْقَاعَةِ نُوبَةً مِنَ الضَّجْجِ بِسَبَبِ ذَلِكَ التَّغْلِيْقِ الْفُكَاهِيِ  
السَّاجِرِ.

لَمْ يَتَمَالَكْ بَيْدَبَا وَهُوَ يَرَى مَا أَصَابَ "الْحَمِيرَ" مِنَ الْإِسْجِزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ إِلَّا أَنْ غَلِقَ  
قَائِلًا: مَا أَشَدُّ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ظَلَمْنَا لِلْحَمِيرِ، سَوَاءً أَكَانُوا مِنَ الْبَهَائِمِ أَمْ مِنَ الْبَشَرِ  
عِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ امْرَأَةٌ مُسِنَّةٌ: نَعَمْ، أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ بَيْدَبَا: فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ يظَلِمْنَ  
أَزْوَاجَهُنَّ، وَلَا يُقَيِّرْنَ لَهُمْ جَدَّهُمْ وَجَلَدَهُمْ وَاجْتِهَادَهُمْ فِي حَمْلِ أَعْيَابِهِنَّ وَأَعْيَابِ أَبْنَائِهِنَّ،  
إِذَا قَضَى عَلَيْهِمُ الْكُدُّ وَالتَّعَبُ وَ"النُّكْدُ"، أَسْفَنَ وَنَدِمْنَ حِينَ لَا يُجِدِي الْأَسْفُ وَلَا النَّدَمُ.  
هُنَا قَالَ الشَّيْخُ: إِذَا تَجَاوَزْنَا الْأَمْسَى وَالتُّكْنَةَ وَالتَّضْجِجَ فَإِنَّا يَجِبُ أَنْ نَعْتَرِفَ بِأَنَّ  
الْأَزْوَاجَ فِي جَزِيرَةِ الْبَنَائِيْنَ هُمْ سَعْدَاءُ بِأَنْ يُعَامَلُوا مُعَامَلَةَ "الْحَمِيرِ"، وَتَجِدُ الزُّوجَاتِ  
مَسْعِدَاتٍ يَكُونُهُنَّ زَوْجَاتِ "الْحَمِيرِ": حُبًّا وَرِعَايَةً مِنَ النِّسَاءِ، وَعَمَلًا وَنَدْلًا مِنَ الرِّجَالِ.  
وَتَابَعَ الشَّيْخُ ابْنَ بَطْلُوطةَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: إِنَّا يَا بَيْدَبَا نَظَلِمُ "الْحَمِيرَ": لِأَنَّ لِلْحَمِيرِ فِي  
الْحَقِيقَةِ صِفَاتٍ رَائِعَةً، وَإِنَّ خَيْرَ الْأَزْوَاجِ لِأَهْلِيهِ مَنْ كَانَتْ لَهُ صِفَاتُ "الْحَمِيرِ"، وَلَيْتَ  
جَمِيعَ النِّسَاءِ فِي هَذَا الْعَصْرِ يُدْرِكْنَ ذَلِكَ، وَيُعَامِلْنَ أَزْوَاجَهُنَّ كَمَا يُعَامِلُ الْحَمَارُ حِمَارَهُ،  
وَهُوَ يَا بَيْدَبَا أَمْرٌ مُمَكِّنٌ: لِأَنَّ صِفَاتِ جُلِّ الرِّجَالِ الْجَيِّدِينَ يَا بَيْدَبَا هِيَ صِفَاتُ "الْحَمِيرِ":



فَالْحَمِيرُ حَيَوَانَاتٌ قَوِيَّةٌ، صَبُورَةٌ، ذَكِيَّةٌ، ذُكُورَةٌ، مُتَابِرَةٌ، هَادِيَةٌ الطَّبَعِ، شَدِيدَةٌ النَّحْمَلِ، لَيْسَ فِي طَبْعِهَا الْعُنْفُ وَالْمُسَاكَسَةُ، حَتَّى أَنْ أَصْحَابِهَا يُلْقُونَ مِقْوَدَهَا عَلَى ظُهُورِهَا؛ فَتَمُضِي فِي طَرَفِهَا وَهِيَ عَارِفَةٌ دُرُوبَهَا الَّتِي تَعُودُهَا، مِنْ دُونِ حَاجَةٍ إِلَى سَائِسِ أَوْ دَلِيلٍ.

وَالْحَمِيرُ يَا بَيْدَبَا لَا تَغْضَبُ إِلَّا إِذَا بَالَعَ الْمَرْءُ فِي إِيْدَائِهَا، عِنْدَ ذَلِكَ تَغْضَبُ، وَتُصْبِحُ غَنِيْدَةً وَصَعْبَةً الْقِيَادِ، وَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهَا الْأَذَى فَلَنْ تَتَرَدَّدَ فِي رَفْسِ الشَّخْصِ الَّذِي يُؤْذِمُهَا بِحَافِرِي خَلْفَيْتَيْهَا الْقَوِيَّتَيْنِ؛ تَنْتَقِمُ مِنْهُ وَتُبْعِدُهُ عَنْهَا.

كُلُّ الرِّجَالِ الْأَسْوِيَاءِ الَّذِينَ حَسُنَتْ تَرْبِيَتُهُمْ يَا بَيْدَبَا لَهُمْ صِفَاتُ الْحَمِيرِ، وَلَدَيْهِمْ الْقَابِلِيَّةُ لِأَنْ يَنْقَادُوا لِرُؤُوسِهِمْ، وَأَنْ يَعْمَلُوا جَاهِدِينَ عَلَى حَمَلِ مَسْئُولِيَّاتِهِمْ وَتَلْبِيَةِ حَاجَاتِهِمْ وَحَاجَاتِ آبَائِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ لَوْ عَرَفَتِ النِّسَاءُ كَيْفَ يَتَعَامَلْنَ مَعَ الرِّجَالِ، وَلِذَلِكَ مِنَ الْمُهِيْمِ أَمَّا الإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ يَمْنَعُنَّ إِلَى الْوَنَامِ الإِجْتِمَاعِيِّ أَنْ يَخْرُصَ آبَاؤُهُ عَلَى تَفْهِمِ الْفِطْرَةِ وَالطَّبَائِعِ وَالْحَاجَاتِ لِكُلِّ جِنْسٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ؛ فَيَعْمَلُ الْمُجْتَمَعُ وَالْمَرْثُونَ عَلَى تَنْمِيَةِ الثَّقَافَةِ الْأَسْرِيَّةِ وَالْوَالِدِيَّةِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ صُلْبِ بَرَامِجِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ؛ لِيَعْرِفَ الزُّرَّاجُ وَالْآبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُا كَيْفَ

يَتَعَامَلُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَفِي الْأُسْرَةِ، وَكَيْفَ يَتَعَاوَنُونَ وَيَتَكَامَلُونَ،  
وَكَيْفَ يُنصِفُونَ الشَّرَكَاءَ، وَكَيْفَ يُنصِفُونَ مِنْهُمْ؛ لِكَيْ يَجَلَ الْحُبُّ وَالنُّعَاوُنُ وَالْوَدَامُ بَيْنَ  
أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ وَأَيَّامِ الْوَطَنِ.

هُنَا وَقَفَ أَحَدُ الشَّبَابِ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَى وَجْهِهِ مَلَاحِجُ ابْتِسَامَةٍ مَازِجَةٍ، لَمْ تَخْفَ عَلَى  
فِطْنَةِ الشَّيْخِ. اسْتَأْذَنَ الشَّبَابُ فِي الْحَدِيثِ، رَحَّبَ الشَّيْخُ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى الشَّبَابِ، وَعِنْدَيْهِ  
وَجْهَ الشَّبَابِ حَدِيثُهُ إِلَى حَيْثُ يَجْلِسُ الشَّيْخُ وَالْحَكِيمُ بِيَدَيَا، وَلَكِنْ مَنْ يَرْتَقِبُ وَجْهَ  
الشَّبَابِ بِدَقَّةٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ بِرُكْنِ عَيْنِهِ إِلَى حَيْثُ كَانَتْ تَجْلِسُ النِّسَاءُ وَالْقَتِيَّاتُ،  
وَكَأَنَّ فِي حَدِيثِهِ شَيْئًا مِنَ الْإِعْظَامَةِ لَهُنَّ، قَالَ الشَّبَابُ: يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ، إِذَا كُنَّا كَمَا  
تَقَضَّيْتُمْ عَلَيْنَا أَنَّنَا نَحْنُ الرِّجَالُ الْأَزْوَاجُ، هُمْ أَوْلِيكَ "الْحَمِيرُ" "النُّبَلَاءُ"، فَمَنْ هُنَّ  
النِّسَاءُ؟ وَكَيْفَ تَصِبُّهُنَّ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ، فَتَحْنُ لِمَنَا أَقْلٌ تَطَّلَعًا لِمَعْرِفَةِ مَعِينِ  
النِّسَاءِ، وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ تُطَلِّقَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَوْصَافِ "النُّبَيْلَةِ".

هَمَّ الشَّيْخُ بِالْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالِ الشَّبَابِ، إِلَّا أَنَّ فِتْنَةً لَا يُحِطُّ مَنْ يَرَاهَا أَنْ يَرَى مَا تَتَمَتَّعُ  
بِهِ قِسْمَاتُ وَجْهِهَا الْجَمِيلِ مِنْ مَلَاحِجِ الْفِطْنَةِ وَالذُّكَاةِ وَالثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَالَّتِي تَكْمُنُ  
خَلْفَ مِصَابِ الْهُدُوءِ وَالْوَدَاعَةِ وَالْحَيَاءِ الْأَسْرِ.

قَالَتِ الْفَتَاةُ: هَلْ يَأْذُنُ لِي شَيْخُنَا الْجَلِيلُ أَنْ أُحِبَّ عَمَّا تَسَاءَلُ عَنْهُ الْأَخُ الْفَاضِلُ.  
نَظَرَ الشَّيْخُ فَمَلَّهَا مَسْرُورًا إِلَى الْفَتَاةِ قَائِلًا: نَعَمْ أَيُّهَا الْأَخْتُ، لَا بَأْسَ أَنْ تُجِيبِي عَمَّا تَسَاءَلُ  
عَنْهُ أَخَوَاتُ الشَّابِّ.

قَالَتِ الْفَتَاةُ: أَيُّهَا الْأَخُ الْفَاضِلُ، نَحْنُ النِّسَاءُ، نَرَى أَنَّ أَسْرِنَا، هِيَ أَوْلَوِيَّةُ جَهْدِنَا فِي  
حَيَاتِنَا، وَخَاصَّةً فِي مَرَحَلَةِ شَبَابِنَا، وَزَهْرَةَ عُمْرِنَا، فَنَحْنُ "الْجَوَارِي وَالْإِمَاءُ"، وَنَحْنُ  
اللَّوَاتِي نَسْعَى وَنَمْسَهُرُ وَنَبْسُقِي، بِأَلَا نَعْبُ وَلَا مَلِّ؛ لِجَلْبِ الرَّاحَةِ لِأَبْنَائِنَا وَأَزْوَاجِنَا، وَلَكِنَّ  
مَنْ يَتَعَلَّقُ بِنَا، مِنْ أَحْبَابِنَا وَأَفْرَادِ أَسْرِنَا.

نَعَمْ أَيُّهَا الْأَخُ الْفَاضِلُ نَحْنُ "الْأُمَّهَاتُ"، فَنَحْنُ فِي حُبِّنَا وَإِخْلَاصِنَا وَعِنَايَتِنَا بِدَافِعِ  
فِطْرَتِنَا السَّلِيمَةِ أَكْثَرَ عَطَاءٍ مِنْ "الْإِمَاءِ" وَالْجَوَارِي "اللَّاتِي لَا حَيَاةَ هَتِيدَةً وَادِعَةً  
مُسْتَقْبِرَةً مِنْ دُونِنَا، فَنَحْنُ الْأُمَّهَاتُ وَالْأَخَوَاتُ وَالْبَنَاتُ، نَحْنُ عِنَايَةً فِي الطُّفُولَةِ، وَدَعْمٌ  
وَسُنْدٌ وَمُودَّةٌ فِي الرُّجُولَةِ، وَحَدَبٌ وَرَحْمَةٌ فِي الشَّيْخُوخَةِ، تِلْكَمُ هِيَ "الْأُمُّ" وَهِيَ "الرُّوْجَةُ"  
وَهِيَ الْإِبْنَةُ"، وَنَحْنُ يَا أُخِي الْفَاضِلُ رَاضِيَاتٌ مَسْرُورَاتٌ بِأَنَّنا "الْأُمَّهَاتُ الْإِمَاءُ لِأَبْنَائِنَا  
وَأَزْوَاجِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا وَأَهْلِينَا". وَنَحْنُ حِينَ يَتَقَدَّمُ بِنَا الْعُمْرُ، وَقَدْ أَدْبَنَا وَاجِبَاتِ  
الْثَّرِيبَةِ وَالْعِنَايَةِ بِالصِّغَارِ، تَكُونُ أَوْلَوِيَّتِنَا هِيَ الْعَمَلُ؛ لِكَيْ نَسُنْدَ -مَعَ أَزْوَاجِنَا- أَبْنَاءَنَا  
وَنُعِينَ جُهُودَهُمْ فِي بِنَاءِ حَيَاتِهِمْ وَحَمَلِ أَعْيَاءِ أَسْرِهِمْ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ التَّمَنَّتِ الْفَتَاةُ إِلَى حَيْثُ يَجْلِسُ الشَّابُّ وَقَالَتْ:  
هَلْ أَجِنْتُكَ وَبَقِيَّةُ الْإِخْوَةِ أَيْهَا الْأَخُ عَنْ سُؤَالِكَ؟ وَهَلْ رَأَيْتُمْ أَيْهَا الْإِخْوَةَ أَنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
"خَدَمَا لَنَا"، فَتَحْنُ لَكُمْ "إِمَاءً"، إِيَّهَا قِسْمَةٌ إِبْهِيَّةٌ عَادِلَةٌ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَقُومَ  
بِنُورِهِ وَيُؤَدِّيَ وَاجِبَاتِهِ لِخَيْرِ الْجَمِيعِ وَهَذَا الْجَمِيعِ، أَلَا تَرَوْنَ هَذَا أَيْهَا الْإِخْوَةَ أَنَّنَا نَسْتَجِيقُ  
أَنْ نَكُونَ وَإِيَّاكُمْ "شَقَائِقُ" وَ"شُرَكَاءُ"؟

وَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَتِ الشَّابَّةُ مَقْعَدَهَا مُسْتَمِيعَةً إِلَى الشَّيْخِ.  
سُرَّ الشَّيْخُ بِمَا سَمِعَ، وَانْفَرَجَتْ أَسَارِيرُهُ لِيَقُولَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ أَيَّتُهَا الْأُخْتُ، إِنِّي مَا  
كُنْتُ لِأَجِيبَ أَخَانَا الشَّابُّ بِأَفْضَلٍ مِمَّا ذَكَرْتَ وَأَجَدْتُ وَأُوجِزْتُ، فَبَارَكَ اللَّهُ فِيكَ،  
وَزَادَكَ حِكْمَةً وَتَوْفِيقًا.

تَابَعَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ: لَقَدْ ذَكَرْتُ الْأُخْتُ الْقَاضِلَةَ كَلِمَتَيْنِ  
مُهَيْمَتَيْنِ يَجِبُ أَنْ نَتَنَبَّهُ إِلَى ذَلَالَتِهِمَا، وَعُمُقِ مَعْنَاهُمَا، وَمَنْ دُوَعِيهَا تَخْتَلِطُ الْأُمُورُ، وَنَضِبُ  
السَّبِيلِ، هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ أَيْهَا الْإِخْوَةُ هُمَا "الْفِطْرَةُ" "السُّوَيْةُ"، "فَالْفِطْرَةُ السُّوَيْةُ" هِيَ  
الَّتِي تَجْعَلُ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ - ذُكُورًا وَإِنَاثًا - مُتَسَاوِينَ فِي الْكِرَامَةِ وَجَمَاعَةً مُتَكَافِلَةً كَمَا أَنَّهَا  
أَيْضًا تَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يُؤَدِّي دُورَهُ مُتَكَامِلًا مَعَ الْآخَرِينَ، نَكُونُ أَفْرَادًا أَسْوَاءً،

وأعضاء في جسد جماعة سيئة. وإن ما خلقه الله في نفوسنا وكنائنا من تفاوت ليس عبثاً، ومن دون هذا الاختلاف والتفاوت فإننا لن نتكامل، وسوف يضلُّ سعينا ونسقى نفوسنا ونكون أضلُّ من العجماوات؛ وذلك لأن لنا عقولاً نميز بها الصواب من الخطأ، والخير من الشر، والنافع من الضار، كما أن لدينا القدرة على الخيار، وهو ما يميزنا عن العجماوات، فنحن السعداء إن اهتدينا "بفطرتنا السوية"، ونحن الأشقياء إن انحرفنا عن "فطرتنا السوية"، فكونوا أمها السياب "عبيداً لزواجتكم" عندها تُصبح الفتيات "إماءً لزوجهن" أو كما قالت الأم الحكيمة وهي تنصح ابنتها، "كوني له أمة يكن لك عبداً".

إن جوهر طبع الأمومة والأبوة في النفوس يا بيدبا هو الحب والتضحية لدى الأم، وهو العطاء وحسن المسؤولية لدى الأب، وإذا ساءت التربية وضيع هذا الجوهر في طبائع الآباء والأمهات، ورُيقت الأذوار يا بيدبا، وتفلت الشباب والشابات، واستهتروا في سلوكهم ومسؤولياتهم، تهدمت الأسرة، وشقى الآباء والأبناء معاً، وزالت قيم الكرامة روابط الحب وصلات التراحم ومشاعر الود والإخاء من المجتمعات، ومع مرور الوقت على ما ترى يا بيدبا تنسج الشروخ في أساس بناء المجتمعات لتنتهي إلى الهدم والضياع.

يَابَيْدَبَا: مَا أَحْكَمَ الْمَثَلُ الشَّعْبِيَّ الْقَائِلَ "يَا أَخَذَةَ الْقِرْدُ عَلَى مَالِهِ، يَرُوحُ الْمَالُ وَتَبَقَى الْقِرْدُ عَلَى خَالِهِ" فَهُوَ مَثَلٌ مِنْ أَمْثَالِ بَعْضِ الْبِلَادِ يُلْجِصُ فِي الْفَاطِحِ قَلِيلَةً مَبْدَأً تَرْتَوِيهَا هَامًا فِي نُصْحِ الْفَتَيَاتِ وَأَوْلِيَاءِ أُمُورِهِنَّ بِشَأْنِ اخْتِيَارِ الزَّوْجِ وَرَفِيقِ دَرْبِ الْحَيَاةِ لِبَنَاتِهِمْ وَأَبَاءِ أَحْفَادِهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ لِإِلَهْتِمَامِ بِأَمْرِ اللَّبِّ وَالْجَوْهَرِ، وَلَيْسَ الْإِنْتِهَارُ بِمَسْرَابِ الْحَشْوِ وَالْمُظْهِرِ؛ لِأَنَّ الزَّوْجَ كَمَا تَعْلَمُ يَا بَيْدَبَا رَفِيقُ حَيَاةٍ، وَعَشِيرُ فِرَاشِ وَدَارٍ، وَأَبٌ وَقُدُوءٌ وَمُرْتَبٌ وَمُرْشِدٌ لِلصِّغَارِ؛ وَلِذَلِكَ فَاخْتِيَارُ الزَّوْجِ لَا يَقِفُ يَا بَيْدَبَا عِنْدَ الْمَالِ وَحَدِّهِ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ خُلِقَ وَدِينٌ وَتَوَافِقٌ، سِنًا وَتَقَافَةً وَشَخْصِيَّةً، وَمَنْ كَانَ ذَا خُلُقٍ وَدِينٍ وَتَقَافَةٍ وَلَيْنِ جَانِبٍ، فَلَنْ يُعَدِمَ الْقُدْرَةَ وَالْجِدَّةَ لِتُدْبِرَ عَيْشَ دَارِهِ وَصِغَارِهِ، وَمَا أَقْلٌ حَاجَاتِنَا الْإِنْسَانِيَّةَ الْمَادِيَّةَ - فِي الْحَقِيقَةِ يَا بَيْدَبَا - إِنْ نَحْنُ نَحْلِينَا بِجَسَنِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَحِكْمَةِ الْإِنْتِفَاقِ عَلَى مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ، وَبِالْقَدْرِ الضَّرُورِيِّ الْمُنَاسِبِ لِلْحَاجَةِ وَالْحَالِ، وَتُخْطِئُ الْفَتَيَاتُ اللَّوَاتِي لَا يَرْضَيْنَ الْبَدَأَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ انْتَهَى أَبَاؤُهُنَّ مِنَ الْمَكَانَةِ وَالرِّقَابِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يُحَقِّقُوهُ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ جَهْدٍ وَعَنَاءٍ، وَعُمُرٍ قَدِيدٍ.

لِذَلِكَ يَا بَيْدَبَا: يَجِبُ أَنْ نَخْرِصَ فِي تَرْبِيَةِ ابْنَاتِنَا عَلَى تَنْمِيَةِ جَوْهَرِ طَبَعِ الْأُمُومَةِ وَالْأَبُوءِ الْفِطْرِيِّ فِي نُفُوسِهِمْ، وَتَرْشِيدِهِ، يُحْسِنُوا آدَاءَ أَدْوَارِهِمْ فِي بِنَاءِ أَسْرِهِمْ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ



العنف: إهدار للكرامة وتربية العبيد

بِنَاءِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَحَتَّى لَا تَرَى بَيْنَ أَبْنَائِنَا "الذَّيَابَ" وَ"الثَّغَالِبَ" وَ"الْخَنَازِيرَ" وَلَا بَيْنَ  
بَنَاتِنَا "الْأَقَابِي" وَ"الْعَنَاكِبَ" وَ"الْعَقَارِبَ" وَلَا "سَائِنَاتِ الْمَعِيرِ".

إِنَّ التُّجَاحَ فِي الْحَيَاةِ يَابِتْدِنَا هُوَ بِالدَّرَجَةِ الْأُولَى أَمْرٌ تَرْبِيَةٌ وَتَوْعِينَةٌ وَتَعْلِيمٌ وَتَدْرِيْبٌ  
وَمَهَارَاتٍ، وَهُوَ أَمْرٌ يَنْعَلِقُ قِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِالْأُسْرَةِ وَالِدَارِ، إِنْ نَحْنُ أَحْسَنًا إِعْدَادَ أَبْنَائِنَا  
وَبَنَاتِنَا لِحُسْنِ الْعِشْرَةِ وَحُسْنِ تَرْبِيَةِ الصِّغَارِ.

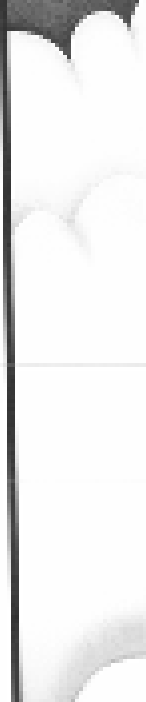
قَالَ بَيْدَبَا: نَعَمْ، لَقَدْ صَدَقَتْ أَيْهَا الشَّيْخُ، لَيْتَ أَبْنَاءَ رَمَائِنَا وَبَنَاتِنَا يُدْرِكُونَ جَوْهَرَ  
فِعْلَتَيْهِمْ وَطَبَائِعِيهِمْ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى إِزَاحَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، كُلُّ وَاحِدٍ يَسْعَى وَيُخْلِصُ فِي  
حُسْنِ آدَاءِ دَوْرِهِ وَخَمَلِ مَسْئُولِيَّاتِهِ وَتَكَامُلِ آدَائِهِ، وَكُلُّ يَعْطِي الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ دُونِ  
إِرْهَاقٍ وَلَا شَطَطٍ، فَيُحَقِّقُ ذَاتَهُ وَيُسْعِدُ نَفْسَهُ وَمَنْ حَوْلَهُ، لَوْ تَحَقَّقَ هَذَا فِي مُجْتَمَعَاتِنَا  
بِفَضْلِ التَّرْبِيَةِ الْوَالِدِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي صُلْبِ ثِقَافَةِ آبَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ  
وَأُمَّهَاتِهِ، فِي مَعَاهِدِ الدَّرْسِ وَالتَّعْلِيمِ، وَلَا سِيَّمَا الْمَرَاجِلَ الْعُلْيَا مِنْهُ، حِينَ يَكُونُونَ عَلَى  
أَبْوَابِ الرُّوَاكِ وَبِنَاءِ الْأُسْرَةِ... لَوْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ وَجَرَّصْنَا عَلَيْهِ يَا بَيْدَبَا لَمَا رَأَيْنَا مَا نَرَى بَيْنَ  
كَثِيرٍ مِنْ شَبَابِ هَذَا الزَّمَانِ، مِنْ أَلْوَانِ الشُّفَاقِ وَالْبِرَّاجِ، وَتَفْشِي الْعُنْفِ، وَتَهْدِيمِ الْأُسْرِ،  
وَشِقَاءِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ.



قال الشيخ ابن بطوطة: ما ثقوله صحيح يا نديبا، ولكن ذلك ليس كل شيء؛ فإن هناك أيضا حقوقا وواجبات، على المجتمع أن يودعها للنساء والأمهات، وهي تتعلق بفترة ما بعد فترة الخصوبة والأمومة والحمل والوضع والتربية الأمرية، أي فترة ما بعد حوالي سن الخامسة والربعين، إلى حوالي الخامسة والستين أو السبعين من العمر؛ حين تتحرر المرأة في هذه المرحلة من جل أعباء الأمومة، وقد انقطع عنها الحمل، وتما ريش صبغاتها، وهي ما تزال في أفضل أحوالها قدرة وخبرة وتجربة، ويصبح العمل والإسهام الاجتماعي في مرحلة ما بعد الأمومة أولويتها، هو وأفضل شيء، وأتمن شيء؛ يمكن أن تملأ به حياتها، وتُسهم به في رفاهية مجتمعها وتقدمه.

ولذلك، على المجتمعات التي تهتمها -حقا يا نديبا- حماية المرأة، ورعاية الأمومة، ورعاية الأميرة وزوابط الرحم، وسلامة النسيج الاجتماعي وقوته؛ أن تضع من البرامج والتشريعات ما يُوفّر في مرحلة الأمومة "حاجات الأمومة" وأمنها؛ حيث تكون الأمومة أولوية، وما يفيض من الوقت والطاقة يكون للعمل المُتمسّر المُعين على تلبية حاجات الأمومة ومشاغلها ومسئولياتها، كما يُوفّر أيضا للمرأة في مرحلة ما بعد الأمومة "تحقيق ذاتها" وتوفير الظروف لمشاركتها البناءة في خدمة مجتمعها، وذلك بتوفير

مَجَالَاتِ الْعَمَلِ، وَتِدَامِجِ إِعَادَةِ التَّأْهِيلِ الْأَلَزِمِ لِذُخُولِهَا سُوقَ الْعَمَلِ، وَأَنْ تُحْتَسَبَ لَهَا  
 عِلَاقَاتُ خِزِرَةِ الْأُمُومَةِ وَتَضَعِيَّاتُهَا، وَخِزِرَةُ إِدَارَةِ أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ وَالْأُسْرَةِ وَتَعْقِيدَاتُهَا، فَيُعَدُّ  
 سِنُّ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ - كَمَا هُوَ فِي خِزِرَةِ السَّلَامِيِّينَ وَوَالِدِهِمْ - هُوَ أَوْلَوِيَّةُ الْعَمَلِ، وَسِنُّ  
 مَرَحَلَةِ دُخُولِ جُمْهُورِ النِّسَاءِ سُوقِ الْعَمَلِ، وَهَذَا يَمُدُّ الْمُجْتَمَعَ بِطَاقَةِ إِنْسَانِيَّةٍ نَاصِحَةٍ  
 مُؤَهَّلَةٍ رَاقِيَةٍ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُشْبِعُ هَذَا الْأَمْرُ حَاجَاتِ نَفُوسِ هَؤُلَاءِ الْمُسَيِّدَاتِ  
 وَتَطْلُعَاتِ الْفِطْرِيَّةِ، وَيُحَقِّقُ لِهِنَّ ذَوَائِبَهُنَّ، وَيُشْغِلُ بِشَكْلِ إِيْجَابِيٍّ مُفِيدٍ مَا تَوَاقَرُ لِلنِّسَاءِ  
 مِنْ الْوَقْتِ بَعْدَ انْقِضَاءِ مَشَاغِلِ الْأُسْرَةِ وَالْأُمُومَةِ بِكُلِّ خِزِرَاتِهَا وَخُصُوصِيَّاتِهَا، وَتَوْفِيرِ  
 فُرْصِ الْعَمَلِ لِهَذِهِ الشَّرِيحَةِ مِنَ النِّسَاءِ. يَا بِنْدَبَا لَيْمَنَ لَا جِدْمَةَ فَقَطْ لِهَؤُلَاءِ النِّسَاءِ  
 وَإِهَادَةَ لِلْمُجْتَمَعِ مِنْهُنَّ وَمِنْ طَاقَاتِهِنَّ وَقُدْرَاتِهِنَّ، بَلْ إِسْبَاهًا أَيْضًا فِي تَخْفِيفِ أَسْبَابِ  
 الْمَشْكَلَاتِ الْأُسْرِيَّةِ النَّاجِمَةِ عَنْ تَدَخُّلَاتِ "الْحَمَقَاتِ" الْمُتَفَرِّغَاتِ، وَمَا يُسَبِّبُهُ ذَلِكَ مِنْ  
 تَنْغِيصَاتِ لِحَيَاةِ الْأَزْوَاجِ الْمَشْتَابِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْخَالَاتِ يُزِيكُ شُؤْنَهُمْ، وَتَنْكِدُ عَيْشَهُمْ،  
 وَعِنْدِيذِهِ فَقَطْ يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَ السَّاحِرُ "حَمَانِكَ تُجْبُكَ"، وَكَأَنَّ ذَلِكَ رَابِعُ الدَّلَالِ  
 الْمَسْتَحْبِلَاتِ "الْعُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْجَلُّ الْوَفِيُّ" كَمَا يَقُولُونَ. لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَنْسِي  
 الْحِكْمَةَ الْقَائِلَةَ "إِذَا بَلَغَ ابْنُكَ الرُّشْدَ فَعَامِلُهُ مُعَاظِلَةُ الْأَخِ، أَوْ كَمَا يُعَبَّرُ عَنْهَا بِاللُّغَةِ



الداريجة "إذا كبر ابنك خاوية" أي يكون له منك النصح، وله وحده اتخاذ القرار  
 والمسؤولية فيما يأخذ أو يترك، ولا عليك من العون إلا ما تطيق، ويجب يا بيديا أن لا  
 تنسى "أن الله - كما يقولون - قد خلق العقول في ساعة رضى، المجنون راض بعقله".  
 وأهم من كل ذلك يا بيديا أن عقل المرأة وإسهامها في نشاط المجتمع في هذه  
 المرحلة، يوقر لها أيضا أمنا وضمنات إضافية؛ هي في هذه المين والتي قد تكون  
 ماديا ومعنويا - في أشد الحاجة إليها؛ حفاظا على كرامتها الإنسانية أمام مستجدات  
 الحياة والظروف التي قد تهدد أمن المرأة، واستقرار حياتها وزفافيتها كلما تقدم بها  
 العمر؛ حيث إن نفع عقل المرأة في هذه المرحلة وقد لا يقف أثره عند حاجة المرأة  
 وحفظ كرامتها، بل قد يمتد أثره أيضا إلى عون من تنهون نفوسهم إلى عونهن ممن هم  
 أهل للرعاية من الأبناء والأحفاد والأقارب وأهل الجوار وذوي الحاجات.  
 والعجيب أنها الإخوة والأخوات؛ أن ما يحدث اليوم في كثير من المجتمعات هو عكس  
 ذلك؛ حيث يُثقل كثير من المجتمعات كاهل المرأة بالعقل في شبانها وأمومتها؛ وهذا ما  
 يضر المتاعب والعراقيل أمام دور الأمومة الأساس في حياتها في هذه الفترة، ويؤدي إلى  
 تفكك الأسرة، وسوء تربية الأبناء وإهمال كثير من شؤونهم، بل إلى عدم الرغبة في



الأُمومة والإنجاب، ثُمَّ نَجِدُ الْمُجْتَمَعَ بَعْدَ ذَلِكَ يُخَفِّفُ بِالْمَرَاةِ إِلَى الْبَطَالَةِ وَالْعَطَالَةِ،  
 بَعْدَ أَنْ تَنْتَهِي فَتَرَهُ الْأُمومة وَمَشَاغِلَهَا الْهَامَّةُ وَالْعَطِيزَةُ فِي حَيَاةِ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعَ  
 وَاسْتِقْرَارِهِمْ؛ فَيُخَفِّفُ أَعْبَاءَهَا، وَيُبَسِّرُ لَهَا أَعْمَالَ حُزْرِ مِنَ الْوَقْتِ، وَتُحَالُ إِلَى الْبَطَالَةِ  
 وَالْمَعَاشِ الْمُبْتَكِرِ، بِزَعْمِ أَنَّهَا مَا تَزَالُ فِي أَوْجِ عَطَائِهَا وَقُدْرَاتِهَا الْجَسَدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، بَلْ  
 لَعَلَّهَا فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ أَقْدَرُ جَسَدِيًّا وَنَفْسِيًّا مِنْ نُظُرَائِهَا الرِّجَالِ عَلَى الْعَقْلِ؛ وَذَلِكَ بِفِعْلِ  
 أَصْلِ مِتَانَةِ بِنَاءِ جَسَدِ الْمَرَاةِ، وَمَا يَخْدُثُ لَهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ فَتْرَةِ الْأُمومة مِنَ التَّغْيِرَاتِ  
 "الْهُرْمُونِيَّةِ" فِي هَذِهِ الْبِنَى؛ حِينَ تَقِلُّ "هُرْموناتُ" الْأُنثَوِيَّةِ عِنْدَهَا، وَتَزْدَادُ "هُرْموناتُ"  
 الذُّكُورِيَّةِ؛ وَهَذَا يُقْوِي شَخْصِيَّتَهَا وَحَزْمَهَا وَإِيْجَابِيَّةَ أَدَائِهَا، عَلَى عَكْسِ الرِّجُلِ الْمُرْفِقِ  
 الَّذِي يُعْتَبَرُ الْقِيَمَ عَلَى جِمَاةِ الْأُسْرَةِ وَتَقْوِيمَ عُوْدِ الْأَبْنَاءِ وَحُسْنِ إِدَارَةِ شُؤْنِهِمْ وَلِذَلِكَ  
 تَبْدَأُ تَقِلُّ عِنْدَهُ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ هُرْموناتُ الذُّكُورِيَّةِ، وَتَزْدَادُ عِنْدَهُ هُرْموناتُ الْأُنثَوِيَّةِ؛  
 فَتَزِيدُ ذَلِكَ فِي نَضْحِ الرِّجُلِ، وَلِيْنِ جَانِبِهِ لِأَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ حَتَّى تَلْمَسَ عَطْفَهُ وَحَنَانَهُ فِي  
 سُرْعَةٍ دَمَعِ عَيْنَيْهِ، عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْمَرَاةُ الْأُمُّ فِي مُقْتَبِلِ الْعُمُرِ، وَذَلِكَ بِتَأْيِيرِ  
 "هُرْموناتِ" الْأُنثَوِيَّةِ.

يَا بَيْدَبَا؛ يَجِبُ عَلَى الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ الْمِسْلَامِيَّةِ أَنْ تُعْنَى - بِسَبَبِ أَصْلِ الْفِطْرَةِ السُّوِيَّةِ فِي

مُنْتَطَلِقَاتِهَا- بِالْأُسْرَةِ وَالْأُمُومَةِ، وَأَنْ تَهْتَمَّ بِأَخْلَاقِيَّاتِ الْأُسْرَةِ، وَجَمَائَةِ حُقُوقِ الْمَرْأَةِ وَالْأُمُومَةِ، وَبِسَلَامَةِ الرِّوَابِطِ وَالْأَخْلَاقِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمَتَانَتِهَا، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ أَوْلَوِيَّاتِهَا لِإِعَادَةِ الْبِنَاءِ، وَأَنْ تُقَدِّمَ لِدَاعِيَّتِهَا وَلِعَالَمِ النُّوْمِ الرَّؤْيِيَّةِ الْخَضَارِيَّةِ الْبَدِيلَةَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الْمَبَادِي وَالْأَسْسِ الرَّوْحِيَّةِ لِلْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ السُّوِيَّةِ؛ بَعِيدًا عَنِ حُمَى التَّرَوَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَالتَّفَمُّخِ وَالانْجِلَالِ الطَّبِيعِيِّ الْحَيَوَانِيِّ الصِّرَاعِيِّ الْمُدْمِرِ، الَّذِي يَقُومُ عَلَى التَّظَالِمِ وَالْعُدْوَانِ، وَالَّذِي يَتَنَكَّرُ لِلْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الرَّوْحِيَّةِ الْمُسَوِيَّةِ، وَيُنَاجِرُ بِالْمَرْأَةِ وَيَأْتُوئِلَتِهَا، مِنْ دُونِ رَادِعٍ مِنْ أَخْلَاقِي، وَلَا حِسَابٍ لِلْعَوَاقِبِ فِي الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ؛ لِتُصْبِحَ الْمَرْأَةُ سِلْعَةً وَذَمِيَّةً تُجُوبُ الْحَانَاتِ وَالشُّوَارِعَ وَالْمَكَائِبَ وَشَاشَاتِ الدِّعَايَةِ وَالْإِعْلَانِ؛ تُعْرَضُ فِتْنَتِهَا وَعَوَائِلَتِهَا لِمَنْ يَدْفَعُ لَهَا مُقَابِلًا أَكْبَرَ، لِقَاءَ التَّضْجِيَّةِ بِعِفَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا وَأَتْوئِلَتِهَا، بَعِيدًا عَنِ حُبِّ الطِّفْلِ، وَرِعَايَةِ الرَّوْحِ وَدِفَائِهِ الْأُسْرَةِ وَالذَّارِ، يُدْمِرُونَ بِذَلِكَ شَبَابَهَا وَنَضَارَتَهَا وَخُصُوبَتَهَا وَطَاقَاتِ الْأُمُومَةِ فِي كِبَائِهَا.

يَا بَيْدِيَا إِذَا تَخَصَّلَ الرَّجُلُ عَلَى الْجِنْسِ وَسَهَّلَتْ لَهُ سُبُلُهُ خَارِجَ نِطَاقِ الرَّوْحِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ فَقُلْ عَلَى الْأُسْرَةِ السَّلَامَ.

قَالَ بَيْدِيَا: قُلْتُ لِلشَّيْخِ: لَقَدْ أَوْفَيْتِ وَأَجَزْتِ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

فَقَدْ أَدْرَكْنَا الْآنَ جَدِيَّةَ مَا نَقُولُ، وَأَهَمِّيَّةَ مَا تَقْصِدُ إِلَيْهِ مِنْ وُجُوبِ اهْتِفَامِ الشُّعُوبِ  
وَالْمُفَكِّرِينَ السَّلَامِيِّينَ - بِرَغْمِ كُلِّ زَيْفِ الْقَوْلِ وَتُدْلِيْسِهِ بِوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ وَإِعْرَاضِ الْمَالِ  
- بِتَقْدِيمِ الرُّؤْيَا الْبَدِيلَةِ عِوَضًا عَمَّا يُرْوَجُ لَهُ الْمَادِيُّونَ وَتُجَارُ الْمُتَعَةِ الْخَرَامِ، مِنَ الْقَسَادِ  
وَظُلْمِ الْمَرَاةِ، وَإِهْذَارِ الْمَسْئُولِيَّاتِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، مَاءَ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَكَ يَا شَيْخَنَا  
الْجَلِيلِ أَنْ تَتَابِعَ بَقِيَّةَ حَدِيثِكَ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ عَنْ أَحْوَالِ الْجَزِيرَةِ وَالْوَادِي، فَكُنَّا فِي  
الْمَجْلِسِ إِذْ أَنْ مُصْغِيَّةً.

أَجَابَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُوطَةَ بِنْدَابًا قَائِلًا: دَعِ الْأَمْرَ عِنْدَ هَذَا الْخَدِّ يَا بَيْدَبَا إِلَى يَوْمِ الْغَدِ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَفَانَا مَا تَحَدَّثْنَا بِهِ الْيَوْمَ فِي مَجْلِسِنَا هَذَا.

يَقُولُ بِنْدَبَا: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَرَكْنَا مَجْلِسَ الشَّيْخِ وَقَدْ إِذَاذَ شَوْقِي وَشَوْقِ إِخْوَانِي  
وَأَخْوَاتِي إِلَى مُتَابَعَةِ حَدِيثِ الشَّيْخِ ابْنِ بَطُوطَةَ عَنِ الْجَزِيرَةِ وَالْوَادِي.

وَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذْنَا فِي الْإِنْصِرَافِ بَعْدَ مُصَافَحَةِ الشَّيْخِ بِكُلِّ أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ، لَا احْتِرَامًا  
وَإِجْلَالًا لَهُ فَقَطْ، وَلَكِنْ خَشْيَةً وَرَهْبَةً أَيْضًا مِنْ قِطْعَةِ الشَّيْخِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تَجْلِسُ بَيْنَ  
يَدَيْهِ تَرْقُبُ مَا يَجْرِي فِي الْمَجْلِسِ وَكَأَنَّهَا كَلْبٌ حَارِسٌ أَمِينٌ مُكَلَّفٌ بِحِرَاسَتِهِ وَرِعَايَتِهِ  
وَالْتِنْيَانِ مِنَ الْبِرَّامِ مَنْ يَوْمٌ مَجْلِسَ الشَّيْخِ لِلْآدَابِ الْمَرْغِيَّةِ فِي مَجْلِسِهِ، وَإِلَّا كَانَ نَصِيبُ



طلبة الشيخ في مجالس العلم ومحاضراتهم ..... كل على حدة

المُخَالِفِ تَكْثِيرًا عَنْ أَنْبَابِ خَادَةِ جَمِيلَةٍ، وَنَظَرَةَ غَضَبٍ مِنْ عَيْنَيْهَا الْمُسْتَدِيرَتَيْنِ  
الْمَلُونَتَيْنِ اللَّامِعَتَيْنِ.

يَقُولُ بَيْنَمَا: لَا شَكَّ أَنَّ قِطْعَةَ الشَّيْخِ هِيَ إِحْدَى عَجَائِبِ مَا رَأَيْنَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ فِي ذِكَائِهَا  
وَجَمَالِهَا. أَنَّنَا نَكَادُ نَظُنُّ مِنْ تَعْبِيرَاتِهَا الذَّكِيَّةِ الْجَمِيلَةِ أَنَّهَا تَفْهَمُ مَا يَقُولُهُ الشَّيْخُ، وَمَا  
أَجْمَلَهَا وَهِيَ تَتَقَدَّمُهُ وَهُوَ يَلِجُ إِلَى الْمَجْلِسِ، وَتَتَقَدَّمُهُ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَجْلِسِ، وَتَجْلِسُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ بِكُلِّ الْيَقِظَةِ وَهُوَ يَتَخَدَّثُ.

وَمِنْ عَجَائِبِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ أَنَّهَا الْقَارِئُ أَنَّهَا كَانَتْ فِي كُلِّ جَلْسَةٍ تَجُولُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ بَيْنَ  
صُفُوفِ الْحَاضِرِينَ وَكَأَنَّهَا تَتَفَقَّدُ النِّظَامَ وَمَدَى مُنَاسَبَةِ تَصَرُّفَاتِ الْحَاضِرِينَ لِأَذَابِ  
مَجْلِسِ الشَّيْخِ، وَكَانَتْ تِلْكَ فُرْصَتُنَا لِكَيْ نَمْرَبَ بِأَيْدِينَا عَلَى فَرْوِ ظَهْرِهَا الْأَبْيَضِ النَّاعِمِ؛  
تَذَلِيلًا لَهَا وَالْقَبْلَةَ بِهَا، وَهِيَ تَتَلَقَّتْ إِلَيْنَا يَمْنَةً وَتَسْرَةً بِنَظَرَةٍ رَضَى وَحُبٍّ، وَقَدْ هَدَّاتِ  
خَطَوَاتِهَا الدَّالَّةِ الرَّزِينَةِ مِنْ دُونِ أَنْ تَتَوَقَّفَ عِنْدَ أَيِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، بَلْ إِنَّهَا تَقِفُ أَحْيَانًا عِنْدَ  
بَعْضِنَا، وَكَأَنَّهَا تَحْتَجُّ عَلَى جَلْسَتِهِ أَوْ هَيْئَتِهِ، وَتَمُدُّ يَدَهَا إِلَيْهِ ضَاعِظَةً بِهَا عَلَى ذِرَاعِهِ أَوْ  
فَخِذِهِ؛ تَنْبِيْهَا أَوْ تَأْيِيْبَهَا، لَا يَسْعُ الْجَالِمُ مَعَهَا إِلَّا أَنْ يَغْتَدِلَ فِي جَلْسَتِهِ، أَوْ يُصَلِّحَ مِنْ أَمْرِ  
مَا تَهْتَدُلُ مِنْ هِنْدَامِهِ.



بِقَوْلِ بَيْدَبَا لَقَدْ كَانَتْ قِطْعَةُ الشَّيْخِ إِحْدَى مَتَعِ جَلَسَاتِ مَجْلِسِ الشَّيْخِ، وَعَضُّوْا مُؤْنِسًا مَحَبُّوْنَا فِي الْمَجْلِسِ، يَنْشُرُ حَوْلَهُ جَوًّا مِنْ الْحَبِّ وَالْأَلْفَةِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ حُبِّ الشَّيْخِ لَهَا أَنَّهُمَا لَا تُفَارِقُ مَجْلِسَهُ، وَلَا تَأْكُلُ إِلَّا مِنْ يَدِهِ، وَلَا يَخْدُمُنَا الْأَعْوَانُ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ إِلَّا كَانَ نَصِيحَتَهَا قَدْ خَا مِنَ اللَّبَنِ يُقَدِّمُهُ الشَّيْخُ لَهَا بِكُلِّ رَفْعَةٍ؛ فَيَمْرُزُ يَدَهُ عَلَى ظَهْرِهَا النَّاعِمِ الْجَمِيلِ؛ تَغْيِيرًا عَنْ مَحَبَّتِهِ لَهَا، وَإِبْدَانًا لَهَا بِتَنَاوُلِ نَصِيحَتِهَا مِنَ اللَّبَنِ الرَّائِقِ اللَّذِيذِ.

عِنْدَ هَذَا الْخَبَرِ وَقَفَ الشَّيْخُ وَأَخَذَ إِلَى صَدْرِهِ قِطْعَتَهُ الدَّكِيَّةَ الْجَمِيلَةَ الْمُدَلَّلَةَ، وَنَظَرَ إِلَى بَيْدَبَا، وَإِلَى الْخَاضِرِينَ مِنْ طُلَّابِ عِلْمِهِ، نَظْرَةً تَفَكَّرَ غَمِيقِي، وَقَالَ يُخَاطِبُهُمْ: هَلْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ لِمَاذَا تَخْلُو هَذِهِ الدَّارَ مِنَ الْفِتْرَانِ وَالْحَشْرَاتِ، بِرَغْمِ أَنَّهَا إِلَى جَوَارِحُفُولٍ زَرَاعِيَّةٍ وَاسِعَةٍ؟

السَّبَبُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنَّ فِي هَذِهِ الدَّارِ قِطْعَةَ سَاهِرَةٍ عَلَى حِرَاسَتِهِ لَا تَغْفُلُ عَيْنَاهَا الْجَمِيلَتَانِ عَنْ حِرَاسَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ كُلِّ شَارِدَةٍ وَفَارِدَةٍ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْفِتْرَانُ وَالْجُرْدَانُ، أَوْ الْأَفَاعِي وَالْعَقَّارِبُ، أَوْ الْعِنَاكِبُ وَالْحَشْرَاتُ، التَّسَلُّلَ إِلَى الدَّارِ وَإِذَاءَ مَنْ فِيهَا. صَفَّتِ الشَّيْخُ بُرْفَةً وَهُوَ مَا يَزَالُ يُطِيلُ النَّظَرَ السَّاهِمَ الْمُتَفَكِّرَ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ أَيُّهَا

الإخوة والأخوات، يؤمنا للدار التي ليمن بها دون مبرر قحطه جميلة مجيبة، تسهر على  
جراسة أسرة الدار ومداعبة صغاره، وهي توفّر لهم العيش الأيمن المريح.  
بنت أمها الإخوة والأخوات يخلو من أم رؤوم وزوجة مجيبة مخلصية، هوبنت خراب،  
ومن دون هذه الزوجة وهذه الأم لا يخلو العيش، ولا تطيب النفوس، ولا يسعد الصغير  
ولا الكبير.

قال بيدبا: نعم أمها الشيخ، ولعل شبائنا يعي هذه الحقيقة ويعرف بها كيف يبني  
الحياة.

وهنا وإلى يمين بيدبا تقدمت سيده مسنة في هيئة من الوقار والجسمة وقالت:  
أستمع شيخنا الكريم لأعترعنا يجلو في نفسي تصديقاً لما تكلمت به من صادق  
القول: لكي نكون في بؤرة وعي أبنائنا وشبابنا.

قال الشيخ: حبا وكرامة، تفضلي أيها الأخت بالقول، كلنا آذان صاغية. قالت  
السيدة الوقورة: يا سيدي إن الرجل هو أبي، وهو أخي، وهو زوجي، وهو ابني، ولا معنى  
للحياة، ولا طعم لها، من دونهم، فكيف لي - كمازاة - ألا أحب أبي وأخي وزوجي وأبني.  
وأنا يا سيدي - كمازاة - أم الرجل، وأنا أخت الرجل، وأنا زوجة الرجل، وأنا ابنة

الرَّجُلِ، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ الْحَبِيبَةَ لِبِ وَأَخِ وَزَوْجِ وَأَبْنِ، وَكَيْفَ لَا نُبْنِي أَسْرَتَنَا رِجَالًا وَنِسَاءً،  
عَلَى الْحَبِّ وَالْإِحْلَاصِ وَالتَّعَاوُنِ، فَكُلُّ مِنَّا بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ وَسِعْتِهِ.  
يَا سَيِّدِي، عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَعْمَلَ، وَأَنْ يُخْلِصَ، وَأَنْ يَبْدُلَ بِقُدْرِ طَاقَتِهِ وَأَوْلُوئِهِ  
أَصْلِي خَلْقِهِ وَتَكْوِينِهِ؛ فَالْخَلْقُ يَا سَيِّدِي لَيْسَ عَيْنًا وَلَا هَذْرًا.

يَا سَيِّدِي، لَا تَقُومُ الْحَيَاةُ، وَلَا تَقُومُ الْأُسْرَةُ، وَلَا تَقُومُ الدَّارُ، وَلَا تَقُومُ الْأُمَّمُ، وَلَا تُبْنَى  
الْأَوْطَانُ، إِلَّا بِالرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ. فَكُلُّهُمْ رَاعٍ، وَكُلُّهُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
عَوْنٌ لِلْآخَرِ، وَبِعَضُّهُمْ عَوْنٌ لِبَعْضِ، وَأَيُّ شَيْءٍ غَيْرُ ذَلِكَ وَهُمْ وَضِياعٌ، وَغُرْتَةٌ وَشِقَاءٌ،  
لِلْكِبَارِ قَبْلَ الصِّغَارِ، وَلِلصِّغَارِ قَبْلَ الْكِبَارِ.

نَعَمْ يَا سَيِّدِي يَجِبُ أَنْ نُتَمَيَّ وَعَيَّ أَبْنَانًا بِاللِّبِّ وَالْجَوْهَرِ، لَا بِالْمُظَاهِرِ وَالْقَشُورِ، فَلَا  
تُضَيِّعُ حَيَاتِهِمْ، وَلَا حَيَاةَ مَنْ تَتَعَلَّقُ بِهِمْ حَيَاتِهِمْ، هَيَاءً وَهَذْرًا، وَأَمْسًا وَتَدْمًا، بَعْدَ أَنْ  
تَكُونُ قَدْ تَهْدَمَتِ الدَّارُ، وَتَقَدَّمَ الْعُمْرُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَرُّ الثَّمْرِ، حِينَ لَا يَنْفَعُ الْأَسَى وَلَا  
يُقِيدُ النَّدَمُ.

قال الشيخ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي، لَقَدْ عَبَّرْتَ عَنِ الْحَقِيقَةِ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَعِيشَهَا أَبْنَاؤُنَا،  
وَيُصَلِّحُونَ بِهَا مَا تَهْدِمُ مِنْ بُنْيَانِ مُجْتَمَعَاتِنَا، وَيُرْسِمُونَ بِهَا الْبَسْمَةَ الصَّادِقَةَ عَلَى

شِفَاهِنَا، وَتُعِيدُونَهَا دِفْءَ السُّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ إِلَى قُلُوبِنَا، وَمَا قُلْتِهِ يَا مَنِّيذِي هُوَ مَسْكُ  
الْجَنَامِ لِمَجْلِسِ الْيَوْمِ.  
وَهُنَا مَاءُ الْقِبْطَةِ الَّتِي لَمْ يُفَارِقِ الشَّيْخُ نَاطِرَتَيْهَا؛ إِذَا نَا بِالرَّاحَةِ وَالْإِنْصِرَافِ.

## صَوَاعِقُ السُّحُبِ السُّودَاءِ

قال بيدينا: جلمنا في اليوم التالي في مجلس الشيخ، وما زلنا نذكر حديته في اليوم السابق، عن الرؤية البديلة بشأن المرأة وإصافها، وحفظ كرامتها بالثريية الصَّحِيحَة، وبالشريعات الصَّائِبَة، وبالترتيبات المُعَالِية؛ وهكذا استمغنا إلى الشيخ في هذا اليوم وهو يتابع حديثه المُبهر الشَّجِي عن الجزيرة والوادي؛ فهو كان يحمل إعجابًا شديدًا بنظام الجزيرة والوادي الذي كان - كما ذكر الشيخ - نظامًا رائعًا يثير الدهشة والإعجاب؛ وذلك لِتَكامُلِ مَؤَسَّساتِهِ، وَخُلُوقِهَا مِنَ الفَسَادِ وَالإِثْمَاتِ وَالرِّشَاوِي وَالْمَحْسُورِيَّاتِ، وَإِهْذَارِ المَالِ العَامِ، أَوْ مِنْ تَسَيُّبِ العَامِلِينَ، أَوْ عَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِوَاجِبَاتِهِمْ، أَوْ ضَعْفِ إِحْتِمَائِهِمْ بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ، وَمَرْجِعِ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ مَرْجِعُهُ فِي الأَسَاسِ - كما لَمَسَ الشيخ - إلى إِنْصَافِ العَامِلِينَ، وَالوَفَاءِ لَهُمْ بِحَقُوقِهِمْ، وَإِلَى حُسْنِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّدرِيبِ الجَيِّدِ، وَإِلَى الإِعلامِ المُستَقِلِّ المُبتدِعِ المُستَنيرِ، الَّذِي يُوعِي جُمهُورَ الأُمَّةِ لِمَصَالِحِهَا وَإِلَى جُهُودِ مَؤَسَّساتِ الدَّعْوَةِ وَالخِدماتِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّربُويَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى بَذْرِ القِيَمِ وَالْمِنَادِي السَّليمةِ وَمَشَاعِرِ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ، فَهَذِهِ المَؤَسَّساتُ تُنْعِي - إلى جانبِ مَؤَسَّساتِ التَّشْرِيعِ وَالمُراقِبَةِ - أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الإِخْلاصِ

وَالْوَعْيَ وَالشَّفَافِيَةَ؛ وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُعْطَى الْفُرْصَةَ لِلخَفَافِيَشِ وَضِعَافِ النُّفُوسِ لِأَنَّ  
تَنْشُرَ امْرَاضَهَا النَّفْسِيَّةَ، وَمَصَالِحَهَا الْأَنْبِيَّةَ، وَلِتَعْمَلَ عَلَى تَخْرِيبِ النُّفُوسِ وَالْعُقُولِ،  
وَالِاسْتِبْلَاءِ الطَّالِمِ عَلَى الْمَوَارِدِ، وَتَخْرِيبِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعْرَبًا فِي  
بَلَدِكَ الْجَزِيرَةَ أَنْ تَنْعِدِمَ الْبَطَالَةُ، وَأَنْ يَنْعَدِمَ الْعُنْفُ وَالْجَرِيْمَةُ فِي الْمَجْتَمَعِ أَوْ يَكَادُ، وَأَنْ  
تَلْمَسَ آثَارَ الْإِحْسَاسِ بِالْأَمْنِ فِي كُلِّ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ فِي مَدِينِ الْجَزِيرَةَ وَأَرْيَافِهَا.

قَالَ الْحَكِيمُ بَيْدَبَا: لَقَدْ ذَكَرْنَا الرَّحَالََةَ الْجَلِيلُ ابْنُ بَطْلُوَّةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ  
الْوَاضِحِ لَهُ أَنَّ تَأْثِيرَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ الْقَبِيحِ، النَّايِعِ مِنْ إِزَادَةِ الشُّعْبِ، إِلَى جَانِبِ الْإِعْلَامِ  
الْمَبْرُؤِ الْحَرِّ التَّزْيِيهِ الْمُسْتَقْبَلِ، الْمُعْتَبِرِ عَنِ إِزَادَةِ الشُّعْبِ، كَانَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ سَلَامَةِ  
قَرَارَاتِ الشُّعْبِ وَاخْتِيَارَاتِهِ، لِتَأْتِي قَرَارَاتُهُ وَاخْتِيَارَاتُهُ خَيْرَةً رَشِيدَةً تَضْبُطُ سَيْرَ إِدَارَةِ  
السُّلْطَةِ، وَتُرشِدُهَا؛ بَعِيداً عَنِ مُمَارَسَاتِ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْفَسَادِ، حَتَّى تَنْتَوِيحِيَ الْعَدْلَ،  
وَتَحْمِيَّ التَّرَوَاتِ وَالْمَوَارِدِ، وَتُسَجِّعَ الْإِبْدَاعَ وَالْعَمَلَ وَالْإِثْقَانَ، وَتُنْعِي رُوحَ التَّكَاوُلِ،  
وَتَحْمِيَّ الْوَطْنَ، وَتُوفِّرَ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ وَالرِّفَاءَ لِلْجَمِيعِ.

قَالَ بَيْدَبَا: لَقَدْ سَعِدَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ابْنُ بَطْلُوَّةَ أَيُّمَا سَعَادَةٍ بِالْأَيَّامِ الَّتِي قَضَاهَا فِي  
بَلَدِكَ الْجَزِيرَةَ؛ وَذَلِكَ يَعُودُ إِلَى وَفَرَةِ مَوَارِدِهَا، وَجَوْدَةِ إِنتَاجِهَا، وَإِلَى كَرَمِ أَهْلِهَا، وَكَرَمِ

خُلُقِهِمْ، وَتَضَافَةُ مُعَامَلَاتِهِمْ، وَتَضَافَةُ مُدْبِرِهِمْ وَبِلَادِهِمْ، وَجَمَالِهَا وَجَمَالِ طَبِيعَتِهَا الَّتِي حَافَظُوا عَلَيْهَا، وَأَحْسَنُوا تَحْطِيطَهَا؛ لِأَنَّهَا جَمِيعًا أَصْحَابُهَا، وَهُمْ شُرَكَاءُ فِيهَا وَفِي خَيْرَاتِهَا، إِنَّ طُرُقَاتِهَا وَمُوَاصَلَاتِهَا لَا تَخْتَلِقُ بِالرَّحَامِ، وَلَا يُصَابُ فِيهَا الْمَرْءُ بِالْأَقَابِ وَالْأَمْرَاضِ بِسَبَبِ تَسْرُبِ الْعَوَادِمِ وَأَذْخِنَةِ الْجَبَنَاعَاتِ وَمُخْتَلَفَاتِ الْمُشْعَبَاتِ وَالْكَيْمَافِيَّاتِ.

قَالَ بَيْدَبَا: وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ فَقَدْ أَكْثَرَ الشَّيْخُ الرَّحَّالَةَ أَنَّ جَزِيرَةَ الْبَنَائِينَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَخْتَلِفُ فِي طَبِيعَتِهَا عَمَّا يَعْرِفُهُ الْكَثِيرُونَ فِي بِلَادِهِمْ، فَهِيَ تَتَمَتَّعُ بِالْجَمَالِ وَالْمَوَارِدِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِمِثْلِهَا عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي لَا يَخْلُو بِلَادٌ مِنَ بِلَادِ اللَّهِ مِنْهَا، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ صُورُهَا وَوُجُوهُ عَمَلَاتِهَا، وَيَزِيدُهَا الْإِخْتِلَافُ وَالْتِبَائِينَ بَيْنَ مُخْتَلِفِ الْبِلَادِ تَنْوَعًا وَتَكَامُلًا وَجَمَالًا.

وَلِذَلِكَ؛ لَيْسَتْ الْأَرْضُ فِي مُكَوِّنَاتِهَا وَتَضَارِيسِهَا هِيَ الْفَرْقُ الَّذِي يُمَيِّزُ تِلْكَ الْجَزِيرَةَ، وَالْكَثِيرَ مِنَ الْبِلَادِ الْمُتَخَصِّصَةَ مِثْلَهَا- كَمَا يَذْكَرُ الرَّحَّالَةُ ابْنُ بَطُّوطة- بَلْ هُوَ الْمَوْاطِنُ وَمَا يَحْضُرُ بِهِ مِنْ تَرْبِيَةٍ وَتَعْلِيمٍ، وَجَزِيرَةٍ وَتَدْرِيبٍ وَمَا يَتَحَلَّى بِهِ مِنْ زُؤِيَّةٍ كَوْنِيَّةٍ فِطْرِيَّةٍ إِيْجَابِيَّةٍ سَوِيَّةٍ، وَمِنْ قِيَمٍ وَأَخْلَاقٍ وَمَبَادِيءٍ، يُحَقِّقُ فِيهَا ذَاتَهُ وَيُنْبِي بِهَا سُلُوكَهُ وَقُدْرَاتِهِ وَمُؤَسَّسَاتِهِ.

يَحْتَرِمُ بِهَا حُقُوقَ الْإِنْسَانِ وَكَرَامَتِهِ؛ لِيَحْيَا الْجَمِيعُ فَرْدًا وَجَمَاعَةً حَيَاةَ حُرَّةٍ كَرِيمَةٍ؛ يُؤَفِّرُ فِيهَا الْمَوَاطِنَ حَاجَاتِهِ، وَيُبْدِعُ فِي إِنْتَاجِهِ، وَيُخْلِصُ فِي عَمَلِهِ، وَيُثَقِّنُ فِي آدَابِهِ، وَيَتَّخِذُ أَهْلَهُ وَأَوْطَانَهُ، لَا تَنَالَهُ مَهَانَةٌ وَلَا يُحْرِمُ اللَّقْمَةَ وَلَا يَحْشَى الْعَجْزَ أَوْ الْفَقْرَ وَالْعَوْرَ.

هُنَا تَوَقَّفَ الشَّيْخُ الرَّخَالَةُ ابْنُ بَطْلُوطةَ عَنِ الْخَدِيبِ مُنَادِيًا غَلَامًا لَهُ لِيَأْتِينَا كَمَا عَوَّدْنَا فِي كُلِّ لِقَاءٍ بِشَيْءٍ مِنَ الثَّمَرِ وَشَرَابِ الرَّهُورِ، عَلَى عَادَةِ هَوْمِهِ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَاسْتِعَادِهِ؛ تَغْيِيرًا بِكَرَمِ الضَّيْفَانَةِ عَمَّا يَحْمِلُونَ لَهُ مِنْ مَشَاعِرِ الْمَوَدَّةِ، وَيَتَرَحَّبُ الصُّحْبَةَ وَالْمَقَامَ؛ إِذْرَاكَ مِنْهُمْ لَمَّا قَدْ يُحْسَهُ الْغَرِيبُ عَنْهُمْ، وَخَاصَّةً مِنْ خَوْفِ الْمَجْهُولِ، وَمَشَاعِرِ الْغُرْبَةِ، وَحَاجَتِهِ إِلَى الْعَوْنِ وَالْأَلْفَةِ؛ بَعِيدًا عَنِ الدِّيَارِ وَالْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ.

قَالَ بَيْدَنَا: قُلْتُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ شُكْرًا عَلَى كَرَمِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ، وَلَكِنِّي لَا أَحْفِي عَلَيْكَ أَنِّي تَلَفْتُ يُمْنَهُ وَنُسْرَةَ فِي مَجْلِسِكَ فَلَمْ أَرِ مِنْ عَادَاتِكَ وَعَادَاتِ مَنْ مَعَكَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مَا يَسْبِغُ بَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ، وَتَذَكَّرْتُ أَصْحَابَ الْحِكْمَةِ وَالْحَلْبِ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ مُدْمِرٌ لِلصِّحَّةِ، وَذَلِكَ هُوَ ذَاءُ "التَّدْخِينِ" أَوْ مَا يَدْعُونَهُ "عَادَةُ التَّدْخِينِ" وَيَصْنَعُونَ مَادَّتَهُ خَاصَّةً فِي الْبِلَادِ الْمُتَخَلِّفَةِ - كَمَا عَلِمْنَا - عَلَى هَيْئَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ جُلُّهَا مِنْ وَرَقِ شَجَرَةِ "التَّبَعِ" الَّتِي يَحْرِقُونَهُ، وَيَنْفُثُونَ دُخَانَهُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَأَنْوْفِهِمْ، وَتَبِيحَةُ





لِذَلِكَ فَهُمْ يَسْتَنْشِقُونَ مَوَادَّهُ الْمُؤَذِيَّةَ وَقَحْمَهُ الْمُحْتَرِقَ فِي رِثَابِهِمُ الَّتِي تَسْوَدُّ وَتَنْشَوُّهُ  
بِفِعْلِ دُخَانِ هَذَا الْكَرْبُونِ الْقَطْرَانِيِّ الْأَسْوَدِ الْمُحْتَرِقِ الَّذِي يَدْخُلُ وَكُلُّ مَا يُصَاحِبُهُ مِنْ  
مَوَادِّ كِيمِيَائِيَّةٍ مُؤَذِيَّةٍ إِلَى كُلِّ حَوْصِلَةٍ هَوَائِيَّةٍ فِي رِثَةٍ مَنْ يَسْتَنْشِقُونَهُ، وَهُمْ - وَأَنْتَ وَلَا  
شَكَ تَعْرِفُ ذَلِكَ خَيْرًا مِنِّي أَيُّهَا الشَّيْخُ - يَأْخُذُونَهُ كَمَا ذَكَرْنَا، عَلَى شَكْلِ "مِبْجَارٍ" أَوْ  
سِيحَارَةٍ" أَوْ عَلَى شَكْلِ مَا يُسَمُّونَهُ "الْعَلْيُون" أَوْ مَا يُسَمُّونَهُ "الْجَوْزَةَ" وَ"الشَّيْشَةَ"  
أَوْ "الْمَرْجِيلَةَ"، وَهُمْ يَا لِلْعَجَبِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِغَيَاءٍ وَفِيهِمْ عَجِيبٌ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِي صُنْعِ كُلِّ مَا  
ذَكَرْنَا مِنَ الْأَدْوَاتِ، وَيُدِيرُونَهَا فِي جِلَسَاتِهِمْ، وَيَسْتَهْرُونَ اللَّيَالِي فِي اسْتِنْشَاقِ سُمُومِهَا  
بِحَيَاشِيمِهَا وَرِثَابِهَا، وَيَلْوِثُونَ بِدُخَانِهَا وَسُمُومِهَا مَجَالِسَهُمْ وَأَمَاكِنَ عَمَلِهِمْ وَبَيْتِهِمْ،  
وَيَجْنُونَ بِهَا عَلَى مَنْ لَا يَدْخُنُ مِثْلَهُمْ مِمَّنْ يُبْتَلَى بِصُحْبَتِهِمْ أَوْ يَحْضُرُ مَجَالِسَ تَدْخِيهِمْ.  
قَالَ الشَّيْخُ الرَّحَالَةُ ابْنُ يَطْلُوطَةَ: سَامِعْتُكَ اللَّهُ يَا بَيْدَبَا! هَلْ خَطَرَ بِبَالِكَ أَنْ أَكُونَ عَلَى  
هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْحَمَاقَةِ وَالْغَبَاءِ؟ فَرَحَالَةَ مِثْلِي لَا بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ كُلُّ مَا تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ  
التَّدْخِينِ، وَتَعْلَمَ مَا يُسَبِّبُهُ التَّدْخِينُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْخَطِيرَةِ لِلرِّئَةِ وَالصَّدْرِ، وَمِنْهَا  
الْأَمْرَاضُ الْمَسْرَطَانِيَّةُ النَّاشِئَةُ عَنْ هَذِهِ الْمَوَادِّ الْكَرْبُونِيَّةِ الْمُحْتَرِقَةِ السَّامَةِ، الَّتِي يَدْفَعُ  
الْجَهَالُ أَمْوَالَهُمْ لِشِرَائِهَا لِيَكُونَ جَزَاؤُهُمْ كُلُّ هَذِهِ الْأَقَاتِ الصَّحِيحَةِ.



إِعْلَمْ يَا بَيْدِيَا أَنَّكَ حِينَ تَرَى مِثْلَ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ الخَطِيرَةِ الضَّارَّةِ مُتَقَسِّمَةً فِي مُجْتَمَعِ  
مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ: تَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أخطرُ مِنْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ انْتِشَارُ الإِدْمَانِ وَالْعُنْفِ  
والتَّفَكُّكِ الأَسْرِيِّ وَالإجْتِمَاعِيِّ بِسَبَبِ الطَّلَاقِ وَالْعُنُوسَةِ، وَانْتِشَارِ المَقَاسِدِ الأَخْلَاقِيَّةِ؛  
وَتَتَفَتَّشُنِي كُلُّ هَذِهِ المَآسِي، وَمَا هُوَ أخطرُ مِنْهَا فِي المُجْتَمَعِ: بِسَبَبِ ضَعْفِ الوَعْيِ وَفشلِ  
الأُسْرَةِ وَالمُدْرَسَةِ وَالإِعْلَامِ فِي أداءِ أدْوَارِهَا فِي بِلَدِ المُجْتَمَعَاتِ، فَالشدَّخِينِ وَأَمْرَاضِهِ يَا  
بَيْدِيَا دَلِيلٌ مُهِمٌّ عَلَى ضَعْفِ الوَعْيِ، وَسُوءِ التَّرْبِيَةِ، وَعَلَى وُجُودِ أَمْرَاضِ خَطِيرَةٍ أُخْرَى،  
تِلْكَ هِيَ الحَقِيقَةُ مِنْهَا رَزَّفَتْ تِلْكَ المُجْتَمَعَاتُ حَقَائِقَ وَاقِعِيَّتَهَا، وَأَنْكَرَتْ حَقِيقَةَ  
أَمْرَاضِهَا، وَسُوءَ إِدَارَةِ أُمُورِهَا، وَضَعْفَ ثِقَافَةِ مُوَاطِنِيهَا، وَتَدَلَّى وَعَيْبَهُمُ وَتَرَبَّيْتَهُمُ.

دَعْنِي يَا بَيْدِيَا أَذْكَرُكَ نَجْرَةَ تُعَبِّرُ عَنْ أَهْمِيَّةِ التَّرْبِيَةِ الأَسْرِيَّةِ فِي بِنَاءِ وَعْيِ أَيْتَانِيهَا  
وَجَمَانِيَّتِهِمْ، وَهُمْ عَنْهُمْ بَعِيدٌ مِنَ الرُّلَاتِ وَالْمَخَاطِرِ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ صَبَدَاها مِنْ أَدْنِي وَلَمْ تُعَبِّ  
صُورَتُهَا وَصُورَةُ ذَلِكَ القَتْلِ مِنْ ذَاكَرَتِي.

كَانَ بَطْلُ هَذِهِ القِصَّةِ يَا بَيْدِيَا فَتًى مِنْ أَيْتَاءِ أَرْضِ جَزِيرَةِ السَّلَاقِيَّيْنِ، رَحَلَ فِي طَلَبِ  
العِلْمِ، وَكُنْتُ سَعِيدًا بِجِوَارِهِ: لِذِمَائِهِ خُلُقِهِ وَنِظَافَةِ لِسَانِهِ، وَهُدُوءِ طَبْعِهِ، وَانْبِرَافِهِ  
إِلَى عَمَلِهِ وَدَرَسِهِ.

لَقَبَيْتُهُ يَوْمًا وَزَأَيْتُهُ مَنَاهِمًا غَارِفًا فِي فِكْرِهِ كَأَنَّهُ كَانَ يُعَانِي مِنْ شَيْءٍ يَهْمُهُ وَيُعَكِّرُ صَفْوَةَ،  
فَدَعَوْتُهُ إِلَى صُحْبَتِي لِنَتَنَاوُلَ شَيْئًا مِنْ مَشْرُوبِ الشَّايِ وَمَشْرُوبَاتِ الزُّهُورِ، نُرْوِّحُ بِهَا عَنْ  
أَنْفُسِنَا وَيُخَدِّثُنِي بِبَعْضِ مَا يَهْمُهُ وَيُرْوِّحُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، سَأَلْتُهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَقْرَبْنَا الْمَقَامَ  
وَقَدْ تَنَاوَلْنَا شَيْئًا مِنَ الْمَشْرُوبَاتِ السَّاجِنَةِ الَّتِي أَشْعَرْتَنَا بِشَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ، وَدَارَبْنَا  
الْحَدِيثَ وَقَدْ رَأَى قَلْبِي لِخَالِهِ إِلَى مَا كَانَ يَشْغَلُ بَالَهُ.

قَالَ لِي الْقَيِّ: لَا تَقْلُقْ يَا شَيْخَنَا الْعَزِيزِ بِشَأْنِي فَمَا يُقْلِقُ بَالِي أَمْرٌ يَأْذِنُ اللَّهُ أَمْرَهُنَّ وَغَيْرُ  
ذِي بَالٍ، وَإِنْ كَدَّرَ ذَلِكَ شَيْئًا مِنْ صَفْوَةِ بَالِي، وَذَلِكَ لِمَا أَرَاهُ مِنْ ضَخَالَةِ وَعْيِ النَّاسِ  
وَخَاصَّةً شَبَابِ الصَّفْوَةِ الَّذِينَ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عِدَّةً أَمْتِهِمْ وَمَشْعُوبِهِمْ، وَلِذَلِكَ أَرْجُو أَمْتَهَا  
السَّيِّخُ الْجَلِيلُ الْأَتَقُّ بِشَأْنِي وَمَا أَحْسَنُهُ مِنْ قَلْبِي وَضَيْقِي.

قُلْتُ لِلْقَيِّ وَقَدْ أُنَارَ فِي نَفْسِي مَزِيدًا مِنْ حُبِّ الْإِسْطِطْلَاعِ، وَالَّذِي زَادَ مِنْ قَلْبِي وَتَطَلَّعِي  
لِمَعْرِفَةِ مَا أَهْمُهُ وَكَدَّرَ خَاطِرَهُ مِنْ سُلُوكِ النَّاسِ عَامَّةً وَصَفْوَتِهِمْ خَاصَّةً: لَا عَلَيْكَ يَا بُنِّي،  
أَخْبَرَنِي عَمَّا يَشْغَلُ بَالَكَ، فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ أَمْرٌ مَهْمٌ فِيهِ دَرَمٌ وَعِظَةٌ: لَعَلِّي أُعِينُكَ عَلِمَهَا  
وَأُقِيدُ مِثْلَهَا.

قَالَ الْقَيِّ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَمْتَهَا السَّيِّخُ أَنِّي هُنَا بَعِيدٌ عَنِ الْأَهْلِ وَغَرِيبٌ عَنِ الدِّيَارِ، وَمِنَ

الطبيعي أن أهتم بتعريف أحوال الناس من حولي، وأن أتخذ منهم صحبة للمؤانسة والترويح؛ وفي يوم تواعدت مع بعض هؤلاء الزملاء ليقاءم والترويح عن النفس في أحد المتزهات، وحين استقر بي المقام معهم، اتى النايل بوعاء "جرذل" مملوء بالثلج تتوسطه زجاجة خضراء وضعتها على مائدتنا، وبالطبع لم ألبث أن خمئت أن ما بالزجاجة هونوع من المشروبات الخمرية المسكرة، بزعم أنني لم يسبق لي أن رأيت واحدة منها رأي العين، ولكن لأنني كنت منذ الطفولة ممن يحبون القراءة الموسوعية بكل أنواعها، لم يكن من الصعب أن أعرف ذلك مما يرد في بعض القصص من وصف مثل هذه المشروبات.

قال الشيخ: واصل الفتى حديثه وقال: وحين رأيت ذلك المشروب، انتصبت واقفاً وقلت لأولئك الزملاء: إنني لا أرغب في مجلس يشرب فيه أي لون من ألوان الخمر. قال الفتى: نظر إلي الزملاء باندهاش لما سمعوه مني، وأجابوني بصوت واحد: ولكن لماذا؟

قال الفتى: قلت لهم: سأسألكم سؤالاً واحداً، إذا أجبتكم عنه عرفتم السبب الذي دفعني إلى قول ما سمعتموه.

قال الفثيان: وما هو هذا السؤال؟ هات السؤال وسوف نجيبك عنه.  
قال الفثي: قلت لهم، هل من الممكن أني إذا شربت شيئاً من المسكرات أن أتصرف  
تصرفاً، ما كنت أتصرفه وأنا لم أشرب المسكر؟  
قالوا: نعم، هذا أمر ممكن.

قال الفثي: قلت لهم: وهل أنا من الغفلة والخفاقة بحيث أضع نفسي في موضع يصدر  
عني فيه ما لا أريد أو أرغب في فعله وأنا بكامل إرادتي ووعيي؟!  
قالوا: وهم يأملون أن يُغروني بالشراب وأنا في غفلة من الأمر بأسلوب الخطوة خطوة  
كما يقولون، فالف الشراب وأسهبين به: لا يأمن، تذوقه فقط، وخذ منه قليلاً ولا تكثر.  
قال الفثي: قلت لهم: لا، لن أتذوق الشراب ولن أشربه قليلاً كان أو كثيراً. عندها قال  
لي الشباب: ولكن لماذا لا تجرب؟ فإن أعجبك شربت، وإن لم يعجبك تركت.  
قال الفثي: قلت لهم: لا، ولا هذه.

فقال الشباب: ولكن لماذا؟

قال الفثي: قلت لهم: لا، لن أجرب الشراب؛ لأنني إن جررت شيئاً - من باب حب  
الاستطلاع - فيما لا أرغبه عقلاً، فأنا أقام أحد أمرين، إما أنه لا يعجبني، ويرفضه



ذوقِي، فَأَنَا فِي عَيْتِي عَنْ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ، وَإِنَّمَا أَنْ يُعْجِبَنِي وَأَجِدُ فِيهِ لَذَّةً، بَرَزْتُمْ أَنْ عَقْلِي  
يَرْفُضُهُ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنِّي لَنْ أَعُودَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعُودَةَ إِلَيْهِ حِمَاقَةٌ، وَضَعْفٌ إِرَادَةٌ،  
وَإِهْدَارٌ لِلْعَقْلِ وَالضَّمِيرِ وَالْمَسْئُورِيَّةِ، وَمِنْ الْمَوْسِفِ أَنَّهُ فِي حَالَةِ تَجْرِبَةٍ مَا تَرَعِبُ فِيهِ،  
مِمَّا فِيهِ لَذَّةٌ، أَنَّ الْمُجْرَبَ لَنْ يَأْسَفَ عَلَى أَنَّهُ جَرَّبَ مَا لَا يَصِحُّ لَهُ أَنْ يُجْرِبَهُ فَقَطًّا، بَلْ  
سَتَبَقَى فِي نَفْسِهِ خَسْرَةُ الْجِرْمَانِ مِنْ لَذَّةِ حَاطِنَةِ آثِمَةٍ سَيَفْتَقِدُهَا، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي لَنْ  
أَجْرِبَ مَا يَرْفُضُهُ عَقْلِي وَضَمِيرِي وَلَا أَرْعُبُ فِي مُرَاوَلَتِهِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَمَّا إِنْ كَانَ يُعْجِبُنِي  
طَعْمُهُ أَوْ لَذَّتُهُ، أَوْ لَا يُعْجِبُنِي، إِلَّا أَنْ أَكُونَ مِنَ الْحَمَقِّ وَالْجَهْلَاءِ.

لِهَذَا أَيُّهَا الرُّمَلَاءُ فَأَنَا لَنْ أَشْرَبَ، وَلَنْ أَجْرِبَ، وَأَتْرَكُكُمْ دَاعِيًا لَكُمْ بِالنُّصِيحِ وَالْعَقْلِ  
وَالْهِدَايَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُّوطَةَ: قُلْتُ لِلْفَقِي: لِلَّهِ ذَرِكُ! مَا قُلْتَهُ عَيْنُ الْوَعْيِ وَالْعَقْلِ وَالِدِينِ،  
وَلَكِنْ كَيْفَ كَانَ لَكَ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْمَسْنِ الْمُبَكِّرَةِ أَنْ يَكُونَ لَكَ كُلُّ هَذَا الْوَعْيِ وَهَذِهِ  
الْحِكْمَةُ!؟

قَالَ الْفَقِي: السَّبَبُ يَا سَيِّدِي هُوَ أَوْلَا دَارًا وَأَسْرَةً وَأُمَّمٌ احْتَضَيْتَ صِبَاغَهَا كَمَا تَحْتَضِينُ  
الْحِمَاقَةَ صِبَاغَهَا بِقُوَادِمِهَا وَأَجْنِيحَتِهَا، وَبِالْحَتَانِ وَالْهُدُوءِ وَالسَّلَامِ فِي الدَّارِ يَرَكُنُ الْجِلْفُ إِلَى



داره، وتأوي إلى جناح والذين ويتقى بهما ويتخلى بصفتيهما.  
كما كنت في الدار في صحبة مكتبة نقيّة غنيّة بكل ألوان المعارف البيئية منها والأدبية  
والاجتماعية والتاريخية، والأصيلة والحديثة والمُعزّية، مما يُفتق أفاق ذهن الناشئ  
ويُعني فكره وعقله وخياله، وتجعله منذ نعومة أظفاره في صحبة خيرة العقول وأرشد  
الخبرات.

قال الشيخ: عند هذا صفت الفتي لحظة ثم قال: لقد سرحت بفكري بعد ما جرى مع  
الزملاء بشأن المسكرات من حديث، أتمعن فيه، وأحاول أن أدرك أبعاد ما صدر مني  
على هيئة رد فعل تلقائي بغير سابق إعداد ولا تمعن ولا تفكير.

ولقد وجدت يا سيدي الشيخ، أن ما فعلته وقلته لم يكن بالدرجة الأولى إلا صدئي  
لدرس من دروس الأمومة وحواراتها، حين كنت طفلاً صغيراً انسُ بأبي وهي تؤنسني  
وتخديني، وفي يوم من أيام تلك الطفولة حدثني أبي عن واحد من أبناء الحي تسبب في  
قتل أحد أصحابه؛ لأنه كان مخموراً فاقد الوعي والإرادة بسبب حالة السكر فأقدم على  
قتل صاحبه.

وأذكر يا سيدي الشيخ ما وقّر في نفسي غائماً اليوم من معاني كلمات الخمر والشكر

وَعَيْنَةُ الْإِرَادَةِ وَالْوَعْيُ، وَبِالطَّبْعِ أَكْذَبَ الْفِرَاءَةُ وَالثَّقَافَةُ مَعَانِي تِلْكَ الْقِصَّةِ وَذَلِكَ الْجَوَازِ  
الْأَسْرِيَّ وَمَغْرَاها فِي فِرَارَةِ نَفْسِ الطِّفْلِ وَضَمِيرِهِ، بِشَكْلِ غَيْرِ وَاوَعٍ، مِمَّا نَعَى فِي نَفْسِيَّةِ الطِّفْلِ  
وَوِجْدَانِهِ جِسْمَ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَإِذْرَاكَ الْعَوَاقِبِ وَضَرَزَ الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخْبِرَاتِ، بِرِغْمِ أَنِّي  
يَا سَيِّدِي لَمْ أَرَفِي حَيَاتِي فِي طُفُولِي وَقَبْلَ نُزُولِي وَأَنَا شَابٌّ يَافِعٌ فِي هَذَا الْبَلَدِ وَهَذِهِ الدِّيَارِ  
شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْمُسْكِرَاتِ.

نَعْمَ يَا سَيِّدِي لَا بُدَّ أَنَّهُ لَقَدْ كَانَ لِدَلِكِ الْجِطَابِ التَّرْبُويِ الْأَسْرِيَّ فِي أَعْمَاقِ الْوِجْدَانِ  
وَالضَّمِيرِ أَثَرُهُ الْحَيُّ الْبَاقِي الَّذِي غَرَمَ جِسْمَ الْمَسْئُولِيَّةِ وَضَبَّطَ النَّفْسَ فِي أَعْمَاقِ الطِّفْلِ  
قِيَمَةً أَخْلَاقِيَّةً وَجِسْمًا لَا يَنْمُجِي.

قَالَ الشَّيْخُ: قُلْتُ لِلْفَقِي: إِنِّي أَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ أَيْضًا لَمَسْتَ مِمَّنْ يُدَخِّنُونَ التَّبْعَ، بِرِغْمِ  
أَنَّهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَلْقَابِ الَّتِي يَسْتَهِينُ بِهَا الشُّبَّابُ، وَتَنْتَشِرُ بَيْنَ جُمُوعِهِمْ، فَهَلْ لِي أَنْ  
أَعْرِفَ كَيْفَ نَجَوْتُ مِنْ هَذَا الدَّاءِ أَيْضًا؟ خَاصَّةً وَأَنَّكَ ذَكَرْتَ لِي أَنَّ وَالِدِيكَ مِنْ جَيْلِ وَقَفِ  
فِي شِرَاكِ الشُّدْحِينَ، لَا عَنِ اسْتِهَانَةٍ أَوْ امْتِهَانَةٍ، وَلَكِنْ لِأَنَّ التَّبْعَ (الدُّخَانَ) هَدِمَ لِدَلِكِ  
الْجَيْلِ عَلَى أَنَّهُ وَسِيلَةٌ تَمْلِيَّةٌ وَتَمْضِيَّةٌ لِلْوَقْتِ، دُونَ أَنْ يَعْلَمَ شَبَابُ ذَلِكَ الْجَيْلِ الْكَثِيرِ عَن  
أَضْرَارِهِ سِوَى أَنَّهُ رَتَمًا كَانَ وَسِيلَةً لِضَيَاعِ الْمَالِ فِيمَا لَا فَايْدَةَ حَقِيقِيَّةً تُرْتَجَى مِنْ وَرَائِهِ.



قال الفقي: نعم صدقت أيها الشيخ الجليل فيما قلت، وفي هذا درس تربوي عظيم تعلمته من والدي يرحمه الله؛ هو الذي كان قد وقع - غفلةً وجهلاً - في شرك التدخين والإدمان عليه، كما ذكرت، وحين انتشرت المعرفة، وأدرك الناس مخاطر التدخين، كان ذاء إدمان التدخين قد تمكّن من والدي، ومن كثير غيره من أبناء جيله، ولم يعرف الناس في ذلك الوقت شيئاً ممكناً لعلاج الإدمان على التدخين.

لقد كان أبي أيها الشيخ الجليل يدخن "الشيخة" - وقد تسمى "الأرجيلة"، أو "النارجيلة"، أو "الجوزة" -، وكانت الوالدة يرحمها الله هي أيضاً تدخن "السجارة ألف" التي كانت متاحة في ذلك الوقت.

فلم يكن الوالدان يرحمهما الله يأسدي الشيخ قدوة طيبة لصغارهم في أمر التدخين، ومع ذلك يأسدي الشيخ فقد علمني والدي بهذا الشأن درساً تربوياً مهماً وهو أنه وإن كانت القدوة مهمة لحسن التربية، إلا أن الأساليب التربوية الصحيحة يمكنها حتى في غيبة القدوة، أن تحمي الناشئة من كثير من الأمراض الاجتماعية، بل إنه إذا لم توجد الخبرة التربوية الجيدة، أو الوعي التربوي الجيد، فإننا نجد أن بعض أبناء الكبار من الأخيار لا يتشورون على شاكلة آباؤهم.

نَعَمْ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ؛ فَإِنَّ أَبِي لَوْ بَقِيَ يُدَخِّنُ "سَيْسِئْتَهُ" صَامِتًا فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنِّي كُنْتُ  
- بِمِثْلِ كَثِيرِينَ غَيْرِي - سَأَنْتَهزُ فُرْصَةً غَيْبَتِهِ لِأَجْلِمَنَ إِلَى مَقْعَدِهِ وَأَمْسِكُ بِـ "لِي" - أَيِ  
(خُرْطُومِ) - الشَّيْشَةِ بِكُلِّ مَا تَمَثَّلُهُ جَلْسَةُ "السَّيْسِئَةِ" يَا سَيِّدِي عِنْدَ الْمُتَمَهِّتِينَ الْجُهْلَاءِ  
مِنَ مَفَاهِيمِ وَجَاهَةِ الرَّجُولَةِ الرَّائِفَةِ.

وَلَكِنُ أَبِي - أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ - لَمْ يَجْلِمَنُ صَامِتًا، بَلْ كَانَ كَثِيرَ الشُّكُوى وَالتَّدْمُرِ أَمَامَ  
أَبْنَائِهِ مِنْ ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ جِيلَتِهِ، وَمِنْ تَمَكُّنِ الإِدْمَانِ مِنْهُ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَرْكَ  
التَّدخينِ، وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَاءِ أَنْ "يَتُوبَ" اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُنَجِّهَهُ مِنْ مَضَارِدِهِ.

وَلَا أُنْسَى - يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ - يَوْمًا كُنْتُ أَنْظِفُ لِوَالِدِي "سَيْسِئْتَهُ" بِـ "السَّيْخِ" الْحَبِيبِي  
فَاسْتَوْقَفَنِي وَقَالَ لِي: هَلْ تَرَى يَا بُنَيَّ هَذَا الْقَطْرَانَ الْأَسْوَدَ الَّذِي عَلَيَّ "السَّيْخِ"؟ قُلْتُ: نَعَمْ  
يَا أَبِي، قَالَ: مِثْلُ هَذَا الْقَطْرَانَ الْأَسْوَدِ يَا بُنَيَّ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ فِي صَدْرِي وَفِي ثَنَانِي رَنَّتِي.

لِذَلِكَ لَمْ أَكُنْ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ بِالْجَاهِلِ الْغَيْرِ الْأَحْمَقِ الَّذِي يَرَى أَبَاهُ يَتَدْمَرُ مِنْ أَمْرِ ضَارٍ  
وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَأَنْ يَرَى الْقَطْرَانَ الْأَسْوَدَ الَّذِي يُدَمِّرُ الرِّثَّةَ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ  
يَزْعَبُ فِي ارْتِكَابِ حَمَاقَةِ التَّدخينِ.

نَعَمْ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ، لَمْ أَدَخِّنْ، وَلَمْ يَخْطُرْ قَطُّ بِيَالِي أَنْ أَدَخِّنَ، وَلَا يُمَكِّنُ بِمِثْلِ هَذَا



الأب يحذر ابنه ويرشده مغبة التدخين والمسكرات والمخدرات

الأسلوب التربوي لأي ناسي عاقل أن يضر نفسه بالتدخين أو بأي شيء آخر ضار من المنكرات والمخدرات التي يستهين بها كثير من الشباب، ويتعون بالحفاقة والاستهتار في يرائيها.

قال الشيخ: عند ذلك أطرق الفتى بصره إلى الأرض برهة ثم رفع رأسه وقال لي: لم يكن ذلك هو الدرس الوحيد الذي علمني إياد أبي، بل هناك ياسيدي الشيخ درس قد يكون أهم وأشمل من ذلك.

لقد تعلمت من ذلك الدرس يا سيدي أن على الوالدين، وعلى المربين والمعلمين قبل سواهم، أنهم إذا أخطأوا في أمر أو تصرف أن يعترفوا بخطيئهم، ولا سيما للصغار ومن هم قلوبهم، وأن يعتذروا عن أخطائهم وإساءاتهم، لا أن يلودوا بالصمت عنها، أو أن يكابروا وينذروا الجهد لتبريرها، فذلك ياسيدي كما يقولون: "عذر أفيح من ذنب"، فلن يقف أثر أفعالهم على ما اقترفوا، بل سيكون ذلك درساً تزويئنا سيئاً لصغارهم ومن هم تحت مسئوليتهم وعهدهم، وسينذهب كثير من جهودهم التربوية وتوجيهاتهم لهؤلاء الصغار هباءً منثوراً.

لقد كانت تلك القصة والنماذج التي ذكرها لي ذلك الفتى النابه يا بيدبا مثالا حيا

على أهمية التربية الأسرية العلمية السليمة في توعية الأبناء وغرس قيم الأخلاقي وحسن  
المسئولية في أصل وعي الناشئة ووجدان الأجيال.

إن ما نرآه يا نيدبا في بعض البلاد من ضياع كثير من الشباب وسوء خلقهم وسلوكهم  
وطيش تصرفاتهم وضعف حسي المسؤولية في نفوسهم، وانغماسهم في الممارسات  
الضارة باستهتار وعدم مبالاة أو إدراك للعواقب الوخيمة التي تدمر نفوسهم وعقولهم  
وتدفعهم إلى ألوان من الأذى والجريمة، وتفشت مثل هذه التصرفات والجرائم كل ذلك  
دلائل على انحطاط التربية والثقافة والتعليم في تلك المجتمعات، وهي مؤشرات تؤذن  
بأوجم العواقب لهؤلاء الشباب وهذه المجتمعات، لما متبعانوته في حياتهم وفي  
مستقبلهم ومستقبل بلادهم وأهلهم من آفات وأزمات.

أرجو يا نيدبا أن تنذر جميع رفاقك وتلاميذك من الآباء والمعلمين ألا يقرطوا في أداء  
واجباتهم التربوية نحو أبنائهم وتلاميذهم؛ لأهمية ذلك لهم وللمستقبل أممهم وأوطانهم.  
يقول نيدبا: عند هذا الحد أطرق الشيخ الرخالة برأسه، وهو غارق في أفكاره وتأملاته  
وذكراته، ثم التفت إلي وقال: دعني أكرر عليك يا نيدبا، وعلى إخوانك وأخوانك ومن  
سيلحق بهم من تلاميذك وقراء أسفار حكمتك، أنه يجب على كل الشعوب والأمم وكل

فَادْتَمَّتْهَا وَالْمُصَلِّحِينَ فِيهَا أَنْ يَجْعَلُوا التَّرْبِيَةَ وَالتَّعْلِيمَ أَوْلَوِيَّةً فِي إِنْشَاقِهِمْ وَرِعَايَةِ شُئُونِ  
شُعُوبِهِمْ، وَلَيْسَ الْمُهْمُ أَنْ تَنْجَحَ جُهُودُهُمْ فَقَطْ فِي التَّعْلِيمِ وَتَزْوِيْدِ النَّاسِئَةِ بِشَيْءٍ مِنْ  
الْقُدْرَاتِ الْمُطْلُوِيَّةِ لِمَا يُسْمُوْنَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ "سَوْقِ الْعَمَلِ"، فَلَقَمَةُ الْعَيْشِ، وَقُدْرَةُ  
الْأَدَاءِ، وَتَمَسْخِيرِ الْمَوَارِدِ، أَمْرٌ مَهْمٌ وَضَرْوِيٌّ، وَلَكِنْ ذَلِكَ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي، وَلَا بُدَّ مَعَهُ مِنْ  
حُسْنِ التَّرْبِيَةِ وَسَلَامَةِ الْوَعْيِ وَإِخْلَاصِ الْأَدَاءِ، فَالْإِلْبَاطُ وَالْأَذْوَاتُ إِذَا لَمْ يُحْسَنْ  
اسْتِخْدَامُهَا، وَلَمْ يُعْتَنَ بِسَلَامَةِ غَايَاتِهَا، فَلَا بُدَّ لَهَا فِي بِنَايَةِ الْمَطَافِ مِنْ أَنْ تُضَرَّ أَصْحَابُهَا،  
وَتُنْقَلِبَ عَلَيْهِمْ نِقْمَةً وَأَذَاةً لِلشَّرِّ وَالتَّدْمِيرِ، وَبِوَسَائِلِ أَقْوَى وَأَسْرَعَ وَأَشَدُّ فِتْنَا، عَلَى مَا تَرَى  
فِي هَذَا الزَّمَانِ مِنَ التَّخَلُّلِ الْأَخْلَاقِي، وَالتَّفْكُكِ الْإِجْتِمَاعِي، وَالتَّيَّشَارِ الْخُرُوبِ وَالتَّصْرَاعَاتِ  
بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ، وَشِدَّةِ فِتْنِكَ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ أَذْوَاتِ الْخُرُوبِ وَالتَّقْتُلِ وَالتَّدْمِيرِ، وَمَا  
سَيَأْتِي سَيَكُونُ وَلَا زَيْبَ أَشَدُّ وَأَنْكَى.

بَلِّغْ يَا بِنْدَبَا خَالَ الشُّعُوبِ الَّتِي نَجَحْتَ فِي التَّعْلِيمِ، وَلَكِنَّهَا فَشِلْتَ فِي التَّرْبِيَةِ، وَأَسْوَأُ مِنْهَا  
بَلِّغْ الشُّعُوبَ الَّتِي فَشِلْتَ فِي التَّعْلِيمِ وَفِي التَّرْبِيَةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَلَكِنْ لَا يَصْعُبُ عَلَيْكَ يَا  
بِنْدَبَا أَنْ تُذَكِّرَ أَنَّ الْأُمَّةَ إِنْ هَدَتْ نَجَحَتْ فِي التَّعْلِيمِ أَوْ لَمْ تَنْجَحْ؛ فَإِنَّ قُدْرَاتِ شَيَئِهَا تَنْصَحُ  
بِسُهُولَةٍ فِي تَقْوُقِ إِمْكَانَاتِهِمْ وَقُدْرَاتِهِمْ الْإِبْدَاعِيَّةِ الْمُهْنِيَّةِ أَوْ تَدْنِيئِهَا، وَفِي ارْتِفَاعِ أَوْ انْخِفَاضِ

مَعَدَّلَاتِ اِنْتَا جِهِيْم، وَمَعْدَى تَدْنِي اَلْبَطَالَةِ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ.  
وَلَكِنْ اَلْأَهْمُّ وَالْأَدَقُّ هُوَ تَقْدِيرُ نَقَاءِ الثَّقَافَةِ وَنَجَاحِ التَّرْبِيَةِ، وَرَفِيَّ اَلْأَخْلَاقِ وَهَذَا كَمَا ذَكَرْتُ  
لَكَ تَلَمُّسُهُ فِي حُسْنِ سُلُوكِ شَبَابِهِمْ، وَمَعْدَى نَصِيحِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَبَدَلِيهِمْ وَحَيِّهِمْ لِخَيْرِ  
وَسُلُوكِهِمْ سُبُلَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَتَقْدِيرِهِمْ لِمَسْئُوْلِيَّةِ وَالْمَصْلَحَةِ الْعَامَةِ.

إِنِّي لَا أَدْرِي يَا بِنْدَبَا أَيُّ نَوْعٍ مِنَ التَّرْبِيَةِ لَدَيْ بِلِكَ الشُّعُوبِ الَّتِي يَقَعُ أَعْدَادُ كَبِيْرَةٌ مِنْ  
شَبَابِهَا قَرِيْبَةً الْمُكَيِّفَاتِ وَالْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخْبِرَاتِ الَّتِي لَمْ يَبْقَ ضَرَرُهَا، عِلْمًا وَعَقْلًا،  
خَافِيًا عَلَى أَحَدٍ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى قَدْرِ أَعْظَمٍ مِمَّا نَتَّصِرُ مِنْ الْجَهْلِ وَالْعَقْلَةِ وَأَعْدَامِ حِسِّ  
الْمَسْئُوْلِيَّةِ وَسُوءِ التَّرْبِيَةِ، وَلَيْسَ ضَرَرُ هَذِهِ السُّلُوكِيَّاتِ الْقَادِحِ حَسْبِيًّا فَقَطْ فِي كُلِّ  
أَعْضَاءِ الْجِسْمِ الْأَسَاسِيَّةِ، بَلْ فِي ذَلِكَ الدِّمَاغُ وَالْقَلْبُ وَالْكَبِدُ؛ بَلْ إِنَّ ضَرَرَهَا الْقَادِحِ  
الْأَخْطَرُ هُوَ مَا يَنْجُمُ عَنْهَا مِنْ تَدْمِيْرَاتٍ لَصِحَاحَاتِهَا فِي قَوَاهِمِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ  
وَالْإجْتِمَاعِيَّةِ وَالِدِيْنِيَّةِ، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ نَرَى مَا نَرَى، وَنَسْمَعُ مَا نَسْمَعُ، وَنَجِدُ أَنَّهُ يَغْلِبُ،  
يَسْتَبِغُ الإِهْمَالَ الْعِلْمِيَّ التَّرْتُوِيَّ وَالثَّقَافِيَّ، عَلَى الْكَثِيْرِ مِنَ الشَّبَابِ اَلْعِدَامِ الْوَعْيِ وَعَدَمِ  
تَقْدِيرِ الْمَسْئُوْلِيَّةِ؛ فَتَرَاهُمْ مُنْقَمِصِيْنَ فِي هَذِهِ الْمُهْلِكَاتِ الَّتِي تَدْمِرُ صِحَّتَهُمْ، وَتَقْضِيْ عَلَى  
زَهْرَةِ شَبَابِ شُعُوْبِهِمْ وَعِدَّةِ أُمَّتِهِمْ شَبَابِهِمْ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، وَقَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْعَادَةُ وَالْمَأْلُوفُ

وَضَعْفُ الْوَعْيِ وَسُوءُ التَّرْبِيَةِ، مِمَّا جَرَدَهُمْ مِنْ كُلِّ وَعْيٍ بِالتَّيْبُورِ، وَحِسَابِ الْغَوَاقِبِ، مِثْلَ  
 هَذَا يَا بَيْدَبَا لَا يَقَعُ وَلَا يَنْفَسِي بَيْنَ شَبَابِ أُمَّمٍ وَشُعُوبٍ بَدَلَتْ جُهُودَهَا، وَأَحْسَنْتْ أَدَاءَهَا فِي  
 شُؤُونِ الثَّقَافَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّوَعُّبِ، وَجَعَلَتْهَا أَوْلَوِيَّةً فِي تَلْمِيذَةِ أَجْيَالِهَا، وَرِعَايَةِ أَبْنَائِهَا وَبَنَاتِهَا.  
 إِنَّ مَرَضَ التَّدَخِينِ يَا بَيْدَبَا وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ التَّبْصَاقِ الْكَرْثُونِ الْأَسْوَدِ الْمُخْتَرِقِ  
 بِخَوْنِصَلَاتِ رِنَاتِ الشَّبَابِ الْمُتَدَخِّينِ، هُوَ، وَكُلُّ مَنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ فِي مِنْ أَمْرَاضِ  
 الْإِذْمَانِ عَلَى الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُكَيِّفَاتِ وَالْمُخَذَّرَاتِ، وَمَا تَجَرُّ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَمْرَاضُ الْعَقْلِيَّةُ  
 وَالْجَسَدِيَّةُ مِنْ أَمْرَاضِ عَصَبِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ مُدْمِرَةٍ، وَخَاصَّةً إِذَا بَلَغَتْ حَدَّ  
 الْإِذْمَانِ، فَإِنَّهَا تُصْبِحُ ذَمَارًا لِلْمُدْمِنِ وَقَلٌّ مَنْ يَنْجُو مِنْ تَذْمِيرِهِ عَقْلِيًّا وَدِمَاعِيًّا وَنَفْسِيًّا،  
 وَالْأَسْفَافِ فَإِنَّ أَثَرَ التَّدَخِينِ الْمُدْمِرِ لَا يَقِفُ عَلَى الْمُتَعَاظِي وَالْمُدْمِنِ، بَلْ يَمْتَدُّ أَثَرُهُ إِلَى مَنْ  
 حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَخْبَانِهِ نَفْسِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا بِمَا قَدْ يَصِلُ جَسَدِيًّا إِلَى الْإِعْتِدَاءِ الْإِجْرَامِيِّ  
 وَالْقَتْلِ بِحَقِيْقِهِمْ، وَفِي اللَّهِ يَا بَيْدَبَا أَبْنَاءَنَا مِنْ شَرِّ ذَلِكَ وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ، إِنَّهَا أَشْبَهُ مَا تَكُونُ  
 حَقِيقَةُ وَمَعْنَى بِالسُّحْبِ السَّوْدَاءِ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَوْتَ وَالْهَلَاكَ؛ بِمَا يَمْلَأُ الْجَوْفَ مِنْ  
 الصَّوَاعِقِ الْخَارِقَةِ الَّتِي تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ تَلَامِسُهُ، وَتُفْرَعُ فِي الْأَحْشَاءِ وَالْأَذْمِغَةِ صَوَاعِقَهَا وَكُلُّ  
 مَا تَحْمِلُهُ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ فِي الرَّأْسِ وَالرِّكْتَيْنِ وَالْأَحْشَاءِ، وَلَا وَقَايَةَ مِنْ هَذِهِ الصَّوَاعِقِ وَمِنْ





شُرورِهِ الْمُفَارِغَاتِ الْمُدَمَّرَةِ الْغَيْبَةِ السَّيِّئَةِ لِكُلِّ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَدِرَايَةٌ عَنْ مَهَالِكِهَا إِلَّا  
 بِالْحَذَرِ مِنْهَا، وَالْإِتِّعَادِ عَنْ مَجَالِسِهَا، وَتَجَنُّبِ كُلِّ صُحْبَةٍ أَوْ طَرِيقٍ يُؤَدِّي إِلَيْهَا.  
 إِنَّ الْأُمَّمَ وَالشُّعُوبَ الَّتِي لَمْ تُحْسِنْ تَرْبِيَةَ نَاسِئِهَا لَنْ تَنْفَعَهَا جُودَةُ التَّعْلِيمِ وَحَدَاثَةُ  
 إِهْمَالِ هَذِهِ الشُّعُوبِ فِي تَرْبِيَةِ نَاسِئِهَا وَتَوْعِيَّتِهِمْ سَيَعُودُ عَلَيْهِمْ بِأَعْيِ الْأَقَاتِ، وَبِأَفْذَحِ  
 الْخَسَائِرِ وَالْأَنْجِرَافَاتِ الْمِجْحِيَّةِ وَالْجَرَائِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ.

يَقُولُ بَيْدِيَا، وَهُوَ يَعُودُ بِذَاكِرَتِهِ إِلَى كُلِّ ذَلِكَ، وَإِلَى كُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ ابْنِ  
 بَطْلُوطَةَ مِنْ حَدِيثِ وَجْوَازٍ: لَقَدْ أَصَابَ الرَّخَالَةَ ابْنُ بَطْلُوطَةَ فِي كُلِّ مَا قَالَ، وَهُوَ مَا وَافَقَهُ  
 عَلَيْهِ أَيْضًا بَطْلُ قِصَّةِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةِ الثَّرَائِيَّةِ الرَّخَالَةَ الشَّهِيرُ سُنْدِبَادُ، الَّذِي يَذْكُرُ ابْنُ  
 بَطْلُوطَةَ أَنَّهُ أَيْضًا خَطَبَ قَبْلَ ذَلِكَ بِرِزَارَةِ جَزِيرَةِ الْبِنَائِيْنَ، وَأَنَّهُ يَتَّفِقُ مَعَهُ فِي الْإِعْجَابِ  
 بِنِظَامِ الْجَزِيرَةِ وَأَهْلِهَا، وَأَنَّ سِرَّ نَجَاحِ الْقَرْدِ وَنَجَاحِ الْأُمَّمِ إِنَّمَا يَكْمُنُ فِي نَوْعِيَّةِ الْقَرْدِ،  
 وَتَوْعِيَّةِ الْمُوَاطِنِ، وَأَنَّ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ تَنْتَلِعُ إِلَى مُسْتَقْبَلِ زَاهِرٍ يَسْعَدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ، وَبِعَرُ  
 الْمُوَاطِنِ، أَنْ تَنْظُرَ كَيْفَ تُرَبِّي أَوْلَادَهَا، وَأَنْ تَعْلَمَ آيَةَ رُؤْيِيَّةٍ كَوْنِيَّةٍ تُقَدِّمُهَا لَهُمْ، وَآيَةَ تَرْبِيَّةٍ  
 وَكِرَامِيَّةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ تَغْرِسُهَا فِي وَجْدَانِهِمْ، وَآيَةَ قُدْرَةٍ وَذَرِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تُوقِرُهَا لَهُمْ، وَآيَ  
 إِعْلَامٍ مُخْلِصٍ تَرْبِيَةَ يُبَصِّرُهُمْ بِحَالِ وَاقِعِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَآيَةَ مُؤَسَّسَاتٍ عَامَّةٍ تَرْغِي



مَصَالِحِهِمْ، وَأَيُّ دُسْتُورٍ وَأَيُّ قَوَائِمٍ تُقِيمُ الْعَدْلَ وَتُوفِّرُ التَّكَافُلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.  
 عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، قَالَ الْفِيلَسُوفُ بِيَدَيَا: بِهَذِهِ الْمُلَاحَظَاتِ الذَّكِيَّةِ التُّفَادَةِ انْتَهَى فِي ذَلِكَ  
 الْيَوْمِ حَدِيثُ الرَّحَّالَةِ الْعَظِيمِ ابْنِ بَطُّوطةَ عَنْ جَزِيرَةِ الْبِنَائِيْنَ، وَعَمَّا رَأَى فِيهَا مِنْ بَعْضِ  
 الْعَجَائِبِ وَالْعَبَرِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَتْرِكَ الْعَلَّامَةَ الْحَكِيمَ الرَّحَّالَةَ ابْنَ بَطُّوطةَ قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَهُ  
 عَنْ أَمْرٍ بِهِمْ لَمْ يُحَدِّثْنَا عَنْهُ، وَأَنْ نَسْمَعَ رَأْيَهُ فِيهِ، وَعَمَّا رَأَى بِشَأْنِهِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الرَّابِعَةَ.  
 قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْأَخُ الرَّحَّالَةُ الْحَكِيمُ؛ لَقَدْ حَدَّثْتَنَا حَدِيثًا شَيْقًا زَانِعًا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شُؤُونَ  
 جَزِيرَةِ الْبِنَائِيْنَ، وَمَا شَاهَدْتَهُ فِيهَا مِنْ آيَاتِ الْجَمَالِ وَالْإِعْمَارِ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تُحَدِّثْنَا عَنْ أَمْرَيْنِ  
 مُهِمَّيْنِ نُحِبُّ أَنْ نَسْمَعَ مِنْكَ عَنْهُمَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْبَدِيعَةِ.  
 قَالَ الشَّيْخُ الرَّحَّالَةُ ابْنُ بَطُّوطةَ: كَفَانَا يَا بِيَدَيَا مَا تَحَدَّثْنَا فِيهِ الْيَوْمَ عَنْ أَحْوَالِ وَادِي  
 جَزِيرَةِ الْبِنَائِيْنَ، وَعَنْ مُؤَسَّسَاتِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ، وَأَنْ مَصْنَدَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى عِتَائِيهِمْ  
 بِشُؤُونَ التَّرْبِيَةِ وَالِدَّعْوَةِ وَالتَّوَعُّبِ وَالْإِعْلَامِ، وَذَعُ مَا بَقِيَ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَى لِقَاءِ غَدٍ  
 لِاسْتِكْمَالِ مَا بِهِمْكُمْ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَلَنْ يَسْأَلَ فِيلَسُوفٌ حَكِيمٌ مُجَرَّبٌ مِثْلَكَ يَا بِيَدَيَا عَنْ أُمُورٍ  
 نَهْمُهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أُمُورًا خَطِيرَةً وَشُؤُونًَا عَظِيمَةً الْأَهْمِيَّةِ، فَدَعْنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا وَنَعْنُ فِي  
 خَالِ الْإِقْبَالِ وَالتَّنْمَاطِ غَدًا، بِإِذْنِ اللَّهِ .



الطير الطليق بغرد

## عِنْدَ الْفَجْرِ يَصْدَحُ الْبَلْبَلُ الطَّلِيْقُ

وفي اليوم التالي ما إن أخذ بيدنا ورفاقه مفاعدهم في مجلس الشيخ ابن بطوطة،  
بأذنه الشيخ -وهو يرشف كونا من خلاصة الزهور المفيدة القواحة في مودة ونشاشة-  
بسؤاله عن الأمرين اللذين يهمانه ويشغلان ياله ويال رفاقه من شؤون جزيرة البنائين  
وأهلها، والتي لم يحدثهم عنها من قبل.

قال الرحالة ابن بطوطة: وما هما هذان الأمران اللذان يشغلان بال حكيم فيلسوف  
مثلك يا بيدنا؟

قال بيدنا: الأمر الأول أيها الشيخ الجليل هو الحرثة، ولنبداً بها، فأنت أيها الشيخ لم  
تحدثنا عن الحرثات في تلك الجزيرة، وماذا كانت تعني عند هؤلاء القوم؟ وكيف كانوا  
يمارسونها؟ فالحرثة من أعوص المشكلات التي تحير الناس، والتي يعاني إشكالاتها كثير  
من الأنظمة الاجتماعية، ويتعبط في تلمس طريقها كثير من البلاد.

فمن البلاد على زماننا من يطلق الحرثة يا سيدي حتى تصبح أقرب إلى الفوضى  
وضياع المسؤوليات والأخلاق: فتتقطع الأوصار، وتتشوه الطنائع، وتباح الموبقات،  
ومن المجتمعات والبلدان من يضيق الخناق على المواطنين كأنهم صبيحة لا يفقهون

مَصَالِحِهِمْ، وَتَجِدُ قَلَّةً مِمَّنْ يُدْعَى "صَفْوَةَ الْقَوْمِ" مِمَّنْ بِيَدِهِمُ السُّلْطَةُ يُنْصَبُونَ أَنْفُسَهُمْ  
أَوْصِيَاءَ عَلَى كُلِّ النَّاسِ، وَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْتَقِمَ أَوْ يَنْطَلِقَ، إِلَّا بِمَا يَتَرَاعَى لَهُمْ، وَيَخْدُمُ  
مَصَالِحَهُمْ، وَيَأْذِنُ مِنْهُمْ.

فَكَيْفَ كَانَتِ الْحَالُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ؟ وَكَيْفَ كَانَ النَّاسُ وَالْمُوَاطِنُونَ يَتَصَرَّفُونَ فِي  
أَنْفُسِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَقَرَارَاتِهِمْ وَخِيَارَاتِهِمْ؟ وَهَلْ وَجَدُوا حَلًّا لِهَذِهِ الْمُعْضَلَةِ؟ وَكَيْفَ  
اسْتَطَاعُوا مُقَارَسَةَ حُرِّيَّتِهِمْ؟ وَكَيْفَ تَجَنَّبُوا فِي ذَاتِ الْوَقْتِ الْوُقُوعَ فِي ضَرَرِ الْفَوْضَى  
الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْخَالِصِ مِنْ شُرُورِ الْاسْتِيْذَادِ وَأَمْرَاضِهِ وَمَقَاسِدِهِ؟

نَوْدُ يَا سَيِّدِي أَنْ نَسْمَعَ مِنْكَ شَيْئًا مِمَّا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ عَنِ الْحُرِّيَّةِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، لَعَلَّنَا  
تَجِدُ فِيهَا ثَقُولُ بَعْضِ الدُّوَاءِ الَّذِي يُسْتَقِيمُ مَعَهُ أَمْرُ النَّاسِ فِي بِلَادِنَا، وَفِي كُلِّ الْبِلَادِ  
وَيَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِعْتِدَالُ وَصَلَاحُ الْحَالِ.

قَالَ بَيْدَبَا: نُظِرَ إِلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَطْلُوطةَ نَظْرَةً تَفَكُّرًا وَمَعَانٍ، وَقَالَ لِي: لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ أَمْرِ  
مُهِمٍّ يَا بَيْدَبَا، وَكَثِيرٌ مِنَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ فِي عَالَمِ الْبَشَرِ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَقْوِيمِهِ وَتَدْبِيرِهِ؛ حَتَّى  
يُحَافِظُوا عَلَى أَصْلِ حَقِّ الْحَيَاةِ وَمَعْنَاهَا، وَالغَايَةِ مِنْهَا، فَالْحَيَاةُ لَيْسَتْ عِبْنًا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ  
نُضَيِّعَهَا سُدًى؛ وَلِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُهْمُّ نَائِبًا عَنِ يَقِينِ وَاقْتِنَاعٍ؛ لِكَيْ يُحَقِّقَ

النَّاسُ تَوَازَنَ حَيَاتِهِمْ، وَيُرشِدُوا سُلُوكَهُمْ، وَيُصْبِحُوا كَمَا أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ مَخْلُوقَاتٍ سَعِيدَةً  
 صَالِحَةً خَيْرَةً؛ تُحَقِّقُ ذَاتَهَا، وَتُسْتَجِيبُ لِحَاجَاتِهَا، وَتُطَلِّقُ طَاقَاتِهَا وَإِنْدَاعَاتِهَا عَلَى هَذِهِ  
 الْأَرْضِ بِالْإِعْمَارِ الصَّالِحِ الْعَادِلِ؛ الَّذِي يُقِيمُونَهُ وَيُسَجِّرُونَهُ كَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ خَلَالًا وَمَقَاعًا  
 طَيِّبًا، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْقَبْرُ هُوَ مَعْنَى الْحَيَاةِ، وَمِيزَانُ الْحِسَابِ فِي فِرَازَةِ نَفْسِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ.  
 قَالَ بَيْدَبَا: قُلْتُ: نَعَمْ، صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْدَبَا. فَأَخْبَرْنَا عَمَّا وَجَدْتَ، وَمَاذَا رَأَيْتَ؟  
 قَالَ ابْنُ بَطْوَيْطَةَ مُجِيبًا بَيْدَبَا وَرِفَاقَهُ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْدَبَا أَنَّ مَثَلَ حَيَاتِنَا عَلَى  
 هَذِهِ الْأَرْضِ مَثَلُ حَيَاةِ عُمَّالِ الْوَرْدِيَّاتِ، الَّذِينَ تَأْتِي بِهِمْ إِلَى مَوْقِعِ الْعَمَلِ خَافِلَةٌ تَقِلُّ  
 الْعُمَّالَ لِيُؤدُّوا عَمَلَهُمُ الْمُنْتَجِ الَّذِي هُمْ مُؤَهَّلُونَ لِلْقِيَامِ بِهِ، وَفِي بِنَايَةِ وَرْدِيَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ  
 انْتَهَتْ "وَرْدِيَّتُهُ" تَقُومُ خَافِلَةٌ بِنَقْلِ الْعُمَّالِ الَّذِينَ تَنْتَظِرُهُمْ لِنَقْلِهِمْ إِلَى مَقَرَّاتِ سَكَنِهِمْ؛  
 حَيْثُ يَنَالُونَ أَجْرَهُمْ وَحِزَاءَهُمْ وَفَقَّ التَّضَارِيرِ عَمَّا قَدَّمُوهُ مِنْ عَمَلٍ وَأَدَاءٍ وَإِنْتِاجٍ، قَلِيلًا أَوْ  
 كَثِيرًا "إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ"، وَهَكَذَا يَسْتَمِرُّ الْعَمَلُ وَالْإِعْمَارُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى  
 تَعاقُبِ الْأَجْنَالِ، كَتَعاقُبِ الْوَرْدِيَّاتِ، لِتَوْفِيرِ حَاجَاتِهِمْ، وَأَدَاءِ الْعَمَلِ الْبِنَاءِ الْمَطْلُوبِ  
 مِنْهُمْ، وَلَهُمْ وَلِمَنْ مَعَهُمْ.



مَالِ الْحَيَاةِ: إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ

وَهَكَذَا يَا بَيْدَبَا؛ فَإِنَّ حَيَاةَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، بِحَاجَاتِهَا وَمُتَعِبَاتِهَا وَتَسْخِيرَاتِهَا وَإِبْدَاعَاتِهَا  
 وَمُعَانَاتِهَا، إِنَّمَا هِيَ حَيَاةٌ لَهَا غَايَةٌ إِعْمَارِيَّةٌ إِصْلَاحِيَّةٌ خَضَارِيَّةٌ أَخْلَاقِيَّةٌ، وَهِيَ حَيَاةٌ لِأَقْمَدِ  
 مُخَدَّدٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، نَعُودُ بَعْدَهُ إِلَى الْخَالِقِ لِيُقَدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَشْفَ حِسَابٍ وَتَقْرِيرًا  
 عَنْ حَصِيلَةِ عَمَلِهِ، وَكَيْفِيَّةِ أَذَاهِ أَمَانَةِ الْخَلَاقَةِ وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ  
 لِلْحَيَاةِ مَقْصِدٌ وَغَايَةٌ، وَأَنَّ هَذِهِ الْغَايَةَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ خَيْرًا، وَهَذَا مَعْنَى تَعَاقُبِ الْأَفْرَادِ  
 وَالْأَجْيَالِ، فَهُمْ لِبِنَاتٍ تَتْرَى تَتَابَعِ عَلَى مَذَى بَقَاءِ الْأَرْضِ، وَتَسْخِرُ خَيْرَاتِهَا وَمَوَارِدَهَا، بِمِيزَانِ  
 الْعَمَلِ وَالْإِتْقَانِ وَالْإِبْدَاعِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ وَتَعَاقُبِ الْأَجْيَالِ أَنْ يَكُونَ  
 خَيْرًا الْأَمَانَةِ وَأَذَاءِ الْأَسْتِخْلَافِ الصَّحِيحِ هُوَ إِعْمَارُ الْأَرْضِ إِعْمَارًا يَدْبِغًا خَيْرًا عَلَى شَاكِلَةِ  
 عُمُرَانِ الْكَوْنِ، فِي جَمَالِهِ وَإِبْدَاعِهِ بِاتِّجَاهِ الْخَيْرِ فِي التَّكَامُلِ وَالتَّوَاتُؤِ وَالْإِعْتِدَالِ؛  
 لِتَوْفِيرِ حَاجَاتِ الْإِنْسَانِ، وَتَجْسِيدِ الْمَعَانِي وَالْقِيَمِ الْخَيْرَةِ، عَلَى أَسَاسِ مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ  
 وَالتَّكَامُلِ وَالتَّكَاوُلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ عَلَى الْأَرْضِ، وَلِيُكَبِّحَ الشَّرَّ وَكُلُّ مَا يَسْتَتْبِغُهُ هَذَا  
 الشَّرُّ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى التُّظَالِمِ، وَالْعُدْوَانِ وَضِيَاعِ الْحُقُوقِ،  
 وَهَذَرِ الْمَسْئُورِيَّاتِ، وَاتِّهَاكِ الْخُرْمَاتِ.



الْأَثَرِ مَعِي يَا بَيْدَنَا أَنْ مَعْنَى الْحَضَارَةِ وَالْعُمُرَانِ، وَمَعْنَى الْإِسْتِخْلَافِ وَالْتَسَجِيرِ إِنَّمَا  
 يَتَجَمُّدُ فِيهَا حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ، وَمَا يَزَالُ يُحَقِّقُهُ، فِي بِنَاءِ الْحَضَارَةِ عَلَى الْفَرْضِ؛ مِنْ عِلْمٍ  
 وَمَعْرِفَةٍ وَإِبْدَاعٍ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْمَنَافِعِ لِلنَّاسِ أَنْ يَطْلَعُوا فِي سَاعَاتٍ مَا كَانُوا يَقْطَعُونَهُ فِي  
 شَهْرٍ وَسِتِّينَ؟ أَوَلَيْسَ مِنَ الْمَنَافِعِ لِلنَّاسِ وَالْخَلَائِقِ مُكَافَحَةُ أَمْرَاضٍ كَانَتْ تَقْضِي عَلَى  
 الْأَلُوفِ الْكَثِيرَةِ، بَلِ الْمَلَائِكِ الْكَثِيرَةِ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِبْدَاعِ أَنْ يُعَانَ الْبَشَرُ عَلَى  
 اسْتِنْبَاتِ الْأَرْضِ بِمَا يُغْنِي الْبَشَرَ وَيُطْعِمُهُمْ وَيُدْفِعُ الْجُوعَ وَالْعُوزَ وَالْمَهَانَةَ عَنْهُمْ.

وَالْعَقْلُ وَالْعِلْمُ الْقَصْدُ مِنْهُمَا هُوَ اسْتِخْدَامُهُمَا فِي تَعْيِيدِ النَّفُوسِ لِلْخَيْرِ وَالْمَعْنَى بِالْعَمَلِ  
 الصَّالِحِ النَّافِعِ الَّذِي يُسَجِّرُ الْمَنَافِعَ وَيُنَبِّئُهَا لِلْآخِرِينَ؛ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ لِلْعَامِلِ الْخَيْرِ  
 وَالنَّفْعِ، وَالْمَتَاعِ الْمَادِيِّ فِي الْعَاجِلِ، وَالْأَجْرَ الرُّوحِيَّ الْأَعْظَمَ فِي الْآجِلِ؛ وَذَلِكَ جِبْنَ تَنْتَهِي بِهَا  
 بَيْدَنَا مَدَّةَ حَيَاتِنَا، وَأَجَلَ وُجُودِنَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، وَجِبْنَ تَقْدِيمِ كَشْفِ جَمَابِلَاتِنَا وَتَقَارِيرِ  
 أَعْمَالِنَا عَمَّا تَمَّ عَلَى أَيْدِينَا مِنْ أَعْمَالٍ وَإِنجَازَاتٍ وَجِبْنَ تَقْدِيمِ -كَمَا هُوَ خَالٌ كُلِّ عَامِلٍ فِي نَهَابَةِ  
 "وَرَدِيَّةِ" الْعَمَلِ- نَعْلَمُ أَنَّنَا أَحْسَنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؛ بِتَسْجِيرِهَا وَأَعْمَارِهَا لِتَكُونَ مَنَافِعَ  
 لِلنَّاسِ وَالْخَلَائِقِ، عَلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَسَخَّرَ لَهُ الْكُونُ.

يا بَيْدَبَا! لا قِيَمَةَ لِلْمَادَّةِ إِذَا لَمْ تُجَبِّدْ مَفْهُومًا وَقِيَمَةً أَخْلَاقِيَّةً إِعْغَارِيَّةً. وَلَا وُجُودَ لِأَيَّةِ قِيَمَةٍ أَوْ مَفْهُومٍ أَخْلَاقِيٍّ إِعْغَارِيٍّ حَضَارِيٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْمَفْهُومِ شَكْلٌ مَادِّيٌّ نَافِعٌ. وَلَوْ بِالْكَلِمَةِ الْجَلِيَّةِ.

قَالَ بَيْدَبَا: قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ. قَالَ الشَّيْخُ الرَّخَالَةُ: لَقَدْ وَجَدْتُ يَا بَيْدَبَا أَبْنَاءَ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ قَدْ أَدْرَكُوا الْمَعْنَى الصَّحِيحَ لِلْحَيَاةِ، وَالْمَعْنَى الصَّحِيحَ لِلْحُرِّيَّةِ فِي مُجْتَمَعِهِمْ، وَفِي الْأَسَالِيبِ الَّتِي رَبُّوا عَلَيْهَا صِبْغَارَهُمْ، وَعَوَّدُوهُمْ مُمَارَسَتَهَا، وَحَقَّقُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِهَا الْخَيْرَ الَّذِي وَهَبَ اللَّهُ الْعُقُولَ لِتَحْقِيقِهِ لِشُعُوبِهِمْ، وَلَوْ لَا حُسْنَ اسْتِخْدَامِ الْعُقُولِ وَحُسْنَ اسْتِخْدَامِ الْحُرِّيَّةِ مَا أَمَكْتَهُمْ يَا بَيْدَبَا أَنْ يُقِيمُوا الْحَضَارَةَ وَالْعُمُرَانَ الْخَيْرِيَّ فِي عَالَمِهِمْ، وَحَقَّقُوا بِهِ قِيَمَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْتَّكَامُلِ وَالسَّلَامِ فِي بِلَادِهِمْ وَبَيْنَ مُوَاطِنِهِمْ، وَقَوْلٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ يَا بَيْدَبَا، وَفِيهَا نَعْدُ هَذِهِ الْحَيَاةِ، لِمَنْ يُلْغِي الْعَقْلَ، وَيَكْبِتُ الْحُرِّيَّةَ، وَيَتَمَثَّلُ الْإِبْدَاعَ، وَيَسْعَى بِالظُّلْمِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَالْفُسَادِ فِي حَقِّ قَوْمِهِ أَوْ فِي حَقِّ سِوَاهُمْ مِنْ شُعُوبِ الْبَشَرِ. قَالَ بَيْدَبَا: وَلَكِنْ هُنَاكَ بَعْضٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ: إِنَّ سُلُوكَ الْبَشَرِ أَمْرٌ مَوْزُونٌ، وَيُنْبَرِّزُونَ بِذَلِكَ سُوءَ الْفِعَالِ وَزَيْدَةَ الْجِصَالِ، فَهَيْدَمُرُونَ مَعْنَى الْإِنْسَانِ وَمَعْنَى الْحَيَاةِ، لِيُصْبِحَ

الإنسانَ واحداً مِنَ العَجَمَاوَاتِ؛ لَا حُرِيَّةَ وَلَا خِيَارَ وَلَا مَسْئُولِيَّةَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ الشَّرَّ  
وَالجَرِيْمَةَ، وَكَذَلِكَ الخَيْرَ وَالإِحْسَانَ، صِفَاتٌ وَرِثَائِيَّةٌ، وَمُؤَرَّثَاتٌ أَرْثِيَّةٌ.

رَفَعَ الشَّيْخُ حَاجِبِيَه ائِدِهَاشَا وَقَالَ: عَجَبَا يَا بَيْدِيَا؛ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَ أَحَدًا: إِنَّ  
اِخْتِلَافَ أُمْرِجَةِ الأَفْرَادِ وَتَفَاوُتَ طَاقَاتِهِمْ وَقُدْرَاتِهِمْ يَعْنِي سُلُوكًا خَيْرًا أَوْ شَرِّيرًا؟ إِنَّ  
الإِخْتِلَافَ فِي الأُمْرِجَةِ وَالْقُدْرَاتِ أَسَاسًا أَمْرٌ خَيْرٌ؛ فَهُوَ الَّذِي يَبْنِي الحَيَاةَ، وَبِهِ تَتَكَامَلُ  
الْمُيُولُ وَالْقُدْرَاتُ بَيْنَ البَشَرِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ هُوَ هَادِي الطَّبَعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدُ الطَّاقَةِ  
وَالْحَرَكَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ رَقِيقُ الإِحْسَاسِ المَثْبُتِ، وَمِنْهُمْ العَمَلِيُّ المُنْدَفِعُ، فَهَذِهِ الأُمْرِجَةُ  
مُيُولٌ وَتَوَجُّهَاتٌ، فَمِنَ البَشَرِ الذَّكِيُّ وَالذَّكِيُّ وَالْقَوِيُّ وَالْأَقْوَى وَالْعَاجِزُ المَحْرُومُ وَهَمُ بِذَلِكَ  
قُدْرَاتٌ وَطَاقَاتٌ تَتَكَامَلُ لِبِنَاءِ الحَيَاةِ، وَكُلُّ مِزَاجٍ وَصِفَةٍ وَقُدْرَةٍ وَطَاقَةٍ فِطْرِيَّةٌ خَيْرَةٌ فِي  
ذَاتِهَا، وَنُيْمَكِنُ أَنْ تُوجَّهَ بِفِعْلِ التَّرْبِيَةِ وَالإِزَادَةِ إِلَى الخَيْرِ أَوْ إِلَى الشَّرِّ، لِلبِنَاءِ أَوْ لِتَهْدِيمِ، وَهَذَا  
هُوَ مَعْنَى إِنْسَانِيَّةِ الإنسانِ وَتَكَامُلِ وَجُودِهِ، وَهُوَ مَعْنَى خِيَارِ إِرَادَتِهِ وَمَسْئُولِيَّةِ أَدَائِهِ، وَذَوْنُ  
هَذَا التَّنَوُّعِ يَا بَيْدِيَا فِي الأُمْرِجَةِ وَالْقُدْرَاتِ لَا تَقُومُ الحَيَاةُ وَلَا يَبْنِي العُمْرَانُ.

وَلِهَذَا يَا بَيْدِيَا فَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّهْدِيْبِ وَالتَّرْشِيْدِ لَهَا الدَّوْرُ الأَعْظَمُ فِي إِعْدَادِ  
الصَّغِيرِ لِمَعْرِفَةِ سُبُلِ الخَيْرِ وَالبِنَاءِ، وَتَحْبِيْبِهِ عَنَاءِ الإِنجِرَافَاتِ وَتَدْمِجِ التَّجَارِبِ الخَاطِلَةِ،

وَتَكُونُ لِلْمَرْبِيِّ نَصيبُهُ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ أخطَاءِ مَنْ قامَ بِتَرْبِيَّتِهِ، وَأَسْهُمْ فِي تَضَلُّلِ إِرَادَتِهِ وَسُوءِ خِيَارَاتِهِ، وَيَبْقَى لِلْفَرْدِ قَبْلَ كُلِّ ذَلِكَ، وَيَعُدُّ كُلَّ ذَلِكَ، مَسْئُولِيَّتَهُ الْأَخْلَاقِيَّةَ فِي حُدُودِ قُدْرَاتِهِ وَأَثَارِ تَرْبِيَّتِهِ وَمَعَارِفِهِ وَاقْتِنَاعَاتِهِ وَتَوَجُّهِ إِرَادَتِهِ، فَالْمَسْئُولِيَّةُ عَمَّا هُوَ فِي حُدُودِ الطَّاقَةِ وَتَوَجُّهِ الإِرَادَةِ لَا تَسْقُطُ بِأَيِّ ادِّعَاءٍ كَامِنٍ مَوْهُومٍ فِي أَصْلِ صِفَاتِ الْخَلْقِ وَالْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ الْمُسْتَخْلَفِ وَالْحَيَوَانَ الْأَعْجَمِ، وَالَّذِي يَبْنِي الْحَيَاةَ وَيُحَقِّقُ مَعْنَى الْوُجُودِ وَالْمَسْئُولِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ يَا بَيْدَبَا.

إِنَّ مِنَ الْمُهَيْمِ يَا بَيْدَبَا أَنْ تُدْرِكَ وَإِخْوَانَكَ أَنَّ الْحُرِّيَّةَ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ أَهْلِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَالْوَادِي تَعْنِي الْفَوْضَى وَالْإِنْفِلَاتِ وَالْبَهَاغِ الضُّلَّالَاتِ وَطِينِ التَّرْوَابِ؛ الَّتِي يَسُودُ مَعْنَاهَا قَانُونُ الْعَابِ بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ؛ فَتَضْبِيعُ الْحُقُوقِ، وَتُهْدِيرُ الْكِرَامَاتِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ، وَتَقْضُ الضَّرْرَ وَالْمُظَالِمَ بِالنَّفُوسِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، بَعْضُهُ يَتَحَقَّقُ فِي عَاجِلِ الْأَمْرِ، وَبَعْضُهُ يَتَحَقَّقُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَجْيَالِ.

لَمْ تَكُنْ مَعْنَى الْحَيَاةِ يَا بَيْدَبَا وَمَعْنَى الْحُرِّيَّةِ عِنْدَ مُوَاطِنِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ هُوَ حَقٌّ فِعْلِي الْخَطَأَ، وَالتَّرْوِيجَ لِإِرْتِكَابِ الْمُفْسِدَاتِ وَالْإِنْجِرَافَاتِ، وَالْوُقُوفَ فِي الْمَوْبِقَاتِ، فَهَيْدِهِ فِي

شريعتهم وعرفهم ليست حُرَّة، ولكنها قُصُورٌ وقُوضيٌّ وخِمْافَةٌ وتَخْلُفٌ؛ لِأَنَّ الحُرِّيَّةَ عندهم هي جوهرُ أمانةِ الحَيَاةِ وَالْعَقْلِ وَغَايَتُهُمَا، وَهِيَ حَقٌّ مُقَدَّسٌ؛ لِذَلِكَ فَهِيَ عَلَى عَكْسِ الْمَفْهُومِ الضَّالِّ الْقَاسِدِ لِلْحُرِّيَّةِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى التَّخَلُّلِ وَالتَّفْسِيخِ وَالْفَوْضُوتِ، وَإِشَاعَةِ الْفَوَاحِشِ وَتَرْوِيجِ بَضَائِعِ الرَّذِيلَةِ، فَذَلِكَ مِنْ مَفَاهِيمِ الْمُتَخَطِّطِ الْعَلِيِّ مِنَ الْخَبْرَانَاتِ الضَّالَّةِ الَّتِي لَيْسَ لِحَيَاتِهَا مَعْنَى نَبِيلٌ، وَلَا غَايَةٌ سَامِيَةٌ، وَتَنْطَلِقُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ عَدَمِيَّةٍ مَادِّيَّةٍ يَحْتَدِي، لَا تُدْرِكُ فِي آخِرِ الْمَطَافِ إِلَّا مَا تَلَمَّسُهُ خَوَاشِئُهَا، وَمَا تُفْلِيهِ عَلَيْهَا نَزْوَاتُهَا، مِنْ دُونِ مُوجِّهِ مِنْ فِطْرَةِ سُورِيَّةٍ أَوْ مِنْ قِيَمِ أَوْضُمِيرٍ أَوْ ضَبَاطِ أَخْلَاقِيَّةٍ، أَوْ حَسَنِ حَمَلِ الْأَمَانَةِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ، وَالتَّارِيخُ يَا بِنْدَنَا مَلِيَّةٌ بِالْعِظَابِ وَالْعَيْرِ، وَالْأَمْرُ أَمْرٌ وَهَبْ لَا غَيْرَ لَكِي يَلْحَقَ مَنْ يَضِلُّ الطَّرِيقَ مِنَ الْأُمَّمِ بِمَنْ سَبَقَ مِنَ الْعَاوِينَ الضَّالِّينَ الْهَالِكِينَ.

إِنَّ الحُرِّيَّةَ عِنْدَ أَصْحَابِ الْفِطْرَةِ السُّورِيَّةِ وَالْعُقُولِ وَالضَّمَانِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّاقِيَةِ يَا بِنْدَنَا؛ لَيْسَتْ حَقٌّ ارْتِكَابِ الضَّرْرِ وَالْمَقَاسِدِ، وَتَنْشِيرِ الدَّنَائَاتِ وَالْمُوبِقَاتِ، بَلِ الحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ هِيَ حَقٌّ إِشَاعَةِ الْخَيْرِ، وَدَعْوَةُ الْإِصْلَاحِ، وَفِعْلُ الصُّوَابِ، وَحِفْظُ الْحُقُوقِ، وَحَمَلِ الْمَسْئُولِيَّاتِ، وَتَنْشِيرِ قِيَمِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّكَاوُلِ، وَالتَّنَاصُحِ بِكُلِّ مَا يَعُدُّهُ جُمهُورُ الْأُمَّةِ وَسُورِي الْمُجْتَمَعِ مَعْرُوفًا وَخَيْرًا وَإِصْلَاحًا، وَتَجَنُّبِ كُلِّ مَا يَعُدُّهُ جُمهُورُ الْأُمَّةِ وَسُورِي الْمُجْتَمَعِ سُوءًا أَوْ مُتَكْرَمًا وَشَرًّا وَظُلْمًا وَتَغْيًا وَغَدُوانًا.

نَظَرَ بَيْنِيَا إِلَى الشَّيْخِ وَكَأَنَّهُ يَفِيقُ مِنْ سُبَاتٍ غَمِيقٍ ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَوَعُ مَا سَمِعْتُ مِنْكَ أَيُّهَا  
الشَّيْخُ الْجَلِيلُ عَنْ حِكْمَةِ مَا هُوَ مُشَاهِدٌ فِي أَصْلِ خَلْقِ الْبَشَرِ إِيذَاعِ الْخَالِقِ فِي تَنْوَعِ  
قُدْرَاتِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ وَالْوَأْنِمْ وَسِمَاتِهِمْ، وَغَمُّ أُمَّهُمْ سَأَلَةٌ وَنَسْلٌ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ إِنِّي أَشَارِكُكَ الرَّأْيِي فِي جَمَالِ هَذَا التَّنَوُّعِ وَحِكْمَةِ هَذَا التَّفَاوُتِ  
الَّذِي تَتَكَامَلُ بِهِ الْقُدْرَاتُ الَّتِي تَبْنِي الْحَيَاةَ مِنْ جَانِبٍ وَتُضْفِي عَلَيْهَا جَمَالَ التَّنَوُّعِ مِنْ  
جَانِبٍ آخَرَ، كَالزُّهُرِ لَوْلَا تَنَوُّعُهُ شَكْلًا وَلَوْنَا وَحَجْمًا وَلَوْ كَانَ عَلَى هَيْئَةٍ أَحْمَلُ زَهْرَةً لِأَصْبَحَ  
ذَلِكَ الزُّهُرُ الْجَمِيلُ جِينْتِيذٌ مِمَّا تُعْتَوِرُهُ الْأَعْيُنُ وَلَا تَزِيدُ كَثْرَتُهُ النُّفُوسَ إِلَّا ضَيْقًا وَمَلَالًا.

وَزَغَمٌ كُلِّ مَا ذَكَرْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ فَإِنَّ هُنَاكَ مِنْ بَعْضِ الْبَشَرِ يَجْعَلُ هُنَاكَ جَانِبًا  
مَنْبِيًّا لِتَنَوُّعِ فِطْرَةِ الْخَلْقِ فِي قُدْرَاتِ الْبَشَرِ وَتَنَوُّعِهِ، يُشَاهِدُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ، لِأَنَّهُمْ  
يَجْعَلُونَ تَفَاوُتَ الْقُدْرَاتِ وَتَنَوُّعَ السِّمَاتِ بَيْنَ ذَكِيٍّ وَأَذَكِيٍّ وَأَقْلَبَ ذِكَاةً، وَبَيْنَ قَوِيٍّ وَأَقْوَى  
وَأَقْلَبَ قُوَّةً وَضَعِيفٍ وَمُعَاقٍ، وَبَيْنَ أَحْمَرَ وَأَبْيَضَ، وَبَيْنَ أَسْوَدَ وَقَمْحِيٍّ وَأَصْفَرَ هُوَ الْمَدْخَلُ  
وَالْمُبَرِّزُ إِلَى عِلَاقَاتِ التُّعَالِيِّ وَالغَطْرَسَةِ وَالْإِذْلَالِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ وَمَا قَنَّتْهَا إِلَيْهِ تِلْكَ  
الْمُجْتَمَعَاتُ مِنْ امْتِنَانٍ وَظَلَمٍ وَفَسَادٍ، وَأَهَذَا لِمَقْصُومِ كِرَامَةِ الْإِنْسَانِ، كُلِّ الْإِنْسَانِ.

فَكَيْفَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ أَنْ تَكُونَ الْفِطْرَةَ الْخَيْرَةَ مَدْخَلًا وَأَسَاسًا لِلْفَسَادِ وَالظُّطَالِمِ وَالشَّرِّ.

مِنَ الْمُبْرَجِ لِلنَّفْسِ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ أَنَّنَا بِالْفِعْلِ لَا نَرَى فِي سُلُوكِ أَهْلِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ رَغْمَ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ تَفَاوُتٍ وَتَنَوُّعٍ مِثْلَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ مُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِ أَيُّ أَثَرِ سُلُوبِي زَيْدٍ مِمَّا ذَكَرْتَاهُ عَنْ تِلْكَ الْمُجْتَمَعَاتِ وَالشُّعُوبِ فَلَا دَلَّ وَلَا امْتِهَانَ وَلَا قَهْرَ وَلَا غَطْرَمَةَ وَلَا اسْتِبْدَادَ وَلَا فِسَادَ.

ابْتَسِمَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ وَقَالَ: هَوْنٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْقَيْلَسُوفُ.

إِنَّ مَا أَنْخَذَرْتُ إِلَيْهِ هَذِهِ الشُّعُوبُ الْبَائِسَةُ يَا بَيْدَبَا مِنْ ذَلٍّ وَقَهْرٍ وَظَلَمٍ وَاسْتِبْدَادٍ وَفِسَادٍ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الْجَهْلِ وَالْجَهَالَةِ وَفِسَادِ الْفِكْرِ وَانْجِرَافِهِ لِأَيُّهَا شُعُوبٌ لَمْ تُدْرِكْ أَوْلَمَ يَقْصِدُ لَهَا أَنْ تُدْرِكَ، أَوْلَمَ يُرَدُّ لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْمَعْنَى الْكَامِلَ لِأَبْعَادِ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيَّ وَالْفِطْرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ الرَّوْحِيَّةَ السَّامِيَّةَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

فَالْخَلْقُ الْإِنْسَانِيَّ يَا بَيْدَبَا فِي أَصْلِهِ هُوَ إِتْمٌ إِخْوَةٌ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، لِيَحْتَمِلُوا مَسْئُولِيَّةَ إِقَامَةِ الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقَتْ لَهُمْ لِيُؤَقِّرُوا بِتَكَامُلِهِمْ خَاجَاتِ حَيَاتِهِمْ. وَإِذَا كَانَتْ مَسْئُولِيَّةُ التَّصَرُّفِ يَا بَيْدَبَا تُوجِبُ الْحُرِّيَّةَ. فَإِنَّ أَحْوَةَ الْأَصْلِي وَالْخَلْقِ تُحْتَمِمْ حَقُّ الْكِرَامَةِ يَا بَيْدَبَا بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ، فَهَمَّا تَفَاوُتَتْ الْقُدْرَاتُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَمَسُّ بِكَرَامَةِ أَيِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ يَسْتَوِي فِي أَمْرِهَا الْجَمِيعُ أَيَّا كَانَ، الذَّكَرُ وَالْأُنثَى وَالْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ

وَالرَّيْسُ وَالْمَرْؤُوسُ وَالْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي وَالْخَادِمُ وَالْمُخْدُومُ.  
 كَمَا أَنَّ حَقَّ الْكِرَامَةِ وَالْإِحَاءِ فِي أَصْلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ الْمُسْتَخْلَفِ وَمَا سُجِّرَ لَهُ إِنَّمَا هُوَ  
 لِيُؤَفِّرَ خَاجَاتِهِ بِتَكَامُلِ الطُّدْرَاتِ وَهُوَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ يُحْتَمُّ وَاجِبُ التَّكَافُلِ، كِفَالَةٌ كُلِّ  
 عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَكُلٌّ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِهِ، فَلَا يَمْتَجِدِي أَحَدٌ وَلَا تَمْتَدُّ يَدُهُ  
 بِالسُّؤَالِ مَهْمَا كَانَتْ خَاجَتُهُ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنِ وَعِينَايَةٍ وَرِعَايَةٍ.  
 وَإِنَّ مَنْ نَشَأَ يَا بَيْدَبَا عَلَى جَمْعِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَحَقِّ الْحُرِّيَّةِ وَعِزَّةِ الْكِرَامَةِ فَلَنْ يَطْلُبَ وَهُوَ  
 قَادِرٌ عَلَى الْعَطَاءِ، وَلَنْ يَسْتَجِدِي وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْعَمَلِ، وَلَنْ يَبْتَغِي بِالْعَوْنِ لِلْمُحْتَاجِ وَهُوَ  
 قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَلَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي مَوْضِعِ الْمُرْزِيَّةِ فَمَا ذَلِكَ مِنْ سِيَمَةٍ مِنْ نَشَأَ عَلَى قِيَمِ الْعِزَّةِ  
 وَالْكَرَامَةِ، وَجَمْعِ الْمَسْئُولِيَّةِ.  
 إِنَّ مَا وَقَعَتْ فِيهِ تِلْكَ الشُّعُوبُ الْبَائِسَةُ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ تَخْلِيضِ الْفِكْرِ وَخَطَلِ الرَّأْيِ  
 وَانْجِطَاطِ الْقِيَمِ وَتَسْوِئِ الثَّقَافَةِ وَسُوءِ التَّرْبِيَةِ.  
 قَالَ بَيْدَبَا نَعَمْ لَقَدْ أَجْفَلْتُ وَأَكْفَلْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، وَلَكِنْ هَلْ هَذَا يَعْني أَنَّ مَنْ  
 يُخْطِئُ أَوْ يُذَيِّبُ لَا يُعَاقَبُ لِأَنَّ ذَلِكَ فِيهِ مَسَاسٌ بِكَرَامَةِ الْمُعَاقَبِ.



نظَرَ الشَّيْخُ إِلَى بَيْدَتَا نَظْرَةً نَسْأُولُ وَتَعْجِبُ وَقَالَ: مَا أَظُنُّكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ جَادًا فِي سُؤَالِكَ، لِأَنَّكَ خَيْرٌ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْعِقَابَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِحَقِّ الْجَمِيعِ يَتَسَاوَى فِيهِ الْمُذْنِبُونَ دُونَ تَفْرِيقِهِ بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَبَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ وَوَفْقَ قَوَاعِدِ وَقَوَائِمِ عِقَابٍ تَهْدِفُ لِلْإِصْلَاحِ وَالرِّدْعِ وَذَرِيَةِ الْقَسَادِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يُعْنِي أَوْ يُقْصِدُ بِهِ مَسٌّ كَرَامَةِ الْمُذْنِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَنْ يَقْسُ فِي مَوْجِعِ الْعِقَابِ، وَمَا فِي وَرَاءِ الْعِقَابِ كَرَامَةَ الْمُذْنِبِ، فَهُوَ مُذْنِبٌ وَأَهْلٌ لِلتَّأْدِيبِ وَالْعِقَابِ. ابْتَسَمَ بَيْدَتَا ابْتِسَامَةً مَنْ يَقْصِدُ إِلَى مَزِيدٍ مِنْ امْتِنَانَةِ الشَّيْخِ طَلِبًا لِمَزِيدِ حِكْمَةِ الشَّيْخِ وَخَيْرَاتِهِ وَيَأْسَلُوبِهِ الْمُفْتَعِ الْمُقْنِعِ وَقَالَ هَلْ مَا لَمَسْنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ مِنْ إِذْرَاكِ أَيْتَاءِ الْجَزِيرَةِ لِمَعَانِي الْحُرِّيَّةِ وَالْتِفَاؤِ وَالْكَرَامَةِ وَالتَّكَاوُلِ يَعْنِي أَنَّ مُجْتَمَعَ الْجَزِيرَةِ وَأَيْتَاءَ الْوَادِي مِنَ السَّلَامِيَّةِ مَبْرُؤُونَ مِنْ اِرْتِكَابِ الْأَخْطَاءِ، وَالْوُقُوعِ فِي الرِّذَالِ وَالْمُوبِقَاتِ، يَا شَيْخَنَا الْجَلِيلِ؟

قَالَ بَيْدَتَا: نَظَرَ إِلَى الشَّيْخِ الرَّحَالَةَ نَظْرَةً لَوِّمٍ وَعَتَبٍ، وَقَالَ: أَنْتَ أَحْكَمُ مِنْ هَذَا أَيُّهَا الْقَيْنَسُوفُ بَيْدَتَا! فَلَيْسَ هُنَاكَ مُجْتَمَعٌ أَوْ مَخْلُوقٌ مَعْصُومٌ عَنِ الْخَطَا وَالْوُقُوعِ فِي الْمُوبِقَاتِ وَالرِّذَالِ إِلَّا مَنْ عَصَبَهُ رَبُّكَ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَلَا يُقَامُ -أَصْلَحَكَ اللَّهُ- عَلَيْهِمْ، فَالْوُقُوعُ فِي الْأَخْطَاءِ وَالرِّذَالِ وَالْمَقَاسِدِ وَالْمُوبِقَاتِ مِنْ دُونِ قَصْدٍ، أَوْ فِي لَحْظَةِ غَفْلَةٍ أَوْ

ضَعْفٍ، أَمْرٌ وَارِدٌ، عَلَى أَحْكَمِ الْحُكَمَاءِ، وَلَكِنَّ الْمَخْلُوقَ الْخَيْرَانَ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ - وَقَلَمًا يَكُونُ - وَوَقَعَ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ فِي أَمْرِ مِنَ الصَّغَائِرِ، أَوْ فِي نَادِرِ الْكِبَائِرِ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ فَجَاءَهُ وَجَلَسَهُ، وَعَلَى تَرَدُّدٍ وَوَجَلٍ وَاسْتِحْيَاءٍ وَتَأْنِيْبٍ ضَمِيرٍ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ خَطَأٌ وَيَجِبُ أَنْ يَرْجِعَ عَنِ خَطِيئِهِ إِنْ وَقَعَ فِيهِ، وَمِنْ قَرِيبٍ، فَتَنْفُسُ السَّوِيِّ لَا تُصِرُّ عَلَى الْخَطَا أَوْ الزَّلَلِ، وَلَا تَرْغَبُ فِيهِ، وَلَا تَجْهَرُ بِهِ، وَلَا تُصِرُّ عَلَى الْمُرُورِ وَالْمُوبِقَاتِ حِينَ تَقَعُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، فَالِإِصْرَارُ وَالْجَهْرُ وَإِشَاعَةُ الرِّذَالِ هِيَ الشَّرُّ الْأَكْبَرُ وَالضَّرْرُ الْأَعْمُ، وَفِيهَا أَدَى لِكُلِّ النَّاسِ، وَهِيَ ذَاعِيَةٌ لِلْفُوضَى، وَسَبِيلٌ لِلْإِحْطَاطِ وَالْإِنْجِرَافِ عَنِ السُّلُوكِ السَّوِيِّ وَضَيَاعِ الْحُقُوقِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ.

وَهَذَا السُّلُوكُ، وَهَذِهِ الظُّوَاهِرُ الْمُنْخَطَةُ، إِنْ تُرِكَتْ تَسْتَشْرِى فِي الْمُجْتَمَعِ، كَانَ لَهَا أَسْوَأُ الْأَثَارِ وَالْإِنْطِيَاعَاتِ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ الْبُسْطَاءِ مِنَ الصِّغَارِ وَالْيَافِعِينَ مِنَ الشَّبَابِ. قَالَ بَيْدُونًا: هَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّهَا الشَّيْخُ، أَنَّ عَلَى الدَّوْلَةِ فِي مَنَعِيهَا لِجَمَاعِيَةِ الْمُجْتَمَعِ، أَنْ تُجَيِّدَ الْأَعْوَانَ، لِمَعْرِفَةِ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ فِي خَاصِّيهِمْ، وَكَشْفِ خَبِيئَاتِ مَنْ قَدْ يَقْعُونَ فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالْمُوبِقَاتِ.

عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ انْتَصَبَ الشَّيْخُ فِي جِلْسَتِهِ، وَبَدَأَ عَلَى وَجْهِهِ شَيْءٌ مِنْ مَلَامِحِ الْإِنْطِغَالِ.

قَالَ بَيْنَدِيَا: نَظَرْنَا إِلَى الشَّيْخِ فَمَلِينَا، وَكَأَنَّهُ يُدِيرُ فِي رَأْسِهِ مَا سَيَقُولُهُ لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ.  
وَبَعْدَ بُرْهَةِ قَالَ الشَّيْخُ مُخَاطِبًا بَيْنَدِيَا وَرِفَاقَهُ: يَا بَيْنَدِيَا، إِنَّ مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ تَجْنِيدِ  
الْأَعْيَانِ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَاتِ فِي الْمُجْتَمَعِ لِمَعْرِفَةِ كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ، بِدَعْوَى الْجُرْصِيِّ عَلَى  
الْأَخْلَاقِ فِي الْمُجْتَمَعِ، أَمْرٌ جَدُّ خَطِيرٍ، يَقَعُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَقَدْ يَتِمُّ  
ذَلِكَ فِي الْبِدَايَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ بِحُسْنِ نِيَّةٍ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمُمَارَسَةُ فِي الْحَقِيقَةِ، بِرُغْمِ  
النَّوَايَا، هِيَ مُمَارَسَةٌ خَاطِئَةٌ، لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ بِهَذَا مَعْنَى الْمُجْتَمَعِ، وَيَتِمَّ كَيْفَ الْإِسْتِئْذَانِ  
وَالنَّسْطِ فِي الْمُجْتَمَعِ بِكُلِّ مَا يَسْتَتْبِعُهُ مِنَ الْمَقَاسِدِ وَالْأَقَابِ.

أَهْمُ مَا يَجِبُ أَنْ تُحَرِّصَ عَلَيْهِ الْمُجْتَمَعَاتُ يَا بَيْنَدِيَا، لِكَيْ تَكُونَ حَقًّا مُجْتَمَعَاتُ إِنْسَانِيَّةٍ  
هُوَ الْإِحْسَاسُ بِالْأَمْنِ، وَإِذَا فَقِدَ الْإِحْسَاسُ بِالْأَمْنِ فِي أَيِّ مُجْتَمَعٍ، فَقُلْ عَلَيْهِ السَّلَامُ.  
لَيْسَ مِنْ حَقِّي أَحَدٌ يَا بَيْنَدِيَا أَنْ يَتَجَسَّسَ عَلَى النَّاسِ فِي خَاصَّتِهِمْ وَدُورِهِمْ، وَلَا يَكُونَ  
إِحْسَاسٌ بِالْأَمْنِ فِي أَيِّ مُجْتَمَعٍ يَتَوَقَّفَى النَّاسُ فِيهِ فِي خَاصَّتِهِمْ وَدُورِهِمْ، تَلَصُّصِ الْأَعْيُنِ  
وَالْأَذَانِ وَتَطْلُقْلُقِنَا.

جِمَايَةُ الْأَخْلَاقِ فِي الْمُجْتَمَعِ يَا بَيْنَدِيَا، لَا تَكُونُ بِالتَّجَسُّسِ وَالتَّلَصُّصِ وَالتَّطْلُقْلِ عَلَيْهِمْ  
فِي دُورِهِمْ وَخَاصَّةِ شَأْنِهِمْ، وَلَكِنْ جِمَايَةُ الْأَخْلَاقِ فِي الْمُجْتَمَعِ تَكُونُ يَا بَيْنَدِيَا بِشَأْنِ الْجَهْرِ

وَالْإِعْلَانِ بِالْمَقَاسِدِ وَالْمُؤَيِّقَاتِ: الَّتِي يَفْرِضُ بِهَا الْقَاسِدُونَ أَنْفُسَهُمْ وَفَسَادَهُمْ عَلَى النَّاسِ  
بِالْجَهْرِ، وَإِشَاعَتِهَا، فَيُؤَدُّونَ بِهَا أَعْيُنَهُمْ وَأَذَانَهُمْ وَمَشَاعِرَهُمْ، وَيُغْرُونَ بِهَا صِبْغَاتِهِمْ،  
وَيُخَاطَبُونَ بِهَا غَرَائِزَهُمْ، مِنْ دُونِ وَعْيٍ مِنْ الصِّغَارِ وَالْأَغْرَارِ أَوْ إِذْكَ مِنْهُمْ لِأَمْرِ الْحَقُوقِ  
وَالْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْعَوَاقِبِ.

وَالْأَمْنُ الْاجْتِمَاعِيُّ يَا بَيِّنًا يَكُونُ بِمَنْعِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْجَهْرِ وَالْإِعْلَانِ بِالْمَقَاسِدِ  
وَالْمُؤَيِّقَاتِ، وَالسَّعْيِ بِهَا، وَإِشَاعَتِهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَخَاصَّةً فِي أَوْسَاطِ الصِّغَارِ وَالشَّبَابِ، وَفِي  
غَفْلَةٍ مِنَ الْأَبَاءِ، وَمِنَ الْمُجْتَمَعِ، وَهَذَا الْمَنْعُ هُوَ مِنَ "الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ"،  
وَمَا يَتَطَلَّبُهُ ذَلِكَ مِنْ عِقَابٍ رَادِعٍ لِلْمَسِيءِ السَّاعِيِ بِالسُّوءِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا هُوَ  
مِنْ أَهَمِّ سُبُلِ تَحْقِيقِ الْأَمْنِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَحِمَايَةِ الْخُرِّيَّاتِ فِي الْمُجْتَمَعِ،  
أَمَّا تَجَسُّمُ السُّلْطَاتِ وَتَلَصُّصُهَا عَلَى خَاصَّةِ النَّاسِ، وَعَلَى حُرْمَةِ دُورِهِمْ؛ فَذَلِكَ مِنْ  
أَسْبَابِ التَّسَلُّطِ وَالِاسْتِبْدَادِ، وَإِرْقَابِ النَّاسِ، وَفِي ذَلِكَ فَسَادُ السُّلْطَةِ، وَفَقْدُ الْخُرِّيَّاتِ،  
وَأَعْدَامُ الْإِحْتِسَاسِ بِالْأَمْنِ، وَانْهِيَارُ مَعْنَى الْمُجْتَمَعِ.

إِنَّ التَّجَسُّسَ وَالتَّلَصُّصَ عَلَى النَّاسِ فِي خَاصَّتِهِمْ، لَا تُقَارِمُهُ يَا بَيِّنًا إِلَّا السُّلْطَاتُ  
الْفَاسِدَةُ الْمُفْلِمَةُ: الَّتِي تَلْجَأُ إِلَى وَمَنَائِلِ التَّرْهيبِ لِتَقْهَرِ إِزَادَةَ الْمُجْتَمَعِ، وَتُطَوِّعَهُ لِمَا هُوَ  
أَكْبَرُ وَأَشَدُّ مِنْ مَقَاسِدِ السُّلْطَةِ وَانْجِرَافَاتِهَا وَمَقَارَمَاتِهَا الْإِسْتِبْدَادِيَّةِ.

يَا بَيْدَبَا، إِنَّ أَفْضَلَ الْوَسَائِلِ النَّاجِعَةِ فِي مُعَالَجَةِ الْأَخْلَاقِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَفِي خَاصَّةِ النَّاسِ، وَأَكْثَرُهَا جَدْوَى وَفَاعِلِيَّةٌ، إِنَّمَا يَتِمُّ بِالتَّرْبِيَةِ، وَمَا يُبْدَرْ فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ، مِنَ الْقِيَمِ وَالْمَقَاهِيمِ وَالْمَبَادِي، وَحَقَائِقِهِمْ مِنْ شِيَاطِينِ الْإِنْسِ وَتُجَارِ الرَّذِيلَةِ، وَلَيْسَ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا، فَلَنْ يُورِثَ التَّجَسُّسُ وَالْعَصَا، رُفِي الْأَخْلَاقِ وَنَقَاءَ النُّفُوسِ، وَلَكِنَّهُمَا يُورِثَانِ الْخَوْفَ وَالْجُبْنَ وَالْبِفَاقَ وَالْكَذِبَ، وَالْإِمْعَانَ فِي الْإِنْجِرَافِ وَالْفَسَادِ.

وَهَكَذَا تَرَى يَا بَيْدَبَا؛ أَنَّ زَلَّاتِ الْجَبَاعِ، وَتَحْدِيَّاتِ النَّوَازِعِ، تَحْتَلِفُ عَنْ جَرَائِمِ الْمُعَامَلَاتِ وَتَبَادُلِ الْمَنَافِعِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا يَسْتَنْبِعُ ذَلِكَ مِنْ أَذَاءِ الْحُقُوقِ وَحِفْظِ الدِّمَاءِ، وَالْأَمْنِ بِشَأْنِهَا يَكُونُ بِمَنْعِ تَعْدِيَّاتِهَا، وَهِيَ جَرَائِمُ وَتَعْدِيَّاتٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَلَّمَ أَطْرَافُهَا وَأَصْحَابُ الْمَصَالِحِ وَالْحُقُوقِ فِيهَا، وَهِيَ تَتَطَلَّبُ الْبَيِّنَةَ وَالِدَّلِيلَ، لَا التَّجَسُّسَ وَالتَّلَصُّصَ وَتَتَّبِعُ الْهَيَقَوَاتِ وَالْعَوَزَاتِ وَالْعَثْرَاتِ، وَتَكُونُ مَنُعَهَا وَاسْتِبْفَاءَ الشَّعْدِيَّاتِ فِيهَا هُوَ الْعَايَةُ، وَتَكُونُ الْعِقَابُ الْمُنَاسِبُ الْكَافِي لِلرُّدْعِ لَا أَكْثَرَ، أَيُّ مِنْ دُونِ مُبَالَغَةٍ، وَمِيسَلُهُ مَهْمَةٌ مِنْ مَسَائِلِ مَنُعِهَا، وَالْحَدِّ مِنْ ذَوَاقِ الطَّمَعِ وَالْعُدْوَانِيَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُهَا، وَتُعْرِِي بِهَا؛ وَذَلِكَ كَلَّهُ يَتِمُّ حِفْظًا عَلَى الْأَمْنِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَصَبُونًا لِلْحُقُوقِ وَالِدِّمَاءِ، فَجَلُّ النَّاسِ لَا يُفَكِّرُونَ فِي الْقَتْلِ أَوْ الْمُرْقَةِ وَالشَّعْدِيِّ عَلَى حُقُوقِ الْآخَرِينَ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَخَافُونَ مِنْ اِحْتِمَالِ أَنْ يَقَعَ بِهِمْ

شئاً من القتل أو السرقة أو التعديت، ولذلك فإن الأمن الاجتماعي يكون بالحرص على منع التعديت على الدماء والأموال، بكل الوسائل المناسبة المشروعة الممكنة.

يا بئدبا أرجو أن أكون قد وضحت لك الأمر، وأبنت لك معنى الأمن الاجتماعي في أمر زلات الطبائع والنزوات، وأبنت لك معنى الأمن الاجتماعي في أمر صون الحقوق والدماء،

وأن تكون وأخوانك وأخواتك قد أدركتم الفرق بين زلات طبائع النفوس وأهوائها وهفواتها، وبين جرائم العدوان على الحقوق والأموال والدماء، ودلالة كل ذلك في أسلوب

التعامل الصحيح مع جانب الأخلاق والممارسات الأخلاقية في المجتمع، وأن التربية في مجال الغرائز وهوى النفوس هي الأساس وخط الدفاع الأول، وبدون حسن التربية لا

تجدي القوانين والعقوبات والتهديد بها نفعاً، أما التجسس والتلصص ومقاسدتهما فلا ينتج عنها إلا مزيد من الضرر والفساد، وأما الحقوق والأموال والدماء في مجتمع السعي

والتكافل، فإيها -إلى جانب حسن التربية- يكون للعقاب المناسب فيها، وحسب مقتضى الحال؛ أثره الفعال في منع الجريمة، وإشاعة حسن الأمن في المجتمع.

وهكذا ترى يا بئدبا، أن أمن المجتمع، وإحساس المواطنين بالأمن، لا قسوة العقوبات، هماً ما تتطلع إليه المجتمعات الرشيدة، ولذلك كانت العقوبات القصوى



الشيخ يؤكد على تربية الأبناء على حب الله

وَالْحُدُودُ هِيَ السَّقْفُ الَّذِي لَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْمُجْتَمَعُ إِلَّا فِي خَالَةِ الضَّرُورَةِ الْقُصْوَى، وَأَنَّ آيَةَ  
عُقُوبَةٍ تَعْرِيبِيَّةٍ تَرْتَضِيهَا -الْأُمَّةُ وَشُورَاهَا- دُونَهَا تَكُونُ كَافِيَةً لِمَنْعِ الْجَرِيْمَةِ وَتَحْقِيقِ الْأَمْنِ.  
يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عُقُوبَةُ مَشْرُوعَةٌ مَقْبُولَةٌ، وَتَكُونَ ذَلِكَ أَمْرًا كَافِيًا، وَتَجِبُ -بِاقْتِنَاعِ الْمُجْتَمَعِ-  
قَبُولُهَا وَعَدَمُ تَجَاوُزِهَا، فَالْأَمْرُ يَا بَيْدَا أَنْ يَكُونَ وَاضِحًا لِلآبَاءِ وَالْمُرْتَبِينَ أَنْ يُنْهَوْا الصِّغَارَ

لِذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الْمُهْمِ يَا بَيْدَا أَنْ يَكُونَ وَاضِحًا لِلآبَاءِ وَالْمُرْتَبِينَ أَنْ يُنْهَوْا الصِّغَارَ  
وَالشَّبَابَ الْيَافِعِينَ إِلَى مَعْنَى أَفْعَالِهِمْ وَأَثَارِهَا فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَعَلَى سِوَاهُمْ، وَأَنْ  
يُقَرَّبُوا ذَلِكَ تَرْتِيبًا وَتَقَافِيًا إِلَى عُقُوبَتِهِمْ بِأَمْثَلِهِ مِنْ نَفْسِهِمْ، وَمِنْ أَعْرَابِهِمْ مِنْ حَوْلِهِمْ؛  
كَأَبْوَتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَخْوَاتِهِمْ، فِيمَا لَوْ ارْتَكَبَ الْآخَرُونَ خَطَأً أَوْ جَرِيْمَةً فِي حَقِّهِمْ، كَيْفَ  
يَرْفُونَ الْأَمْرَ؟ وَكَيْفَ يَشْعُرُونَ؟ وَهُمْ بِذَلِكَ يَغْرِسُونَ فِي أَسَاسِ وَجْدَانِهِمْ أَنَّ صِنْفَاءَ  
الْمَعْدِنِ، وَحُسْنَ الْمَنْبِتِ، وَكَرَمَ الْخَلْقِ، وَجِسْمَ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَسَلَامَةَ الْعَاقِبَةِ: يَتَجَسَّدُ فِي  
أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، فَذَلِكَ الْغَرَسُ الطَّيِّبُ فِي قَرَارِ النَّفْسِ الْغَضَبِ  
يُورِثُ حَسَاسِيَّةَ الضَّمِيرِ، وَضَبْطَ النَّفْسِ مِنْ دَاخِلِهَا؛ بِدَافِعِ حُبِّ اللَّهِ، وَدَافِعِ فِطْرَةِ  
الْكَرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَاحْتِرَامِ الذَّاتِ، وَهُوَ جِسْمٌ وَضَبْطٌ نَفْسِيٌّ وَجِدَانِيٌّ أَقْوَى وَأَبْقَى -إِنْ  
غَرَسَ فِي أَصْلِ الطَّفُولَةِ- مِنْ أَيِّ تَهْدِيدٍ أَوْ وَعِيدٍ؛ لِقَدْ مُجَرَّدَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، وَالْعِقَابِ،  
كَثِيرًا مَا يَنْخَطِأُ الْيَافِعُ بِالتَّنَاسِي وَالْتَّجَاهِلِ بِقُوَّةِ تَأْيِيرِ التَّوَانِعِ وَالشَّهَوَاتِ وَالنَّزَوَاتِ.



كَمَا يَجِبُ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْمُرْتَبِينَ أَنْ يَغْرَسُوا فِي قَرَارَةِ وَعْيِ أَيْتَانِهِمْ، أَنَّ التُّكَاْفَلَ وَالْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ الْجَمَاعَةِ، هُوَ وَاجِبٌ، وَهُوَ ضَمَانٌ لِأَمْنِ الْفَرْدِ، فَلَا فَرْدَ دُونَ جَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ دُونَ الْفَرْدِ، وَلِذَلِكَ، فَعَلَى الْفَرْدِ الْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ سَلَامِ الْجَمَاعَةِ وَأَمْنِهَا وَتَمَامِهَا، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ وَاجِبٌ تَمْكِينِ الْفَرْدِ مِنَ الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ وَالْإِبْدَاعِ، كَمَا أَنَّ عَلَى الْجَمَاعَةِ كِفَالَةَ خَاجَةِ الْفَرْدِ، خَاصَّةً حِينَ تَلْمُ بِهِ خَاجَةً أَوْ تَنْزِلُ بِهِ نَازِلَةً.

وَيُغَيِّرُ كِفَالَةَ الْجَمَاعَةِ وَالْمُجْتَمِعِ لِلْفَرْدِ فِي خَاجَتِهِ وَنَوَازِلِهِ، فَلَنْ تَكُونَ جَمَاعَةً، وَلَا بَدَلَ وَلَا تَضْعِيفَةً وَلَا عَطَاءً.

وَالْفَرْدُ بِالتُّكَاْفَلِ يَنْدُلُ وَلَا يَنْخَلُ.

وَبِالتُّكَاْفَلِ تَبْدُلُ الْجَمَاعَةُ وَلَا تُبْخَلُ.

وَيَهْدِي تَقْوَى الْجَمَاعَةُ وَتَنْمُو وَتَزْهَرُ، وَيَهْدِي تَصَانُ كِرَامَةِ الْفَرْدِ وَكِرَامَةُ مَنْ يَتَوَلَّى، وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ أَمْنُهُمْ وَاسْتِقْرَارُهُمْ.

وَتَابِعِ الشَّيْخِ ابْنَ بَطُّوْطَةَ خَطَابَهُ إِلَى الْحَكِيمِ بَيْنَدَبَا قَائِلًا: أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْنَدَبَا: إِنَّ حُبَّ اللَّهِ، وَحُبَّ الْوَالِدَيْنِ، وَغَرْسَ وَازِعِ الْخَيْرِ وَالْثَّرِيْبَةِ وَالتَّعَوُّدِ الشَّوْبِيِّ فِي وَجْدَانِ الْمُوَاْجِلِيْنَ السَّلَامِيِيِّنَ الصَّالِحِيْنَ، هُوَ الَّذِي يَرُدُّعُهُمْ، وَيُوْتِبُ ضَمَائِرَهُمْ، وَيُعِيدُ مَنْ يَزِلُّ مِنْهُمْ إِلَى طَرِيقِ

الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالصُّوَابِ، وَتَحْبِي مُجْتَمَعُهُمْ مِنَ التَّعَدِي وَالْعُنْفِ وَالنَّفْسِخِ، وَمِنْ إِشَاعَةِ  
الْفَسَادِ وَضَلَالِ الشُّبَابِ.

قَالَ بَيْدَبَا: قُلْتُ: صَدَقْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْحَكِيمُ وَأَصَبْتَ، فَفَرَّقْتَ بَيْنَ أَنْ نُحْطِلَ وَأَنْ نَضْعُفَ،  
وَبَيْنَ أَنْ نَطْلُبَ عَلَنًا، وَفِي فِجْهٍ، طَرِيقَ الْخَطَا وَالشَّرِّ وَالضَّرِّ، فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ الْفَسَادَ وَالشَّرَّ  
وَالضَّرَّ عَالِمًا عَامِدًا فَهُوَ ظَهِيرٌ لِلشَّيْطَانِ، وَهُوَ عَدُوٌّ لِلْحَيَاةِ وَالْحُرِّيَّةِ، وَسُلُوكُهُ هَذَا يَلْمَسُ مِنَ  
الْحُرِّيَّةِ، وَلَا مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا مِنَ الْحَقِّ وَالصُّوَابِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ الْإِنْحِطَاطُ وَالنَّخْلُفُ  
وَالْفُوضَى وَالْعَدَمِيَّةُ بِغَيْرِهَا، فِيهِ عَلَى الْمَدَى، طَالَ الرُّقْمَانُ أَمْ قَصُرَ، هَلَاكَ الْأَمَمِ، وَتَخَلُّلُ  
الْمُجْتَمَعَاتِ، وَاتِّهَانُ الْحَضَارَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَلَةَ: نَعَمْ أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْدَبَا إِنَّ مَنْ يَنْظُرُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْدَبَا إِلَى الْحُرِّيَّةِ  
عَلَى أَيُّهَا تَعْنِي حَقُّهُ فِي أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا يَخْلُو لَهُ، وَكُلَّ مَا تُسْأَلُ لَهُ نَفْسُهُ، مِنْ دُونِ ضَابِطٍ مِنْ  
حَقِّ وَخَيْرٍ وَمَسْئُولِيَّةٍ، وَمِنْ دُونِ نَظَرٍ إِلَى الْمَصَادِيرِ وَالْمَوَارِدِ، وَمِنْ دُونِ تَحَسُّبٍ لِلْمَالِ  
وَالْعَوَاقِبِ؛ بِحَيْثُ يَخْتَلِطُ فِي وَجْدَانِهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَالصَّلَاحُ وَالْفَسَادُ، وَالْخَطَا وَالصُّوَابُ،  
لَا يَنْتَبِهُ إِلَّا اللَّذَّةَ الْعَاجِلَةَ وَالْكَسْبَ الرَّخِيسَ، فَهُوَ ضَالٌّ مُفْسِدٌ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ، وَمَأَلُهُ إِلَى  
فَسَادِ الْأُمْرِ وَالنَّدَمِ وَالضَّبْيَاعِ، فَلَا شَيْءَ فِي هَذَا الْكَوْنِ لَا ضَابِطَ لَهُ وَلَا قَوَاعِدَ تُحَدِّدُ وَجْهَتَهُ،

وَتَضْبِطُ مَسِيرَتَهُ، وَتَحْكُمُ مَالَهُ، فَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ بِنِظَامٍ بِقَدْرِ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مِهْمَةٌ وَغَايَةٌ،  
وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا تَرَى حَوْلَنَا مِنَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ الصَّنْعَةَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُحَلِّقًا أَوْ عَيْنًا.  
قَالَ يَبْنَدِيَا: أَصَبَتْ أَهْمَا الشَّيْخِ الْجَلِيلِ؛ فَهَذَا حَالُ الْكَوْنِ فِي كُلِّ مَوْجُودَاتِهِ، مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى  
الْخَلِيَّةِ، إِلَى الْمَجْرَةِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَيَّ انْجِرَافٍ فِي آيَةٍ مَنْظُومَةٍ مِنْهَا عَنْ غَايَتِهَا وَضَوْأِ بَطْنِهَا  
يَكُونُ مَصِيرُهَا إِلَى الْفَسَادِ وَالذَّمَارِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ابْنُ بَطْلُوطَةَ: إِنَّ مَا تَذَكَّرُوهُ هُوَ حَقًّا سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ، وَلَكِنْ يَا يَبْنَدِيَا  
هُنَاكَ أَمْرٌ آخِرٌ يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْحُرِّيَّةِ فِي الْعِلَاقَاتِ الْأُسْرِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِيمَا يَخُصُّ الْعِلَاقَاتِ  
بَيْنَ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، وَيُقْصَدُ مِنْهُ جِمَايَةُ الْأَبْنَاءِ مِنْ أَمْرِ تَسْهِيلِ الْإِنْفِلَاتِ وَالْقِسَادِ، كَمَا  
يُقْصَدُ مِنْهُ أَيْضًا جِمَايَةُ الْأَبْنَاءِ مِنْ إِحْكَامِ قَبْضَةِ الْخَجْرِ وَالْتِمَسُّطِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَكَبْحِ  
طَاقَاتِهِمْ وَإِبْدَاعَاتِهِمْ لِمُوَاجَهَةِ تَحْدِيثَاتِ زَمَانِهِمْ وَتَنْمِيَةِ إِمْكَانَاتِهِمْ وَتَقْزِيمِهَا.

بَعْضُ الشُّعُوبِ أَهْمَا الشَّبَابِ بِمَفْهُومِهَا الْمَادِّيِّ لِلْحَيَاةِ تَتَصَرَّفُ فِي عِلَاقَاتِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ  
بِمَفْهُومِ غَرِيْبِي حَيَوَانِي فَرْدِي نَفْعِي، فَإِذَا جَاوَزَ الْأَبْنَاءُ مَرَحَلَةَ الطُّفُولَةِ وَالْمُرَافِقَةَ تَخَلَّى  
جُلُّ الْأَبَاءِ عَنِ الْأَبْنَاءِ وَعَنْ آيَةٍ مَسْئُولِيَّةٍ قَانُونِيَّةٍ أَوْ اجْتِمَاعِيَّةٍ عَنْهُمْ، وَلِذَلِكَ لَا يَجِدُ الشَّبَابُ  
نَاصِحًا وَلَا عَوْنًا وَلَا دَاعِمًا إِلَّا ذَاتَهُ وَكَدَّ ذِرَاعِهِ، وَلِذَلِكَ يَسْهَلُ وَقُوعُ كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ

وَالْمَثَابَاتِ فِي امْتِحَانِ الْمَقَاسِدِ وَالرِّذَائِلِ نُونٌ وَازِعٌ وَلَا زَادَ مِنْ تَاصِيحِ أَوْضُمِيرٍ، وَدُونُ أَنْ يَأْتِيَ  
الْأَبَاءَ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ خَالَ أَوْلِيكَ الْأَبْنَاءَ، فَكُلُّ شَابٍ، وَكُلُّ شَابِيَةٍ، مُسْتَوَلٌّ اجْتِمَاعِيًّا وَقَانُونِيًّا  
عَنْ ذَاتِهِ حَبْلُهُ عَلَى غَارِبِهِ وَمُعَلَّقٌ مِنْ عُرْفِهِ.

وَالْوَجْهَ الْأَخْرَأْتُمَا الشَّبَابُ هِيَ الشُّعُوبُ الَّتِي يُنَالُغُ الْأَبَاءُ فِيهَا فِي حِفَايَةِ أَبْنَائِهِمْ وَحَمَلِ  
مَسْئُولِيَّةِ تَوْفِيرِ كُلِّ حَاجَاتِهِمْ وَاحْتِيَاجَاتِهِمْ وَلِلْتَحَقُّقِ مِنْ سَلَامَةٍ مُخْتَلَفٍ تَصَرُّفَاتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ  
يَنْظُرُونَ إِلَى أَيِّ خَطِّ أَوْ زَلٍّ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ خَطْوُهُمْ وَزَلُّهُمْ وَمَحْسُوبٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَهْلِيهِمْ؛  
وَلِذَلِكَ يَرَى هَؤُلَاءِ الْأَبَاءُ أَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُحْكِمُوا السُّنْطَةَ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ مِنْ  
تَصَرُّفَاتِهِمْ، وَأَنْ يُحْصُوا عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى قُرْبِهِمْ وَالتَّصَاقِيهِمْ بِهِمْ فِي  
مُخْتَلَفِ مَنَاجِي حَيَاتِهِمْ؛ حِفَايَةَ لَهُمْ وَالْأَنْفُسِ بِهِمْ، وَحِرْصًا مِنْهُمْ عَلَى سُمْعَتِهِمْ وَسُمْعَةِ  
أَنْفُسِهِمْ وَمَنْعَةَ عَائِلَتِهِمْ.

يَا بَيْنَدِيَا كِلَا الْخَالَيْنِ خَطَاً وَمُبَالِغٌ فِيهِ، فَعِلَاقَةُ الْأَبَاءِ بِالْأَبْنَاءِ عِلَاقَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بِقَدْرِ مَا فِيهَا  
مِنَ الْفَرْدِيَّةِ فِيهَا مِنَ الْجَمَاعِيَّةِ، وَبِقَدْرِ مَا يَجِبُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ الْفَرْدُ مِنَ الْحُرِّيَّةِ بِقَدْرِ مَا  
عَلَيْهِ مِنَ مَسْئُولِيَّةِ تَجَاهِ نَفْسِهِ وَتَجَاهِ الْجَمَاعَةِ وَمَصَالِحِهَا، فَبِقَدْرِ مَا لِلْفَرْدِ مِنْ حَقِّ بِقَدْرِ  
مَا عَلَى الْفَرْدِ مِنْ وَاجِبٍ، وَكَمَا أَنَّ عَلَيْهِ تَوْفِيرَ حَاجَاتِهِ فَإِنَّ لَهُ حَقَّ الْعَوْنِ مِنَ الْآخَرِينَ عِنْدَ

الْحَاجَةِ، كَمَا أَنَّ عَلَى الْفَرْدِ عِنْدَ قُدْرَتِهِ وَاجِبَ عَوْنِ الْآخِرِينَ عِنْدَ حَاجَاتِهِمْ، فَأَلْمَجْتَمَعُ  
الْإِنْسَانِيُّ الْقَوِيمُ "كَالْبَيْتَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا".

لِذَلِكَ أَهْمُ السَّبَابِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عِلَاقَةُ الْآبَاءِ بِالْأَبْنَاءِ، بَعْدَ تَحْطِي مَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ  
وَالْمُرَاهِقَةِ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ شِعَارِ "إِذَا كَبُرَ ابْنُكَ حَاوِيهِ"، وَهَذَا يَعْنِي يَا بَيْدَبَا أَنْ  
العِلَاقَةَ بَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ يَحْكُمُهَا التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْإِهْتِمَامِ وَالتَّوَاصُلِ وَبَيْنَ احْتِرَامِ حَقِّ كُلِّ  
وَاحِدٍ فِي تَسْبِيحِ حَيَاتِهِ وَتَقْرِيرِ مَصِيرِهِ، شَأْنٌ هَذَا شَأْنُ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْإِخْوَانِ، فَهَيْمُ يَتَرَاحَمُونَ  
وَيَتَعَاضِدُونَ، وَبَعْضُهُمْ سَنَدٌ لِبَعْضِهِمْ الْآخِرِينَ فِي الْحَاجَاتِ وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَيَأْمَنُ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ وَاجِبٌ بَذَلِ النَّصِيحِ وَالْمَشُورَةِ، وَهِيَ لَهُمْ حَقٌّ أَيْضًا، وَلَنْ يَكُونَ أَحَدٌ  
أَقْدَرَ مِنَ الْآبَاءِ وَالْإِخْوَةِ عَلَى تَقْدِيمِ النَّصِيحِ وَالْمَشُورَةِ وَالتَّنْبِيهِ بِالْعَوَاقِبِ الَّتِي قَدْ لَا تَنَالُ  
الْفَرْدَ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ قَدْ نَعَمْ كُلُّ مَنْ نَجِبُ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَخْيَابِ، وَلِذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَيَقَّنَ أَنَّهُ  
فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ أَنْ كُلُّ يَالِغٍ مَسْئُولٌ عَنْ ذَاتِهِ، وَأَعْلَمُ بِحَاجَاتِهِ وَقُدْرَاتِهِ وَخَاصَّةً ظُرُوفَهُ وَلِذَلِكَ  
فَإِنَّ وَلَهُ حَقٌّ تَقْرِيرِ مَصِيرِهِ، وَأَنْ عَلَيْنَا نَحْوَهُ وَاجِبَ النَّصِيحِ فَقَطْ، كَمَا أَنَّ عَلَيْهِ وَاجِبُ  
الْإِنْتِصَابِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَكُلُّ شَأْنٍ مُعَلِّقَةٌ مِنْ عُرْفِهَا.

فَالِاعْتِدَالُ وَالتَّوَسُّطُ أَهْمُ السَّبَابِ هُوَ النَّهْجُ الَّذِي يُوفِّرُ الْعِلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةَ الْخَمِيمَةَ

بَيْنَ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَأَفْرَادِ الْأَسْرِ وَالْأَخْبَابِ، وَهُوَ التَّصَوُّرُ وَالْمَوْقِفُ الصَّحِيحُ  
الَّذِي يُتَّبَعُ الْمَجَالَ لِتَحْقِيقِ الذَّاتِ وَلِشُيُوعِ الْحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْبِنَاءِ الْمَسْئُولَةِ.  
وَعَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ وَالشُّعُوبِ النَّاضِجَةِ يَا بَيْدَبَا - بِقَدْرِ عِنَايَتِهَا بِالْعُرْبِيَّةِ وَالتَّوَاصُلِ  
الْإِيجَابِيِّ وَالْعِنَايَةِ وَالتَّضَاهَرِ الْأَسْرِيِّ - أَنْ تُحَاكِمَ كُلَّ فَرْدٍ عَنِ تَصَرُّفَاتِهِ، وَأَلَّا تُعَقِّمَ الْأَحْكَامَ  
عَلَى الْأَخْرَيْنَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ فَرْدَانِ وَلَا إِنْتَامَانِ مُنْطَابِقَانِ، وَإِلَّا كَانَ ذَلِكَ إِفْسَادًا لِلْحَيَاةِ  
وَالْكُؤُونِ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ قَالَ الشَّيْخُ مُخَاطِبًا بَيْدَبَا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الشَّبَابِ: قَدْ حَانَ الْآنَ أَيْتَانَا  
الْإِخْوَانُ وَهَتِ الْإِنْصِرَافَ لَكِي تَسْتَرِيحُوا؛ لِأَنِّي أَوْدُ أَنْ أَحْلِدَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ طَوْلِ  
عَنَاءِ الْيَوْمِ، وَعَنَاءٍ مَا تَدَارَسْنَاهُ مِنْ أُمُورٍ مُهِمَّةٍ فِي مَعْنَى الْحَيَاةِ وَمَجَالَاتِهَا وَمَالَاتِهَا.  
وَبِرَغْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ مِنْ حُضُورِ ذَهْنٍ خِلَالَ الْيَوْمِ وَمَدَاوِلَاتِهِ، وَمَا أَتَخَفَ بِهِ رُؤَاةَ  
الْمَجْلِسِ مِنْ فِكْرٍ وَحِكْمَةٍ، كَانَتْ تَلْمُ بِوَجْهِهِ لَمَحَاتٌ قَلْبِي لَا تَلْبِثُ أَنْ تَنْقُصِعَ، أَوْ تَغْشَاهُ  
سَرِخَةٌ طَرْفٍ لَا تَلْبِثُ أَنْ تَغِيْبَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَا كَانَ لِيُقْلِبَ مِنْ مُمْلَاحَةِ طَرْفٍ لِمَاحِ كَطَرْفِ  
الْحَكِيمِ بَيْدَبَا، وَلِذَلِكَ انْصَرَفَ وَهُوَ أَيْضًا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشُّغَالِ الْبَالِ عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ  
يَشْغَلَ بَالِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ، وَيَبْهَتَ الْقَلْبُ فِي نَفْسِهِ، خَاصَّةً أَنَّهُ لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ شَيْءٌ

يُمْكِنُ أَنْ يَشْغَلَ بَالِ الشَّيْخِ، أَوْ يُؤَزِّقَ طَرْفَهُ وَهُوَ يَنْتَهُمُ عَلَى مَا يُكِنُّونَ لَهُ جَمِيعًا مِنْ مَحَبَّةٍ  
وَتَقْدِيرٍ، وَلِذَلِكَ قَرَّرَ أَلَّا يُثْقِلَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَأَنْ يَتْرَكَ الْأَمْرَ لِيَبْلُغَ بِمَا فِي ذَهْنِهِ،  
فِي الْوَقْتِ وَالْأَسْلُوبِ الَّذِي يَرَاهُ.



تَذَكَّرُ الْمَسِيحُ الْيَسُوعُ خَاسِمًا جَانًّا إِلَى بَيْتِنَا وَهُوَ يَرْفَعُ النَّمَلَاتِ وَالنَّمَلَاتِ



## الْحَمَامَةُ الْجَمَّاءُ تَلْتَقُ الْحَبَّ مِنْ شِبَاكِ الصَّيَادِ

بَاتَ بَيْدَبَا عَلَى أَحْرَمٍ مِنَ الْجَمْرِ شَوْهَا إِلَى لِقَاءِ الرَّحَالَةِ الْجَلِيلِ ابْنِ بَطْلُوطَةَ لِيَسْتَكْمِلَ مَعَهُ مَا انْقَطَعَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ مِنَ الْبَحْثِ، وَلِيَسْتَكْمِلَ الْحَدِيثَ مَعَهُ بِشَأْنِ الْأَمْرِ الْأَخْرِي الَّذِي يُقْلِقُهُ وَيَنْشَوِّقُ إِلَى مَسْمَاعِ زَايِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ ابْنِ بَطْلُوطَةَ بِشَأْنِهِ؛ لَعَلَّهُ يَجِدُ ضَالَّتَهُ عِنْدَهُ، كَمَا وَجَدَهَا فِيمَا سَبَقَ الْحَدِيثُ وَالْبَحْثُ فِيهِ مِنْ شُؤُونَ فَلَيْسَقَةَ الْحَيَاةِ.

دَخَلَ بَيْدَبَا عَلَى الشَّيْخِ فَوَجَدَهُ قَدْ جَلَسَ لِشَأْنِ يَوْمِهِ فِي هِمَّةٍ وَنَشَاطٍ.

نَظَرَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ هَاشَا بَاشَا إِلَى بَيْدَبَا وَهُوَ يَرْقُبُ الشَّبَابَ وَالشَّابَّاتِ وَهُمْ يَتَوَافَدُونَ إِلَى مَجْلِسِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَرَاكَ وَمَنْ مَعَكَ قَدْ بَكَرْتُمْ فِي الْحُضُورِ إِلَى مَجْلِسِنَا الْيَوْمِ، وَكَأَنَّكَ مَازَلْتَ تُدِيرُ فِي نَفْسِكَ مَا كُنَّا نَتَحَاوَرُ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْأَمْسِ.

قَالَ بَيْدَبَا: صَدَقَ ظَنُّكَ أُمَّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، وَإِنِّي وَإِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي فِي أَشَدِّ الشُّوقِ لِمُوَاصَلَةِ الْحَدِيثِ مَعَكَ قَبْلَ أَنْ يُفْلِعَ سِرَاعُكَ عَن أَرْضِينَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَنَا بَعْدَ أَنْ تُغَادِرَ أَرْضِنَا لِقَاءَ بَكَ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَبْدَلُكَ نُحْرَمُ مِنْ جِوَارِكَ وَالْإِفَادَةِ مِنْ حِكْمَتِكَ وَخَبْرَتِكَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ابْنُ بَطْلُوطَةَ: نَعَمْ يَا بَيْدَبَا؛ لَنْ تَطُولَ صُحْبَتُنَا لَا أَظُنُّ أَنَّهُ سَيَكُونُ وَلَنْ يَكُونَ لِقَاءَ لَنَا مِنْ بَعْدُ، وَصَمَمْتَ لِحِظَّةٍ مُؤَيَّرَةٍ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ يَا بَيْدَبَا؛ لَقَدْ تَأَمَّلْتُ مَا

سَمِعْتُهُ أَنَا بِدَوْرِي مِنْكَ أَيضًا عَنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْكَوْنِ عَلَى هَيْئَةٍ مَنْظُومَاتٍ لَهَا  
حُدُودٌ وَضَوَائِبُ تُؤَدِّي بِهَا مَهَمَّتَهَا؛ فَإِذَا تَجَاوَزْتَ حُدُودَهَا وَقَوَاعِدَهَا انْهَارَتْ الْمَنْظُومَةُ  
أَيًّا كَانَتْ، وَكَيْفَ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَحَيَاتَهُ وَمَجَالَاتِهِ فِي الْإِجْتِمَاعِ وَفِي الْحَرِيَّاتِ وَالتَّقَاتِ  
وَالْحَضَارَاتِ لَيْسَتْ اسْتِثْنَاءً، وَأَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ حُدُودَ هَذِهِ الْمَجَالَاتِ  
وَقَوَاعِدِهَا وَضَوَائِبِهَا، وَكَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَهَا، وَإِلَّا فَقَدْ مَعَى حَيَاتِهِ وَحِكْمَتُهُ وَجُودِهِ،  
وَانْهَارَتْ مَنْظُومَةُ حَيَاتِهِ وَعُمْرَانِهِ وَحَضَارَتِهِ.

نَعَمْ يَا بَيْدَبَا: إِذَا أَدْرَكْنَا ذَلِكَ أَدْرَكْنَا أَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَعَى الْحَرِيَّةِ وَلَا ضَوَائِبِهَا، وَمَنْ  
يُطَلِّقُ لِنَفْسِهِ الْحَرِيَّةَ عَلَى عَوَائِمِهَا طَلَبًا لِلذَّهْوِ وَالْهَوَى الْخَيَوَانِيِّ، وَمَنْ دُونَ نَظَرٍ إِلَى الْقِيَمِ  
وَالْعَوَاقِبِ، وَمَعَى الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَغَايَاتِهَا وَمَقَاصِدِهَا، وَمَا يُصْلِحُ أَمْرَهَا أَوْ يُفْسِدُ  
مَنْظُومَتَهَا، مَثَلُ هَذَا الْإِنْسَانِ، وَمَثَلُ هَذَا الْمُجْتَمَعِ يَا بَيْدَبَا، مَثَلُ الْفَرَّاشَةِ فِي خِمَافَتِهَا  
جِئِن تَرَقَّصُ طَلَبًا لِبَهْجَةِ الضُّوءِ، وَلَكِنْ مِنْ دُونَ أَنْ تَفْرِقَ بَيْنَ ضَوْءِ الثُّورِ وَحَرَازَةِ النَّارِ؛  
فَيَكُونُ مَصِيرُهَا الْهَلَاكُ وَالذَّمَارُ.

وَمَثَلُ هَذَا الْإِنْسَانِ وَهَذَا الْمُجْتَمَعِ أَيضًا يَا بَيْدَبَا: مَثَلُ الْخَمَامَةِ الْخَمْفَاءِ فِي غَفْلَتِهَا  
وَقُصُورِ نَظَرِهَا جِئِن تَطْلُبُ الطَّعَامَ، مِنْ دُونَ أَنْ تَنْظُرَ مِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ عَلَيْهِ، وَلَا كَيْفَ

تَحَلُّبُهُ، فَتَلْتَقِطُ حَبَّاتِ الصَّمْحِ مِنْ بَيْنِ خُيُوطِ شَبَاكِ الصَّبِيَاءِ، فَيَكُونُ لَهَا فِي ذَلِكَ سُرُّ  
الْمُورِدِ وَمَصِيرُ الْهَالِكِ.

قَالَ بَيْدِيَا: صَدَقْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ وَأَصْنَبْتَ، فَفَرَّقْتَ بَيْنَ مَنْ يُخْطِئُ وَمَنْ يَضْعُفُ،  
وَبَيْنَ مَنْ يَسْعَى مُدْرِكًا عَامِدًا إِلَى الْفَسَادِ وَالشَّرِّ وَالضَّرِّ طَاعَةً لِنَهْيِ النَّفْسِ الْإِمَارَةِ  
وَنَزَوَاتِهَا الْمُتَقَلِّبَةِ، مِنْ دُونِ زَادٍ مِنْ خُلُقٍ وَلَا مَسْئُولِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، لِأَنَّ مَنْ طَلَبَ الْفَسَادَ  
وَالشَّرَّ وَالضَّرَّ طَاعَةً لِنَهْيِ النَّفْسِ وَنَزَوَاتِهَا عَامِدًا مُتَعَدِّدًا مِنْ دُونِ زَادٍ مِنْ خُلُقٍ وَلَا  
مَسْئُولِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ؛ فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَدُوٌّ لِلْحَيَاةِ وَالْحُرِّيَّةِ، وَإِنْ سَلُوكَهُ لَيْسَ مِنَ الْحُرِّيَّةِ  
وَلَا مِنَ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ الْإِنْجِطَاطُ وَالْفُوضَى وَالنَّخْلُفُ وَالْعَدَمِيَّةُ بِعَيْنِهَا،  
عَلِمَ ذَلِكَ أَمْ لَمْ يَعْلَمْ، فَذَرِ الْأَثَارَ الْعَاجِلَةَ وَالْأَجَلَةَ أَمْ لَمْ يُقَدِّرْ.

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ - كَمَا ذَكَرْتَ - فِي هَذَا الْكَوْنِ مَنْظُومَةٌ  
وَبِقَدْرِ، فَمَنْظُومَةُ الْحُرِّيَّةِ مِثْلُ مَنْظُومَةِ الدَّرَّةِ وَمَنْظُومَةُ الْمَجْرَى، كُلُّ لَهُ حُدُودُهُ وَقَوَاعِدُهُ  
وَضَوَائِبُهَا، وَمَا مِنْ مَنْظُومَةٍ أَيًّا كَانَتْ مُرَلَّتْهَا وَأَهَمَّتْهَا، تَتَجَاوَزُ حُدُودَهَا وَتَنْتَبِكُ قَوَاعِدَهَا  
وَضَوَائِبُهَا إِلَّا كَانَ مَصِيرُهَا الْإِنْتِهَارَ وَالذَّمَارَ؛ تِلْكَ مُنَّةُ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ، جَمَادًا وَحَيَوَانًا  
وَبَشَرًا، وَتِلْكَ هِيَ دُرُوسُ الْعِبَرَةِ فِي خَالِ الْكَوْنِ وَنَوَامِيصِهِ، وَفِيهَا سَلَفٌ مِنْ خَالِ الْأُمَّمِ.

هَذَا وَجْهٌ أَحَدُ الشَّبَابِ الْخَدِيثِ إِلَى الشَّيْخِ، وَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ أَنْ تَضْرِبَ لَنَا مَثَلًا لِلْمَنْظُومَةِ تَهَارًا؛ لِأَنَّنا لَمْ نَتَعَامَلْ مَعَهَا عَلَى أَصْلِ طَبْعِهَا وَقَوَاعِدِ بِنَائِهَا؟ قَالَ الشَّيْخُ: أَيُّهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ؛ الْمَثَلُ الَّذِي أَضْرِبُهُ هُوَ مَنْظُومَةٌ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَيْنَا، أَيُّهَا جَسَدُ الْوَاحِدِ مِنَّا؛ فَهُوَ مَنْظُومَةٌ مُكَوَّنَةٌ مِنْ مَنْظُومَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُهُمْ أَنَّ تَنَاوُلَ الْإِنْسَانِ لِلْأَكْسِجِينِ أَمْرٌ مُفِيدٌ، وَأَقُولُ لَكَ أَيُّهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ: إِنَّ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ بِإِطْلَاقِهِ مُخْطِئٌ، وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُهُمْ أَنَّ تَنَاوُلَ الْأَكْسِجِينِ ضَارٌّ، وَهُوَ أَيْضًا مِثْلُ سَابِقِهِ مُخْطِئٌ، وَالسَّبَبُ فِي خَطَا الْإِثْنَيْنِ، أَنَّ الْجَسَدَ مَنْظُومَةٌ، وَتَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ تَعْمَلُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ، وَنَعْرِفَ قَوَاعِدَ بِنَائِهَا وَطَبِيعَةَ تَكْوِينِهَا، قَبْلَ أَنْ نُقَدِّمَ أَوْ نُقَدِّفَ فِي كَيْفَانِ الْمَنْظُومَةِ أَيُّ شَيْءٍ.

إِنَّمَا أَيُّهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ؛ إِذَا أَخَذْنَا الْأَكْسِجِينِ مِنْ أَنْوْفِنَا فَإِنَّهُ يَنْفَعُنَا، أَمَا إِذَا أَخَذْنَا مَسْتَمِثًا وَاحِدًا مِنْهُ فِي الْوَرِيدِ فَإِنَّهُ يَكُونُ جِئْتَهَا جُرْعَةً قَاتِلَةً، فَلَيْسَ الْأَمْرُ أَمْرَ الْأَكْسِجِينِ، وَلَكِنَّ الْمُهْمَ أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ تَتَمَثَّلُ مَنْظُومَةٌ جِسْمِنَا مَادَّةَ الْأَكْسِجِينِ، وَشَأْنُ الْمَاءِ شَأْنُ الْأَكْسِجِينِ، فَإِنَّ أَخَذْنَا الْمَاءَ مِنَ الْمَرِيءِ نَفَعْنَا، وَإِنْ أَخَذْنَاهُ مِنَ الْقِصْبَةِ الْهَوَائِيَّةِ فَهَلْنَا. صَمَّتِ الشَّيْخُ بَعْدَ ذَلِكَ لِحُظَّةٍ، ثُمَّ تَحَدَّثَ مُوجِّهًا الْخَدِيثَ إِلَى يَبْدَبَا قَائِلًا لَهُ: دَعْنِي يَا

بَيَدَنَا أَوْاصِلٌ مَا انْقَطَعَ مِنَ الْخَدِيثِ بِشَأْنِ مُجْتَمَعِ جَزِيرَةِ الْبَنَاتَيْنِ، فَهِيَ -كَمَا يَهْمُكَ أَنْ تَعْلَمَ يَا بَيَدَبَا- لَمْ يَكُنْ وَعَيْهَ بِالْمَعْنَايِ، وَعِلْمُهُ بِالْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ، هُوَ الْعَامِلُ الْأَوْحَدُ أَوْ الْأَهَمُّ؛ بَلْ كَانَ الْعَامِلُ الْأَهَمُّ هُوَ الْفِعْلُ، وَهُوَ الْإِرَادَةُ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ فِي النَّهَايَةِ إِنَّمَا هِيَ فِي الْفِعْلِ وَالْمُمَازَسَةِ وَاتِّبَاعِ الْأَقْوَالِ بِالْأَعْمَالِ، فَلَا يَكْفِي الْفَهْمُ الصَّحِيحُ لِمَعْنَى الْحُرِّيَّةِ فِي مَنظُومَةِ الْمُجْتَمَعِ، وَلَكِنَّ الْأَهَمُّ هُوَ أَنْ يُقَارَسَ الْأَفْرَادُ وَالْمُجْتَمَعُ فَهْمُهُمُ الصَّحِيحُ لِحُرِّيَّتِهِمْ وَلِمُجْتَمَعِهِمْ، وَأَنْ يَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ وَمُلُوكَهُمْ بِمَا وَقَرَّ فِي نُفُوسِهِمْ وَأَذْهَابِهِمْ مِنْهَا. قَالَ بَيَدَبَا: وَكَيْفَ يَتَأْتَى ذَلِكَ أَيْهَا الرَّحَالَةُ الْحَكِيمُ؟

قَالَ ابْنُ بَطْلُوطةَ: هُنَا يَأْتِي دَوْرُ التَّرْبِيَةِ وَالْوَجْدَانِ، فَإِنَّ الْوَجْدَانَ وَالسُّلُوكَ هُوَ تَرْبِيَةٌ تَبْدَأُ مِنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لِوِلَادَةِ الْمَوْلُودِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَوْلُودَ فِي سُلُوكِهِ وَوَجْدَانِهِ، وَمَا يَفْعَلُ وَمَا يَدْعُ، وَمَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ، إِنَّمَا يَزْجَعُ فِي آسَاسِهِ إِلَى تَرْبِيَتِهِ صَغِيرًا كَمَا عَوْدَةُ أَبَوَاهُ؛ يُصْبِحُ ذَلِكَ السُّلُوكُ لَدَى الْمَرَدِّ صِفَةً وَخَصْلَةً لَا تُفَارِقُ وَجْدَانِهِ، وَإِنْ ثَقُلَتْ أَوْزَاعُ عَثْمَا فِي لَحْظَةٍ ضَعْفٍ وَانْحِرَافٍ، فَإِنَّ وَجْدَانَهُ وَضَمِيرَهُ يُؤَرِّقَانِهِ وَيَنْطَوذَانِهِ إِلَى مَا اسْتَقَرَّ فِيهِمَا، وَمَا تَعَوَّذَ عَلَيْهِمَا، فِي طُقُوسِهِ وَنُغُومَةِ أَطْفَارِهِ، وَمَهْدِ نَسَائِهِ "فَمَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ". وَصَدَقَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ فِينَا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَةُ أَبَوِهِ



وَإِذَا تَهَيَّأْتُمُ لِلْمَلْحَمَةِ فَاسْمِعُوا الصَّوْتِ الْوَحِيدَ الْوَحِيدَ

فَالْأُسْرَةُ وَالْتَرِيْبَةُ، وَالْوَعْيُ التَّرْبَوِيُّ الْوَالِدِيُّ، هُوَ الْبَسْرُ الْحَقِيقِيُّ فِي رُقِي الْمُجْتَمَعَاتِ،  
وَفِي مِتَانَةِ بِنَائِهَا، فَإِذَا سَلِمَ بِنَاءُ الْأُسْرَةِ وَارْتَقَتْ نِعَامَلَاثُهَا وَحَسُنَتِ التَّرِيْبَةُ فِيهَا ارْتَقَى  
الْفَرْدُ وَالْمُجْتَمَعُ فِي سُلْمِ النُّورِ وَالرُّوْحِ، وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَقَوِي نَسِيحِ الْمُجْتَمَعِ، وَإِذَا  
تَهَدَّمَتِ الْأُسْرَةُ وَسَاءَتِ التَّرِيْبَةُ انْحَطَّ الْمُجْتَمَعُ فِي سُلْمِ الظُّلْمَةِ وَالْعَدَمِيَّةِ وَالطَّيْنِ،  
وَانْتَهَى الْفَرْدُ وَالْجَمَاعَةُ إِلَى التَّمَرُّقِ وَالصِّرَاعِ وَالضِّيَاعِ، طَالَ الزَّمَنُ أَمْ قَصُرَ، إِنَّ الْحَيَاةَ  
يَا بَيْدَبَا حَرْكَةٌ دَائِمَةٌ، وَهِيَ حَرْكَةٌ حَلَزُونِيَّةٌ، أَمَا تَرْتَقِي وَتَنْسَعُ، وَأَمَا تَنْزُلُ وَتَضِيقُ وَتَنْحَطُّ  
وَهَذَا هُوَ دَرْسُ الْقَارِيحِ وَعِبْرَةُ الْحَضَارَاتِ، وَالْعَاقِلُ يَا بَيْدَبَا "لَا يُجْرِبُ الْمُجْرِبُ".

خُلَاصَةُ الْقَوْلِ يَا بَيْدَبَا أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْحَيَاةِ مِنْ دُونِ حُرِّيَّةِ، وَلَا وُجُودَ لِلْحُرِّيَّةِ مِنْ دُونِ  
التَّرِيْبَةِ وَالتَّعَوُّدِ وَالْإِنْضِبَاجِ الَّتِي يُوَلِّدُ حَسَابِيَّةَ الضَّمِيرِ وَرُقِي الْخَلْقِ وَحَسَنَ الْمَسْئُولِيَّةِ  
وَتَقْدِيرَ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ.

قَالَ بَيْدَبَا: لَقَدْ كَانَ دَرْسُ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي وَضَّحْتَ لَنَا أَبْعَادَهُ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةَ أَتَمًّا  
السَّيِّخُ الرَّحَالَةُ الْحَكِيمُ مِنْ أَتَمِّ الدُّرُوسِ وَأَهْمُهَا فِي حَيَاتِنَا؛ لِأَنَّهَا أَزَالَتْ عَنْ أَعْيُنِنَا  
عِشَاوَةً، وَأَزَالَتْ غَبْشًا عَانَاةً - وَمَا يَزَالُ يُعَانِيهِ بِحُسْنِ نِيَّةٍ - الْكَثِيرُ مِنَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ،  
وَأَوْقَعَهُمْ، وَمَا يَزَالُ يُوقِعُهُمْ، فِي الْقَوَاضِي الْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَانْتِشَارِ الرُّذَائِلِ، وَتَحْلِيلِ الْأَسْرِ،

وَتَقَطُّعِ الْأَوَاصِرِ، مِمَّا يُزَكِّيهِمْ مِنْ أَفَاقِ سُلَمِ النُّورِ وَالرُّوحِ لِيَتَّكُونُوا فِي أَسْفَلِ ذَرَكِ الطَّيِّبِ  
وَالْغَابِ، وَهُمْ بِسَبَبِ هَذَا الْخَلْقِ، وَهَذَا الْغَيْثِ وَيَسَبَّبِ ارْتِكَاسِهِمُ الرُّوحِيَّ وَاسْتِهَانَتِهِمْ  
وَتَعَوُّدِهِمْ وَإِذْمَانِهِمُ الشَّهَوَاتِ وَالْمُوبِقَاتِ وَالرَّذَائِلَاتِ وَالْمُعْكَرَاتِ لَمْ يَتَدَبَّرُوا  
بِمَوْضُوعِيَّةٍ مُجَرَّدَةٍ مَنَّ الْكَوْنِ، وَغَائِبَةِ الْخَلْقِ وَتَكَامُلِهِ، وَأَخْلَاقِيَّةِ الْإِسْتِخْلَافِ، وَلَمْ  
يَتَعَبَّرُوا بِمَا أَصَابَ سَالِفِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ الَّتِي انْتَهَرَ عُمُرَاتُهَا، وَهَدِمَتْ  
حَضَارَاتُهَا؛ لِأَنَّ بَصَائِرَهُمْ تَعَفَى عَنِ إِذْرَاكِ أَنَّ مَا أَصَابَ بَلَدَ الْأُمَّةِ إِنَّمَا كَانَ فِي الْجَوْهَرِ  
بِسَبَبِ تَسَلُّطِ النُّزُوتِ الطَّيِّبَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الضَّالَّةِ، وَانْتِهَارِ الْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ، وَفَسَادِ  
التَّرَفِ وَتَسَلُّطِ الْمَصَالِحِ، وَتَقَطُّعِ الْأَوَاصِرِ فِي بَلَدِ الْمُجْتَمَعَاتِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بَلَدَ الْأُمَّةِ  
وَالْحَضَارَاتِ فِي أَوْجِ قُوَّتِهَا وَخَمِيَّتِهَا وَتَكَافُلِهَا وَازْدَهَارِهَا، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ، وَإِنْ  
ظَنُّوا فِي غَيْبِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُخَمِّسُونَ صُنْعًا.

إِنَّ مِنَ الْمُهِيْمِ يَا بَيِّنَاتِي؛ أَنْ يُدْرِكَ الشَّبَابَ، وَأَنْ يُدْرِكَ الْمُرْتُونَ، وَأَنْ يُدْرِكَ  
الْمُصْلِحُونَ، وَأَنْ تُدْرِكَ الشُّعُوبَ وَالْأُمَّمَ، أَنَّهُ مَا بَقِيَ فِي الْأُمَّةِ جِسْمُ الْغَائِبَةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ،  
وَبِنَاءِ التَّكَامُلِيَّةِ، كَانَ هُنَاكَ أَمَلٌ فِي نَجَاحِ جُهُودِ الْإِصْلَاحِ، وَالتَّصَدِّي لِمَا نَطَرْنَا مِنْ ظُلُومِ  
الْمَسْلِيَّاتِ وَالْإِنْجِرَاقَاتِ، أَمَّا حِينَ تَفْقِدُ الْأُمَّةُ وَالشُّعُوبُ ذَلِكَ الْجِسْمَ وَتُصْبِحُ الْقَوْضَى



الأخلاقية المُدمِّرة بديلاً عن الحرِّية البنَّاءة المُبصرة، فإنَّ الأمم حينئذٍ تفقدُ حسنَ التَّفريقِ بينَ الصَّوابِ والخطأ، وبينَ المصلحِ والمُفسدِ، وبينَ الرأشدِ والمُنحرفِ، وبينَ الذِّكرِ والأُنثى، وبينَ العاملِ المُنتجِ والإمعةِ المُحتالِ.

عندما يبلِّغُ الأمرُ بأيِّ أمةٍ أو حضارةٍ إلى هذِهِ الحالِ يا بئدينا، فإنَّهُ لا مجالَ حينئذٍ للرجعةِ أو المُراجعةِ، ولا أملَ في الإصلاحِ، لأنَّها أُمستُ أمةً آذانها لا تسمعُ، وأعينها لا تبصرُ، وأفئدتها لا تعقلُ "إنَّ هُمُ كالأنعامِ بل هم أضلُّ" يا بئدينا.

تلكَ يا بئدينا سنَّةُ اللهِ في الخلقِ، نشاهدُها ذرُوساً من التاريخِ، وعبرةً في حالِ منالِبِ حضاراتِ الأممِ الفاسدةِ المُفسيدةِ اليائدةِ، ممَّا بدأ في حينه من قُوَّتها وسَطوِّتها وتزايُّتها، فهي في حقيقةِ أمرها أُمستُ "نُموذاً من وِزقي" "وأعجازُ نخلٍ خاونةٌ" لا تصمُدُ أمامَ هبوبِ رياحِ أمةٍ وحضارةٍ ناهضةٍ مُصلحةٍ.

توقَّفَ الشيخُ عندَ هذا الحدِّ من الحديثِ وأرغى بصره إلى الأرضِ مُفكراً مُتأمِّلاً، ثمَّ أُرسلَ نظره غيرَ النافذةِ إلى أمِّرابِ طُيورِ النججِ والأوزِ واليتمامِ والحمامِ التي كانت تُفردُ أجنحتها المتألِّفةَ غيرِ الأفقِ الوُرديِّ المُضِيِّ، وتُرسلُ أنعامَ أصواتها الغردةِ الشَّجِيَّةِ في أرجاءِ القضاةِ الرَّحِبِ، إلى حيثُ تُلشدُّ غايَةَ تجوالها وهجراتها البعيدةِ في شوقٍ وذأبٍ وإطلاقي وحرِّيةِ.



كَلَّمَ ارْسَل نَظَرَهُ عَمِيرَ السَّافِلَةِ اِلَى اَسْرَابِ طَيْبُورِ التَّجْعِ وَالْاَوْزِ وَالْبَهَامِ وَالْحَمَامِ

عِنْدَهَا قَالَ الشَّيْخُ الرَّخَالَةُ يُخَاطَبُ بِنِدْبَا وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رَهْطِ الشَّبَابِ وَالشَّبَابَاتِ:  
انظُرْ أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ إِلَى الْفَضَاءِ الرَّحْبِ الْمُضِيِّ، عَنِ النَّافِذَةِ وَأَمَلًا نَاطِرَتِكَ مِنْ أَلْوَابِهِ  
الْبَدِيعَةِ الرَّاهِبَةِ، وَانظُرْ إِلَى هَذِهِ الْأَسْرَابِ الْجَمِيلَةِ مِنَ الطُّيُورِ بِأَشْكَالِهَا وَأَلْوَابِهَا وَالْحَايِمِ  
الْجَمِيلَةِ الْمُتَنَاعِمَةِ، أَمَلًا نَاطِرَتِكَ مِنْهَا وَهِيَ تَنْطَلِقُ فِي شَوْقٍ وَجِدٍ وَذَابٍ وَحَرِيَّةٍ نَحْوِ  
غَايَاتِهَا، وَكَيْفَ تَرَى أَسْرَابَهَا تَلْتَشَابَهُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، بِرَغْمِ مَا بَيْنَهَا مِنْ اخْتِلَافَاتٍ كَثِيرَةٍ؛  
فَتَجِدُ فِي ذَلِكَ جَمَالَ التَّنَوُّعِ وَالْإخْتِلَافِ، وَجَمَالَ تَكَامُلِ التَّنَوُّعِ وَالْإخْتِلَافِ؛ وَهُوَ مَا  
يَجْعَلُهَا جَمَاعَةً رُفْقَةً فِي الطَّرِيقِ، وَوَحْدَةً فِي الْغَايَةِ وَالْهَدَفِ.

نَعَمْ أَيُّهَا الْعَزِيزُ بِنْدَبَا؛ حَرِيٌّ بِكُلِّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَابِهَا وَالسِّتْمِ  
وَطَاقَاتِهَا، أَنْ تُؤَلِّفَ غَايَاتِهِمُ النَّبِيلَةَ قُلُوبَهُمْ لِإِعْنَاءِ الْحَيَاةِ، وَإِعْمَارِ الْحَيَاةِ، فِي جِدِّ وَذَابٍ  
وَتَكَامُلٍ وَتَرَاحُمٍ وَعَدْلٍ وَسَلَامٍ، وَبِكُلِّ الْوَدِّ وَالْإِقْتِنَاعِ وَالْحَرِيَّةِ؛ لِأَنَّ فِي الْحَرِيَّةِ الْحَقَّةِ  
تَحْقِيقَ الدَّابِّ، وَتَحْقِيقَ خِيَارِ الْفِطْرَةِ الْمَسْئُومَةِ وَأَمَانَتِهَا فِي قَصْدِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ  
وَالْتَّكَافُلِ وَالسَّلَامِ، وَتِلْكَ وَلَا شَكَّ أَعْلَى حَصِيلَةٍ، وَأَثْمُنُ هَدِيَّةٍ، وَأَسْمَى غَايَةٍ تَنَالُهَا  
الْمَخْلُوقَاتُ فِي صُخْبَةِ رَحْلَةِ الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ.

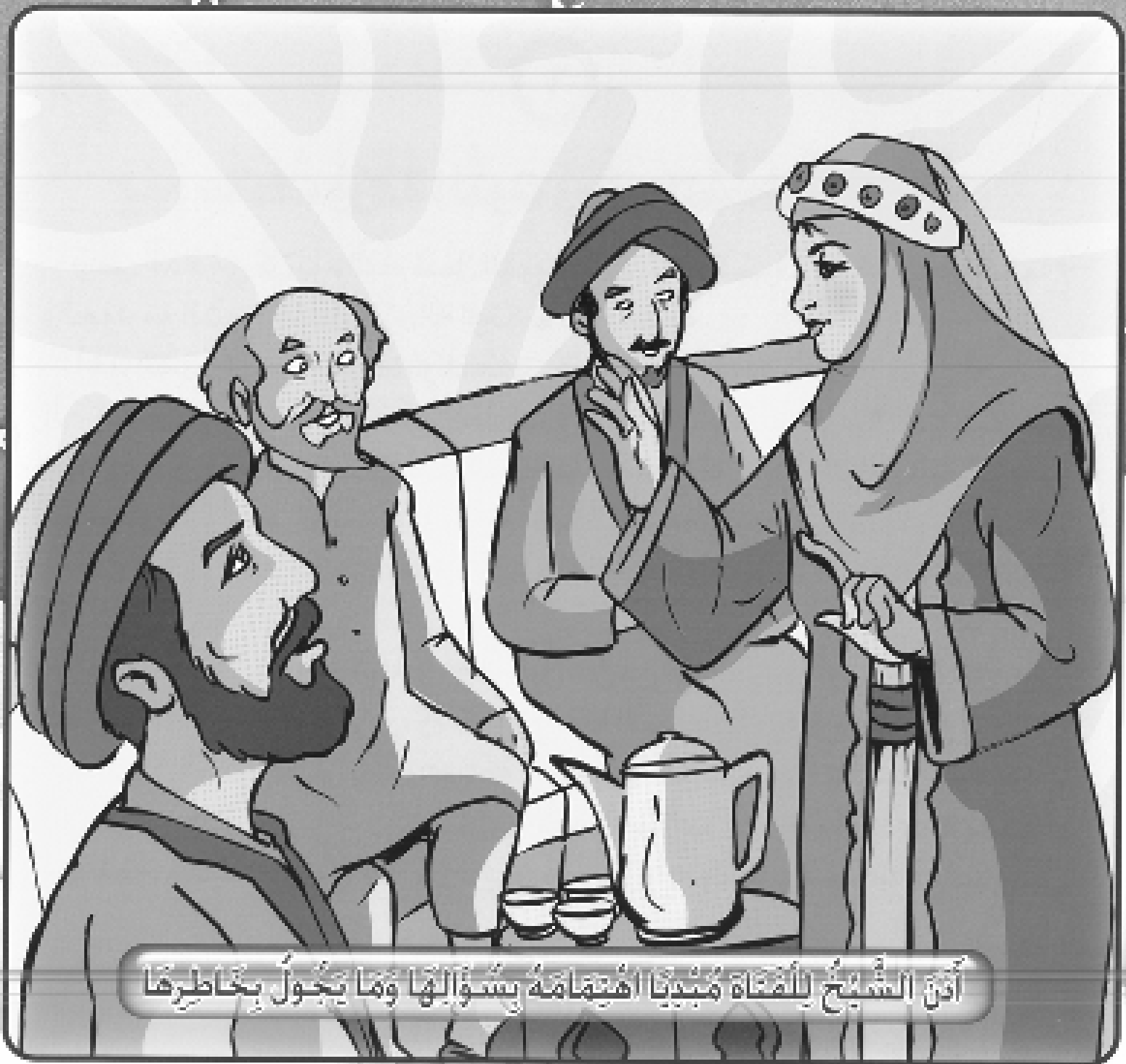
قَالَ بِنْدَبَا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؛ دُونَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَالْحَرِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَشَرَفِ

الْكَرَامَةِ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ وَلَا وُجُودَ يَسْتَجِقُّ الْكُدَّ وَالْكَذْحَ وَالْعَنَاءَ وَالتَّعَبَ، فَبِالْعَقْلِ  
 وَالْحُرِّيَّةِ الْحَقَّةِ وَشَرَفِ الْكَرَامَةِ يَكُونُ الرِّضَا وَالْفَنَاءُ وَالْبَدَلُ وَالْعَطَاءُ وَبِهَا تَحْلُو  
 الْحَيَاةُ، وَيَبْهَوْنَ الْعَنَاءُ، وَلَوْ بَلَقَمَةً تَمَلَأُ الْجُوفَ، وَكِسْوَةَ تَسْتُرُ الْجَسَدَ، وَسَقْفَ حُجْرَةٍ  
 تَغْفُو فِيهَا الْعَيْنُ، وَمَا زَادَ مِنْ خِلَالِ عَمَلٍ مُخْلِصٍ مُتَّقِنٍ فَخَيْرٌ وَمُنْتَعَةٌ، وَبَدَلُ وَعَطَاءٍ وَمِنْ  
 دُونِ حِكْمَةِ الْعَقْلِ وَمِنْ دُونِ الْحُرِّيَّةِ الْحَقَّةِ الْبِنَاءِ وَمِنْ دُونِ شَرَفِ الْكَرَامَةِ، مَهْمَا  
 اتَّخَمَتْ الْمَوَائِدُ وَتَكَدَمَتِ الْأَكْسِيَّةُ، وَتَرَاصَبَتْ صُقُوفُ الْمَجَالِسِ وَالْحُجْرَاتِ، فَهِيَ وَهْمٌ  
 وَسَرَابٌ، وَلَا عِوَضَ فِيهَا عَنِ الْحِكْمَةِ وَالْحُرِّيَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَمَا يَسْتَتْبِعُهَا بِالضَّرُورَةِ مِنْ  
 قَيْمِ الْعَدْلِ وَالتَّرَاحُمِ وَالْإِصْلَاحِ، وَإِلَّا سَادَ الْإِسْتِبْدَادُ وَالظُّلْمُ، وَفَسَا الْجُورُ وَالْفُسَادُ  
 وَالْإِفْسَادُ.

نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى بَيْدَبَا وَالْمَجْلِسِ مِنْ خَلْفِهِ وَقَالَ: اذْكُرْ مَعِيَ يَا بَيْدَبَا أَنْتَ وَأَخْوَانُكَ  
 وَأَخْوَاتُكَ وَمَنْ وُزَاءَكُمْ؛ أَنَّهُ لَا يُغَرِّدُ إِلَّا الْبُلْبُلُ الْحُرُّ الْمُخَلِّقُ فِي الْفَضَاءِ، وَلَا يَزَارُ إِلَّا الْأَسَدُ  
 الْحُرُّ الطَّلِيْقُ فِي الْغَابِ.

قَالَ بَيْدَبَا وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ ذِكْرَاتِ زِيَارَةِ الشَّيْخِ وَأَحَادِيثَ مَجْلِسِ حِكْمَتِهِ: نَعَمْ أَرْجُو أَنْ  
 نَتَعَلَّمَ جَمِيعًا مِمَّا أَخْبَرْنَا بِهِ الْحَكِيمَ ابْنَ بَطُّوْطَةَ عَنْ أَمْرِ الْحُرِّيَّةِ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ مِنْ

دُرُوسٍ، وَاقْتِرَانِهَا بِالْخَيْرِ وَحِكْمَةِ الْعَقْلِ، فَلَنْ تَبْقَى أُمَّةٌ، وَلَنْ يَدُومَ عِزُّهَا، وَلَنْ تُسَبِّحَ فِي  
تَسْخِيرِ الْخَيْرِ لِلْكَوْنِ، وَفِي بِنَاءِ الْحَضَارَةِ الْحَقَّةِ لِلإِنْسَانِ، مَا لَمْ تَكُنْ الْأُمَّةُ وَاعِيَةً حُرَّةً  
كَرِيمَةً خَيْرَةً؛ فَتُدْرِكُ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ وَالْغَايَةَ الصَّحِيحَةَ لِحُرِّيَّتِهَا، وَكَرَامَةِ الإِنْسَانِ  
فِيهَا، وَتَعْرِفُ كَيْفَ تُمَارِسُ الْأُمَّةَ هَذِهِ الْحُرِّيَّةَ، وَكَيْفَ تُرَبِّي أَبْنَاءَهَا، وَكَيْفَ تُلْزِمُهُمْ جَادَّةً  
حِكْمَةَ الْعَقْلِ، وَكَيْفَ تُعَوِّدُهُمْ بِالْفِعْلِ عَلَى تَمَثُّلِهَا وَمُمَارَسَتِهَا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ فِي  
قَصْدِ الْخَيْرِ وَالصُّوَابِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جُزْءًا وَمُنْطَلَقًا مُنَاسِبًا فِي مَنْظُومَةٍ قِيمِ الْأُمَّةِ  
وَمَنَاهِجِ تَرْبِيَّتِهَا وَبِنَاءِ ثَقَافَتِهَا وَعُمُرَانِهَا.



أذن الشيخ للمساءة مُبَدِّئًا أَهْتِمَامَهُ بِسُؤَالِهَا وَمَا يَحْوُلُ بِخَاطِرِهَا

## يَوْمَ سَقَطَتْ وَرَقَّةُ التُّوتِ وَمَشَى السُّلْطَانُ عُرْيَانًا

وَعَلَى الْعَادَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ النَّامِ سَمَلُ الْقَوْمِ يَتَقَدَّمُهُمُ الْفَيْلَسُوفُ الْحَكِيمُ بِيَدَيَا السَّمَاعِ وَالْجَوَارِمِغِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ الرَّحَالَةِ الْحَكِيمِ ابْنِ بَطْوِطَةَ.

أَخَذَ الشَّيْخُ مَوْضِعَهُ مِنْ صَدْرِ الْمَجْلِسِ كَالْمُعْتَادِ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ حَدِيثَهُ فِي الْجَوَارِمِغِ الْحَكِيمِ بِيَدَيَا، اسْتَأْذَنْتُ إِحْدَى الْفَتَيَاتِ فِي سُؤَالِ الشَّيْخِ بِشَأْنِ أَمْرٍ لَمْ تَفْهَمْهُ، عَنْ مَفَاهِيمِ لِلْحُرَّةِ عَجِيبَةٍ، لَعَلَّ لَدَى الشَّيْخِ مَا يُوَضِّحُهَا فَلَا تُتَبَّرُ فِي نَفُوسِ الشَّبَابِ غَيْثًا وَتَخْلِيصًا يَهْدِيهِمْ أَسْمَنَ ثَوَابِتِ الْأُمَّةِ وَرُؤْيَا أُمَّتِهِمُ الْكُونِيَّةِ الْبَدِيعَةِ.

أَذِنَ الشَّيْخُ لِلْفَتَاةِ مُبَدِيًا اهْتِمَامَهُ بِسُؤَالِنَا وَمَا يَجُولُ بِخَاطِرِهَا، وَقَالَ لَهَا: حَدِيثُنَا الْأُخْتِ عَمَّا أَهَمَّكَ وَجَالَ فِي خَاطِرِكَ.

قَالَتِ الْفَتَاةُ: أَنْتِ تَعْلَمُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، أَنَّ مِنَ الثَّوَابِتِ الَّتِي تُؤْمِنُ بِهَا أُمَّتُنَا فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ حُرَّةُ الْعَقِيدَةِ وَالرَّأْيِ، وَلَا مَجَالَ فِي هَذَا الْأَمْرِ لِغَيْرِ الْجَوَارِمِغِ وَالْإِقْتِنَاعِ، وَفِي خَاتِمَةِ الْمَطَافِ فَإِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ رَأْيَهُ وَاقْتِنَاعَهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِهِ وَاقْتِنَاعِهِ، وَخِيَارِهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بَرُؤْيَا سُورِي جُمْهُورِ الْأُمَّةِ وَجَوَارِمِغِهَا الْحُرَّةِ- مَا يُؤْذِي بِهِ نَفْسَهُ أَوْ مُجْتَمَعَهُ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مِنْ حَقِّ كُلِّ فَرْدٍ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ رَأْيِهِ وَاقْتِنَاعِهِ، وَأَنْ يَأْخُذَ قَرَارَهُ، مِنْ

دُونَ مَسَاسٍ بِحُفُوقِ الْأَخْرَمِينَ وَكِرَامَاتِهِمْ وَافْتِنَاعَاتِهِمْ، وَهُنَا رَفَعَتِ الْفَتَاةُ رَأْسَهَا وَنَظَرَتْ إِلَى  
الشَّيْخِ وَقَالَتْ: أَلَيْسَ مَا ذَكَرْتَهُ يَا سَيِّدِي حَقًّا وَصَوَابًا؟  
ابْتَسَمَ الشَّيْخُ مُؤَكِّدًا بِهَيْرَةِ رَأْسِهِ وَابْتِسَامَتِهِ مَلَامَةً مَا تَقُولُهُ الْفَتَاةُ، وَقَالَ: نَعَمْ أَيُّهَا  
الْأُخْتُ، كُلُّ مَا قُلْتِهِ صَوَابٌ لَا يُتَارَعُكَ فِيهِ عَاقِلٌ مُنْصِفٌ.

قَالَتِ الْفَتَاةُ: شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدِي، فَإِنَّ ذَلِكَ وَهُوَ مَا خَدَّئْنَا بِهِ، وَجَمِيعُنَا يُؤْمِنُ بِهِ  
وَنَعْلَمُ صَوَابَهُ، وَهُوَ أَنَّ جَوْهَرَ الْحُرِّيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَكْمُنُ فِي تَمَكُّنِ كُلِّ فَرْدٍ فِي  
الْمُجْتَمَعِ مِنْ أَنْ يَتَمَتَّعَ بِالْحُرِّيَةِ الْكَامِلَةِ مِنْ دُونِ أَيِّ مَعْوَقَاتٍ أَوْ عَرَاقِيلٍ تَحُولُ دُونَ الْعَقْلِ  
وَالْإِبْدَاعِ وَالْإِسْتِهَامِ الْبِنَاءِ فِي نَفْعِ الدَّاتِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ.

وَالسُّؤَالُ يَا سَيِّدِي، كَيْفَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْجُرْمَنَ عَلَى الْحُرِّيَةِ وَرُقِيَّ الْحَضَارَةِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ، أَنْ يُصْبِحَ طَلِبُ الصَّوَابِ وَارْتِكَابُ الْخَطَا الْأَمْرَ لِدَنِهِمْ بِاسْمِ الْحُرِّيَةِ سَيِّئًا، فَلَا  
فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَا، وَلَا بَيْنَ الْقَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ، وَلَا بَيْنَ الْبِنَاءِ وَالْهَدْمِ.

وَأَبَتْ الْأَمْرُ يَا سَيِّدِي يَقِفُ هَؤُلَاءِ فِي هَذَا التَّخَبُّطِ وَالْخَلْطِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ كَثِيرٌ  
مِنْهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ غِطَاءَ شَعْرِ الرَّأْسِ عَلَى مَنْ تَرَعِبُ فِيهِ مِنَ الْبِنَاءِ وَبِرَغْبَتِنَا  
الدَّائِيَّةِ وَفَنَاعَتِنَا الشَّخْصِيَّةِ؛ طَلَبًا لِمَزِيدٍ مِنَ الْإِحْتِشَامِ، مِنْ بَابِ مَسَّرَ كُلَّ الْمَفَاتِينِ





الْجَسَدِيَّةِ الْمُبَاشِرَةِ وَغَيْرِ الْمُبَاشِرَةِ، وَمِنْهَا جَمَالُ مَقَاتِنِ شَعْرِ الرَّأْسِ، بِكُلِّ أَلْوَانِهِ السُّودَاءِ وَالْفِضِّيَّةِ وَالذَّهَبِيَّةِ، مِمَّا لَا يَخْصُ إِلَّا عِلَاقَةَ الرَّؤُوحِيَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ إِجْلَالِهِمْ لِمَزِيدِ مِنَ الطُّهْرِ وَالِإِحْتِشَامِ، وَهُنَا نَجِدُ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرْتَفِعُونَ الْعَقِيْرَةَ بِاسْمِ الْحُرِّيَّةِ وَالِدِفَاعِ عَنْهَا يُتَاقِضُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُلِّ وَقَاحَةٍ وَيَعْتَدُونَ عَلَى الْحُرِّيَّاتِ الشَّخْصِيَّةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَكَثِيرٍ سِوَاهِ إِلَى حَدِّ الْحَيَوَانِيَّةِ فِي الْخَلَطِ بَيْنَ الصُّوَابِ وَالْخَطَأِ، وَبَيْنَ الْقُصْبِلَةِ وَالرَّذِيْلَةِ، إِلَى حَدِّ الْهَزْأِ وَالسُّخْرِيَّةِ عَلَى كُلِّ مَنْ يُبْدِي جِرْصًا عَلَى أَيِّ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ الْإِحْتِشَامِ، وَلَا يَرُونَ فِي ذَلِكَ بَزْعَمِيَّةً تَنَاقُضًا مَعَ حُرِّيَّةِ الْفَرْدِ، وَحَقِيْقَةً فِي التَّعْبِيرِ عَنْ رَأْيِهِ وَالْعَمَلِ وَفَقِ اقْتِنَاعَاتِهِ بِمَا لَا يُؤْذِي الذَّاتَ أَوْ الْمُجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ. عَدَا أَوْهَامِهِمْ وَتَحَكُّمَاتِ إِدْمَاقِهِمْ عَلَى تَفْسُخَاتِهِمْ وَرَذَائِلِهِمْ، فَيَرُونَ فِي إِحْتِشَامِ الْمُحْتَشِمَاتِ قِصْحًا وَعُدْوَانًا عَلَى تَفْسُخِهِمْ وَإِدْمَاقِ رَذَائِلِهِمْ، فَهُمُ الصُّفُوَّةُ وَسِوَاهُمْ مِنَ الْمُواطَلِينِ هُمُ الْغَوْغَاءُ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ صَمَّتِ الْفَتَاةُ وَأَخَذَتْ مَكَانَهَا بَيْنَ الْجُلُوسِ، وَهَكَذَا حَيَّمْ عَلَى الْمَجْلِسِ لِحْظَةٌ صَمَّتْ عَمِيقِي نَعْدَ سَمَاعِ هَذَا الْحَدِيثِ الْمُشْعَمِ بِالْمَنْطِقِيِّ وَالْحَقَاسَةِ وَالْعَاطِفَةِ، وَقَطَعَ الشَّيْخُ هَذَا الصِّمْتُ قَائِلًا:

صَدَقْتَ يَا فَتَاتِي فِي كُلِّ مَا قُلْتِ، وَمَا كَشَفْتِ مِنْ وُجُودِ الْإِنْجِرَافِ وَالْتِنَاقُضِ الَّذِي يُنْبِئُ



عِنْدَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مِنْ أُنْبَاءِ الْأُمَّةِ الْقَوْمِ عَنِ تَقْلِيدِ أَعْمَى، وَعَنْ تَخْبُطِ وَخَلْجِ وَأَهْدَافِ  
خَفِيَّةٍ وَاعِيَةٍ وَغَيْرِ وَاعِيَةٍ، مِمَّا تَرْفُضُهُ عَقَائِدُ الْأُمَمِ الْمُسَوِّتَةِ وَقِيَمَتُهَا وَخَضَارَاتُهَا الْإِنْسَانِيَّةُ  
الْحَقَّةُ.

وَبِاسْتِغْرَاقِ غَمِيقٍ وَاصِلِ الشَّيْخِ حَدِيثُهُ قَائِلًا: إِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ أَيْهَا الْإِخْوَةَ وَالْأَخْوَاتِ  
إِلَى إِطْلَاقِ الْحُرِّيَّاتِ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْبِلَادِ فَلِأَنَّهَا قَدْ خَطَمَتْ فِيهَا مَضَى كَثِيرًا مِنَ الْقُبُودِ  
الظَّالِمَةِ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَأَطْلَقَتْ كَثِيرًا مِنَ الطَّاقَاتِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ فَرَضَتْهَا قُوَى  
الْإِسْتِبْدَادِ وَالْفُسَادِ؛ طَلَبًا لِاخْتِكَارِ السُّلْطَةِ وَالرُّوَدَةِ فَإِنَّ الْجَهْلَ بِجَوْهَرِ الْحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ  
الْخَضَارِيَّةِ وَحُدُودِهَا الْفِطْرِيَّةِ وَغَايَاتِهَا الْبِنَاءَةَ قَدْ بَلَغَ بِهَا الْيَوْمَ فِي جُلِّ هَذِهِ الْبِلَادِ، إِلَى  
خَافَةِ الْفَوْضَى وَالْمَادِّيَّةِ وَالْبِهيميَّةِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَى ظُلُمَاتِ لِحْجَبِهَا الْمُبْلِكَةِ الَّتِي أَهْلَكَتْ  
مِنْ قَبْلُ كُلِّ مَنْ عَرَّضَ أُمَّتَهُ لِمَهَالِكِهَا، وَالشَّاهِدُ أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ مِنَ الْأَطْلَالِ  
وَالتَّارِيخِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ.

صَمَتَ الشَّيْخُ بَرْهَةً يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ، وَيَلْمُ شَتَاتَ فِكْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: كَلِّكُمْ يَعْلَمُ أَيْهَا الْإِخْوَةُ  
وَالْأَخْوَاتُ، أَنَّ الْأَدْيَانَ الْإِلَهِيَّةَ إِنْ لَمْ تَدْعُوا إِلَى الْقِضِيلَةِ وَالِاخْتِشَامِ وَطَهَارَةِ عِلَاقَاتِ  
الْأَسْرَةِ، وَأَدَاءِ حُقُوقِهَا وَحَمْلِ مَسْئُولِيَّاتِهَا بِكُلِّ إِخْلَاصٍ وَأَمَانَةٍ، وَاتِّخَاذِ كُلِّ مَا يُمَكِّنُ مِنْ

قَبْلِ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ لِلْحِفَاطِ عَلَى عِلَاقَاتِ الْأُسْرَةِ وَقِيمَتِهَا، صِبَاغًا وَكِبَارًا، رِجَالًا وَنِسَاءً، كُلٌّ بِحَسَبِ دَوْرِهِ، وَكُلٌّ بِحَسَبِ جِبَلَّةِ خَلْقِهِ، وَقِطْرَتِهِ، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى وَالَّتِي تُحَدِّدُ فِي الْجَوْهَرِ مَجَالَاتِ دَوْرِهِ، وَمَسْتَوْلِيَاتِهِ، وَأَسَاسِيَّاتِ أَدَابِهِ وَسُلُوكِهِ، فِي مُخْتَلَفِ مَرَاجِلِ حَيَاتِهِ، بِشَكْلِ يَتَكَامَلُ مَعَ بَقِيَّةِ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ وَمَسْتَوْلِيَاتِهِمْ. نَعْمَ إِنَّهُ لَصَّحِيحٌ مَا ذَكَرْتَهُ أَيُّهَا الْأَخْتِ بِشَأْنِ بَعْضِ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَبِشَأْنِ بَعْضِ الْفِنَائِاتِ الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِالْحُرِّيَّةِ وَالذِّفَاعِ عَنْهَا مَعَ تَجَاهُلِ طَبِيعَتِهَا وَغَايَاتِهَا النَّبِيلَةِ إِلَى حَدِّ اتِّهَامِ جَوْهَرِ مَعْنَاهَا الْإِنْسَانِيَّ وَدَوْرَهَا الْفِطْرِيَّ، وَغَايَاتِهَا الْإِنْسَانِيَّةَ الشَّامِيَّةَ، وَذَلِكَ بِالنَّهْوِ فِي أَمْرِ الرِّذَالِ بَلْ وَالِدَعْوَةَ لَهَا، وَتَشْجِيْعَهَا، وَتَرْوِيحَهَا، بِكُلِّ آثَارِهَا الْفَلْمُوسَةِ، مِنْ اتِّسَاعِ نَفْسِي الْجَرِيْمَةِ، وَانْجِلَالِ رَوَابِطِ الْخَلِيَّةِ الْجَذَعِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَهِيَ الْأُسْرَةُ، بِمَا يُؤَدِّي إِلَى تَفْكِكِهَا وَهَدْمِهَا، وَهَدْمِ أَدْوَارِهَا، فِي صُنْعِ الْبُنْيَةِ الْأَسَاسِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ وَالْوُجْدَانِيَّةِ وَالْثَّقَافِيَّةِ وَالْتَرْبَوِيَّةِ لِلْأُمَّةِ وَلِكُلِّ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، هَذِهِ الْأَصْوَاتُ هِيَ ذَاتُهَا الْأَصْوَاتُ، الَّتِي تُعْطِي أَيْضًا نَفْسَهَا حَقَّ التَّضْيِيقِ عَلَى قِيَمِ الْفَضِيلَةِ وَالْإِحْتِشَامِ، وَفَرْضِ الْوَأْنِ مِنَ الْأَرْبَاءِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ، وَالتَّشْجِيْعِ عَلَيْهَا حَتَّى فِي مَعَاهِدِ التَّرْبِيَّةِ وَالْعَلْمِ رَغْمَ أَنَّهَا مِنْ خُصُوصِيَّاتِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْ أَحْصَى حُقُوقِهِ الشَّخْصِيَّةَ، وَالَّتِي لَيْسَ لِأَحَدٍ حَقُّ الْقُدْخُلِ بِشَأْنِهَا.

نعم أمّها الإحوة والأخوات، هذه الأنظمة، وهذه الأصوات، التي تدعي الدفاع عن  
الحرية، في الوقت الذي تُصَيِّقُ فيه على الفضيحة والإخسار والسلوكيات التخلّفة،  
وتفسخ الفجاء للردائل والمفاسدات، إنّما هي قنات، وأنظمة، تُفِيْلُ نقابات الاستبداد  
والفساد، في المُجتمعات والأخضارات، وهم في حقيقة ذوافعهم تُعالبُ وذناب مُفترسة  
يتدنّرون قرو جمالين وعجولٍ ودبابة كالتغلب الناصح والذئب الزاهد الرؤوم، كالنازي  
يُحكي هديل الخمام.

وهنا أُنبري أخذ الشباب موضحًا، بعد أن استأذن الشيخ في الكلام. صفت الشيخ  
مُصنغيًا للشاب الذي وجّه خطابة إليه قائلاً: أودّ يا سيدي أن تُقف عند غطاء الرأس  
للنساء، ونعُض ما يُذكرُ تمييزاً لمنعه، فهم يا سيدي يقولون: إنّ الإخسار بغطاء الرأس  
هُوَ تَغْيِيرُ عَنْ هُوِيَّةٍ عَقْدِيَّةٍ، ونعُضهم الآخر يقول: إنّ الإخسار بغطاء الرأس هُوَ تَغْيِيرُ عَنْ  
هُوِيَّةٍ سِيَّاسِيَّةٍ.

وقبل أن يأخذ الشاب مقعده، وقف شاب آخر، واستأذن بدوره في الحديث، وأبتسم  
الشيخ مُرحبًا بهذه المشاركات الواعية.

قال الشاب: إنهم يقولون أيضًا: يا سيدي إنّ السفاخ بانتشار غطاء الرأس، وعدم

التضييق على النساء والفتيات، اللاتي يحتزنن تغطية شعورهن في المقافل والمدارس والشوارع، سوف يشكل ضغطاً اجتماعياً، على بعض النساء الأخريات لتغطية شعورهن، ولذلك فإنهم يرون أن حماية الحرية، توجب عندهم منع النساء كافة، من تغطية شعورهن، ولو بلغ الأمر حد جرمان الفتيات من الحق الإنساني الأساسي في التعليم، وحق النساء في العقل.

عند هذا أخذ الشاب أيضاً مقعده من المجلس، ليصل إلى مسمع الشيخ صوت فتاة ترغب في الإضافة وتستأذن في الحديث.

التفت الشيخ إلى حيث تجلس الفتاة التقاتة من يرحب بما ستقوله، حماساً ورغبة في المشاركة والرأي.

قالت الفتاة: أرجو ألا يضيّق شيخنا الجليل بأسئلتنا ومقاطعاتنا زغبة في الاستفادة من خبرة من هم أسن منا وأعلم، كما أرجو ألا أخرج بسؤالي عن موضوع الحديث أو أن أثقل على شيخنا الجليل بمزيد من الأسئلة، بعد غناء يوم طويل.

ابتسم الشيخ مطمئناً تلك الفتاة، وأبدى ترحيبه بطرح ما لديها من تساؤلات وترجيبة بكل مشاركات أو أسئلة أو آراء، من أي أحد من الحاضرين.

بَدَا السُّرُورُ عَلَى وَجْهِ الْفَتَاةِ، وَوَجَّهَتْ الْحَدِيثَ إِلَى الشَّيْخِ قَائِلَةً: مَا رَأَيْتُ شَيْخَنَا الْجَلِيلَ فِي أَمْرِ غِطَاءِ الْوَجْهِ أَوْ مَا يُدْعَى النِّقَابِ، الَّذِي تَرُغِبُ بَعْضُ النِّسَاءِ فِيهِ، مِنْ مُنْطَلَقِ الْحُرِّيَّةِ، وَسَلَامَةِ الْعَقِيدَةِ، وَإِعْلَانِ الْهَوِيَّةِ؟

أَخَذَتِ الْفَتَاةُ مَجْلِسَهَا لِيُوَاصِلَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ فِي تَفْكِيكِ مَعْمِيَّاتِ هَذِهِ الْقَضَايَا الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي أَثَارَهَا النِّقَابُ، وَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ أُسَاسِيٍّ لِيُوجِدَ الْإِنْسَانَ، وَمَعْنَى حَيَاتِيهِ، وَهُوَ حَقُّ الْحُرِّيَّةِ، الَّذِي مِنْ دُونِهِ، لَا يَكُونُ وَاجِبٌ وَلَا تَحْتَمَلُ مَسْئُولِيَّةً.

وَقَالَ الشَّيْخُ: دَعُونَا نَبْدَأُ بِأَمْرِ شَهَةِ الْهَوِيَّةِ الْعَقِيدَةِ أَوِ السِّيَاسِيَّةِ لِتَبْرِيرِ سَبَبِ حِرْمَانِ الْمَرْأَةِ مِنْ خِيَارِهَا الشَّخْصِيِّ، فِي غِطَاءِ شَعْرِهَا، خَاصَّةً فِي الْأَمَاكِينِ الْعَامَّةِ، بِمَا فِي ذَلِكَ مَقَاعِدِ الْبِرَاسَةِ، وَمَكَاتِبِ الْعَمَلِ.

نَعَمْ أَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ، فَصَاحِبَاتُ أَنْ غِطَاءِ شَعْرِ رَأْسِ الْمَرْأَةِ، فَهَذَا يُعْبَرُ عَنْ هَوِيَّةِ عَقِيدَةٍ، وَأَنْ يَكُونَ أَيْضًا تَعْبِيرًا رَمْزِيًّا ذَا دَلَالَةٍ سِيَاسِيَّةٍ، إِلَّا أَنْ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ أَنَّ الْإِحْتِسَامَ عَامَّةً بِمَا فِي ذَلِكَ غِطَاءِ الرَّأْسِ، هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَنَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، عِنْدَ مُعْظَمِ مَنْ يَلْتَزِمُ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي جَوْهَرِهِ، تَعْبِيرٌ عَنِ اقْتِنَاعِ شَخْصِيٍّ، بِقِيَمَةِ إِنْسَانِيَّةِ سَامِيَّةٍ، وَهِيَ الْإِحْتِسَامُ وَالْمُرِيدُ مِنَ الْحِرْمَانِ عَلَى نَقَاءِ الْعَلَاقَاتِ الرَّوْحِيَّةِ الْخَمِيمَةِ، وَكُلُّ مَا يُعِينُ عَلَيْهَا وَيُخَصِّصُهَا.

جِزْصًا عَلَى خُصُوصِيَّةِ الْأُسْرَةِ.

وَمِنَ الْجَانِبِ الْآخَرَ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَمِنْ حُرِّيَّاتِهِ الْأَسَاسِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، أَنْ تَكُونَ لَهُ هَوِيَّةٌ عَقْدِيَّةٌ وَإِنْتِمَاءٌ سِيَاسِيًّا يُغَيِّرُ عَنْهُمْ، بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ حُقُوقِ الْمُواطَنَةِ وَوَجْهَاتِهَا بِجَاهِ كُلِّ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، بِكُلِّ هَوَاتِيهِمُ الْعَقْدِيَّةِ وَالْعِرْقِيَّةِ، وَإِذَا وَظَّفَ بَعْضُهُمْ أَيْ هَوِيَّةً لِأَهْدَافٍ سِيَاسِيَّةٍ خَاطِئَةٍ، فَالْجَوَازُ، وَمُعَالَجَةُ مِثْلِ هَذَا اللَّوْنِ مِنَ التَّبْرِيرِ الْخَاطِئِ، هُوَ الْجَوَازُ وَطَرَحُ الْأَمْرِ أَمَامَ الْأُمَّةِ، وَكُشْفُ الزُّنْبِ وَوُجُوهِ الْخَطَا، وَأَيُّ أَهْدَافٍ خَفِيَّةٍ أُخْرَى، هُوَ السَّبِيلُ السَّلِيمُ لِمُوَاجَهَةِ كُلِّ الْوَانِ الْإِنْجِرَافِ وَالتَّوْظِيْفِ الْخَاطِئِ وَمُوَاجَهَةِ كُلِّ الْحَمَقِ وَالْجَهْلَةِ وَأَصْحَابِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَمْرَاضِ، مِنَ الدُّعَاةِ الرَّائِفِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ بِاسْمِ جِمَانَةِ الْحُرِّيَّاتِ؛ مَعْنَا مِنْهُمْ لَتَمَكَّنَ هَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْقَسَادِ وَالِاسْتِيْذَادِ. وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَإِنَّ عَلَيْنَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، التَّنَبُّهُ، إِلَى أَنَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْيَانِ، حِينَ يَتَفَاقَمُ فِسَادُ الْأَنْظِمَةِ وَمُمَارَسَاتِهَا الْإِسْتِيْذَادِيَّةِ، تَلَجَّ الشُّعُوبُ، إِلَى تَوْظِيْفِ الْعَدِيدِ مِنَ الرُّمُوزِ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْحِجَابِ وَالتَّيْقَابِ، لِتُؤَدِّيَ، إِلَى جَانِبٍ وَظَائِفِهَا الْأَسَاسِيَّةِ، مَهْمَةٌ التَّعْبِيرِ عَنِ الرَّفْضِ، وَعَنِ الْمُقَاوَمَةِ لِلْأَنْظِمَةِ الْمُسْتَبَدَّةِ وَمُمَارَسَاتِهَا الْفَاسِدَةِ. كَذَلِكَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَيْضًا التَّنَبُّهُ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ الْحَظَرَ وَالْمَنْعَ

والتضيق السياسي، تحت مختلف التسميات، من قبل السلطات والقوى المسيطرة، إنما هو توظيف خفي، لتمكين السلطات الظالمة والمصالح الجائرة من رقاب الشعوب، والتي كثيراً ما توظف دعاوى زائفة، ومفاهيم أيديولوجية وعنصرية مختلفة، للتفرقة والتمايز بين المواطنين، وتوظيف ذلك لخدمة الأنظمة والمصالح الخاصة، وهو بدوره ما يدعوا الشعوب لتوظيف كثير من الرموز، للتعبير عن الاحتجاج ورفض ممارسات السلطات الجائرة المنحرفة.

هنا سكنت الشئخ عن الحديث بزهة يلتقط فيها أنفاسه، ثم قال: أما ما أثير من أمر دعوى أنصار الحرية الرافقين في أن عدم منع من ترغيب من النساء والفتيات في عطاء شعرها، قد يؤدي إلى أن يضطر بعض النساء، بسبب ما قد يحسسن به من الضغط الاجتماعي، إلى تعطية شعورهن، فلا حاجة إلى تفيد زيف هذه الدعوى، لأن من العجب أن يبرز الدفاع عن الحرية يمنع كل النساء والفتيات من ممارسة حقهن الإنساني في ارتداء ما يروق لهن من لباس، بما لا يخدش حياء لأحد، صغيراً كان أم كبيراً، ذكراً كان أم أنثى، كما لا يدعوا إلى تحرشات وإتزازات جنسية حيوانية خاصة من قبل بعض المراهقين والسفهاء بدعوى أن بعض النساء قد يفرضن على أمر خيار عطاء الشعر لما يشعرون به من ضغط اجتماعي ناتج عن مرأى المخجبات في المجتمع.



عَجِيبٌ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَنْ يُحْرَمَ نِصْفُ الْمُجْتَمَعِ مِنْ حَقِّهِ فِي حُرِّيَّةِ اخْتِيَارِهِ  
الشَّخْصِيَّ بِزَعْمِ أَنْ بَعْضًا مِنْهُنَّ قَدْ يَفْرِضْنَ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ خِيَارًا بِزَعْمِ الضَّغْطِ  
الاجْتِمَاعِيِّ، وَعَجِيبٌ أَنْ بَعْضَ دُعَاةِ الْحُرِّيَّةِ الرَّائِفِينَ، وَمَنْ لَهُ مَأْرَبٌ خَفِيَّةٌ فِي نُصْرَةِ مِثْلِ  
هَذِهِ الدَّعْوَى يَجِدُونَ الْجُرْأَةَ وَالشُّجَاعَةَ بِاسْمِ الْحُرِّيَّةِ الْمُطْلُومَةِ، لِلْمُطَالَبَةِ بِسَلْبِ  
الْأَخْرَاطِ حَقًّا مِنْ حُقُوقِهِنَّ الْإِنْسَانِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ، بِدَّعْوَى اِحْتِمَالِ أَنْ الْبَعْضُ قَدْ يَخْضَعُ  
لِمَا لَا يُرِيدُ، بِحُجَّةِ اِحْتِمَالِ الضَّغْطِ الْاجْتِمَاعِيِّ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُصَنِّقُ فِيهِ بِاسْمِ  
الْحُرِّيَّةِ، لِمَنْ تَمَشَّى فِي السُّوَارِعِ وَالْمُنْتَدِيَّاتِ بِمَا يُشْبِهُ وَرَقَةَ الثُّوبِ بِمَقَاتِلِهَا الْأَنْثَوِيَّةِ،  
مُغْرِنَةً، شِبْهَ عَارِيَّةٍ ذُونَ اسْتِحْيَاءٍ وَلَا حَرَجٍ، وَكَمَا تَقُولُ الْأَمْثَالُ "رَمْتَنِي بِدَائِحِهَا وَالسَّلْتُ"  
وَ"ضَرَبْتَنِي وَتَنَكَّى، وَسَبَقْتَنِي وَاشْتَكَى".

وَاصِلَ الشَّيْخِ حَدِيثُهُ فِي الْإِجَابَةِ عَمَّا أَثَارَهُ الشَّبَابُ مِنْ أَسْئَلَةٍ وَإِسْكَالَاتٍ فَقَالَ:  
أَمَّا مَا أَثَارَتْهُ أُخْتُنَا الْكَرِيمَةُ بِشَأْنِ خِيَارِ بَعْضِ النِّسَاءِ غِطَاءَ وَجُوهِهِنَّ أَوْ مَا يُدْعَى  
بِالنِّقَابِ، مِنْ مُنْطَلَقِ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْهَيُوتِ. فَمِنْ مُنْطَلَقِ حَقِّ الْحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَإِنَّ  
خِيَارَ بَعْضِ النِّسَاءِ غِطَاءَ وَجُوهِهِنَّ، فَهَذَا حَقٌّ شَخْصِيٌّ لِهِنَّ، لَوْ بَلَغَ الْأَمْرُ بِأَيِّ أَحَدٍ مِنَ  
النِّسَاءِ أَوْ الرِّجَالِ أَنْ يَسْجَنَ نَفْسَهُ فِي الدَّارِ فَلَا يَخْطُو خَطْوَةً وَاحِدَةً خَارِجَ الدَّارِ، فَذَلِكَ

حَقٌّ لِفَرْدٍ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْترضَ عَلَى هَذِهِ الْخِيَارَاتِ الشَّخْصِيَّةِ إِلَّا فِي حُدُودِ النَّصِيحِ،  
وَفِي الْحُدُودِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِأَمْنِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ، لِأَنَّ مَنْ يُعْطِي وَجْهَهُ يُصْبِحُ مَجْهُولَ الْهَوِيَّةِ،  
وَمِنْ حَقِّ رِجَالِ الْأَمْنِ، وَكُلِّ إِنْسَانٍ آخَرَ فِي خَاصَّةِ دَارِهِ، أَنْ يَعْلَمُوا هَوِيَّةَ الْآخَرِ بِالْأَسْلُوبِ  
الْمُنَاسِبِ الَّذِي لَا يَنْتَهِكُ خِيَارَ مَنْ يُعْطِي وَجْهَهُ وَيُخْفِي هَوِيَّتَهُ.

أَمَّا مِنْ جَانِبِ الْهَوِيَّةِ الْعَقْدِيَّةِ، فَإِنَّ بِالْإِمْكَانِ إِعْطَاءَ غِطَاءِ الْوَجْهِ هَوِيَّةَ عَقْدِيَّةَ  
بِالْمَعْنَى الْفِتْوَى الضَّمِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ، وَلَكِنْ يَصْعَبُ الْقَوْلُ إِنَّ ذَلِكَ مِمَّا تَتَحَلَّلُهُ  
جَمَاهِرُ أَتْبَاعِ الْعَقَائِدِ الْعَالَمِيَّةِ، وَلَا عَلَى مَفْهُومِ دَوَاعِي الْفَضِيلَةِ وَالْإِحْتِشَامِ، لَكِنَّ وَجْهَ  
الْإِنْسَانِ شَخْصِيَّتُهُ وَوَسِيلَتُهُ الْأَنْسَابِيَّةُ، لِمَرَّةٍ إِلَى حَيَاتِهِ، وَالتَّغْيِيرُ عَنْ إِرَادَتِهِ، وَذَلِكَ عَلَى  
غَيْرِ خَالٍ بَقِيَّةٍ خُصُوصِيَّةٍ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ، الَّتِي لَا حَاجَةَ لِتَغْيِيرِهَا أَمَامَ الْآخَرِينَ، وَالَّتِي  
يَسْتَدْعِي -فِطْرِيًّا- الْكَشْفُ عَنْ جَمَالَاتِهَا عِنْدَ الذُّكُورِ خَاصَّةً الْمَعَانِي وَالْحَوَاطِرَ  
الْجِنْسِيَّةَ، فِي الْمُخَيَّلَةِ الذُّكُورِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ.

هَكَذَا أَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، فَإِنَّ مَا أَرَاهُ وَجْهَ الصُّوَابِ فِي هَذَا الْأَمْرِ هُوَ أَنْ غِطَاءَ  
الْوَجْهِ وَ"قَفَاز" الْيَدَيْنِ اللَّتَيْنِ مُمَارَسَةٌ، وَخِيَارُ إِنْسَانِيٍّ سَلْبِيٍّ، يُعْدَانِ فِي جُلِّ الْأَحْوَالِ، مِنْ  
مُعَوَّهَاتِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْإِيجَابِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يُلْغِي حَقَّ أَيِّ أَحَدٍ، مِنْ مُمَارَسَةِ

هَذِهِ الْجَبَارَاتِ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ أَيَّ أَحَدٍ أَنْ يُعْطِيَ لِغِيَاةِ الْوَجْهِ دَلَالَةً  
عَقْدِيَّةً خَاصَّةً بِهِ، لَكِنْ يُحْطَى مَنْ يَرَى الْإِزَامَ أَيَّ فَرْدٍ بِالْغَاةِ شَخْصِيَّةً وَإِذَا زِدَ حَيَاتِيهِ  
وَجَزْمَاتِيهِ مِنْ أَحْصَى خَصَائِصِ حُقُوقِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمَا يَتَضَمَّنُ بَعْدًا عَقْدِيًّا يُتَاقَى مُتَطَلِّبَاتِ  
الْفِطْرَةِ، فَمَنْ شَاءَتْ أُمَّهَا الْإِخْوَةَ وَالْأَخَوَاتُ فِيمَا أَعْلَمُ وَأَرَى، أَنْ تُحْجَبَ وَجْهَهَا فَلَهَا ذَلِكَ،  
مِنْ بَابِ الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ وَمِنْهَا حُرِّيَّةُ الْإِعْتِقَادِ، وَمِنْ بَابِ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ الْإِزَامَ أَيَّ  
أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ حُجْبَ وَجْهَهَا وَالْغَاةَ شَخْصِيَّةً.

أَمَّا مَنْ يَدَّعِي أَنَّ جَمَالَ الْمَرْأَةِ مَدْعَاةٌ لِلْفِتْنَةِ فَهَذَا مَنطِقٌ سَلِيمٌ، لِأَنَّ الرِّجَالَ أَكْثَرُ أَدْبَا  
مَعَ الْمَرْأَةِ الْجَمِيلَةِ الْمُحْتَشِمَةِ، وَجَبْنَ يَتَعَرَّضُونَ لَهَا رَغْمَ ذَلِكَ فَتَى أَوْ رَجُلٌ طَائِشٌ، فَمَنْ  
الَّذِي يَجِبُ عِقَابُهُ وَسَجْنُهُ، أَهِيَ الْفَتَاةُ أَمْ الْمُعْتَدِي الطَّائِشُ. إِنَّ مَنْ يَطْلُبُ مِنَ الْفَتَاةِ  
غِيَاةً وَجْهَهَا وَالتَّنْقِيبَ، فَهُوَ يُسَجِّنُهَا وَيَتْرُكُ الْمُجْرِمَ الطَّائِشَ يَجُوبُ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ  
يَعْبَثُ فِيهَا فَسَادًا وَافْتِنَادًا.

وَهُنَاكَ أَمْرٌ آخَرٌ أُمَّهَا الْإِخْوَةَ وَالْأَخَوَاتُ أَحِبُّ أَنْ أَذْكَرَ بِهِ الشَّبَابَ، وَهُوَ إِعْطَاءُ الطَّرِيقِ  
وَالْمَخَافِلِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَامَّةِ حَقَّهَا، مِنْ آدَابِ النَّظَرِ بِمَا لَا يُخْرِجُ الْآخَرِينَ، أَوْ يُؤْذِي  
مَشَاعِرَهُمْ لِأَنَّ غَضُّ الْبَصَرِ عَنْ كُلِّ مَا لَا حَاجَةَ لَهُ أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِخُصُوصِيَّاتِ الْآخَرِينَ فِي  
عُرْضِ الطَّرِيقَاتِ، أَوْ فِي حُرْمَاتِ الْجَوَارِ، أَمْرٌ وَاجِبٌ.



فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عِبَادَتَهُ وَسَخَّرْنَاهُ أَهْلِي الْمَنَادَةِ أُمَّ الْعَبْدِيِّ الطَّائِفِينَ

وَتَعَدُّ بُرْهَانَهُ صَفَاتٍ وَأَصْلَ الشَّيْخِ حَدِيثُهُ قَائِلًا: إِنَّ عَلَى أُنْبَاءِ الشُّعُوبِ غَامَّةً، وَعَلَى أُنْبَاءِ  
 الشُّعُوبِ الَّتِي تُعَانِي مِنْ كَيْبِ الْحَرِيَّاتِ، وَمِنْ نَسْرِ مَضَارٍ فَوْضَى تَرْوِجِ الرُّذَائِلِ، بِاسْمِ  
 كَقَالَةِ الْحَرِيَّاتِ جَلْبًا مِنْهُنَّ لِلْمَكَاسِبِ الْحَرَامِ، وَتَمْكِينًا لِلِاسْتِبْدَادِ خَاصَّةً، أَنْ يَتَحَلَّوْا  
 بِالشَّجَاعَةِ، وَكُشْفِ أَفْبَعَةِ الذَّنَابِ الْمُفْتَرِسَةِ، وَتَرْعِ قُرُوبِ الْجَمَلَانِ الْبَرِيئَةِ عَنْهُنَّ، بِالْحُجَّةِ  
 وَالْكَلِمَةِ السَّوَاءِ، وَالْحُجَّةِ بِالْبَيِّنَةِ بِمَا يَلِيْقُ بِأَدَبِ النَّصِيحِ لِلأُمَّةِ وَشَبَابِهَا وَجُمْهُورِ أُنْبَاءِهَا  
 مُتَجَلِّينَ بِالصَّبْرِ وَالْمُنَابَرَةِ وَتَقْدِيرِ الظُّرُوفِ، خَاصَّةً فِيهَا هُوَ مِنْ بَابِ الصِّغَائِرِ وَالذَّلَاتِ.  
 إِنَّ عِطَاءَ الرَّأْسِ، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَأَقِعِ مُمَارَسَاتِ كَثِيرٍ مِنْ شُعُوبِ الأَرْضِ، أَيْهَا الإِخْوَةَ  
 وَالْأَخْوَاتِ - إِنَّمَا هُوَ فِي جَوْهَرِهِ - عِنْدَ جُلِّ هَوْلَاءِ النَّاسِ، تَغْيِيرٌ مِنْهُمْ عَنِ الْبِرَامِ فِيهِمِ الْفَضِيلَةَ  
 وَالْإِحْتِشَامِ، وَالْمُرْعَبُ فِي هَذَا، عِنْدَ ذُنَابِ بَقَائَةِ نُجَارِ الرُّذِيلَةِ، وَمُرُوجِ الْمَقَامِيدِ،  
 وَصِنَائِعِهِمْ مِنْ بَعْضِ رَجَالِ الْحُكْمِ وَالسُّلْطَةِ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَنَّهُ يُمَثَّلُ بَدَا تَنْزِعُ عَنْ عَوْرَةِ  
 فَسَادِهِمْ، وَقَاسِدِ غَايَاتِهِمْ دَعَاوَى وَرَقَّةِ ثَوْبِ الْحَرِيَّةِ الَّتِي يُخْفُونَ خَلْفَهَا غَايَاتِهِمْ  
 وَمُمَارَسَاتِهِمْ وَتَعَارَاتِ رَذَائِلِهِمْ، وَمَقَاسِدِهِمْ.

دَعُونِي أَيْهَا الإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ أَقْصُ عَلَيْكُمْ قِصَّةَ النَّصَائِبِ الْمُحْتَالِينَ الَّذِينَ تَمْكُنُوا  
 مِنْ إِفْتِنَاعِ سُلْطَانِ غَيْبِ أَحْمَقٍ، أَنْ يَأْمَكَاتِهِمْ أَنْ يُحَقِّقُوا لَهُ مُعْجَزَةَ يَخْلُمُ كُلَّ سُلْطَانٍ فِي أَنْ



دَعُونِي أَبُهَا إِخْوَهُ وَالْأَخْوَاتُ أَفْضَلُ عَلَيْكُمْ قِصَّةُ التَّمْصَاتِ مِنَ الْحَمَائِلِ

يُخْصَلُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ بِأَنْ يَصْنَعُوا لَهُ نُؤْيَا سِحْرِيًّا مِنْ خَرِيرِ نَقِيِّ سِحْرِيٍّ هَفْهَافٍ، لَا يَزَاهُ وَلَا يُجْسُهُ إِلَّا الْأَذْكِيَاءُ الْمُخْلِصُونَ، فَطَارَ السُّلْطَانُ الْغَيْبِيُّ الْأَحْمَقِيُّ بِفِكْرَةِ هَذِهِ الْحَلَّةِ السِّحْرِيَّةِ الْمَوْهُومَةِ الْمَأْمُولَةِ فَرَحًا، لِأَنَّهَا سَتُمْكِنُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَنْ فِي خَاصَّتِيهِ وَخَاشِيَّتِيهِ وَوُزْرَائِهِ وَرِجَالِ حُكْمِهِ، مَنْ يَتَمَتَّعُ بِالدِّكَاةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَبِذَلِكَ يَتِمَكَّنُ مِنْ إِصْبَافِهِمْ وَالثِّقَةِ بِهِمْ وَالسِّيْطْرَةَ الثَّامَّةَ عَلَيْهِمْ لِمَصْلَحَتِهِ، وَأَخَذَ الْمُخْتَلَانِ فِي ائْتِزَارِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْمُلْطَانِ الْغَيْبِيِّ الْفَاسِدِ، لِنَسْجِ هَذِهِ الْحَلَّةِ الْمَوْعُودَةِ وَشِرَاءِ أَدْوَاتِهَا وَمُسْتَلْزَمَاتِهَا وَخَاصَاتِهَا، بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ الْجَهَنَّمِيَّةِ وَلَيْسَ فِي خَاشِيَةِ السُّلْطَانِ مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى كَشْفِهِمْ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِمْ وَكَشْفِ حِيلَتِهِمْ وَاجْتِنَالِهِمْ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَهَمَوْهُ بِعَرْقَلَةِ صُنْعِ هَذِهِ الْحَلَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ، الَّتِي سَتُكْشَفُ غِبَاءُهُ وَنِفَاقُهُ، وَخَاصَّةً أَنْ سَمِعَهُ هَذِهِ الْحَلَّةِ السِّحْرِيَّةِ قَدْ سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي الْأَفَاقِ، وَتَطَّلَعَ الشَّعْبُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَنْ فِي خَاشِيَةِ السُّلْطَانِ الْغَيْبِيِّ الْأَحْمَقِيِّ، مِنَ الْخَوْنَةِ الْفَاسِدِينَ الْمُنَافِقِينَ، بِوَاسِطَةِ قُوَّتِهَا السِّحْرِيَّةِ الْمَرْعُومَةِ.

وَلَمَّا أَعْلَنَ الْمُخْتَلَانِ تَمَامَ صُنْعِ الْحَلَّةِ، وَرَفَا الْبُشْرَى الْعَظِيمَةَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَطَلَبْنَا مِنَ السُّلْطَانِ خَلْعَ حُلَّتِهِ، لِإِلْيَاسِهِ الْحَلَّةَ الْمَرْعُومَةَ، الَّتِي لَا وُجُودَ لَهَا وَالَّتِي حِينَ نَظَرِ النَّهَا السُّلْطَانُ لَمْ يَرْ شَيْئًا فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّ السُّلْطَانُ الْغَيْبِيُّ الْأَحْمَقِيُّ لَمْ يَكُنْ لِيَجْرَأَ عَلَى

الجهر، أنه لا يراها، خوفاً من أن يُتهم بالغباء والخمافة، ولم يكن هناك بالطبع، أي واحد من الوزراء ورجال الخاشية خوفاً وجُبناً أن يكون أي أحد منهم خيراً من السلطان، الذي أخذ يتغزل وهو عاري الجسد بحمال الخلة الموهومة التي يرتديها.

وكان يوم الاحتفال العظيم بهذه الخلة السحرية الرائعة وزكيت السلطان العاري عزنته الملوكية، تحف به خاشيته ووزراءه وكبار مستشاريه، وأخذت العزنة تسير به بين صفوف جموع الشعب، والكل ينظر إلى السلطان العاري، ولكن لم يكن أحد منهم أيضاً يجزؤ على القول: إنه لا يرى الخلة السحرية التي على السلطان، لا يقال عنه إنه غبي أحقق وفاميداً منافق، على شاكلة خاشية السلطان ورجاله.

هل تعلمون أيها الإخوة والأخوات من كشف جيلة المحتالين ونصبيهم، وغباء السلطان وخمافته، وزيف كل من حوله، وفي مقدمتهم خاصة رجال خاشيته المنافقين وجبنتهم وخوز نفوسهم؟

لقد كان يا نيدبا هناك طفلاً صغيراً، هو الذي كشف جيلة المحتالين وخمافة السلطان وأتباعه وغبانهم بتلقائيه سليقتيه، ونقاء طبعه، وشجاعة فطرته، هو الذي أطلق حين رأى السلطان عارياً صرخة عالية وسط الجموع الخائفة الصامتة في ذلك



النوم، قائلًا: "انظروا، السلطان عرتان" "السلطان عرتان".

بهذه الصرخة، انكشف غطاء الخوف والخور عن جموع الشعب المقيمين،  
وصرخوا بصوت واحد: "السلطان عرتان" "السلطان الأحمق عرتان" "يسقط  
السلطان" "يسقط الغباء" "يسقط الاستبداد" "يسقط الفساد" "يسقط الفساد".

وهكذا أيها الإخوة والأخوات، فإن شجاعة الأمة، وشجاعة أبنائها المفكرين  
والمصلحين، توجب عليهم، أن يسمعوا أصواتهم للأمة والشعوب ولأبنائهم وشبابهم  
قبل ميواتهم، بالجوار المخلص البتاء، لتوضيح الرؤية والثوابت، وخلاء القضايا،  
وكشف الزيف ودعاوى الزائفين، وجمع عزم الأمة على كلمة سواء، في حق وعدل  
وشورى وحرية وقناعة.

بغير ذلك يا بيدبا، لا يكون حق، ولا يكون عدل، ولا تكون شورى، ولن تكون حرية،  
ولن يكون إقناع أو إقناع، ولن تكون مسئولية، ولن يتحرز العبيد، ولن يرى أحد قامات  
جيل المستقبل العاملين والمبدعين الشجعان الأحرار، ولن تسقط وزفة الثوب يا  
بيدبا عن عوزات المفسدين الجشعين المستبدين، ولن تنقش سحب التخلف والدل  
والمهانة السوداء.

تَوَقَّفَ الشَّيْخُ عَنِ الْحَدِيثِ وَقَدْ رَفَعَ حَاجَتِيهِ وَارْتَمَسَتْ بِسَمَةِ عَلَى سَفْتِيهِ، وَهُوَ  
يَتَفَرَّسُ فِي وُجُوهِ الشَّبَابِ أَمَامَهُ، ثُمَّ قَالَ: بَقِيَ أَهْيَا الشَّبَابِ أَمْرًا طُنُّ الْحَيَاءِ قَدْ مَنَعَكُمْ مِنَ  
الإِشَارَةِ إِلَيْهِ، وَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ مُنَاقَشَتِهِ وَبِذَلِكَ نَكُونُ قَدْ تَعَرَّضْنَا لِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَنْوَاعِ لِبَاسِ  
الْفَتَيَاتِ وَالسَّيِّدَاتِ مِنْ قَضَائِنَا وَإِسْكَالَاتِ، وَالَّتِي مَنَعَكُمْ الْحَيَاءُ مِنْ إِثَارَتِهَا وَالإِشَارَةِ إِلَيْهَا.  
عَلَبَ السَّمَةَ وَجُوهَ الشَّبَابِ، وَأَرْخَبَ الْفَتَيَاتِ أَبْصَارَهُنَّ حَيَاءً إِلَى الْأَرْضِ.

قَالَ الشَّيْخُ بِاسْمِهَا، نَعَمْ أَهْيَا الشَّبَابِ مَا الْعَمَلُ حِينَ تَكُونُ الْفَتَاةُ بَاهِرَةً الْجَمَالِ؟  
سَرَتْ بَيْنَ الشَّبَابِ هَمَهَمَةٌ بِاسْمَةٍ، وَسَرَتْ بَيْنَ الْفَتَيَاتِ مَهَامِسَاتٌ وَتَضَاحِكَاتٌ حَيَاءً  
خَافِيَةً.

أَمَّا قِطَّةُ الشَّيْخِ الْجَمِيلَةُ الْمُدَالَّةُ الَّتِي تَحْرِصُ عَلَى الْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ، مُنْصِبَةً  
لَهُ وَكَأَنَّهَا مِنْ أَخْلَصِ تَلَامِيذِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا تَغْفُلُ عَيْنَاهَا عَنْ مُرَاقِبَةِ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ  
وَكَأَنَّهَا أَخْلَصُ حُرَّاسِهِ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِمَاذَا أَخَذَتْ قِطَّةُ الشَّيْخِ الْجَمِيلَةُ  
"تُنُونُو" وَتَمُوءُ، فِي رِقَّةٍ وَدَلَالٍ، وَعَيْنَاهَا شَبَهُ مُغْمَضَتَيْنِ تَتَقَلَّبَانِ بَيْنَ الشَّيْخِ وَالْفَتَيَاتِ  
الْمَهَامِسَاتِ خَاصَّةً عِنْدَ ذِكْرِ الْفَتَيَاتِ بِأَهْرَابِ الْجَمَالِ.

قَالَ الشَّيْخُ نَعَمْ أَهْيَا الشَّبَابِ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَرَوْنَ وَجُوبَ عِطَاءِ وَجْهِ الْمَرْأَةِ



فِطْنَةُ السَّمِيحِ الْجَمِيلَةِ الْمَذَلَّةِ الَّتِي تَحْرِصُ عَلَى الْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيِ السَّمِيحِ

بِعَامَّةٍ وَعِطَاءٍ وَجِهٍ الْحَسَنَاتِ مِنَ الْفَتَيَاتِ وَالنِّسَاءِ بِخَاصَّةٍ، وَذَلِكَ لِأَسْبَابِ عَبْدِ  
مِنْهَا التَّأْوُلِ الْعَقْدِيِّ، وَمِنْهَا التَّقْلِيدِيُّ، وَمِنْهَا مَا يُسَمُّونَهُ هَذِهِ الْأَيَّامَ التَّسَلُّطَ الدُّكُورِيَّ.

عَادَتِ التَّسَمَّاتُ وَالْهَمَّاتُ إِلَى وُجُوهِ الشَّبَابِ وَالشَّابَاتِ.

وَاصَلَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: تَعْلَمُونَ أَنَّهَا الشَّبَابُ أَنَّ الْجَمَالَ أَمْرٌ ذَوْقِي نِسْبِيٌّ، فَمَا يَرَاهُ  
الْبَعْضُ فَاتِنًا، قَدْ يَرَاهُ بَعْضُهُمُ الْآخَرَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَهَرَّتَمَا رَأَاهُ بَعْضٌ آخَرَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
الْجَمَالِ، وَلَكِنْ لَيْسَ فَاتِنًا، وَذَلِكَ مِنْ لَطْفِ اللَّهِ، لَنْ يَعْدَمَ أَحَدٌ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ إِعْجَابِ  
أَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ.

اهْتَرَّتْ رُؤُوسُ كَثِيرٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ مُوَافِقَةً عَلَى مَقُولَةِ الشَّيْخِ.

وَاصَلَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: مِنَ الْمُرَبِّ أَنَّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَ الْجَمَالِ  
وَالْإِعْجَابِ بِهِ وَبَيْنَ الْإِثَارَةِ الْجَنَسِيَّةِ.

فَالْإِنْسَانُ يَعْجَبُ بِكُلِّ أَلْوَانِ الْجَمَالِ فِي الْخَلْقِ بَدَأَ بِالْوُرُودِ وَالْأَرْهَارِ وَالْأَطْيَارِ،  
وَالْمَبْنِيِّ وَالْحَلِيِّ وَالرِّتَاشِ، وَمِنْ ذَلِكَ جَمَالَ قَسَمَاتِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ.

فَهَلْ إِعْجَابُنَا بِالْجَمِيلِ وَالثَّمِينِ خَطَأٌ فِي طَبَعِ الْإِنْسَانِ، وَهَلْ إِعْجَابُنَا يُعْطِينَا الْحَقَّ فِي  
سَرِيقَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَفْكَرُ فِي سَرِيقَةِ الْجَمِيلِ وَالثَّمِينِ إِلَّا إِنْسَانٌ مَرِيضٌ النَّفْسِ غَيْرُ سَوِيِّ الْفِطْرَةِ.

إِنَّ الْفَتَاةَ الْجَمِيلَةَ الْخَلْقِي الَّتِي تَحْتَرِمُ نَفْسَهَا وَتَحْتَشِمُ فِي لِبَاسِهَا وَتَصْرُقَانِيهَا قَوْلًا وَفِعْلًا  
وَخَرَكَةً، وَإِنْ نَالَ جَمَالَ خَلْقِهَا أَوْ حُسْنَ ذَوْقِ مَلْبَسِهَا، إِعْجَابٌ مَنْ يَرَاهَا، فَهَلْ ذَلِكَ لَا  
يَدْعُونَا أَوْ يُبَيِّرُ لَنَا الْمَسَامَنَ بِكَرَامَتِهَا أَوْ التُّعَرُّضَ لَهَا بِمَا يَسُوءُهَا، بَلْ لَعَلَّ ذَلِكَ فِي حِلِّ  
الْأَحْوَالِ وَبِحُكْمِ الْفِطْرَةِ مَدْعَاةٌ إِلَى الْمُبَالَغَةِ فِي اخْتِرَامِهَا وَحُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَهَا.

أَمَّا إِذَا مَا تَجَرَّأَ بِالتُّعَرُّضِ لِمِثْلِ هَذِهِ الْفَتَاةِ أَوْ الْمَرْأَةِ، مُسْتَهْتِرٌ عَدِيمٌ الْمُرُوءَةِ، فَهَلْ تَهَبُّ  
إِلَى زِدْعِهِ وَعِقَابِهِ وَكَفِّبَ أَدَاءُ عَنِ النَّاسِ، أَمْ أَنَا نَعَاقِبُ الْبَيْتَةَ الَّتِي لَمْ تَتَجَاوَزْ حَقَّهَا فِي  
الْحَيَاةِ وَالْخُرَيْتَةِ الْبِنَاءَةِ، وَتَحْبِسُهَا، حُسْنِ حَيَاةٍ مُؤَيَّدَةٍ، خَلْفَ الْأَقْبِيعَةِ السُّودَاءِ أَوْ بَيْنَ  
الْجُدْرَانِ، وَبِذَلِكَ نَجْعَلُ نِعْمَةً جَمَالِهَا الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ لَهَا نِقْمَةً، عَلَيَّهَا.

لَمْ يَفْرُغِ الشَّيْخُ مِنْ جَمَلَتِهِ إِلَّا أَحْمَنُ مَخَالِبِ قِطْبِهِ تَنْشَبُ فِي أَطْرَافِ الْفِرَاشِ، وَكَانَتْهَا  
غَاضِبَةً مِمَّا سَمِعَتْ عَنْ سُلُوكِ الشَّبَابِ الطَّائِشِ.

وَاصَلَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: إِنَّا أَنَا الْإِخْوَةُ وَالْأَحْوَاتُ؛ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ فَكَأَنَّا نَتَخَلَّى  
عَنْ مَسْئُولِيَّتِنَا فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِنَا، وَنَتَلَمَّسُ الْعُذْرَ الْخَاطِلَ لِسُوءِ تَرْبِيَةِ شَبَابِنَا وَأَبْنَائِنَا،  
وَنَتَجَاهَلُ بِذَلِكَ أَثَارَ سُوءِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّقْصِيرِ، فِي أَدَاءِ أَدْوَارِنَا الْوَالِدِيَّةِ، وَمَسْئُولِيَّتِنَا  
الْمُسْرِيَّةِ، وَنَهْرَزُ لِأَنْفُسِنَا عَذِمَ أَخْدِنَا بِالْأَسَالِيبِ النَّفْسِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَخَاصَّةً

الأمهات: لأنهن عماد الأسرة التربوي، ولأن تقصيرنا لن نقف آثاره عند أمر واحد أو آخر فحسب، حتى نحاول أن نغض الطرف بينهما، إنما هو في الحقيقة مظهر من مظاهر انهيار الالتزام الخلقي والقيمي لدى أفراد المجتمع، وهو بالتالي دليل على انهيار الأداء الاجتماعي ونفسي التخلي والفساد في المجتمع الذي يجب المبادرة إلى معالجة أسبابه الكامنة، من دون مهاون أو تلمس للأعداء الواهية.

حتمًا أيها الإخوة والأخوات: فإنه ليس من القيم السليمة في المجتمع الإنساني، ولا من العقل السليم مصادمة الفطرة والعدوان على الحقوق الإنسانية الأساسية، وحرمان أي عضو من أعضاء الجماعة والمجتمع من حقه في ممارسة حياة حرة كريمة منيجه. أيها الإخوة والأخوات يجب أن نرتي كل واحد من أبنائنا وشبابنا، بحيث يعرف حقه، ولا يتعدى حده، وأن نكون جميعًا عونًا وسندًا لبعضنا البعض، فكلنا في خانة المطاف، أبناء وآباء وأمهات وأخوان وأخوات نجتمعنا الإنسانية، ونجمعنا المواطنة ونجمعنا المصلحة الاجتماعية، وننظم علاقاتنا القيم الأخلاقية السوية، بغض النظر عن السن والجنس، أو الطائفة والعقيدة، أو الموقع في المجتمع، ولا يصح أن يُقبل غير ذلك بحجة أي عذر من الأعذار المضللة الزائفة، وإلا كان الاستبداد والفساد والخلاف

وَالصِّرَاعُ وَالتَّخْلُفُ، وَسُوءُ الْمُتَقَلِّبِ فِي الدَّارَيْنِ

أَطْرَقَ الشَّيْخُ بُرْهَةً ثُمَّ رَفَعَ زَأْمَهُ قَائِلًا: بَعْدَ كُلِّ مَا قُلْنَا وَوَضَّحْنَا، أَمَّا الشُّبَابُ  
وَالشَّابَاتُ، بِشَأْنِ الْحُقُوقِ، فَإِنَّ مِنَ الْمُهَيِّمِ أَنْ تُدْرِكَ بِوَضُوحٍ أَيْضًا، أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا  
ذِكْرُنَا، أَمَّا الإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، مَا يَعْنِي أَوْ يَبْرُرُ إِضَاعَةَ الْمِرَاةِ حَيَاتِهَا وَوَقْفَتَهَا، مِنْ دُونِ  
حَاجَةٍ وَلَا ضَرُورَةٍ، مُتَبَرِّجَةً تَدْرِعُ الطَّرِيفَاتِ وَتَتَسَكَّعُ، وَتَتَصَدَّرُ الْمَجَالِمِ وَالصَّلَاتِ،  
شَفِيشَةً وَهَذْرًا، بِمَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا جَدْوَى مِنْهُ فِي عِلَاقَاتِ التَّوَاصِلِ وَالتَّرَاحِمِ وَالسَّمْرِ  
وَالتَّرْوِيحِ الإِجْتِمَاعِيِّ فِي جَلَسَاتِ الأُسْرَةِ وَتَفَقُّدِ أَحْوَالِ الأَبْنَاءِ وَحَاجَاتِ الدَّارِ وَتَفَقُّدِ  
أَحْوَالِ الأَهْلِ بَيْنَ الأَسْرِ وَالجَوَارِ وَالصَّبَابِ.

فَدَارُ الْمِرَاةِ أَمَّا الإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ وَصِغَارُهَا، فِي غَيْرِ مَصْلَحَةٍ أَوْ عَمَلٍ نَافِعٍ، أُولَى بِهَا  
وَبِوَقْفَتِهَا وَجَهْدِهَا، وَأَصْنُونُ لِعِفَافِهَا، وَأَحْفَظُ لِحُقُوقِهَا وَكِرَامَتِهَا، وَالإِعْتِدَالُ أَمَّا الإِخْوَةُ  
وَالْأَخَوَاتُ أُولَى بِمَنْ يَغْفُلُونَ وَيَعْلَمُونَ، وَعَلَيْهَا أَنْ لَا تُنْسَى أَنْ عُنْدَهَا "الْحَمَارُ وَأَبْنَاءُ  
الْحَمَارِ". وَهَذَا ضَجَّتِ الْقَاعَةُ بِالصُّجُكِ وَارْتَسَمَتْ نَظْرَةُ التُّشْفِي عَلَى وُجُوهِ الْفَتَيَاتِ.

عِنْدَ هَذَا أَحَدِ التَّفَقُّتِ الشَّيْخِ إِلَى حَيْثُ تَجَلِسُ الْفَتَيَاتُ وَإِلَى حَيْثُ يَجْلِسُ الْفَتَيَانُ  
وَقَالَ مُخَاطِبًا بَيْدَنَا وَالْجَمْعَ مِنْ خَلْفِهِ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اتَّضَحَ لَكُمْ أَمَّا الشُّبَابُ زَيْفُ

الغَبَشِ وَالخَلْطِ بِزَعْمِ الدِّفَاعِ عَنِ الحُرِّيَّاتِ، وَزَعْمِ الدِّفَاعِ عَنِ حُقُوقِ الإِنْسَانِ، وَزَعْمِ  
الدِّفَاعِ عَنِ الأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ القَوِيمِ، أَيَا كَانَ، يَمِينًا وَبَسَارًا، مِنْ أَصْحَابِ الأَمْرَاضِ  
وَالأَمْرَاضِ كَافَّةً، وَأَنْ تَكُونَ قَدِ انْضَحَتْ أَمَامَنَا جَمِيعًا حَقِيقَةُ غَايَاتِهِمْ، وَفَاسِدُ جُلِي  
دَعْوَاهُمْ، وَأَنْ يَكُونَ قَدِ انْضَحَ أَمَامَنَا أَيضًا السُّبُلُ الصَّحِيحَةُ لِلإِصْلَاحِ وَالْحُرِّيَّةِ  
وَالْمَسْئُولِيَّةِ، وَبِنَاءِ العِلَاقَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ الفِطْرِيَّةِ القَوِيمَةِ، بِإِذْنِ اللّهِ.

وَبِسُرْعَةٍ رَشِيقَةٍ فَائِقَةٍ وَقَمْتُ فَتَاءً أُخْرَى كَأَنَّكَ تَجْلِسُ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ فِي الجَانِبِ  
الأَيْسَرِ مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ وَالمُخَصَّصِ لِلنِّسَاءِ وَالفَتَيَاتِ، لِتُخَاطَبَ الشَّيْخَ، وَقَالَتْ:

مِنْ بَابِ المُسَاوَاةِ بِحَقِّنَا نَحْنُ النِّسَاءُ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَالإِفَادَةِ مِنْ عُلَمَائِهِ، لَدَيْ يَا  
سَيِّدِي تَسْأُولُ لَا أَجِدُ نَفْسِي رَاضِيَةً فِي السُّكُوتِ عَنْهُ وَمَعْرِفَةِ حِكْمَتِهِ مِنْكَ فِي ضَبْؤِهِ مَا  
وَضَحَتْ لَنَا مِنْ أَوْجِهِ التَّوَاصُلِ الرَّشِيدِ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ رِجَالًا وَنِسَاءً وَفَتَيَاتًا وَفَتَيَاتٍ،  
وَهَذَا التَّسْأُولُ هُوَ: مَا هِيَ الحِكْمَةُ وَالعَايَةُ مِنْ جِرْصِكَ مُنْذُ أَنْ نَزَلْتَ بِأَرْضِنَا، وَجَلَسْنَا إِلَى  
دُرُوسِكَ وَجَوَازَاتِكَ، أَنْ يَجْلِسَ الرِّجَالُ وَالفَتَيَاتُ إِلَى جَانِبِكَ الأَيْمَنِ مِنَ المَجْلِسِ وَأَنْ  
تَجْلِسَ النِّسَاءُ وَالفَتَيَاتُ إِلَى الجَانِبِ الأَيْسَرِ مِنْهُ، وَأَنْ يَكُونَ مَقْعَدُكَ يَتَوَسَّطُ المَجْلِسَ

فِي مُوَاجَهَةِ المَمَرِ الفَاصِلِ بَيْنَ الجَانِبَيْنِ؟



ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: نَعَمْ أَيُّهَا الْأُخْتُ، سَأَوْضِحُ لَكَ الْأَمْرَ أَخِذَا بِمَبْدَأِ الْمَسْأَلَةِ بَيْنَ  
الْجَنْسَيْنِ فِي الْخَيْرِ، لِيَتَكُونَ بِسُؤَالِكَ فِي هَذِهِ الْجَلْمَةِ يَتَسَاوَى نَصِيبُ الْفَتَيَاتِ سُؤَالَيْنِ  
كَمَا كَانَ نَصِيبُ الْفَتَيَانِ سُؤَالَيْنِ أَيْضًا.

الْحِكْمَةُ أَيُّهَا الْأُخْتُ أَنْ مَجَالِسَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ الدَّافِعَةُ، أَيَّا كَانَتْ مَجَالَاتُ الْعِلْمِ  
وَالْمَعْرِفَةِ، لَهَا جَانِبٌ رُوحِيٌّ، مِثْلُهَا مِثْلُ بَقِيَّةِ مَجَالِسِ الْعِبَادَةِ، وَلِنَجَاحِ مَهْمَةِ هَذِهِ  
الْمَجَالِسِ فَإِنَّهَا تَتَطَلَّبُ إِخْلَاصًا فِي الطَّلَبِ وَتُرْكِيزًا فِي التَّوَجُّهِ، وَلِذَلِكَ مِنَ الْمُهَيِّمِ طَلَبُ كُلِّ  
مَا قَدْ أَنْ يَصْرِفَ النَّفْسَ عَنِ التَّرْكِيزِ وَحَسَنِ الْأَدَاءِ، "وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٍ" كَمَا يَقُولُونَ.

وَلِذَلِكَ أَيُّهَا الْأُخْتُ الْكَرِيمَةُ خَرَّصْتُ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ الرَّجَالُ وَالْفَتَيَاتُ جَانِبًا مِنَ  
الْمَجَالِسِ، وَتَجْلِسَ النِّسَاءُ وَالْفَتَيَاتُ فِي الْجَانِبِ الْأَخْرَعِيِّ مَا تَعَوَّدَ أَهْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ أَنْ  
يَكُونَ الْحَالُ فِي مَجَالِسِ الْعِبَادَةِ حَيْثُ يَوْمُ الْجَمِيعِ رِجَالًا وَنِسَاءً مَجَالِسِ الْعِبَادَةِ، وَلَكِنْ  
يَجْلِسُ كُلُّ مِثْمِهِمْ عَلَى جِدَّةٍ، وَكَذَلِكَ مَجَالِسُ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، مِثْلُهَا مِثْلُ مَجَالِسِ  
الْعِبَادَةِ، فَهِيَ أَيْضًا حَقٌّ لِلْجَمِيعِ، وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ فِي مَجَالِسِ الْعِبَادَةِ وَوَجِبَتْ، فَإِنَّ ذَلِكَ  
الْجَمْعَ وَالْقَصْدَ فِي الْجُلُوسِ طَلَبًا لِلتَّرْكِيزِ وَصَفَاءِ الذِّهْنِ يُصْبِحُ أَمْرًا مَقْبُولًا فِي مَجَالِسِ  
طَلَبِ الْعِلْمِ الْعَالِي لِلْبَالِغِينَ، وَإِلَّا كَانَ عَلَى الْمُجْتَمَعِ أَنْ يَتَفَحَّصَ مَفَاهِيمَهُ وَأَسَسَ مَنَاهِجَ.



مَجَالِسِ الْعِبَادَةِ حَيْثُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رِجَالًا وَنِسَاءً وَ كُلًّا مِنْهُمْ عَلَى حِدَةٍ

تَرْبِيَةِ نَسَبِهِ، وَلَا يُضَيِّعُ الْجُهْدَ فِي مُصَارَعَةِ طَوَاجِينِ ظُلُوهِ الْإِنْجِرَافَاتِ، "وَدَسَّ الرَّؤُوسَ فِي الرِّمَالِ" بَدَلًا مِنْ مُعَالَجَةِ جُدُورِ الْأَمْرَاضِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْبَابِهَا الْحَقِيقِيَّةِ.

إِنَّ التَّوَاصُلَ الْأَخْلَاقِيَّ الْاجْتِمَاعِيَّ الْمُنْضَبَطَ بِقِيَمِهِ وَتَقَالِيدِهِ، وَصَلًا حِينَ يُحْسِنُ الْوَصْلَ وَفَصْلًا حِينَ يُحْسِنُ الْفَصْلَ وَذَلِكَ، هُوَ الْأُخْرَى بِالْعَلَاقَاتِ الْإِيمَانِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمَعَالِيَةِ الْقَوِيْمَةِ الْمُثْمِرَةِ، وَأَدْعَى إِلَى الْحَدِّ مِنْ أَمْرَاضِ الظُّلَامِ وَأَقَاتِ دُرُوبِ الْإِنْجِرَافِ، وَإِنَّ غَيْرَ ذَلِكَ فِي وَقَعِ عَالَمِ الْيَوْمِ وَأَحْوَالِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ هُوَ كَمَنْ يُسَاقِ خَلَهُ، أَوْ هُوَ "أَذَانٌ فِي مَالِطَةٍ" كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ، أَوْ كَمَنْ "يُرْقِمُ عَلَى الْمَاءِ"، أَوْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَدْوَةَ نَارِ

وَبِنَظَرَةٍ مُتَمَعِّنٍ وَنَبْرَةٍ جَادٍ مُتَفَكِّرٍ قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ إِنَّ عَلَى الشُّعُوبِ أَنْ تَتَدَبَّرَ أُمُورَهَا فِي جُدُورِهَا لَا فِي مَظَاهِرِهَا وَمُضَاعَفَاتِهَا فَتَزِيدَ طِينَتَهَا بِذَلِكَ بَلَاءً، وَعَلَى هَذِهِ الشُّعُوبِ الْأَنْتَحَالِيَّ عَنْ عُقُولِهَا، وَالْأَنْتَحَالِيَّ بِتَغْيِيْبِهَا، شَرِيْطَةٌ أَنْ نَسْتُخْدِمَ عُقُولَهَا بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ، وَلَيْسَ هَذَا وَلَا جَدَلًا وَلَا شَفَقَةً وَسَفْسَاطَةً.

وَاصِلَ الشَّيْخِ حَدِيثُهُ وَأَسَارِيرُهُ مُنْفَرَجَةٌ عَنِ ائْتِسَامَةِ غَرِيْبَةٍ وَامْبِعَةٍ، وَقَالَ: لَكُمْ عِنْدِي أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الشَّبَابُ وَالْأَخَوَاتُ الشَّبَابُ خَيْرٌ مِنْهُمْ يَسْرِكُمْ وَيُسْعِدُكُمْ، ارْتَفَعَتْ

الأصواتُ تُسألُ عنُ هذا الخبرِ قال الشيخُ لقد أثبتتُ "النظرة" العلميَّة الفطريَّة أنَّ  
الوصلَ المنفصلَ، والفصلَ المتَّصلَ، أدعى إلى الزواجِ، وهنَّا ابتعثتُ من بين الصُّفوفِ  
ضحكاتٌ عاليَّة فرحةً مُبتَهجةً، حتَّى أنَّ الفيلسوفَ بيديا خرجَ عن وقاره مُبتَهجاً  
صاحجاً حتَّى كادتُ قلنسوتهُ تسقطُ من على رأسه.

هنَّا وقفتُ المُتأدِّ التي بدأتُ بإثارة هذه المُضاميا الحسامية المهمَّة لِسباب هذا  
الزَّمانِ، بطلعتها الهَيَّة المُحلِّثمة، وقالتُ: نعم يا سيدي الشيخُ لقد أزلتُ الغيشَ  
وكشفتُ وجوهَ الرِّيفِ والخلطِ، وأوضحتُ معالمَ الطَّريقِ، فجزاك اللهُ خيرَ الجزاءِ عمَّا  
وضَّحتُ وأرشدتُ ونصحتُ لك، وشكراً كثيراً لك يا سيدي الشيخُ أيضاً على ما أدخلتُ  
من السُّرورِ على القلوبِ الشَّابةِ من أخبارِ الزَّواجِ لإصلاح ما ترى من خالٍ كثيرٍ من  
الشَّبابِ اليومَ، في كثيرٍ من البلادِ في هذا الزَّمانِ.

وقا إن أُنهتُ المُتأدِّ مقولتها، وقفتُ القِطَّة، ورَفَعْتُ رأسها ناظرةً إلى الشيخِ، وماءتُ  
بصوتٍ خافتٍ، كأنها تسترحمُ الشيخَ، أن يُنهيَ المُجلسَ، رَحمةً بها وبِنفسه.  
عندَ هذا وقفَ أحدُ الشَّبابِ وأخذَ في توجيهِ الخطابِ للشيخِ قائلاً: معذرةٌ يا سيدي  
إنَّ أثقلنا عليك اليومَ في المسألةِ والحديثِ: لأنَّ ما أثيرُ من فضائنا هي ممَّا يُهمُّنا معشَرَ



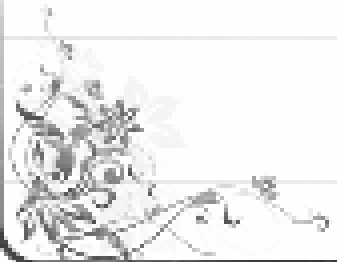
السُّبَابِ وَتَلَسَّعْتُ فِيهِ الْفَرَاءَ وَالرُّؤْيَى، وَبَشِيرُ خَيْرَتَنَا وَتَدْفَعُنَا إِلَى تَوْجُّهَاتٍ مُتَنَاقِضَةٍ تُضُرُّ بِنَا وَتُضُرُّ بِمُجْتَمَعَاتِنَا، وَلِذَلِكَ تَرَانَا نَهْتَبُ فُرْصَةَ لِقَائِنَا بِكَ وَبِالْحَكِيمِ بَيْنِنَا لِنُفِيدَ مِنْ عِلْمِكُمْ وَتَجْرِبَتِكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ جِبْتُمْ الْأَفَاقِ وَخَيْرْتُمْ حَيَاةَ الْأُمَمِ.

قَالَ الشَّيْخُ: مَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَتَى، هَاتِ مَا عِنْدَكَ، وَتَكُونُ هُوَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْكَ خِتَامَ جَوَارَاتِ هَذَا الْيَوْمِ.

قَالَ بَيْنِنَا: نَعَمْ سَيَكُونُ هَذَا بِإِذْنِ اللَّهِ خَاتِمَةَ الْحَدِيثِ، فَقَدْ أَثَقَلْنَا عَلَى شَيْخِنَا الْيَوْمَ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ.

قَالَ الْفَتَى: لَقَدْ أَفَدْتَنَا - أَيُّهَا الشَّيْخُ - أَنْ عَلَى الْمَرْأَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ تَرْتَدِي لِبَاسًا مَنَابِغًا لَا يُفْشِي شَيْئًا مِنْ مَفَاتِنِ الْجَمْدِ الَّتِي هِيَ مِنْ خُصُوصِيَّةِ الْحَيَاةِ الْأَمْرِيَّةِ الْخَمِيمَةِ، وَلَا يَبْدُو مِنْهَا إِلَّا الْوَجْهَ لِأَنَّهُ مُخْصِيئُهَا، وَإِلَّا يَدَاهَا لِأَنَّهَا وَسِيلَةُ أَذَانِهَا. فَهَلْ مَعْنَى هَذَا يَا سَيِّدِي أَنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَى الْإِسْتِشْذَانِ جِئِنَ نَأَى بُيُوتِ الْأَخْرَبِينَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَصْدِقَاءِ لِرِزَاةٍ أَوْ طَلَبِ حَاجَةٍ، مَا دَامَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَلْتَزِمَ "الْحِجَابَ".

قَالَ بَيْنِنَا مُخَاطِبًا الشَّابَّ، مَاذَا ذَهَكَ يَا فَتَى؟ وَكَيْفَ تَخْلِطُ الْأُمُورَ بَيْنَ الْقُدْرِ؟ مَا عِلَاقَةُ احْتِشَامِ الْمَرْأَةِ وَحِجَابِ الرَّأْسِ بِحِجَابِ الدَّارِ؟



أشار الشيخ بيده إلى بيدبا قائلاً له: على رسلك يا بيدبا، فلا بأس أن نوضح الأمر للفتي ولمن تختلط عليه الأمور في مثل هذه القضايا، ثم التفت الشيخ موجهاً خطابه إلى الفتى قائلاً له: إن ما ذكرت أيها الفتى يخلط بين أمرين:

الأمر الأول هو حال الإنسان، وهو يسعى بين الناس، وهو في هذه الحال يأخذ كامل زينته وما يجب أن يلقاه به الناس، وهو في حالة المرأة حين تسعى بين الناس في المجمع والأسواق، فإن عليها أن ترتدي لباسها المتابع مستورة البدن "مخجبة" الرأس، سافرة الوجه واليدين، أو "مترقعة" الوجه بالنقاب إن شاءت كما سبق أن ذكرنا ووضحنا.

أما الأمر الثاني وهو حال الإنسان في خصوصية داره؛ فإنه يكون في أوضاعه التي تقتضيها أحواله وزاخرة نفسه وبديه؛ بين خاصة الأهل من أبناء وأزواج، أو في حال من صحو ونوم وقضاء حاجات؛ فهو يضع يديه وزيئته ويتحرر منها بحسب حاجته، والمرأة في هذه الحال - حالها حال سواها من أفراد الأسرة بين محارمها، فلا حرج أن يبدو منها ما يناسب أحوال راحتها وتقتضيه خصوصية دارها. فقد يبدو ذراعها أو ساقها أو شعرها، وقد ترضع صغيرها، إلى غير ذلك من أحوال الناس في خاصة دورهم.

وَلِهَذَا فَلَا بُدَّ لِكُلِّ طَارِقٍ وَدَاخِلٍ عَلَى حُصُوصِيَّةِ دَارِ سِوَاهُ مِنْ أَنْ يَطَّرِقَ مِنْ وَرَاءِ الْأَبْوَابِ  
 وَ"حِجَابِ" الْجَدْرِ، فَإِمَّا قَضَيْتُ حَاجَتَهُ حَيْثُ هُوَ، أَوْ أَخَذَ أَهْلُ الدَّارِ زِينَتَهُمْ وَوَضَعُوا  
 ثِيَابَهُمْ بِمَا يَلِيقُ بِلِقَاءِ شَخْصٍ أَجْنَبِيٍّ عَنْهُمْ، وَعِنْدَهَا يُؤْذَنُ لَهُ، فَخَاصَّةُ الدَّارِ أَمْرٌ غَيْرُ عُمُومِ  
 الْمَجَامِعِ وَالْأَسْوَاقِ، فَلَا يَخْتَلِطُ الْأَمْرُ عَلَيْكَ يَا فَتَى وَلَا عَلَى إِخْوَتِكَ، فَتَنْصَرِفُونَ الْمَعْنَى إِلَى  
 غَيْرِ الْمَعْنَى، وَالْحَالُ إِلَى غَيْرِ الْحَالِ، وَتَخْلِطُونَ بِذَلِكَ بَيْنَ "حِجَابٍ" وَ "حِجَابٍ".  
 قَالَ بَيْدَبَا: حَرَاكَ اللَّهُ يَا شَيْخَنَا كُلَّ خَيْرٍ، وَلَا أَظُنُّ أَمْرًا قَدْ بَقِيَ لَدَى شَبَابِنَا مِمَّا يَهُمُّ  
 أَمْرَ الْهَيْئَةِ وَالزَّيْنَةِ وَاللِّبَاسِ وَمَا خَلْفَهُ مِنْ حِكْمَةٍ وَقَصْدٍ لَمْ يَسْأَلُوكَ فِيهِ وَلَمْ يُحَاوِرُوكَ  
 بِشَأْنِهِ.

عِنْدَ ذَلِكَ وَقَفَ الشَّيْخُ أَيْضًا أَخْذًا بَيْدِ بَيْدَبَا مُخَاطِبًا الْجَمْعَ قَائِلًا: نَعَمْ، كَفَّانَا مَا  
 تَحَدَّثْنَا بِهِ الْيَوْمَ، وَدَعَوْنَا نَأْخُذَ أَهْلَهَا الْإِخْوَةَ شَيْئًا مِنَ الْمَشْرُوبَاتِ لِنَلْتَقِيَ غَدًا وَنُؤَاجِلَ  
 الْحَدِيثَ وَالْجَوَازِ فِيهَا يَعْنِي لَنَا مِنَ الْقَضَايَا الَّتِي نَأْمَلُ أَنْ تُسَبِّحَ فِي بِنَاءِ عِلَاقَاتِ الْإِخَاءِ  
 وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَبَيْنَ أَبْنَاءِ الشُّعُوبِ، وَتُسَبِّحَ بِذَلِكَ فِي بِنَاءِ أُمْسِ  
 حَضَارَةِ سَلَامٍ إِنْسَانِيَّةٍ إِعْمَارِيَّةٍ خَيْرَةٍ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

## العِزَّةُ وَالْفَلَاحُ فِي حُبِّ اللَّهِ

قال الشيخ الجليل ابن بطوطة موجهًا خطابه إلى بيدبا وتلاميذته بعد أن أخذوا في اليوم التالي مجلسهم: وما هو الأمر الآخر الذي شغل بالك يا بيدبا ولم أجدك عنه مما أكبره في صفات أهل الجزيرة والوادي الآن؟

قال بيدبا: أما الأمر الآخر أيها الشيخ الجليل الحكيم ابن بطوطة فإنه يتعلق بما ذكرت لي في وصف أهل الجزيرة والوادي من أنهم يتمتعون بالشجاعة الأدبية، وبجس مشاعر الأنفة والعزة والكرامة، في مؤدّة وتواضع لا يشوبها تصنع ولا كبر.

قال ابن بطوطة: نعم ذكرت ذلك لك يا بيدبا، وهي صفات لم تُخطئها عيني فيهم من أول وهلة. قال بيدبا: ولكنك أيها الشيخ الجليل لم تذكر ولم توضح لنا مصدر هذه الشجاعة والأنفة والعزة والكرامة التي يتمتع بها أهل هذه الجزيرة، وسبب خيرتي في هذا الأمر أيها الشيخ الجليل أن جلّ الناس في زماننا، في كثير من بلاد الدنيا، قد افتقدوا هذه الصفات بزعم كثرة حديثهم عنها، وحبهم لها، ورغبتهم في أن يتحلوا بها، فالخوف والنفاق، والكذب والأناية، وحسن المدلّة، وخلق الخنوع والخضوع لكل ذي سطوة أو جاه أو مال؛ أصبحت صفات يُعانيها كثير من الناس، وكثير من الشعوب في هذا الزمان.



وَلَعَلَّ لَدَيْكَ أَتَمُّ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ شَيْئًا يُوضِّحُ لَنَا أَمْرَ هَذِهِ الْمُغْضَلَةِ الَّتِي تُحَيِّرُ كُلَّ ذِي لُبٍّ، وَالَّتِي أَفْعَدَتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَكَثِيرًا مِنَ الشُّعُوبِ، وَأَوْهَنْتْ هِمَمَهُمْ وَأَوْرَثَتْهُمْ الْعَجْزَ وَالضُّعْفَ وَالتَّخَلُّفَ، وَمَكَّنَتْ مِنْ رِقَابِهِمْ بِاسْتِهَانَةٍ وَقِسْوَةٍ وَشِرَاسَةَ عَنَاصِرِ الْفَسَادِ وَالِاسْتِنْدَادِ، وَجَعَلَتْ أَغْلَاهُمْ قَبْلَ أَدْنَاهُمْ زَهِينَةً فِي قَبْضَةِ الْأَعْدَاءِ، وَفَرِسَةً سَهْلَةً لِلطَّامِعِينَ مِنْ كَوَاسِرِ الشُّعُوبِ وَضِياعِ الْأُمَمِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْلُوطةَ: صَدَقْتَ أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ الْحَكِيمُ بِيَدَيَا؛ فَهَيْدِهِ وَلَا شَكَّ قَضِيئُهُ مُغْضَلَةٌ أُخْرَى هَامَةٌ، وَإِنِّي -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- أَجِدُ فِي جُعْبَتِي حَصِيلَةً طَيِّبَةً مِنَ التَّأَمُّلِ بِشَأْنِهَا فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ، لَعَلَّ فِيمَا لَدَيَّ يَكُونُ فِيهِ إِجَابَةٌ شَافِيَةٌ عَنْ تَسْأُوكَ وَإِخْوَانِكَ وَمَا يُزِيلُ بَعْضَ حَيْرَتِكَ.

السِّرُّ أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ بَيِّنٌ فِي أَمْرِ حَسَنِ الْكِرَامَةِ وَالْعِزَّةِ عِنْدَ بَعْضِ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ، وَحَسَنِ الدُّلَى وَالْمَهَانَةِ وَالخُضُوعِ عِنْدَ بَعْضِ الشُّعُوبِ الْأُخْرَى إِنَّمَا يَعُودُ فِي أَسَاسِهِ إِلَى الرُّؤْيَةِ الْكُلِّيَّةِ الْكُونِيَّةِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ وَعِنْدَ هَؤُلَاءِ.

فَالْأُمَمُ وَالشُّعُوبُ الْحُرَّةُ الْعَزِيزَةُ السَّلَامِيَّةُ الْكَرِيمَةُ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعْرَاءُ- شُعُوبٌ تُجْعَلُ الْحُرِّيَّةُ وَالْكَرَامَةُ وَالتَّكَافُلُ وَالْقِيَمَةُ وَالْمَرَامِي السَّامِيَّةُ الَّتِي تُهْفُو إِلَيْهَا نُطُوسُهَا وَفِطْرَتُهَا أَسَاسَ رُؤْيَيْهَا الْكُلِّيَّةِ الْكُونِيَّةِ الْإِسْخِلَافِيَّةِ.

أَمَّا الْأَقْمُ الَّتِي تَنْشُوهُ فِيهَا رُؤْيُهَا الْكُونِيَّةُ وَمَنَاهِجُ فِكْرِهَا، وَالَّتِي تَفْقِدُ عِنْدَ ذَلِكَ حُرِّيَّتَهَا  
وَحُرِّيَّةَ خِيَارَاتِهَا، وَتَفْقِدُ جِسْمَ كِرَامَتِهَا وَعِزَّةَ نَفْسِهَا أَيْدَانَهَا الْعَزِيزُ بَيْدَتَا؛ فَإِنَّهَا تَفْقِدُ  
مَشَاعِرَ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَلَا تُجْنِي مِنْهَا تَحَايَلُ فِي تَرْزِيفِ الْقَوْلِ وَالْحُجَّةِ إِلَّا مَشَاعِرَ الذَّلِيلِ  
وَالْمَهَانَةِ وَالْعَجْزِ وَالتَّخَلُّفِ، وَتَنْتَهِي أَمْرَهَا فِي جَمِيعِ عِلَاقَاتِهَا وَفِي تَنْظِيمَاتِهَا إِلَى الْفَسَادِ  
وَالِاسْتِبْدَادِ.

أَصْحَابُ الْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ، وَالْمُفْسِدُونَ وَالْمُسْتَبِدُّونَ، يَا بَيْدَتَا؛ لَا يَأْلُونَ جُهْدًا فِي  
تَشْوِيهِ الرُّؤْيِيَّةِ وَالْفِكْرِ وَتَرْزِيفِ الْقَوْلِ، وَتَخْلِيطِ الْمَفَاهِيمِ وَتَضْلِيلِ الْبَسِطَاءِ، وَقَهْرِ  
الْمُخْلِصِينَ؛ لِمَسَلَبِ حَقِّ الْحُرِّيَّةِ وَفِيهِمُ الْكَرَامَةُ وَالْعِزَّةُ وَالتَّكَاوُلُ مِنْ أَيْدَانِ بَلَدِ الشُّعُوبِ،  
وَإِرْغَامِهِمْ عَلَى قَبُولِ حَقِّ وَصَايَتِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ وَتَسْلُطِهِمْ عَلَيْهِمْ بِأَسْمَاءِ وَعِلَالٍ لَا تُحْصَى؛  
لِتُمْكِينِ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْفَسَادِ، وَالِاسْتِجَابَةِ لِنَوَازِعِ الْأَثَرَةِ وَالتَّسْلُطِ، وَالِاسْتِثْنَاءِ بِالتَّرْوَةِ  
لِجَدْمَةِ الْمَطَامِعِ وَالْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ، اسْتِجَابَةَ لِنَرَوَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَمَتَعِ التَّبْيِيدِ  
وَالتَّرْفِ الْهَائِبَةِ الرَّائِقَةِ.

كثِيرٌ مِنَ الشُّعُوبِ الذَّلِيلَةِ الْغَاجِزَةِ الْمُتَخَلِّفَةِ الْيَوْمَ يَا بَيْدَتَا؛ وَالَّتِي يَتَوَسَّطُ كَثِيرٌ مِنْهَا  
قَلْبَ الْأَرْضِ؛ كَانَتْ شُعُوبًا سَلَامِيَّةً حَقًّا، فِيمَا يُرَوَى لَنَا مِنْ تَارِيخِهَا وَمِيزَتِهَا، وَذَلِكَ حِينَ

كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِالرُّؤْيَا الْكُونِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَمَنَاهِجِ الْفِكْرِ السَّلِيمِ، وَأَسَالِيِبِ التُّرْبِيَّةِ  
 الْمُسْلِمَةِ، وَتَمَتَّعُ بِالنَّالِ بِقُدْرَةِ الْحُرِّيَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْعِزَّةِ مِمَّا أَوْزَتْهُمْ مِتْلَاقَةُ الْفِكْرِ وَرُقَى  
 الْخُلُقِ وَحَقِّ الْخِيَارِ، وَزُوجِ التَّضَامُنِ وَالتَّكَافُلِ فِي مَنَافِعِ مَا مَضَى مِنْ حَيَاتِنَا وَتَارِيخِنَا؛  
 مِمَّا وُلِدَ فِي نُفُوسِهِمْ وَفِكْرِهِمْ طَاقَاتِ الْقُوَّةِ وَالْمُبَادَرَةِ وَالْإِبْدَاعِ، وَجَسَمِ الْمَسْئُولِيَّةِ  
 وَالْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ تَجَاهَ ذَاتِنَا، وَتَجَاهَ كُلِّ مَنْ حَوْلِنَا، فَلَا يَجُوعُ وَلَا يَعْزَى فِيهَا أَحَدٌ وَلَا يَتَرَدَّدُ  
 أَيُّ عَضْوٍ فِيهَا مِنَ الْعَطَاءِ وَلَوْ بِحَيَاتِهِ أَوْ كَلِّ مَالِهِ وَهَذَا الْفَهْمُ هُوَ الَّذِي يُقْبِرُ مَا تَمَتَّعَتْ بِهِ  
 تِلْكَ الْجَزِيرَةُ، وَذَلِكَ الْوَادِي، مِنْ صِفَاتِ الْكَرَامَةِ وَالْعِزَّةِ وَالشَّجَاعَةِ الَّتِي أَنبَهَتْ الْعَالَمَ  
 وَأَرْمَتِ أَسْمَنَ أَرْقَى حَضَارَةِ إِنْسَانِيَّةِ فِي التَّارِيخِ، وَمَا زَالَتْ رُؤْيَا الْكُونِيَّةِ وَفِيهِمَا مُحْفِرَةٌ  
 لِإِعَادَةِ بِنَاءِ حَضَارَةِ الْعَدْلِ وَالْكَرَامَةِ وَالسَّلَامِ.

اذْكُرْنَا بِنِدْبَا أَنَّ الدَّوَابَّ الْمَسْئُومَةَ بِفِطْرَتِهَا الْإِسْتِخْلَافِيَّةِ تُقَدِّسُ حَقَّ الْحُرِّيَّةِ فِي أَمْرٍ كُلِّ  
 مَا هُوَ فِطْرِيٌّ بِنَاءً، وَتُذَكِّرُ قِيَمَةَ الْكَرَامَةِ وَالْعِزَّةِ وَتُلْتَزِمُ قِيَمَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةَ وَالْأَمْنَ  
 وَالسَّلَامَ، وَتَطْلُبُنَا، وَلِذَلِكَ فَهِيَ بِإِرَادَتِهَا الْحُرَّةِ، وَتَبْتَدِرُ عُقُولِنَا النَّاصِحَةَ، "تُعَبِّدُ" نُفُوسِنَا  
 وَمُؤَسَّسَاتِنَا وَأَنْظِمَتِنَا "لِلْحَقِّ" وَ"الْعَدْلِ" وَ"الرَّحْمَةِ" وَتَطْلُبُ "الْأَمْنَ" وَ"السَّلَامَ" لِجَمِيعِ  
 لِأَنَّهَا وَهِيَ نُفُوسٌ بِفِطْرَتِهَا الْمَسْئُومَةُ تَكْرَهُ فِي جَمِيعِ مَنَاجِي حَيَاتِنَا: "الرِّيفَ" وَ"الْبَاطِلَ"

و"الظلم" و"القسوة" و"العدوان" و"الفساد" وتُبغضُها، ولا تدع لها مجالاً لأن تُفسد  
علتها حياتها.

إنُّ بُغضَ الرَّحْمَنِ لِلظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، وَالْقَسْوَةِ وَالْعُدْوَانِ، وَصِفَاتِ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارِ  
الْمُصِيرِينَ عَلَيْهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا خَيْرٌ وَعَدْلٌ، وَنَحْنُ أَيْضًا نَكْرَهُ أَصْحَابَ هَذِهِ الصِّفَاتِ  
لِلْأَخْتَارِ الْمُخْتَبِينَ لِلْخَيْرِ وَالْحَقِّ؛ الَّذِينَ إِذَا زَلُّوا أَمْسُوا وَتَابُوا، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا،  
وَعَادُوا مِنْ قَرِيبٍ.

النُّفُوسُ وَالشُّعُوبُ وَالْأُمَّمُ السُّوِيَّةُ يَا بَيْدِيَا؛ هِيَ نُفُوسٌ شُعُوبٌ وَأُمَّمٌ تُحِبُّ "اللَّهَ"  
بِفِطْرَتِهَا، وَتَكْرَهُ "الشَّيْطَانَ" بِفِطْرَتِهَا؛ لِأَنَّ "الْحَقَّ" وَ"الْعَدْلَ" وَ"الرَّحْمَةَ" وَ"السَّلَامَ" هُوَ  
"اللَّهُ"، وَهِيَ صِفَاتُهُ، وَلِأَنَّ "الرُّفْءَ" وَ"الْبَاطِلَ" وَ"الظُّلْمَ" وَ"الْعُدْوَانَ" هِيَ مِنَ الشَّرِّ، وَمِنْ  
الشَّيْطَانِ، وَمِنْ التَّفْصِي الْأَقَارَةِ بِالسُّوءِ.

أَمَّا أَمْرُ الزَّلَّاتِ وَالْهَفَوَاتِ يَا بَيْدِيَا فَرَّحْمَةُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَقْبَلُ تَوْبَةَ النُّفُوسِ عَلَيْهَا،  
وَتَفْرَحُ بِتِلْكَ التَّوْبَةِ، وَتَغْفِرُ زَلَّاتِهَا، وَتَمْحُو سَيِّئَاتِهَا، وَتُضَاعِفُ حَسَنَاتِهَا.

وَإِذَا أَدْرَكْنَا يَا بَيْدِيَا؛ مَنْ هُوَ اللَّهُ، وَمَا هِيَ صِفَاتُهُ، وَمَاذَا يُمْتَلِئُ، وَأَدْرَكْنَا مَنْ هُوَ  
الشَّيْطَانُ، وَمَا هِيَ صِفَاتُهُ، وَمَاذَا يُمْتَلِئُ، وَأَدْرَكْنَا أَنَّ جِلَّ الْبَشْرِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ

يَفْطَرِيهِمُ السُّوِيَّةَ يُجِبُونَ "اللَّهَ" وَتَكْرَهُونَ "الشَّيْطَانَ" عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ لَا  
 يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ رُؤْيَةَ كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْكَثِيرِ قَدْ تَشَوَّهَتْ، وَأَصْبَحَ "اللَّهُ" عِنْدَهُمْ وَفِي  
 تَصَوُّرِهِمُ الْمَشْوَاهُ قُوَّةً طَائِعِيَّةً، سَاجِقَةً، مَاجِقَةً، تَرْقُبُ خُطُوبَاتِهِمْ وَتَتَرَصَّدُهُمْ وَكَأَنَّهِمْ  
 الشَّيَاطِينُ الْمُعْتَدُونَ الْمُعَانِدُونَ الْمُتَكِرُونَ، وَلِذَلِكَ تَتَرَقَّبُ أَخْطَاءَهُمْ وَزَلَّاتِهِمْ، فِي شِدَّةٍ  
 وَقَسْوَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا التَّشْوِيهِ وَالتَّخْرِيفُ فِي خُطَابِ الْمُؤْمِنِ ذَلِكَ يَا بَيْدِيَا بِسَبَبِ تَدَهُّورِ  
 فِكْرِهِ فِيهِ الْأَقْمِ، وَخَلْطِ خُطَابَاتِهَا، وَبِسَبَبِ شَهَوَاتِ أَصْحَابِ الْمُلْطَةِ وَتَوَازِعِ الْإِسْتِبْدَادِ فِي  
 نُفُوسِهِمْ وَنُفُوسِ أَصْحَابِ الْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ مِنْ حَوْلِهِمْ فِي خَلْطِ الْخُطَابَاتِ؛ لِيَسْتَرْهَبُوا  
 شَعْوَتَهُمْ وَيَذَلُّوا نُفُوسَهُمْ، وَلِيَتَمَكَّنُوا مِنْ إِخْمَادِ طَافَاتِ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ فِيهِمْ، وَتَمَكِينَ  
 الْعُدْوَانَ عَلَى حَقُوقِهِمْ وَمَقَدَّرَاتِهِمْ، وَلَا يَكُونَ ذَلِكَ يَا بَيْدِيَا؛ إِلَّا بِتَشْوِيهِ رُؤْيَةِ هَذِهِ  
 الشُّعُوبِ، وَخَلْطِ الْخُطَابَاتِ، فَلَا يَكُونَ إِلَّا خُطَابُ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّخْوِيفِ الْمَوْجَّهَ  
 إِلَى الْمُعْتَدِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَأَصْحَابِ النُّفُوسِ الْبَسِيرَةِ؛ الَّتِي تَهْوَى السَّرَّ وَالظُّلْمَ وَالْبَاطِلَ  
 وَالْقَسْوَةَ وَالْعُدْوَانَ وَتَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ، وَلِيُصْبِحَ هَذَا الْخُطَابُ هُوَ الْخُطَابُ الْمَوْجَّهَ إِلَى  
 نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَهْوَى فِيهِمُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ وَالسَّلَامَ؛ الَّتِي هِيَ  
 صِفَاتُ "الرَّحْمَنِ" وَتَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا؛ وَهَكَذَا تُزْهِبُ الشُّعُوبَ، وَتُصَابِ بِدَاءِ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ

وَالرُّهْبَةَ، وَيَأْخُذُهَا الْإِحْبَاطُ وَالْيَأْسُ، وَلَا تَرَى فِي نَفْسِهَا إِلَّا الْهَفْوَاتِ وَالزَّلَاتِ وَالْعَوَزَاتِ،  
وَتَخْضَعُ فِي خَوْفِهَا وَذَلِيلَتِهَا لِكُلِّ ذِي سَطْوَةٍ وَسُلْطَانٍ.

إِنَّ مِنَ الْمُهَيْمِ أَنْ تُدْرِكَ يَا بَيْدَبَا؛ أَنْ مَنْ يَكْرَهُ أَوْ يَخَافُ يَنْتَعِدُ وَيُدْبِرُ، وَأَنْ مَنْ يُحِبُّ  
وَيَرْغَبُ يَفْتَرِبُ وَيُقْبِلُ، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ يَا بَيْدَبَا تَقْوَى وَيَتَهَضُّ، وَتَبْنِي وَتُنْجِرُ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَكُونَ  
قَدْ بَدَتْ رُؤْيُهَا، وَبَدَتْ أَسَاسُ كَيْفَانِ مُجْتَمَعِهَا، وَنَشَأَتْ أَبْنَاءُهَا عَلَى الْحُبِّ وَالرُّغْبَةِ، وَمَا مِنْ  
أُمَّةٍ تَمْتَلِكُ نَفْسِ مَوَاطِنِهَا، وَتُرَى نَاشِئَتِهَا عَلَى الْخَوْفِ وَالرُّهْبَةِ، إِلَّا كَانَ مَصِيرُهَا الْعَجْزُ  
وَالضَّعْفُ وَالذِّلَّةُ وَالْهَوَانُ.

لِذَلِكَ يَا بَيْدَبَا؛ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حِفْظُ الْأُمَّةِ، وَحِفْظُ أَنْظِمَتِهَا وَشَرَائِعِهَا وَمُؤَسَّسَاتِهَا،  
وَحِمَايَةُ حُقُوقِهَا وَمَصَالِحِهَا وَمَسَاقِمَةِ خَطَايَاهَا وَحُسْنُ أَسَالِبِ تَرْبِيَةِ أبنَائِهَا، مِنْ أَهَمِّ  
مَقَاصِدِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَالْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ؛ الَّذِي مِنْ دُونِهِ لَا يُحْيَى الْبَيْتُ، وَلَا يُحْيَى  
الْمَوَاطِنُونَ، وَلَا تُحْيَى الْحُقُوقُ وَالْأَعْرَاضُ.

إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي تَسُوِّهَتْ رُؤْيُهَا الْكُونِيَّةُ يَا بَيْدَبَا؛ غَابَ عَنْ رُؤْيِهَا وَفِكْرِهَا الْبُعْدُ الْعَامُّ  
وَالْحَضَارِيُّ فِي وُجُودِهَا الْإِنْسَانِيِّ، وَأَنْحَصَرَ اهْتِمَامُهَا بِالْجَوَابِ الْأَنَائِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ؛ لِيُصْبِحَ  
الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنْ دُونِ غَايَةِ إِلَّا الْبَقَاءَ الْأَنَائِيَّ الْفَرْدِيَّ، وَتُدْبِرُ لِقَمَةِ الْعَيْشِ  
بِأَقْلِ الْمَنَعِيِّ وَالْجُهْدِ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَوْتُ.

لَقَدْ تَخَوَّلْتَ يَا بَيْدَبَا؛ هَذِهِ الْأُمَّمُ إِلَى مُجَرَّدِ أَفْرَادٍ يَتَنَازَعُونَ وَيَتَصَارِعُونَ عَلَى فُتَاتِ  
الْعَيْشِ الْبَائِسِ، وَتَتَحَكَّمُ الطُّغَاةُ وَالْمُمْتَبِعُونَ وَالنَّخَّاسُونَ فِي رِقَابِهِمْ؛ لِأَنَّ الضَّعْفَ  
وَالخَوْرَ قَدْ نَحَرَ فِي نُفُوسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا إِلَّا مُجَرَّدُ أَفْرَادٍ أَنَانِيِّينَ مُتَصَارِعِينَ، فِيهِمْ  
مُجَرَّدُونَ مِنْ قُوَّةِ الْأُمَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَفَاقِدُونَ لِمَطَاقَةِ الْعِلْمِ وَالْحَضَارَةِ، وَمَا أَرَوَعَ مَا قَرَأْتُ  
فِي هَذَا؛ حَيْثُ كَانَتْ أَجْمَلُ وَأَسْمَلُ عِبَارَةَ قَرَأْتُهَا فِي كِتَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ  
شَدِيدٌ (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) (الحشر: ١٤).

يَا بَيْدَبَا؛ لَا فَرْدَ مِنْ دُونِ حِسِّ الْأُمَّةِ، وَلَا أُمَّةَ مِنْ دُونِ سَلَامَةِ بِنَاءِ الْفَرْدِ، وَالْفَرْدُ يَا بَيْدَبَا  
مَسْئُولٌ عَنِ حِفْظِ الْأُمَّةِ، وَرَفْعِ شَأْنِهَا، وَتَوَلِيدِ طَاقَاتِهَا، وَالْأُمَّةُ يَا بَيْدَبَا مَسْئُولَةٌ عَنِ  
حِفْظِ الْفَرْدِ، وَتَلْبِيَةِ أَحْتِيَاجَاتِهِ، وَصِيَانَةِ كِرَامَتِهِ.

إِنَّ سَالِفَ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ الْمِثْلِيَّةِ الْعَزِيزَةِ الْكَرِيمَةِ، يَا بَيْدَبَا؛ كَانَتْ تَسْتَعِيدُ -كَمَا  
نَعْلَمُ جَمِيعًا- عِزَّتَهَا وَكِرَامَتَهَا وَشَجَاعَتَهَا مِنْ فَهْمِهَا الصَّحِيحِ لِعِلَاقَتِهَا "بِاللَّهِ"، أَيْ مِنْ حُبِّهَا  
لِلَّهِ "الْحَقِّي" وَ"الْعَدْلِي" وَ"الرَّحْمَنِي" وَ"الْمِثْلَامِي"، وَبِذَلِكَ عَبَّدَتْ هَذِهِ الشُّعُوبُ نَفْسَهَا  
بِإِرَادَتِهَا الْخُرَّةَ لِقَبِيهِمِ الْحَقِّي وَالْعَدْلِي وَالْخَيْرِي؛ الَّتِي تَهْفُو لَهَا فِطْرَتُهَا الْكَامِنَةُ فِي نُفُوسِهَا، وَهِيَ  
يَهْدِيهِ الرُّؤْيَا الْقَائِمَةُ عَلَى الْحُبِّ، وَيَهْدِيهِ الْفِطْرَةُ السُّوِّيَّةُ، هِيَ نُفُوسٌ مَعْبُدَةٌ، لَا مُسْتَعْبَدَةٌ.

قَدْ حَزَزَتْ نَفْسَهَا مِنَ الْخُضُوعِ لِلشَّيْطَانِ ، وَلِكَلِّ قُوَى الشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ وَالْعُدْوَانِ ،  
 أَيُّ أُمَّهَا قَدْ حَزَزَتْ نَفْسَهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَرِيرٍ وَبَاطِلٍ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا وَضَمِيرِهَا وَفِطْرَتِهَا إِلَّا  
 حُبُّهَا لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ ، أَيُّ حُبِّ اللَّهِ ؛ أَيُّ أَنَّهَا حَقَّقَتْ الْحُرِّيَّةَ الْكَامِلَةَ ، وَلَمْ  
 يَبْقَ فِيهَا إِلَّا مَشَاعِرُ الْحُبِّ لِتِلْكَ الْقِيَمِ وَالْمَعَانِي السَّامِيَةِ ؛ الَّتِي هِيَ حُبُّ "اللَّهِ" ، وَالَّتِي هِيَ  
 لُبُّ صِفَاتِ "اللَّهِ" ، وَإِنَّ تَحْقِيقَهَا وَتَمَثُّلَهَا فِي النُّفُوسِ هُوَ الْعَايَةُ النَّبِيلَةُ السَّامِيَةُ مِنَ الْحَيَاةِ  
 وَالْوُجُودِ بَلْ إِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسَوِّئِ يَا بَيْتِيَا إِنَّمَا يُجِبُّ مِنْ نَفْسِهِ مَا كَانَ مُعْتَبَرًا وَمُتَوَافِقًا مَعَ  
 الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَتَكَرَّرَ مِنْهَا مَا تَوَافَقَ مَعَ صِفَاتِ الشَّيْطَانِ وَتَنَافَرَ مَعَ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ .  
 وَحُبُّ "اللَّهِ" ، وَحُبُّ صِفَاتِهِ الْخُسْنَى ، هِيَ مَنْبَعُ أَحْسَابِيسٍ وَمَعَانِي حُبِّ وَرَغْبَةٍ ، وَلَا  
 عِلَاقَةَ لَهَا بِأَحْسَابِيسِ الْمَدْلَةِ وَالْمَهَانَةِ وَالْكُرْهِ أَوْ مَعَانِيهَا ، وَمَا يَنْتَابُ الْمُجِبُّ مِنْ مَشَاعِرِ  
 الْخُشْيَةِ وَالْخَوْفِ مِنْ "اللَّهِ" فَإِنَّمَا هِيَ مَشَاعِرُ خَوْفِ الْمُجِبِّ مِنْ غَضَبِ حَبِيبِهِ ، وَخُشْيَتِهِ  
 مِنْ هَجْرِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، بِسَبَبِ تَقْصِيرِهِ فِيهَا يَرْغَبُ فِيهِ وَتَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ ، وَهَذَا هُوَ  
 خَوْفُ الْعِبَادِ الْمُعْتَبِدِينَ ، وَخُشْيَتِهِمْ ، لَا خَوْفُ الْعَبِيدِ الْمُسْتَعْتَبِدِينَ وَذُعْرُهُمْ وَسَلْبِيَتِهِمْ .  
 وَالتَّعْبِيدُ : هُوَ جَمَاعُ أَحْسَابِيسٍ بِنَاءً إِبْجَابِيَّةً لَا تَعْبُرُ إِلَّا عَنِ مَعَانِي الْحُبِّ وَالْإِقْبِنَاعِ  
 وَالرَّغْبَةِ ، وَهِيَ أَحْسَابِيسُ تَمَلُّ النُّفُوسَ بِالقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالتَّحَرُّرِ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ



سُلْطَةً اسْتِعْبَادٍ، وَمِنْ كُلِّ إِحْسَاسٍ بِالْمَدْلَةِ أَوْ الْمَهَانَةِ، إِنَّهَا أَحَاسِيْسٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْحُبِّ  
لِلَّهِ، وَبِكُلِّ مَعَانِي الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ.

إِنَّ مِنَ الْمُؤَسِّبِ أَهْمًا الْفَيْلَسُوفُ بَيِّنًا؛ أَنْ يَعْضَ تِلْكَ الْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ، فِي هَذَا  
الرُّقْمَانِ، أَمْكَنْ تَجْهِيلُهَا وَتَضَلُّبُهَا بِكَثِيرٍ مِنْ حُسْنِ الْبَيِّنَةِ مِثْلًا؛ بِحَيْثُ ظَنَّتْ أَنَّهَا أَحْسَنَتْ  
جِبْنَ تَخَلَّتْ طَوَاعِيَةً عَنْ حَقِّ حُرِّيَّةِ الْخِيَارِ، وَأَوَكَلَتْ مَصَائِرِهَا لِوَصَايَاتِ كَثِيرٍ مِنَ الْإِجَازَاتِ  
الْأَكَادِيمِيَّةِ الْعَقِيمَةِ، وَالْأُرْدِيَّةِ الزَّائِفَةِ وَاللَّغْدِيدِ مِنَ الْقَابِ الْوَلَايَاتِ وَالْوَصَايَاتِ الْمُغْرِضَةِ؛  
لِقُلُوبِ عَقُولِهَا، وَتَمَكَّنَ مِنْ نُفُوسِهَا مَشَاعِرَ "الْإِسْتِعْبَادِ" وَ"الْقُصُورِ"، وَمَشَاعِرَ الْعَجْزِ  
وَالْخَيْرَةِ وَالْمَهَانَةِ وَالْمَدْلَةِ، (وَالْمَدْلَةُ غَيْرُ التَّدْلِيلِ)، حَتَّى أَنْ أَحَاسِيْسَ الْخَوْفِ وَالرُّهْبَةِ؛  
مَكَّنَتْ بِذَلِكَ مِنْ رِقَابِهَا تَخَالَفَاتُ مَرَكَزِ الْقُوَى وَالْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ فِي مُجْتَمَعَاتِهَا، وَقَوَى  
أَصْحَابِ الْمَطَامِعِ وَمَرَكَزِ التَّمَلُّطِ وَالْإِسْتِيْدَادِ وَالْفَمَادِ فِي مُؤَسَّسَاتِهَا، حَتَّى بَلَغَ بِهَا الْحَالُ  
إِلَى مَا تَرَى الْعَيْنُ، لِيَتَشَرَّبَ نُفُوسُ أَبْنَائِهَا وَشَبَابِهَا إِلَى خَالِ أَقْوَمِ وَأَكْرَمِ وَأَفْضَلِ.

وَهُنَاكَ أَيْضًا أَهْمًا الْفَيْلَسُوفُ بَيِّنًا أُمَّمٌ وَشُعُوبٌ أُخْرَى ظَنَّتْ أَنَّهَا حَرَّرَتْ ذَاتَهَا جِئْنَ لَمْ  
تَعْرِفْ حَقِيقَةَ مَعْنَى حُرِّيَّتِهَا، وَأَفَاقَ وَمَدَى حُدُودِ مَنْظُومَةِ تِلْكَ الْحُرِّيَّةِ فِي فِطْرَتِهَا، وَمَهَابَةِ  
وَجُودِهَا، وَمَعْنَى حَيَاتِهَا، فَأَخْضَعَتْ نُفُوسَهَا لِتَوَازِعِ التَّرَوَاتِ وَالْمَهَبَاتِ وَالْمَطَامِعِ

الطَّبِيبَةُ الْخَبَوَائِيَّةُ فِي كَيْفَانِهَا مِنْ دُونِ وَازِعٍ أَوْ زَادِعٍ مِنْ قِيَمٍ أَوْ خُلُقٍ أَوْ مَسْئُولِيَّةٍ، فَهِيَ لَا يَأْتِيُونَ إِلَّا لِمَا تُمْكِنُهُمْ مِنْهُ الْقُوَّةُ وَالسَّطْوَةُ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الرُّغْبَةُ وَالشَّهْوَةُ، وَيَتَدَفَعُهُمْ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ التَّرَوَاتِ الضَّارَّةِ الْمُفْسِدَةِ.

وَهَذِهِ هِيَ حَالُ الْأَمَمِ وَالشُّعُوبِ الْمَادِّيَّةِ الْكُؤَاسِرِي فِي عَالَمِ الْيَوْمِ، وَالَّتِي تَعِيشُ فِي تَيْبِهِ وَغَيْبَةِ رُوحِيَّةٍ؛ لَا تَعْلَمُ لَهَا وَجْهَةً مِنَ الْحَيَاةِ، وَلَا غَايَةَ مِنَ الْوُجُودِ، إِلَّا مَا تَشْغَلُ نَفْسَهَا بِهِ، وَتَدْمِنُ عَلَيْهِ، مِنْ مَلَذَّاتِ الْجَسَنِ، وَلَهَاتِ السَّلْبِ وَالتَّهَبِ وَالْأَسْتِهْلَاكِ وَذَلِكَ أَنَّهَا رُؤْيَةُ كُونِيَّةٌ مَادِّيَّةٌ طَبِيبِيَّةٌ، فَلَيْمَ تَعْرِفْ حَقًّا مَعْنَى الْحُرِّيَّةِ، وَلَا غَايَتَهَا، وَاسْتَعْبَدَتْهَا شَهَوَاتُهَا وَتَرَوَاتُهَا وَقُوَى الشَّرِّ وَالْإِنْجِطَاطِ الطَّبِيبِيِّ فِيهَا، وَبِذَلِكَ تَقَادَتْ فِي قَهْرِ الشُّعُوبِ الضَّعِيفَةِ وَتَهَبِ تَرَوَاتِهَا وَكَذَلِكَ انْتَهَزَتْ الْقِيَمَ وَالْأَخْلَاقَ فِي كَيْفَانَاتِهَا، وَمَا لَهَا عَلَى الْمَدَى إِلَّا الضَّبَاعُ وَالْحُسْرَانُ؛ بِرَغْمِ ظَنِّهَا أَنَّهَا بِسَطْوَتِهَا الْمَادِّيَّةِ تُحْسِنُ صُنْعًا، فَبِذَلِكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِيَمَنْ خَلَا قَبْلَهَا مِنَ الْأَمَمِ الَّتِي ضَلَّتْ طَرِيقَهَا، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا حَقَّقْتَهُ -لِبَعْضِ الْوَقْتِ- مِنْ قُوَّةٍ مَادِّيَّةٍ؛ فَتَسَاقَطَتْ قِيَمُهَا، وَتَفَسَّخَتْ أَوَاصِرُ فِطْرَتِهَا السُّوِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَذَالَتْ عِنْدَ ذَلِكَ دَوْلَتُهَا، وَزَالَ عَنْهَا عِزُّهَا وَجَاهُهَا، وَتَهَدَّمَتْ عُمَرَاتُهَا، وَانْتَهَزَتْ حَضَارَاتُهَا.

أَمَّا الْفَيْلَسُوفُ بِنَهْدِيَا؛ إِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ هُوَ فِيمَا أَرَى الْفَهْمُ الصَّحِيحُ لِلْحُرِّيَّةِ بِمَا خَبَرْتَهُ

مِن مَعْنَى الْحَيَاةِ الْمُثْمِرَةِ، وَمَا عَلَّمْتُهُ مِنْ سِيرَةِ سَالِفِ الْعُصُورِ وَالْأُمَمِ، وَبِذَلِكَ كَانَ الْقَهْمُ الصَّحِيحُ لِلرُّؤْيَا الْفِطْرِيَّةِ الْكُونِيَّةِ السَّلِيمَةِ لَدَى شُعُوبِ جَزِيرَةِ الْبَنَاتِينَ مَصْدَرًا مِنْ أَهَمِّ مَصَادِرِ قُوَّتِهِمْ وَنَهْضَتِهِمْ، وَمَصْدَرِ ذَلِكَ الْإِحْسَاسِ الشَّرِيفِ بِالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ فِي نَفُوسِهِمْ، وَالَّذِي مَنْحَهُمْ غَايَةَ الْحَيَاةِ، وَذَاقِعِيَّةَ الْإِنْجَازِ، وَفَجَّرَ طَاقَةَ الْإِبْدَاعِ وَالْإِعْمَارِ لَدَيْهِمْ، وَمَكَّنَ طَاقَةَ الْقَارِرِ وَالتَّكَاوُلِ بَيْنَهُمْ؛ لِمَا كَانَ يَدْفَعُهُمْ وَيُخَرِّكُهُمْ مِنْ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالْوَدِّ "لِلَّهِ" "الْحَقِّي، الْعَدْلِي، الرَّحْمَنِي، السَّلَامِي"، وَمِنْ مَشَاعِرِ الْكُذْرِ الصَّادِقِ الْخَالِصِ "لِلشَّيْطَانِ"، وَلِلشَّرِّ وَالضَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَالْفَسَادِ، وَذَلِكَ هُوَ أَيْضًا مَصْدَرُهُمْ فِي التَّنَاقُحِ وَالتَّكَاوُلِ مَعَ كُلِّ الْكَائِنَاتِ فِي الْكُونِ، وَهَذِهِ الرُّؤْيَا هِيَ ذَاتُهَا رُؤْيَا مَنْ سَلَفَ مِنْهُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ.

يَا بَيْدِيَا إِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَدَاخِلِ تَضَلُّلِ الْكُفَّانِ فِي خِدْمَةِ الظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَ وَالْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ، وَالْأَسْتَبْدَادِ وَالْمُسْتَبَدِّينَ وَقَهْرِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ هُوَ الْخَلْطُ بِذَكَاءِ مُدَلِّسِي مَآكِرِ بَيْنِ الْأُمَرِيِّينَ أَسَاسِيِّينَ مِنْ شُؤُنِ فِطْرَةِ الْخَلْقِ السُّوِّيَّةِ.  
هَذَا لَمْ يَتَمَالَكْ بَيْدِيَا نَفْسَهُ أَنْ يُبَادِرَ سُؤَالَ الشَّيْخِ أَنْ يُسَعِّفَهُ بِمَعْرِفَةِ هَذَيْنِ الْأُمَرِيِّينَ.

أَجَابَهُ السُّيْحُ قَائِلاً حُبّاً وَكِرَامَةً يَا بَيْدَبَا: إِنَّ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ أَيْهَا الْحَكِيمُ هُنَا تَفَاوُتِ  
الْقُدْرَاتِ بَيْنَ بَنِي آدَمَ وَتَمَاوِي الكِرَامَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَهُمْ، وَلَكِنْ سَفُوْجِرُ الْخَبِيثِ عَنْهُمَا إِلَى  
الْعَدِ فَقَدْ أَخَذَ التَّعَبُ مِنْ الْجَمِيعِ كُلِّ مَا أَخَذَ.

## إِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ

وفي اليوم التالي اجتمع الشُّمْلُ وفي مُقَدِّمَتِهِمُ الْحَكِيمُ بَيْدِيَا، وَجَمَعَهُمُ فِي سُوْقٍ لِسَمَاعٍ مَا وَعَدَ بِهِ الشَّيْخُ بِالْحَدِيثِ عَنْهُ، عَنْ أَسْئِ بِنَاءِ الْأُمَّمِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْعِلَاقَةِ السُّوِيَّةِ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ الَّتِي نَحْقُقُ لِلْأُمَّمِ قُوَّتَهَا وَالْمُوَاطِلِينَ أُمَّتَهُمْ وَكِرَامَتَهُمْ. أَخَذَ الشَّيْخُ مَقْعَدَهُ وَإِلَى جَانِبِهِ بَيْدِيَا. وَابْتَدَرَ بَيْدِيَا الشَّيْخَ وَالْمَجْلِسَ مُتَعَجِّلاً الشَّيْخَ لِلْبَدءِ بِالْحَدِيثِ الَّذِي يَتَشَوَّقُ الْجَمِيعُ وَقَدْ تَكَرَّرُوا بِالْحُضُورِ لِسَمَاعَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ جَمِيعُنَا يَا بَيْدِيَا نَذْرُكَ تَفَاوُتَ الْبَشَرِ فِي الْقُدْرَاتِ، وَكُلَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ دُونَ هَذَا التَّفَاوُتِ لَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ فَرْدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يَحْيِيَ وَأَنْ يَحْصُلَ عَلَى حَاجَتِهِ، أَيْ أَنَّ الْفَرْدَ لَا وَجُودَ لَهُ دُونَ الْجَمَاعَةِ، وَلَكِنَّ السُّؤَالَ أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ وَالْأَخَوَاتُ لِمَ إِذَا كَانَتْ بَعْضُ الْأُمَّمِ وَالْجَمَاعَاتِ قُوَّةً عَزِيزَةً وَعَزِيزَةً مُوَاطِلُوهَا وَبَعْضُهُمْ ذَلِيلٌ مُتَنَاجِرٌ أَبْنَاؤُهَا وَذَلِيلٌ مُوَاطِلُوهَا. هَذَا هُوَ مَوْضُوعُ الْحَدِيثِ الْيَوْمِ وَالَّذِي يَأْخُذُنَا إِلَى أَسْئِ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَعِلَاقَةِ الْفَرْدِ بِالْجَمَاعَةِ وَعِلَاقَةِ الْجَمَاعَةِ بِالْفَرْدِ وَحُقُوقِ كُلِّ مِنْهُمَا.

وَهَذَا يَشُودُنَا إِلَى قَضِيَّةِ عِلَاقَةِ مَفْهُومِ تَفَاوُتِ الْقُدْرَاتِ الْأَفْرَادِ فِي تَكْوِينِ الْجَمَاعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتُسَاوِي الْكِرَامَاتِ بِحَقِّ الْإِسْتِخْلَافِ.

فَكَمَا نَعْلَمُ وَنُشَاهِدُ يَا بَيْدَبَا، فَإِنَّ قُدْرَاتِ بَنِي آدَمَ تَتَفَاوَتْ بَيْنَ أَفْرَادِهِمْ لِتَتَكَامَلَ فِي مُجْمَلِ جَمَاعَتِهِمْ، فَهُنَاكَ الذَّكِيُّ وَالْأَذَكِيُّ، وَالْأَقْلُ ذَكَاءً، وَهُنَاكَ الْمُجِيدُ فِي الْفُنُونِ، وَهُنَاكَ الْمُجِيدُ فِي الْعُلُومِ، وَهُنَاكَ الْمُجِيدُ فِي الصَّنَائِعِ، وَهُنَاكَ الْمُعَاقِقُ الْعَاجِزُ قَلِيلُ الْفُدْرَةِ وَالْجِيلَةِ.

وَكَمَا نَعْلَمُ أَنَّهَا الْحَكِيمُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ أَيُّ أَحَدٍ أَنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ الْإِنْسَانِيَّ فِي الْقُدْرَاتِ هُوَ التَّكَامُلُ الَّذِي يَبْنِي الْحَيَاةَ وَيُسَيِّدُ الْعُمْرَانَ، وَدُونَ ذَلِكَ تَسْتَجِيلُ الْحَيَاةَ كَمَا أَرَادَهَا وَقَدَّرَهَا بَارِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أَمَّا الْكِرَامَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ أَيْهَا الْحَكِيمُ، فَبِنِي آدَمَ جَمِيعُهُمْ فِيهَا سَوَاءً، وَذَلِكَ بِحَقِّ الْإِسْتِخْلَافِ فِي أَصْلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، لِإِدَارَةِ الْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَمْخِيرِ مَكْنُونَاتِهَا، لِلْحُصُولِ عَلَى خَاجَاتِ حَيَاتِهِ، وَبِنَاءِ حَضَارَتِهِ، يَتَسَاوَى فِي ذَلِكَ، الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، وَالسَّيِّدُ وَالْمَسْهُودُ، وَالْخَادِمُ وَالْمَخْدُومُ، وَالْجَهَنْدُ الْحَكِيمُ اللَّمَّاحُ الْقُرْشِيُّ وَالْعَبْدُ الْبَسِيطُ الْخَبِيثِيُّ، فَجَمِيعُهُمْ يَا بَيْدَبَا فِي مَنزِلَةِ الْكِرَامَةِ وَعِزَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَسِيَادٌ سَوَاءً، "فَمَهْدُنَا" كَمَا نَعْلَمُ يَا بَيْدَبَا "أَعْتَقَ سَيِّدُنَا".

وَلِذَلِكَ يَا بَيْدَبَا فَإِنَّ تَارِيخَ أُمَّةٍ حَضَارَةُ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ وَالرَّاحِمِ وَالسَّلَامِ فِي تَارِيخِنَا، نَجْدُ

الْحَكِيمِ اللَّمَّاحِ الْقُرْشِيِّ يَنْبَرِعُ بِكُلِّ مَالِهِ فِي لَحْظَةِ عُسْرَةِ الْأُمَّةِ وَحَاجَتِهَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَمَّ رَأْسَ  
الدَّوْلَةِ هُمَا كِفَالَةُ حَاجَتِهِ وَحَاجَةُ أَبْنَانِهِ وَعِيَالِهِ، فَلَا يَجُوعُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَغْرَى  
أَحَدٌ فَمِثْلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَبْخُلُ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَانِهَا بِفِدَائِهَا بِمَالِهِ وَرُوحِهِ، وَلَنْ يَبْخُلُوا، وَلِذَلِكَ  
كُونُوا أُمَّةً وَكُونُوا حَضَارَةً آمِنٍ وَعَدَالَةٍ وَسَلَامٍ مُشْرِقَةً.

وَاسْتِخْلَافُ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ أَيْهَا الْحَكِيمُ، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَفَاوُتِ الْقُدْرَاتِ  
وَتَكَامُلِهَا يُحْتِمُ التَّكَافُلَ بَيْنَ بَنِي آدَمَ، أَعْضَاءَ فِي جَمَاعَاتِ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ، وَدُونَ الْكِرَامَةِ  
وَالتَّكَافُلِ، فَلَا أُمَّةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ، وَلَكِنْ مَتَى كَوُنُ هُنَاكَ دَوَابُّ مُفْتَرِسَةٌ مُتَنَاجِرَةٌ، وَعِصِيٌّ،  
مُبْعَثَةٌ، مُتَنَائِرَةٌ، مُتَنَافِرَةٌ، يُسْهَلُ كَسْرُ أَفْرَادِهَا "أَحَادًا" مِنْ قِبَلِ كُلِّ مُسْتَبِدِّ مُفْسِدٍ، أَوْ  
عَدُوٍّ مُتْرَبِّصٍ، عَلَى خَالٍ مَا نَشَاهِدُ يَا بَيْدَبَا مِنْ أَمْرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ الضَّالَّةِ  
الْمُضِلَّةِ الْمُسْتَعْبَدَةِ الْمُتَخَلِّفَةِ.

وَلِلَّهِ دَرُّ الشَّاعِرِ يَا بَيْدَبَا حِينَ يَقُولُ:

تَأبَى الْعِصِيَّ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسُرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْسُرَتْ أَحَادًا

يَا بَيْدَبَا إِنَّ الْخَلْطَ وَالتَّخْلِيْطَ بَيْنَ تَفَاوُتِ الْقُدْرَاتِ وَتَسَاوِيِ الْكِرَامَاتِ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُ،  
لِأَنَّهُ أَمْرٌ أَسَاسِيٌّ لِبِنَاءِ الْأُمَمِ وَتَكَافُلِ أَبْنَانِهَا، لِيُصْبِحَ بِذَلِكَ الْقَرْدُ عُضْوًا فِي حِزْمَةٍ يَصْعَبُ  
كَسْرُهَا وَنِعَزُّ نَفْرُهَا وَيُخْشَى نَفِيرُهَا.

وَلَنْ تَجِدَ يَا بَيْدَبَا مُكْرَمَ عَزِيْزٍ كَرِيْمٍ النَّفْسِ يَمُدُّ يَدَهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْعَمَلِ، وَلَنْ تَجِدَ يَا  
بَيْدَبَا كَرِيْمٌ مُكْرَمٌ عَزِيْزٌ النَّفْسِ يَجِدُ مِنْ يَحْتَاجُ الْعَوْنَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى عَوْنِهِ وَلَا يُعِيْنُهُ، وَلَنْ  
تَجِدَ يَا بَيْدَبَا كَرِيْمٌ مُكْرَمٌ عَزِيْزٌ يَضَعُ نَفْسَهُ وَكِرَامَتِهِ فِي مَوْضِعِ الْمَلَامَةِ وَالذَّنْبِ.  
هَكَذَا تُبْنِي الْأُمَّمُ الْقَوِيَّةُ الْعَزِيْزَةُ الَّتِي يَعْزُ أبنَائُهَا يَا بَيْدَبَا، وَلَنْ تَجِدَ أَحَدًا مِنْ أبنَائِهَا مِنْ  
يَتَرَدَّدُ فِي الْبَدَلِ وَالتَّضَحِّيَةِ لِحِمَايَةِ أُمَّتِهِ وَرِعَايَتِهَا وَالدُّوْدِ عَنْهَا، فَهُوَ يَعْلَمُ بِبَقِيَّةِ أَنَّهُ لَنْ يَتْرَكَ  
خَلْفَهُ ابْنَ أَوْ عِيْلَةً لَا يَجِدُونَ خَاجَتَهُمْ فِي عِزَّةٍ وَكِرَامَةٍ.

أَيُّهَا الْقَبِيْلَسُوْفُ بَيْدَبَا! هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّمُ وَالشُّعُوْبُ الْيَوْمَ؛  
لِنَسْتَعِيْدَ رُوْبِنَهَا الْكُوْنِيَّةَ الرُّوْحِيَّةَ الصَّحِيْحَةَ، وَمَعْنَى حُرِّيَّتِهَا وَكِرَامَتِهَا الْحَقِيْقِيَّةَ، وَمَعْنَى  
خِيَارِهَا الصَّالِحِ النَّافِعِ، وَلِنَسْتَعِيْدَ غَايَةَ وُجُوْدِهَا، وَمَعْنَى خِيَارِهَا، وَدَلِيْلَ صَلَاحِ عُمَرَانِهَا،  
وَتَوَازُنِ حَضَارَتِهَا، وَسَلَامَةِ عِلَاقَاتِهَا، وَتَكَافُلِ أبنَائِهَا وَإِحْلَالَ الْعَدْلِ وَالسَّلَامِ بَيْنَ شُعُوْبِهَا،  
وَالَّتِي تَتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ شَيْطَانِيَّةِ قُوَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدُوَانِ، وَسَيَادَتِهَا فِي  
مُجْتَمَعَاتِهَا، وَفِي بِنَاءِ حَضَارَتِهَا السَّلَامِيَّةِ الْخَيْرَةِ.

مِنْ ذُوْنِ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْقَبِيْلَسُوْفُ بَيْدَبَا - سَتَبْقَى الْأُمَّمُ وَالشُّعُوْبُ فِي أَحْقَادٍ وَصِرَاعَاتٍ بَيْنَ  
مُعْتَدٍ وَصَحِيْحَةٍ، وَبَيْنَ قُوَى مُتَكَبِّرٍ مُتَجَبِّرٍ وَضَعِيْفٍ مُنْهَرِمٍ خَائِرٍ، وَبَيْنَ غَنِيِّ مُبْتَدِرٍ وَفَقِيْرٍ مُعْوِزٍ،





وَكُلُّهُمْ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ ضَحَايَا مَا يَسْتَعْبِدُهُمْ مِنْ قُوَى الْأَثَابِيَّةِ وَالشَّرِّ وَالظُّلْمِ  
وَالْقِسْوَةِ وَالْفَسَادِ الَّتِي تُعْبِرُ عَنِ الْحَيَوَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ الْمُخَطَّطَةِ فِي كَيَانَاتِهِمْ.  
تَمَهَّلَ الشَّيْخُ بُرْهَةً ثُمَّ تَابَعَ حَدِيثَهُ مُخَاطِبًا بَيْنَدَا وَإِخْوَانَهُ قَائِلًا: بَقِي يَا بَيْنَدَا صِبْغَةٌ أُخْرَى  
مُهَيِّمَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْحَرِيَّةِ وَمُمَارَسَتِهَا النَّاجِحَةُ فِي الْمُجْتَمَعِ، لَا يَدُّ مِنْ اسْتِكْمَالِ الْحَدِيثِ عَنْهَا،  
وَهِيَ تُعَدُّ أَيْضًا مِنْ أَهَمِّ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ، وَلَا يُمْكِنُ لِأُمَّةٍ أَنْ تَتَقَدَّمَ وَتَقْوَى وَتَسُودَ  
مَا لَمْ تَتَمَتَّعْ بِبِلَتِ الصِّبْغَةِ.

قَالَ بَيْنَدَا: مَا هَذِهِ الصِّبْغَةُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؟ فَإِنَّا فِي سُبُوقِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: هَذِهِ الصِّبْغَةُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْنَدَا، هِيَ الصِّبْغَةُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْحَرِيَّةِ، وَهِيَ صَبْغَةٌ  
لَهَا، وَلَا تُنْفَصِمُ عَنْهَا، وَهِيَ "جِسُّ الْمَسْئُولِيَّةِ" وَالْجَرِصِ عَلَى "الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ"؛ لِأَنَّهُ إِذَا  
لَمْ يَكُنْ جِسُّ الْمَسْئُولِيَّةِ قَائِمًا فِي صَمِيمِ وَجْدَانِ كُلِّ مُوَاطِنٍ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّ مَصْلَحَةَ  
الْفَرْدِ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ مَصْلَحَةِ الْجَمَاعَةِ، وَأَنَّ مَصْلَحَةَ الْجَمَاعَةِ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ  
مَصْلَحَةِ الْفَرْدِ، وَأَنَّ تَحْقِيقَ الدَّائِرِ الَّذِي هُوَ غَيْرُ "إِلْغَاءِ الدَّائِرِ" أَوْ "مَرَكِّزَةِ الدَّائِرِ"، لَا  
يَكُونُ إِلَّا بِالْبَدَلِ وَالْعَطَاءِ، فَإِنَّهُ لَا مَجَالَ عِنْدَ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ النَّاجِحَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ،  
وَمِنَ النَّاجِحَةِ الْعَقْلِيَّةِ، لِتَرَابُطِ الْمُجْتَمَعِ وَتَكَافُلِهِ وَتَسَانُدِهِ، أَوْ لِقُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ وَكِرَامَتِهِ أَوْ



لِعَطَائِهِ وَإِبْدَاعِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَصْلُ فِي حِكْمَةِ الْخَلْقِ وَمَعْنَى الْوُجُودِ، فَلَا وُجُودَ لِفِرْدٍ مِنْ دُونِ رِعَايَةِ أُسْرَةٍ، وَلَا أُسْرَةَ وَلَا رِعَايَةَ مِنْ دُونِ مُجْتَمَعٍ وَأُمَّةٍ، وَلَا أُمَّةَ مِنْ دُونِ مُجْتَمَعٍ وَعُمُرَانٍ وَمُؤَسَّسَاتٍ وَحَضَارَةٍ وَتَقَافَةٍ، وَلَا أُمَّةَ وَلَا مُجْتَمَعٍ وَلَا عُمُرَانَ وَلَا حَضَارَةَ وَلَا تَقَافَةَ مِنْ دُونِ وُجُودِ فِرْدٍ سَوِيٍّ حَرِّ عَزِيزٍ قَادِرٍ مُبْدِعٍ، فَالْفِرْدُ وَالْأُمَّةُ فِي بِنَاءِ الْأُمَّةِ الرَّافِعَةِ وَتَقَافَتِهَا وَتَرْبِيَّتِهَا الصَّحِيحَةِ وَأَنْظِمَتِهَا وَمُؤَسَّسَاتِهَا وَأَدَائِهَا هُمَا صِنَوَانٌ وَتَوْأَمَانٌ لَا يَنْقَصِمَانِ، إِنَّهُ بِنْيَانٌ مَرصُوعٌ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، الْفِرْدُ فِيهِ مَسْئُولٌ عَنِ حِفْظِ الْأُمَّةِ وَخِدْمَةِ مَصَالِحِهَا وَصِيَانَةِ كِرَامَتِهَا، وَالْأُمَّةُ بِدَوْرِهَا مَسْئُولَةٌ عَنِ حِفْظِ الْفِرْدِ وَتَلْبِيَةِ حَاجَاتِهِ وَصِيَانَةِ كِرَامَتِهِ.

يَا بَيْدِيَا؛ يَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ فِي تَرْبِيَةِ أَيْتَانِنَا يُحْسِنُوا أَدَاءَ أَدْوَارِهِمْ فِي بِنَاءِ أُسْرِهِمْ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَمَحْضَنُ بِنَاءِ الْمَوَاطِنِينَ، وَهِيَ تُرْتَبُ سَعَادَةً لِنْسَائِهِمْ، وَبِنَاءِ قُلُوبِهِمْ عَلَى جَوْهَرِ طَبِيعِ الْأُمُومَةِ وَالْأَبُوءَةِ فِي نَفُوسِهِمْ، وَهُوَ الْحُبُّ وَالنُّضُجِيَّةُ لَدَى الْأُمَّةِ، وَالَّتِي هِيَ الْعَطَاءُ وَجِسْمُ الْمَسْئُولِيَّةِ لَدَى الْأَبِّ، وَإِذَا ضُبِعَ هَذَا الْجَوْهَرُ فِي طَبَائِعِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَرُبِقَتْ الْأَدْوَارُ يَا بَيْدِيَا تَهْتَدَتِ الْأُسْرَةُ، وَشَقِيَ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُا مَعًا، وَزَالَتْ رَوَابِطُ الْحُبِّ وَصِلَاتِ التَّرَاحُمِ وَمَشَاعِرِ الْإِحَاءِ وَالتَّكَافُلِ مِنْ تَسْبِيحِ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَمَعَ مُرُورِ



يَجِبُ أَنْ تَخْرِصَ فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِنَا بِحَسَنَاتِهَا أَدَاءَ أَذْوَابِهِمْ فِي بِنَاءِ أَسْرِهِمْ

الْوَقْتِ تَتَسِعُ الشُّرُوحُ فِي أَسَاسِ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ تَنْقِيهِ إِلَى الْقَنَاءِ وَالرَّهْدِمِ وَالضَّيَاعِ  
يَا بَيْدِيَا: إِنَّ الْجُهَالَ الْخَمْسِي الْقَاصِرِينَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ مِنْ حَيَاتِهِمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا  
يَرْكُضُونَ خَلْفَهُ مِنْ مَتَاعٍ وَشَهَوَاتٍ لِيَسْتَأْتِرُوا بِهَا: فَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ عَجَمَاتٌ فَرْدِيَّةٌ تُمَثِّلُ  
عَيْنًا عَلَى الْحَيَاةِ. وَهُمْ بِذَلِكَ عَنَاصِرُ مَرَضِيَّةٍ فِي أُمَّمِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ.

قِيَمَةُ الْفَرْدِ يَا بَيْدِيَا فِي الْحَيَاةِ لَيْسَ فِيمَا يَمْلَأُ بِهِ الْإِنْسَانُ بَطْنَهُ، وَيُزْرِكُنْ بِهِ صَدْرَهُ،  
وَيَلْغُو بِهِ لِسَانَهُ، إِنَّمَا قِيَمَتُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَفِي عَالَمِ النُّورِ وَالرُّوحِ مِنْ بَعْدُ، هِيَ مَا يَسْعَى  
بِهِ الْفَرْدُ مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ وَالْبَدَلِ وَالْعَطَاءِ وَالْإِنْفَانِ، وَتَعَمُّلُ فِي عِلَاقَاتِهِ بِأَهْلِيهِ،  
وَمُجْتَمَعِيهِ، وَأُمَّتِهِ، وَإِنْسَانِيَّتِهِ.

بِالسَّعْيِ وَالْبَدَلِ وَالْعَطَاءِ وَالتَّضْحِيحَةِ يُثْمِرُ الْفَرْدُ، وَتُزْهِرُ طَاقَاتُهُ، وَتَسْمُو صِفَاتُهُ، وَتَعْنَى  
ذَاتَهُ، وَتَعْتَزُّ نَفْسُهُ، وَتَرْكُو سِيرَتُهُ، وَيَعْلُو شَأْنُهُ، وَيُحَقِّقُ ذَاتَهُ وَمَعْنَى وَجُودِهِ وَعَايَةَ حَيَاتِيهِ،  
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي عَالَمِ النُّورِ وَالرُّوحِ. وَكُلَّمَا زَادَ الْبَدَلُ وَالْعَطَاءُ وَالنَّفْعُ زَادَ  
الْمَعْنَى، وَازْدَادَتِ الْقِيَمَةُ.

يَا بَيْدِيَا: يُخْطِئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَيَاةِ فَرْدًا، لِيَحْيَا فَرْدًا، وَتَمُوتَ فَرْدًا، إِنَّ كُلَّ  
مَنْ يَأْتِي إِلَى الْحَيَاةِ يَأْتِي ابْنًا لِأَبَوَيْنِ، وَعُضْوًا فِي مُجْتَمَعٍ، وَالْبِنَةُ فِي أُمَّةٍ تَكْفُلُهُ وَتَحْصُونُهُ

وَتَحْمِيهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى لِخَيْرِهَا وَتَنْفَعِهَا وَحِمَايَتِهَا؛ فَبِيْ ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ خَيْرُهُ وَتَنْفَعُهُ وَحِمَايَتُهُ بِقَدْرِ مَا هُوَ خَيْرُ الْجَمَاعَةِ وَأَمْنُهَا وَتَمَامُهَا، فَهَنْ يَدْرِي الْجَمَاعَةَ عَطَاءً وَبَدَلًا وَتَضَجِيَّةً، حَصَدًا كِفَالَةً وَأَمْنًا وَعِزَّةً وَكَرَامَةً.

تَعْمَلُ الْبَشَرُ، وَتَعْبَسُ الْأُمَّمُ الَّتِي تَتَفَكَّرُ رَوَابِطُهَا، وَتَنْحَطُّ عَلاَقَاتُ أُنْيَانِهَا، وَتَغِيْبُ فِي حَيَاتِهَا الْبُعْدُ الْعَامُّ وَحَسُّ مَسْئُولِيَّةِ الْجَمَاعَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ؛ بِحَيْثُ لَا يَجْمَعُ أُنْيَانُهَا وَأَعْضَاءُهَا جَامِعُ إِخَاءِ الْبَشَرِ، وَكَرَامَةُ الْإِنْسَانِ، وَتَضَامُنُ الْاجْتِمَاعِ، وَعُضُوبِيَّةُ الْمُواطَلَنَةِ، وَمُسْمُو الْغَايَاتِ وَالْقِيَمِ وَالْمَبَادِي.

هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتُ يَضِيغُ فِيهَا مَعْنَى وَجُودِ الْإِنْسَانِ، وَمَعْنَى حَيَاتِهِمْ، وَقُدْرَةُ عَطَائِهِمْ؛ وَيُضْبِحُونَ إِمْعَابَ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ؛ فَتَنْحَطُّ بِذَلِكَ حَيَاتُهُمْ وَقِيَمَةُ اجْتِمَاعِهِمْ وَعَطَائِهِمْ؛ لِتَضِيغِ مِنْ دُونِ قِيَمَةِ اجْتِمَاعِ الْعَجْمَاوَاتِ وَحَيَاتِهَا، وَهُمْ بِهَذَا يَكُونُونَ -عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ- أَسْوَأَ خَالًا مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمَادِيَّةِ الطَّبِئِيَّةِ الْخَيَوَانِيَّةِ الَّتِي تَجْتَمِعُ وَتَتَكَافَلُ عَلَى عُنْصُرِيَّةِ الْقَبِيلَةِ وَالْقَوْمِيَّةِ، شَأْنَهَا فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْكُؤَامِرِ ظَلَمًا وَعُدُوَانًا وَقَسْوَةً وَكِبَالًا بِمَكْيَالَيْنِ لِمَنْ هُمْ مِنْ غَيْرِ قَوْمِيَّةٍ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ.

لِذَلِكَ يَا بَيْدَبَا؛ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حِفْظُ الْأُمَّةِ، وَحِفْظُ أَنْظِمَتِهَا وَشَرَائِعِهَا وَمُؤَسَّسَاتِهَا..

وَحِمَايَةُ حُقُوقِهَا وَمَصَالِحِهَا، وَتَنْمِيَةُ عُمُرَانِهَا، مِنْ أَهَمِّ مَقَاصِدِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَالْاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ؛ فَمِنْ دُونِ الْأُمَّةِ الْخَيْرَةِ، وَمِنْ دُونِ أَنْ تَكُونَ مُؤَسَّسَاتُهَا حُرَّةً عَزِيزَةً مُوَحَّدَةً قَادِرَةً قَوِيَّةً، مَسْلِيمةً الْهَيْبَةَ وَالرُّؤْيَةَ، لَا نَمَاءَ وَلَا بَقَاءَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحْصِيَ الدِّينُ، وَلَا أَنْ يُحْصِيَ الْمُواطِلُونَ، وَلَا أَنْ تُحْصِيَ الْحُقُوقُ وَالشَّرَوَاتُ وَالْأَعْرَاضُ، فَلَا يَكُونُ الْفَرْدُ عَزِيزًا قَادِرًا مِنْ دُونِ أُمَّةٍ، وَلَا تَكُونُ الْأُمَّةُ عَزِيزَةً قَادِرَةً مِنْ دُونِ فَرْدٍ، إِنَّهَا كَيَانَاتٌ لَا يَنْفَكُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ.

إِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي تَشَوَّهَتْ رُؤْيُهَا الْكُوْنِيَّةُ يَا بَيْدِيَا، وَالَّتِي غَابَ -إِلَى حَدِّ تَعْيِيدِ- عَنْ رُؤْيِهَا وَفِكْرِهَا الْبُعْدُ الْعَامُّ وَالْخَضَارِيُّ فِي وُجُودِهَا الْإِنْسَانِيِّ، وَأَنْخَصَرَ جُلُّ اهْتِمَامِهَا بِالْجَوَانِبِ الْأَنْثَانِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ؛ لِيُصْبِحَ جُمْهُورُ الْإِنْسَانِ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنْ دُونِ غَايَةِ إِلَّا الْبَقَاءَ الْعَجْمَاوِيِّ الْفَرْدِيِّ، وَتَدْبِيرَ لَقْمَةِ الْعَيْشِ بِأَقْلٍ الْجَهْدِ بِانْتِظَارِ الْمَوْتِ. لَقَدْ تَحَوَّلَتْ يَا بَيْدِيَا هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى مُجَرَّدِ أَفْرَادٍ يَنْتَازِعُونَ وَيَتَصَارِعُونَ عَلَى فُتَاتِ الْعَيْشِ الْيَائِسِ، وَيَتَحَكَّمُ الطُّغَاةُ وَالْمُسْتَبِدُّونَ وَالنَّخَّاسُونَ فِي رِقَابِهِمْ؛ لِأَنَّ ضَعْفَ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ قَدْ أَضَاعَ فِيهَا مَعْنَى وُجُودِهِمُ الْإِنْسَانِيِّ، وَمَعْنَى حَيَاتِهِمْ وَقُدْرَةَ إِنْدَاعِهِمْ، فَانْحَطَّ عَطَاؤُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ، وَأَصْبَحَتْ قِيَمَتُهُمْ دُونَ قِيَمَةِ اجْتِمَاعِ الْعَجْمَاوَاتِ وَحَيَاتِهَا.

هَذَا فِيهَا أَرَى يَا بَيْدَبَا هُوَ الْحَقُّ الْمَخْصُصُ؛ وَسِوَاؤُ قَوْلِكَ زَائِفٌ بَاطِلٌ، لَا تُجِبِي الشُّعُوبَ  
وَالْأُمَمَ مِنْ وَرَائِهِ إِلَّا الْفَاقَةُ وَالضُّعْفُ وَالنُّلُّ وَالتَّمَرُّقُ وَالتَّخْلُفُ وَالضَّيْعُ وَالخَرَابُ.  
عِنْدَ ذَلِكَ صَمَتَ الشَّيْخُ الرَّحَّالَةَ بُرْهَةً ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَيْدَبَا نَظَرَةً بِاسْمَةٍ، فِيهَا شَيْءٌ مِنْ  
التَّأَمُّلِ، وَقَالَ لَهُ: الْمَهْمُ يَا بَيْدَبَا أَنْ تَعِيَ وَإِخْوَانِكَ مَا تَدَارِسْنَاهُ مِنْ أَمْرِ الْخُرَيْتِ، وَمِنْ أَمْرِ  
الْمَسْئُولِيَّةِ، وَمِنْ أَمْرِ الْمَصْلُحَةِ الْعَامَّةِ، وَمِنْ أَمْرِ حِفْظِ الْأُمَّةِ، وَحِفْظِ كَرَامَتِهَا وَأَمْنِهَا  
وَسَلَامَتِهَا وَتَنْمِيَةِ قُدْرَاتِهَا وَعُمْرَاتِهَا، وَأَنْ تَبْذُلَ غَايَةَ الْجُهْدِ مَعَ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَمَعَ الْأَبَاءِ  
وَالْأَبْنَاءِ؛ حَتَّى يُدْرِكُوا وَيَفْهَمُوا وَيَفْهَمَ الدَّيْكَ!

نَظَرْتُ بَيْدَبَا إِلَى الشَّيْخِ الرَّحَّالَةِ حَائِرًا مُتَسَائِلًا عَنْ هَذَا الدَّيْكَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ قَضَايَا  
الْخُرَيْتِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ وَالْمَصْلُحَةَ الْعَامَّةَ! وَقَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؛ إِنَّ لِي خَبْرَةً عَظِيمَةً  
بِالْحَيَوَانَاتِ كَمَا تَعْلَمُ، وَلَا شَكَّ أَنَّكَ قَدْ اطَّلَعْتَ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى مَا كَتَبْتُهُ مِنْ قِصَصٍ عَلَى  
السِّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْ قَطُّ عَنْ هَذَا الدَّيْكَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ، وَالَّذِي  
يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ هَذِهِ الْقَضَايَا الْبَشَرِيَّةَ الْعَويصَةَ، فَهَلَّا أَفْصَحْتَ لِنَارِغَاكِ اللَّهُ عَمَّا تَقْصِدُ؟  
عِنْدَهَا ضَحِكَ الشَّيْخُ وَكَادَتْ عِمَامَتُهُ أَنْ تَسْقُطَ مِنْ عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ يَرَى الْحَكِيمَ  
بَيْدَبَا يَأْخُذُ الْأَمْرَ مَا خَذَ الْجِدُّ لَا مَا خَذَ الْفُكَاهَةُ وَالِدُّعَابَةُ، وَالتَّقَاتُ إِلَى بَيْدَبَا قَائِلًا: عَجِيبٌ  
أَمْرُكَ يَا بَيْدَبَا! فَكَيْفَ وَأَنْتَ صَدِيقُ الْحَيَوَانَاتِ لَمْ تَسْمَعْ عَنْ هَذَا الدَّيْكَ الَّذِي خَرَفَ  
بِسِيرَتِهِ الرُّكْبَانُ، وَأَمْتَعَتْ قِصَّتُهُ السُّمَّارَ وَالْعُرْبَانَ.

قَالَ بَيِّنْدَبَا؛ نَعَمْ أَصْدَقَكَ الْقَوْلُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ فَإِنِّي لَمْ أَسْمَعْ قَبْلَ الْيَوْمِ عَنْ هَذَا  
الْبَيْكِ، فَمَا قِصَّتُهُ؟ لَقَدْ أَثَرْتَ مُجَدِّدًا فَضُولَنَا بِغَرَابَةِ مَا تَقُولُ، وَبِكَثْرَةِ ضَحِكَكَ حِينَ  
عَجَبْنَا مِنْ أَمْرِ هَذَا الْبَيْكِ.

اسْتَعَاذَ الشَّيْخُ شَيْفًا مِنْ سَمِّ الْجَدِّ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: لَا تَعْجَلْ يَا بَيِّنْدَبَا؛ سَأُخْبِيكَ لَكَ  
وَلِإِخْوَانِكَ أَمْرَ هَذَا الْبَيْكِ الْعَجِيبِ، فَإِنَّهُ يُحْكِي أَنْ رَجُلًا أَصَابَهُ مَرَضٌ نَفْسِيٌّ غَضْبَالٌ؛ حَتَّى  
ظَنَّ نَفْسَهُ حَبَّةَ قَمْحٍ لَوْ رَأَاهَا دَيْكٌ لَأَلْتَقَمَهَا وَأَكَلَهَا، فَأَخَذَهُ أَهْلُهُ إِلَى حَكِيمٍ نَفْسِيٍّ نَطَاسِيٍّ  
يُعَالِجُهُ، وَيُزِيلُ هَذَا الْوَهْمَ مِنْ نَفْسِهِ، وَجَدَّ الطَّبِيبُ الْحَكِيمُ فِي عِلَاجِهِ شَهْرًا عَدِيدًا؛  
تَمَكَّنَ فِيهَا مِنْ إِزَالَةِ وَهْمِ الرَّجُلِ وَإِقْنَاعِهِ بِأَنَّهُ إِنْسَانٌ كَامِلٌ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَلَيْسَ حَبَّةَ قَمْحٍ  
يَأْكُلُهَا الدَّجَاجُ وَالْبَيْكَةُ، وَأَبْدَى الرَّجُلُ اِقْتِنَاعَهُ بِمَا ذَكَرَهُ الطَّبِيبُ الْحَكِيمُ.

وَلَيْتَا كُنَّا الطَّبِيبُ وَأَهْلُ الْمَرِيضِ مِنْ زَوَالِ الْوَهْمِ وَنَجَاحِ الْعِلَاجِ، جَلَسَ الطَّبِيبُ  
وَالْمَرِيضُ وَخَاصَّةً أَهْلِهِ فِي مَجْلِسِ الْعِيَادَةِ، وَطَلَبَ الطَّبِيبُ مِنَ مُسَاعِدِيهِ أَنْ يَأْتِيَ بِدَيْكٍ  
ذِي عُرْفٍ أَحْمَرَ وَرِيشٍ مُلَوَّنٍ يَسُرُّ النَّاطِرِينَ، وَأَنْ يُدْخَلَ هَذَا الدَّيْكَ إِلَى الْعِيَادَةِ، وَيُطَلِّقَهُ  
فِي الْمَجْلِسِ، وَمَا إِنْ أَدْخَلَ الدَّيْكَ إِلَى الْمَجْلِسِ، وَأَذَارَ عُرْفَهُ الْأَحْمَرَ ثَمَنَةً وَتَمَسَّرَهُ، وَأَجَالَ  
عَيْنَيْهِ الْأَحْمَرَ وَرِيشَ فِي أَرْجَاءِ الْغُرْفَةِ؛ حَتَّى هَرَوَلَ الرَّجُلُ الْمَرِيضُ خَائِفًا مُضْطَرِبًا مُخْتَبِئًا





وَأَنْتَ كَذَلِكَ مُتَّبِعٌ. وَلَكِنَّ مَنْ يُفِيعُ الدُّبَابَ!

خَلَفَ مَقْعِدِ الطَّيِّبِ.

أَخَذَتِ الطَّيِّبُ الْخَيْرَةَ مِنْ تَصَرُّفِ الْمَرِيضِ، وَأَمْرٍ بِإِخْرَاجِ الدَّيْكِ، وَطَلَبِ مِنَ الْمَرِيضِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَحَبَّتِهِ بَعْدَ أَنْ طَمَأَنَّهُ إِلَى أَنَّ الدَّيْكَ قَدْ خَرَجَ.

خَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ خَلْفِ الْمَقْعِدِ، وَجَلَسَ إِلَى مَقْعِدِهِ، وَلَمَّا هَدَأَتْ نَفْسُهُ سَأَلَهُ الطَّيِّبُ قَائِلًا: لِمَ إِذَا فَفَرِزْتَ مُحْتَبِنًا حِينَ أَدْخَلَ الدَّيْكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ قَدْ اقْتَنَعْتَ مِنْ قَبْلُ بِأَنَّكَ لَسْتَ حَبَّةَ قَمْحٍ يَلْتَقِطُهَا الدَّيْكَهُ.

قَالَ الرَّجُلُ الْمَرِيضُ: نَعَمْ أَيُّهَا الطَّيِّبُ: لَقَدْ اقْتَنَعْتَنِي أَيُّ لَسْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ وَأَنَا مُقْتَنِعٌ بِأَنِّي لَسْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ، وَأَنْتَ كَذَلِكَ مُقْتَنِعٌ، وَلَكِنْ مَنْ يَقْنَعُ الدَّيْكَ؟

أَدْرَكَكَ بِيَدَيَا مَا يَرْمِي إِلَيْهِ الشَّيْخُ مِنْ سَرْدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الطَّرِيفَةِ، وَمَغْرَازَهَا، وَضَجَّكَ لِطَرَفَيْهَا: حَتَّى كَادَ أَنْ يَقَعَ هُوَ أَيْضًا عَنْ كُرْسِيِّهِ، وَقَالَ لِلشَّيْخِ:

أَدْرَكَتُ الْآنَ مَغْرَمِي قَوْلِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ عَنْ مَدَى الْجُهْدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَبْدُلَهُ حَتَّى يَفْهَمَ النَّاسُ مَا نَرْمِي إِلَيْهِ، وَيُغَيِّرُوا مَا نَشَاءُوا فِيهِ، وَمَا نَعُوذُوا عَلَيْهِ: فَمِنْ أَصْغَبِ الْأُمُورِ أَنْ تُغَيِّرَ النَّفُوسُ مَا اعْتَادَتْ، وَأَنْ تَتَذَوَّقَ طَعْمَ مَا لَمْ تَأْلَفْ، وَلِكَيْهَا حِينَ تُدْرِكُ حَقِيقَةَ مَعْنَى مَا قَدِمَ لَهَا، وَهَائِدَتَهُ، وَتَتَذَوَّقَهُ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِاقْتِنَاعٍ وَقُوَّةٍ وَحِمَاسَةٍ؛ وَلَا سِوَمَا الشَّبَابِ مِنْهُمْ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَتَقَدُّ الرُّؤْيَةُ الصَّحِيحَةُ فِي كِتَابِهِمْ "كَالنَّارِ فِي الْهَيْبِمْ".



عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ أَطْرَقَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ رَأْسَهُ، وَلَمَلَمَ أَطْرَافَ ثِيَابِهِ، وَأَمْسَكَ بِعَصَاةٍ؛  
 إِذَا نَا بِقِيَامِهِ تَوَدَّيْعًا لِضَيْفِهِ بَيْنَدَا وَمَنْ حَضَرَ مَعَهُ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ؛ الَّذِينَ  
 كَانُوا كُلُّ يَوْمٍ يَزِدُّونَ عَدَدًا وَمُتَعَةً وَفَائِدَةً بِسَمَاعِ مَا كَانَ يَدُورُ مِنْ جَوَارِيهِنَّ حَكِيمَيْنِ مِنْ  
 حُكَمَاءِ الْعَصْرِ؛ تُشَدُّ الرِّخَالُ لِرُؤْيَيْهِمْ، وَالِاسْتِمَاعُ إِلَى حَكِيمِ أَقْوَالِهِمَا، وَأَنْصَرَفُوا وَهُمْ مَا  
 يَزَالُونَ يَضْحَكُونَ؛ لِمَا أَمْتَعَهُمْ بِهِ الشَّيْخُ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ.

لَقَدْ بَدَّلَ الشَّيْخُ الْكَثِيرَ مِنَ الْجُهْدِ فِي الْحَدِيثِ، وَكَانَ بَيْنَدَا يُدْرِكُ سَخَابَاتِ الْوُجُومِ  
 وَالْقَلْقِ الْعَابِرِ الَّتِي تَبْدُو عَلَى مَلَامِحِ وَجْهِ الشَّيْخِ؛ الَّذِي كَانَتْ قُوَّةُ إِرَادَتِهِ تَصْرِفُهَا بِمَهَارَةٍ لَا  
 تَجْعَلُ أَحَدًا يُجَسُّ بِهَا، وَلِكَيْهَا لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ كَانَتْ لَهُ خَيْرَةُ الْحَكِيمِ بَيْنَدَا وَدِرَائَتُهُ، وَلَكِنْ  
 أَهْمِيَّةُ الْقَضِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُشْغَلُ بِأَنَّ بَيْنَدَا، وَلِهَيْفَةَ الْحَاضِرِينَ لِسَمَاعِ أَكْبَرِ قَدَرٍ مُمَكِّنٍ مِنْ  
 عِلْمِهِ وَخَيْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، جَعَلَتْ بَيْنَدَا يُوَاصِلُ خِطَابَهُ إِلَى الشَّيْخِ قَائِلًا لَهُ: أَيُّهَا الشَّيْخُ  
 الْجَلِيلُ؛ لَقَدْ أَمْتَعْتَنَا وَأَفَدْتَنَا بِحَدِيثِكَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَنَا الْكَثِيرَ مِنْ وَقْتِكَ وَجُهْدِكَ،  
 وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَيْضًا مَدَى جَلْدِكَ وَصَبْرِكَ وَكِرْمِكَ وَحَيْثُكَ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ،  
 وَأَجِدُ أَنِّي أَقْصِرُ فِي حَقِّ نَفْسِي، وَحَقِّ هَذَا الْجَمْعِ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَمِنْ قَادَةِ  
 الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَنْ سَوْفَ يَتَلَمَّعُ عَنْهُمْ وَيُقْبِدُ مِنْ عِلْمِهِمْ وَيَتَّبِعُ خَطَاهُمْ، إِذَا أَنَا لَمْ أَلْقِ عَلَيْكَ  
 سِوَالًا آخَرَ مِنْهُمَا مَا زَالَ يَدُورُ فِي رَأْسِي وَرَأْسِ الْحَاضِرِينَ وَيُخَيِّرُنَا.



قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَطَةَ: كَمَاكَ مُقَدِّمَاتٌ يَا بَيْدَبَا، فَالْجَمِيعُ قَدْ أَخَذَهُ التَّغَيُّبُ، وَلَسْتُ  
 أَنَا أَوْ أَنْتَ أَقَلَّهُمْ نَصِيبًا، وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نُحَقِّقَ كُلَّ مَا نُرْغَبُ مِنْ لِقَائِنَا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ مَوْعِدُ  
 الرِّيحِيلِ وَالْفِرَاقِ. وَمِمَّا يُهَوِّنُ أَمْرَ فِرَاقِي مَنْ نُحِبُّ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ فِي  
 هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَنْتَ عَلَيَّ رَأْسِيهِمْ يَا بَيْدَبَا، أَنِّي مَسْأَلُهُ فِي رِخْلِي وَمَقْصِدِي نَحْوَ الْجَنُوبِ،  
 نَحْوَ أَرْضِ وَشُعُوبِ أَشْرِنَتْ حَيْثَا وَتَأَلَّمْتُ لِمَا أَصَابَهَا، وَلِمَا حَلَّ بِهَا، وَالْأَمَلُ عِنْدِي كَبِيرٌ فِي  
 إِصْلَاحِ أَحْوَالِهَا عَلَيَّ سُنَّةَ مَا كَانَ مِنْ مَسَالِفِ أَمْرِهَا؛ شَرِيطَةٌ أَنْ يَبْذُلَ الْمُفَكِّرُونَ  
 وَالتَّرْتِيبُونَ وَالْإِصْلَاحِيُّونَ فِيهَا خَالِصَ جُهْدِهِمْ؛ لِيَتَعَوَّذَ تِلْكَ الْأُمَّةُ وَتِلْكَ الشُّعُوبُ أُمَّةً  
 وَشُعُوبًا سَلَامِيَّةً حَقًّا؛ فَتَتَّبِعُ سُبُلَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالسَّلَامِ، وَيَتَنَازَلُ عَنِ  
 سُبُلِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَالْفَسَادِ، وَيَتَّبِعِي مُجَدِّدًا عَلَيَّ فِي هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي يَعْجُ  
 بِالْمِظَالِمِ وَالْمَخَاطِرِ خِضَارَةَ الْعَدْلِ وَالسَّلَامِ، وَعُمُرَانَ الْخَيْرِ وَالْمَقَافِلِ وَالشُّورَى وَالْوَنَامِ.  
 وَلَكِنْ يَا بَيْدَبَا عَلَيْنَا أَنْ نُوَجِّلَ أَمْرَ سُؤَالِكَ وَمَا سَيَتَّبِعُهُ مِنْ قَوْلٍ وَيُنَاقِشُ إِلَى يَوْمِ غَدٍ  
 بِإِذْنِ اللَّهِ، وَنَحْنُ أَعْظَمُ نَشَاطًا وَأَكْثَرُ إِقْبَالًا لِلتَّظَرُّفِ فِيمَا مِهِمْ حَكِيمًا مِثْلَكَ.

## الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي عُصْفُورًا

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ اجْتَمَعَ سَمَلُ الْمَجْلِسِ كَالْمُعْتَادِ شَيْبًا وَشَبَابًا وَشَابَاتٍ مِنْ تَلَامِيذِ  
السُّيُخِ وَرُوَادِ مَجْلِسِهِ، وَقَدْ جَلَسَ بَيْنَنَا كَالْمُعْتَادِ إِلَى يَمِينِ الشُّيُخِ  
وَبَدَأَ بَيْنَنَا الْحَدِيثَ إِلَى الشُّيُخِ.

قَالَ بَيْنَنَا: كَمْ جَمِيلٌ أَنْ تَرَى وَجْهَ شَيْخِنَا الْعَجَلِيلِ مُنْبَسِطًا يُدَارِي ابْتِسَامَةً تُبِيرُ مَحْيَاهُ،  
فَرَانْنَا فِي أَشَدِّ الشُّوقِ لِمَعْرِفَةِ مَا يَدُورُ بِخَلْدِ الشُّيُخِ وَيَبْسُطُ أَسَارِيضَهُ الْخَبِيئَةَ.  
اُسْتَعَثَ بِسَمَةِ الشُّيُخِ وَقَالَ يُخَاطِبُ بَيْنَنَا:

لَعَلَّكَ تَذَكَّرْنَا بَيْنَنَا أَنْتَ وَإِخْوَانُكَ طَرِيفَةَ قِصَّةِ الذِّبِكِ وَالَّتِي زَوَيْنَهَا لَكُمْ بِالْأَمْسِ، وَكَمْ  
كَانَتْ مُؤْنِمَةً وَمُسَلِّتَةً مَعَ مَا فِيهَا مِنْ حِكْمَةٍ، لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي قِصَّةَ الذِّبِكِ بِقِصَّةِ عُصْفُورٍ لَا  
تَقُلُّ عَنْ قِصَّةِ الذِّبِكِ تَسْلِيَةً وَحِكْمَةً، وَلَكِنْ دَعْنَا مِنْ ذَلِكَ وَمَا عَلَيْنَا يَا بَيْنَنَا مِنْ تَدَايِي  
الْخَوَاطِرِ، وَلِنَعُدَّ إِلَى سُؤَالِكَ الَّذِي كَانَ يَشْغَلُ بِأَلْكِ.

قَالَ بَيْنَنَا: أَمَا وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ بَسْطَةِ الْوُجْهِ وَرَاحَةِ الْبَالِ، فَإِنَّهُ بِالْإِمْكَانِ يَا  
سَيِّدِي تَأْجِيلُ ذَلِكَ وَسَمَاعُ مَا لَدَيْكَ عَنْ قِصَّةِ الْعُصْفُورِ، فَإِنَّكَ بِمَا ذَكَّرْتَ جَعَلْتَنَا فِي  
أَشَدِّ الشُّوقِ لِسَمَاعِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا تَأْسَ مِنْ رِوَايَةِ قِصَّةِ الْعُصْفُورِ وَالْإِفَادَةِ مِمَّا فِيهَا مِنْ مَغْرَى وَحِكْمَةٍ.

تَابَعَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: يُرَوَى أَنَّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَنَّ فَتَى ذَكِيًّا بَارِعًا نَشِطًا مِنْ الْمُوَلَعِينَ بِالرِّحَالِ وَتَسْلُقُ الْجِبَالِ وَاسْتِكْشَافِ الْغَابَاتِ، زَلَّتْ قَدَمُهُ وَهُوَ يَتَسَلَّقُ إِحْدَى الْقِمَمِ الْوَعْرَةِ، وَلَبِزَاعَتِهِ لَمْ يُصْبِهِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ الْأَذَى إِلَّا كَسَّرَ هَيْئًا فِي سَاقِهِ أَلْزَمَهُ لِبَعْضِ الْوَقْتِ مُقَعَّدَ عَزَبَةِ الْمُعَافِينَ، وَمَا عَادَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُغَادِرَهَا بِخَيْرَتِهِ إِلَّا عَلَى "عُكَّازَيْنِ".

مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالْفَتَى مُقَعَّدٌ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا اعْتَادَ عَلَيْهِ مِنْ حَرَكَةٍ وَهَوَايَاتٍ وَتَجَوَّالَاتٍ، وَبِالطَّبْعِ لَمْ يَرِقْ الْأَمْرُ لِلْفَتَى وَغَدَا مَهْمُومًا مَتَأَقِفًا ضَبِيقَ الصُّدْرِ بِخَالِهِ وَعَجْزَهُ عَمَّا اعْتَادَهُ مِنْ حَرَكَةٍ وَجَزْيٍ وَقَفْزٍ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، جَلَسَ الْفَتَى عَلَى مَقْعَدِهِ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْحَقْلِ الْمُمتَدِّ أَمَامَ دَارِهِ، حَيْثُ كَانَ هُنَاكَ صَبِيحَانٌ يَلْعَبُونَ وَيَلْهُوُونَ وَيَتَسَابِقُونَ وَيَتَقَادِفُونَ الْكُرَاتِ، وَالْفَتَى يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَالْأَمْسَى وَالضَّبِيقُ بَادٍ عَلَى وَجْهِهِ.

حَطَّ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ- فِي هَذَا الْوَقْتِ عُصْفُورٌ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي يَجْلِسُ الْفَتَى

تَحْتَهَا، وَأَخَذَ يَلْتَقِطُ بَعْضَ الْبُذُورِ مِنْ ثَمَارِ الشَّجَرَةِ، وَهُوَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ فِي لَهْوِهِمْ وَلَعِبِهِمْ وَمَرَجِحِهِمْ حَبِيئَةً وَذَهَابًا، وَيَبِينُ ذَلِكَ الْفَتَى "بِخَيْرِيَّتِهِ" وَ"عُكَّازَتِهِ" وَالْأَسَى يَمْلَأُ فَوَادَهُ وَالضَّبِيقُ يُحْتِمُ عَلَى وَجْهِهِ.

انْتَهَرَ الْعُصْفُورُ حَتَّى انْصَرَفَ الْأَطْفَالُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَحَطَّ عَلَى فَرْعٍ قَرِيبٍ مِنَ الْفَتَى الْمُشْعَبِ الَّذِي كَانَ يُرْسِلُ النُّظْرَاتِ السَّاهِمَةَ إِلَى فَرْصِ شَمْسِ الْغُرُوبِ وَهِيَ تَغُوصُ فِي سَفْحِ الْأَفْقِ الْأَحْمَرَ خَلْفَ الْحُقُولِ.

أَسْقَطَ الْعُصْفُورُ بَعْضَ وَرَقَاتِ الشَّجَرَةِ عَلَى رَأْسِ الْفَتَى لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ تَأْمُلًا بِهِ الْحَبِيئَةَ. رَفَعَ الْفَتَى رَأْسَهُ حَيْثُ يَقِفُ الْعُصْفُورُ لِيَنْظُرَ مَا الَّذِي أَسْقَطَ أَوْزَاقَ الشَّجَرَةِ وَعِنْدَهَا رَأَى الْعُصْفُورَ النَّبِيَّ كَانَ يُدِيرُ رَأْسَهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً وَيُحْبِقُ فِي وَجْهِهِ، فَسَأَلَهُ الْفَتَى قَائِلًا: مَا بِكَ أَيُّهَا الْعُصْفُورُ، وَلِمَذَا أَسْقَطْتَ عَلَى رَأْسِي هَذِهِ الْأَوْزَاقِ.

قَالَ الْعُصْفُورُ: بَلْ مَا لَكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْفَتَى، إِنِّي أَرَاكَ وَاجِمًا سَاهِمًا، كَأَنَّ هُمَا أَلَمَ بِكَ، إِنَّ نَهْجَةَ الْأَطْفَالِ وَمَرَجِحِهِمْ مِنْ حَوْلِكَ لَمْ تُخَفِّفْ شَيْئًا مِنْ هَمِّكَ وَعَمَلِكَ وَضَبِيقِ صَدْرِكَ.

قَالَ الْفَتَى يُخَاطِبُ الْعُصْفُورَ: بَلْ إِنَّ مَرَجَ الصَّبِيئَةِ وَلَهْوِهِمْ هُوَ سَبَبُ هَمِّي وَعَمَلِي وَضَبِيقِ صَدْرِي. أَمَا رَأَيْتَ أَيُّهَا الْعُصْفُورُ كَيْفَ كَانَ الصَّبِيئَةُ يَمْرُحُونَ وَيَجْرُونَ، وَأَنَا هُنَا عَلَى هَذَا.

المُفْعَدِيَيْنِ "الجَبِيرَةَ" وَهَذَيْنِ "العُكَّازَيْنِ" لَا أَتَحَرِّكَ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ وَبُطْءٍ؛ الْأَمْرَ الَّذِي يَجْعَلُنِي  
مَحْرُومًا مِنَ الْجَزْيِ وَالْقَفْرِ مِثْلِهِمْ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمَا الْعُصْفُورُ أَنَّهُمْ يَثْبُونَ كَالْعِزْلَانِ وَأَنَا أَخْطُو  
وَأَتَوَكَّأُ وَأَعْرُجُ بِبُطْءٍ كَالسُّلْحَفَاءِ، وَمَا يَقْطَعُونَهُ مِنَ الْمَسَافَاتِ فِي ذَقِيقَةٍ لَا أَقْطَعُهُ أَنَا إِلَّا  
فِي سَاعَةٍ.

"صَوَّصَنُوا" الْعُصْفُورَ ضَاحِكًا مِمَّا سَمِعَ مِنَ الْفَتَى، وَقَالَ:  
عَجِبًا أَيُّهَا الْفَتَى، أَهَذَا مَا أَهْمَكَ، بِرِغْمِ أَنَّكَ مَا زِلْتَ قَادِرًا عَلَى الْحَرَكَةِ وَعِلَاجِ أَفْعِكَ  
وَتَدْبِيرِ أَمْرِكَ وَالْحُصُولِ بِعَقْلِكَ وَجَيْلَتِكَ عَلَى مَا تُرِيدُ.

صَمَّتِ الْعُصْفُورُ لِحُضْرَةِ ثُمَّ قَالَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ أَيُّهَا الْفَتَى أَنْ اللَّهَ خَلَقَنِي عُصْفُورًا" أَحْبُوبُ  
الْقَضَاءِ وَالْتَقَطُ الثَّمَارَ دُونَ شِقَاءٍ وَلَا عَنَاءٍ، وَمَا أَقْطَعُهُ فِي ذَقِيقَةٍ فِي الْفَضَاءِ تَقْطَعُونَهُ أَيُّهَا  
النَّبَشْرُ عَلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ، إِنِّي أَيُّهَا الْفَتَى لَوْ خَلَقْتَ مِثْلَكُمْ أَدَبٌ عَلَى الْأَرْضِ  
وَأَنْتَقِلُ بِسُرْعَةٍ خَطْوِكُمْ لِأَكَلْتَنِي الْقِطْطُ وَابْتَلَعْتَنِي الثَّعَالِبُ وَالْبَيِّنَابُ، وَمَعَ أَنِّي أَسْرَعُ مِنْكَ  
وَمِنْ بَنِي جَنَسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَمُوءُكَ، فَلِمَ إِذَا -لَوْ كُنْتَ "حَكِيمًا" - يَسُوءُكَ أَنْ هُنَاكَ مَنْ  
هُوَ أَسْرَعُ خَطْوًا وَأَعْظَمُ قُدْرَةً مِنْكَ وَمِنْ بَنِي جَنَسِكَ فِي أَمْرٍ وَآخَرَ؟

أَيُّهَا الْفَتَى إِنَّ مِنَ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ أَنْ تَنْظُرَ بِعَقْلِكَ إِلَى وَاقِعِكَ وَأَنْ تَتَدَبَّرَ أَمْرَكَ، فَانْتَ





الإنسان كُرِّمَتْ بِعَقْلِكَ وَإِرَادَتِكَ وَلَيْسَ بِأَيِّ صِفَةٍ أَوْ قُدْرَةٍ أُخْرَى لَدَيْكَ، فَلَا تُقْعِدُكَ  
النَّوْازِلُ وَلَا تُعْجِزُكَ الْعُقْبَاتُ، فَانْتِ بِالْعَقْلِ وَالْإِرَادَةِ، لَا بِقَدَمِ الْجَرِيِّ أَوْ أُنْحَى الْعَصَافِيرِ  
"إِنْسَانٌ قَائِدٌ".

صَنِمَتِ الْعُصْفُورُ بِرُفْهَةٍ ثُمَّ "رَفَرَفَ" بِجَنَاحَيْهِ كَمَا أَنَّهُ يُودِعُ الْفَتَى وَهُوَ يُصْبُؤُ قَائِلًا لَهُ:  
إِنِّي أُمِّيَا الْفَتَى رَاضٍ بِمَا أَنَا فِيهِ، وَأَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْنِي بَشَرًا أَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ بَطِينًا  
فَرِعًا مَهْمُومًا، وَلَكِنَّهُ قَدْ خَلَقَنِي بِحَمْدِهِ عُصْفُورًا أَحْوَبُ فِضَاءِ السَّمَوَاتِ، وَأَحْطَأَ عَلَى مَا  
يَحْلُولِي مِنَ الْأَشْجَارِ، وَأَقْطِفُ مَا أهُوَى مِنَ الْبِمَارِ، وَإِنِّي سَعِيدٌ لِأَنِّي لَا أَتَجَاهَلُ الْجَانِبِ  
الْمُضْيِيءِ مِنْ حَيَاتِي وَوُجُودِي.

أَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ؛ عِنْدَهَا لَوْحُ الْفَتَى بِذِرَاعَيْهِ مُودِعًا لِلْعُصْفُورِ الْحَكِيمِ مُبْتَهَجًا  
شَاكِرًا لَهُ الْجَمِيلِ، ثُمَّ أَخَذَ عُنَايَتَهُ يَفْقِرُ بِهِمَا فِي عَرَجِ رَاقِصِي عَائِدًا إِلَى دَارِهِ، فَرِحَا أَنْ اللَّهَ  
خَلَقَهُ إِنْسَانًا مُكْرَمًا بِعَقْلِهِ وَضَمِيرِهِ وَإِرَادَتِهِ الَّتِي هِيَ السِّرُّ الْحَقِيقِيُّ لِقُوَّتِهِ، وَالَّتِي يَجِبُ أَلَّا  
يَتَخَلَّى عَنْهُمَا وَيُسَجِّرْهَا لِإِنْبَاءِ حَيَاتِهِ، وَتَدْلِيلِ مَا يُوَاجَهُ مِنَ الصِّعَابِ وَالْعُقْبَاتِ  
وَالْتَحْدِيَّاتِ، الْإِفَادَةَ مِمَّا حَوْلَهُ مِنْ إِمْكَانِيَّاتِ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْجُلُوسِ وَقَالَ لَهُمْ: هَلْ أَدْرِكْتُمْ أَمَّا الشَّبَابُ وَالشَّيْآتُ  
فَحَوَى حِكْمَةَ قِصَّةِ الْعُصْفُورِ.



قَالَ بَيْنَدَبَا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، لَا شَكَّ أَنَّ حِكْمَةَ هَذِهِ الْقِصَّةِ تُدَلُّ عَلَيَّ أَنَّنَا نَحْنُ  
الْبَشَرُ مَخْطُوطُونَ مُكْرَمُونَ بِعُقُولِنَا وَإِرَادَتِنَا، ثُمَّ التَّقَاتُ إِلَى الشَّبَابِ قَائِلًا لَهُمْ: أَلَيْسَ هَذَا  
صَنِيعًا أَيُّهَا الشَّبَابُ؟

قَالَ الشَّبَابُ بِصَوْتٍ وَاجِبٍ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا بَشَرًا".  
اُنْسَعَتْ بِسَمَةِ الشَّيْخِ وَسَطَّ هَرَجَ الشَّبَابِ وَمَرَجِهِمْ، وَالتَّقَاتُ الشَّيْخُ إِلَى بَيْنَدَبَا وَقَالَ لَهُ:  
سَنُنْصَرِفُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنَ الْعَصَائِرِ الْمُثَلَّجَةِ، وَلَنْ نَسْمَعَ  
لِأَحَدٍ مِنَ قِصَائِلِ الطُّهُورِ أَنْ يَصْرِفَنَا غَدًا عَنِ النَّظَرِ فِيمَا يُشْغَلُ بِأَلْكَ مِنْ أُمُورٍ، وَلَوْ كَانَ  
مِنْ سُلَالَةِ بَنِي هُدْهِدٍ أَوْ بَنِي شَحْرُورٍ.



أَحَدَ النَّاسِ فَهُوَ تَسْمَعُ إِلَى الْفَارِ بِمَقَالِبِهَا وَأَسْمَا عَلَى عَيْبِ

## تُعْرَضُ كَثْرُ الشَّيْخِ

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ، حِينَ اكْتَمَلَ جَمْعُ طُلَّابِ حِكْمَةِ الشَّيْخِ الرَّحَّالَةِ مِنَ الشَّبَابِ وَالشُّبُوخِ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْحَكِيمُ الْقَبِيلْمُوفُ بَيْدَبَا، أَقْبَلَ الشَّيْخَ الرَّحَّالَةَ وَالْقَى السَّلَامَ عَلَى الْحَاضِرِينَ وَأَخَذَ مَجْلِسَهُ هَاشَا يَاشَا مُرَجَّبًا بِالْحَاضِرِينَ، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْمَجْلِسُ تَابَعَ بَيْدَبَا حَدِيثَ الْأَمْسِ قَائِلًا: يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ اسْمُحْ لِي أَنْ أَضَعُ أَمَامَكَ السُّؤَالَ الَّذِي خَيْرَتِي وَخَيْرَ كُلِّ مَنْ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ، وَمَا يَزَالُ، وَنَحْنُ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَنَجِدُ الْجَوَابَ الشَّافِي لِنَدِيكَ بِمَا قَيْضَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ وَوَهَبَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنَ بَطْلُوطةَ: أَفَصِيحُ يَا بَيْدَبَا عَنْ هَذَا الَّذِي يُهْمُكَ وَيُحَيِّرُكَ، وَأَرْجُو أَنْ تَجِدَ وَإِخْوَانِكَ عِنْدِي بُغْيَتَكُمْ، لَكِنَّ بَالِي مَشْغُولٌ بِأَمْرِ خَيْرَتِي وَأَقْلَقَنِي فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ، وَخَاصَّةً أَنَّهُ تَكَرَّرَ مِرَارًا وَأَنَا لَا أَفْهَمُ لَهُ مَعْنَى مَعْقُولًا، وَلَا أَجِدُ لَهُ سَبَبًا مَقْبُولًا.

قَالَ بَيْدَبَا: لَقَدْ أَفْرَعْتَنِي أَيُّهَا الشَّيْخُ: فَأَفْصِيحْ بِاللَّهِ عَلَيْكَ عَمَّا جَرَى لَكَ وَأَهْمُكَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا قَدْ أَهْمَكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ بَرَاعَتِكَ فِي إِخْفَاءِ مَشَاعِرِكَ، فَإِنَّ مَسْأَلَتَكَ وَرَاحَةَ بَالِكَ هُمَا أَعْلَى مَا نَحْرِصُ عَلَيْهِ، وَنَتَحَلَّعُ إِلَيْهِ وَأَنْتَ بَيْنَنَا. قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ مَا حَدَثَ بِالْأَمْسِ يَا بَيْدَبَا هَذَا تَكَرَّرَ قَبْلَ ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، فَلِعِدَّةِ مَرَّاتٍ

وَعِدَّة أَيَّامٍ كُنْتُ حِينَ أُعْوَدُ إِلَى الدَّارِ أَجِدُ أَنَّ أَحَدَ النَّاسِ قَدْ تَسَلَّلَ إِلَى الدَّارِ يُقْلِبُهَا رَأْسًا عَلَى غَيْبٍ، يُبَغِّضُهَا لَهَا وَيُمَرِّقُ الْمُتَوَاصِعَ مِنْ رِيَاسَتِهَا، وَكَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ وَلَا يَجِدُهُ، لِيَعُودَ مِنْ حَدِيدٍ إِلَى تَمَلُّلِهِ وَنَحْتِهِ وَنَبْشِهِ مِنْ دُونَ كَلِّ أَوْ مَلَلٍ، وَلَمْ أَشَأْ يَا بَيْدَبَا أَنْ أَقْلِقَكَ أَوْ أَقْلِقَ مَنْ مَعَكَ أَوْ أَحَدًا مِنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ أُعْرِفُ فِيهِمُ الأَمَانَ وَحُسْنَ الخُلُقِ وَعَدَمَ التَّقْصِيرِ فِي أَيِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِي أَوْ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِي الأَخَاصَةِ، وَلَكِنَّ الأَمْرَ قَدْ تَكَرَّرَ، وَتَعَدَّدَتِ المُحَاوَلَاتُ؛ وَلِذَلِكَ أَقْلِقُ الأَمْرَ، وَأَجِدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الحَدِيثِ إِلَيْكَ بِشَأْنِهِ، وَخَاصَّةً أَنِّي أَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْهُمْ أَوْ مَتَاعٌ مِنْهُمْ يُمَكِّنُ أَنْ يَطْلُبَهُ الطَّامِعُونَ وَيَسْعَى لِمَسْرِقَتِهِ السُّرَّاقُ.

قَالَ بَيْدَبَا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الجَلِيلُ؛ إِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ أَمْرٌ مَخْبَرٌ حَقًّا لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِهِ مِنْ قَبْلُ فِي جَوَارِنَا، وَلَا نَعْلَمُ مِنْ خَالِكَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُطْمَعُ أَحَدًا فِيهَا عِنْدَكَ، وَلَا أَذْرِي مَاذَا أَقُولُ لَكَ، وَلَكِنِّي سَأَطْلُبُ إِلَى مَنْ أَتَى بِهِ أَنْ يَبَيِّنَ العُيُُونَ حَوْلَ ذَلِكَ لَعَلَّنَا نَهْتَدِي إِلَى الفَاعِلِ، وَنَعْلَمُ مِنْهُ العِلَّةَ فِيهَا يَفْعَلُ وَمَا يَطْمَعُ فِيهِ عِنْدَكَ؟

قَالَ الشَّيْخُ: عَلَى أَيَّةِ حَالٍ لَا تَقْلِقْ كَثِيرًا يَا بَيْدَبَا؛ فَكَمَا ذَكَرْتُ لَكَ، لَيْسَ فِي عِلْمِي أَنْ هُنَاكَ مَا يَطْلُبُهُ فِي ذَارِي أَحَدٍ، وَلَوْ نَبَشَ الدَّارَ مِائَةَ مَرَّةً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الفَاعِلُ مُخْتَلِّ العَقْلِ.

بِرَغْمِ أَنْ أَسْأَلُوهُ وَطَرِيقَتُهُ فِي النَّحْبِ وَالنَّبَشِ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا مَا يُخَيِّرُنِي مِنْ أَمْرِهِ،  
وَيَجْعَلُنِي أَسْأَلُ فِي خَيْرِهِ، عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْحَتَ عَنْهُ فِي ذَارِي الْمُنَوَاصِعَةِ هَذَا الْمُتَسَلِّلِ،  
وَمَا هِيَ غَايَتُهُ وَطَلِبَتُهُ؟ وَلَكِنْ لَعَلَّ الْقَادِمَ مِنَ الْأَيَّامِ، وَقَدْ قَرَّبَ أَوَانُ الرَّجِيلِ، يُعِينُنَا عَلَى  
أَنْ نَعْلَمَ سِرَّ هَذَا اللَّغْزِ، وَأَنْ نُحَلَّ مَعْمِيَّاتُهُ.

هُنَا تَوَقَّفَ الشَّيْخُ عَنِ الْخَبِيثِ، وَقَالَ: مَعْدِرَةٌ يَا بَيْدَبَا! لَقَدْ كَادَ أَمْرُ هَذَا الشَّيْطَانِ  
الْفُضُولِي الْمُتَسَلِّلِ إِلَى ذَارِنَا يُنْسِينَا مَا نَحْنُ فِي صَدْرِهِ مِنْ أَمْرٍ مَا تَوَدُّ السُّؤَالُ عَنْهُ  
وَالْخَبِيثِ فِيهِ؛ فَهَيَّا يَا بَيْدَبَا، أَخْبِرْنَا مَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي أَهَمَّكَ وَأَهَمَّ إِخْوَانِكَ وَخَيْرِكُمْ؟  
قَالَ بَيْدَبَا: الْأَمْرُ الَّذِي أَهَمَّنَا وَخَيْرَنَا يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ هُوَ أَمْرٌ يُخَيِّرُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ  
وَالشُّعُوبِ مِثْلِنَا، وَكَلَّمَا حَاوَلُوا فَكَّ طَلَّاسِمِهِ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ يَزْدَادُ اسْتِغْصَاءً، وَيُضْحِي  
كَالسَّرَابِ أَشَدَّ بُعْدًا، وَأَصْعَبَ فَهَمًّا وَمَنَالًا.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنَ يَطْلُوطَةَ: نَعَمْ يَا بَيْدَبَا أَرْجُو أَنْ لَا تُطِيلَ الْمُقَدِّمَاتِ وَأَنْ تَتَخَدَّتْ فِي صُلْبِ  
الْمَوْضُوعِ، وَأَنْ تُفْصِحَ عَمَّا تُقْصِدُهُ مِنْ أَحَاجِيكَ وَطَلَّاسِمِكَ؛ فَقَدْ أَثْرَتْ الْفُضُولُ فِي  
نَفْسِي أَنَا أَيْضًا بِشَأْنِ هَذَا الْأَمْرِ وَأَهَمِّيَّتِهِ وَصُعُوبَتِهِ.

قَالَ بَيْدَبَا: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ أَنَّ إِيمَانَ النَّاسِ وَعَقَائِدَهُمْ هِيَ الْقَاعِدَةُ الَّتِي

تَحَدُّدُ هَوِيَّتِهِمْ، وَالَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا كِنَانَتُهُمْ وَكِنَانُ مُجْتَمَعَاتِهِمْ، فَإِذَا تَنَاقَضَ حِسُّهُمْ وَوَاقِعُهُمْ  
مَعَ إِيمَانِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ اهْتَزَّتْ كِنَانَتُهُمْ، وَغَامَتْ هَوِيَّتُهُمْ، وَأَفْسَدَ الشُّكُّ عِرَائِمَهُمْ، وَأَوْهَنَ  
هَيْمَتَهُمْ، وَزَعَزَعَ التَّنَاقُضُ بِنَاءَهُمْ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُّوطةَ: صَدَقْتَ يَا بَيْدَبَا؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَقِيدَةَ يَجِبُ أَنْ يُمَثِّلَا  
الْقَاعِدَةَ الصَّلْبَةَ الْمُسْتَقَرَّةَ، وَالرُّؤْيَا الْمُضِيئَةَ الْكَاسِفَةَ الْمُحَرِّكَةَ وَالْمُعْتَبِرَةَ عَمَّا يُجَسُّهُ  
وَيَلْمُسُهُ وَيَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي وَاقِعِهِ وَحَيَاتِهِ، وَإِلَّا كَانَتِ الْعَاقِبَةُ ضَيَابَاتًا فِي الرُّؤْيَا، وَخَيْرَةٌ  
فِي النَّفْسِ، وَضَعْفًا وَخَوْرًا فِي الْعَزِيمَةِ، وَلَكِنْ كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟ وَمَا هُوَ وَجْهُ الْإِشْكَالِ  
الَّذِي سَبَّبَ مِثْلَ هَذِهِ الْحَالَةِ لَدَى مَنْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ؛ أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْدَبَا؟

قَالَ بَيْدَبَا: الْمُعْضِلَةُ الَّتِي أُشِيرُ إِلَيْهَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؛ هِيَ أَنَّ هَذِهِ الشُّعُوبَ أَخَلَّتْ  
الْقَوْلَ مَحَلَّ الْعَقْلِ؛ إِيْمَانًا وَاكْتِفَاءً مِنْهَا بِأَنَّ كَثْرَةَ الدُّعَاءِ وَالشُّكُورِ إِلَى رَبِّهَا سَوْفَ يَرْفَعُ عَنْهَا  
- مِنْ دُونِ جُهْدٍ أَوْ مَعِي جَادٍ مِنْهَا - كُلَّ مَا يُصِيبُهَا مِنَ التَّوَازِلِ وَالْمُظَالِمِ وَالْأَفَاتِ وَالْأَمْرَاضِ،  
وَمِنَ الْوَاضِحِ وَالْمُشَاهِدِ وَالْمَحْسُوسِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهَا، وَأَنَّ الْمُظَالِمَ وَالنَّوَازِلَ  
وَالْأَفَاتِ تَتَزَايَدُ وَتَتَوَالَى عَلَيْهَا، مَهْمَا طَالَ دُعَاؤُهَا، وَازْدَادَ تَضَرُّعُهَا عَلَى مَرِّ السِّنِينَ وَالْعُقُودِ  
وَالْفُرُوقِ؛ وَذَلِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ مَا يَجْعَلُ الْوَاقِعَ وَالْمَحْسُوسَ يُنَاقِضُ عَقِيدَةَ إِيمَانِهِمْ.

في أمر الدعاء إلى الله خالق كل شيء، والقادر على كل شيء، ليأخذ بيديهم، ويصلح أحوالهم، وينصرتهم على أعدائهم، وليزد عنهم العوائل والمكائد والتوازل والمظالم والآفات.

والمسؤال أيها الشيخ: كيف يحل هؤلاء الناس الإشكال بين إيمانهم بقدره الخالق على أن يعين الإنسان، ويفرح كثرته، ويمن مضي السنين والعقود والقرون من دون أن يستجيب الله دعاءهم وتضرعهم، بل إن الأمور يزعم دعائهم وتضرعهم في صلواتهم تزداد سوءاً، والكرب يشتد وطأداً، والمظالم تتعاظم، من دون أمل في عون أو إنصاف من ساداتهم وكبرائهم أو أعدائهم.

قال الشيخ ابن بطوطة: لقد سألت يا بئربا عن أمر عظيم يستحق أن أجلس إليك وإلى إخوانك وأخواتك بشأنه غدا إن شاء الله: لأنني في حاجة لأن أوفر بعض الوقت استعداذا للرحيل في الأيام القليلة القادمة إن شاء الله، فقد أن الأوان للرحيل، وقد استبدت بقلبي عاصف الشوق والتحنان إلى الجنوب، وهنا هم الشيخ بالقيام للإنصراف، ولكنه رفع ناظرته لصوت إحدى الفتيات في مؤخرة الصفوف، وقد وقفت توجه الحديث إليه.



أَنْصَبَتِ الشَّيْخُ إِلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: خَيْرًا يَا بِنْتِي مَا هِيَ حَاجَتُكَ.  
قَالَتِ الْفَتَاةُ: يَا سَيِّدِي هُنَاكَ أَمْرٌ آخَرٌ يُحِيرُنِي، وَنُحِبُّ كَثِيرًا مِنَ الشِّيَابِ مِثْلِي أَيْضًا،  
وَنُوَدُّ أَنْ نَسْمَعَ مِنْكَ بِشَأْنِهِ أَيْضًا مَزِيدًا مِنَ التَّوْضِيحِ، فَإِنْ كَانَتْ إِجَابَتُهُ مُبَسَّرَةً  
فَلَعَلَّكَ تَوْضِيحُهُ لَنَا الْيَوْمَ، وَإِلَّا انْتَظَرْنَا إِلَى غَدٍ أَوْ بَعْدَ غَدٍ، بَعْدَ أَنْ تَفْرُعَ مِنْ إِجَابَةِ  
سُؤَالٍ فَيَلْسُوْفِنَا الْمَوْهَرَّ يَهْدِينَا.

قَالَ الشَّيْخُ مُخَاطِبًا الْفَتَاةَ: إِلَى سُؤَالِكَ أَيُّهَا الْأَخْتُ الْكَرِيمَةُ وَمَا يُحِيرُكَ: نَرَى إِنْ  
كَانَ مِنَ الْأَوَّلِيِّ أَنْ نُجِيبَ عَنْهُ قَبْلَ انْتِصَافِنَا الْيَوْمَ، أَمْ نُؤَجِّلُهُ إِلَى غَدٍ أَوْ بَعْدَ غَدٍ.  
قَالَتِ الْفَتَاةُ: سُؤَالُنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ يَتَعَلَّقُ بِمَصِيرِنَا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَيَاةِ، وَمَا  
يَلْقَاهُ النَّاسُ فِي عَالَمِ الرُّوحِ وَمَا وَزَاءَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ  
وَجَحِيمٍ: حَيْثُ تَتَشَعَّبُ بِنَا السُّئُلُ فِي فَهْمِهِ وَتَفْسِيرِهِ وَإِدْرَاكَ مَرَامِيهِ وَكَيْفِيَّتِهِ، فَهَلْ  
لَكَ يَا سَيِّدِي أَنْ تُبَسِّرَ عَلَيْنَا فَهْمَهُ وَمَعْرِفَةَ كَيْفِيَّتِهِ وَإِدْرَاكَ مَرَامِيهِ.

قَالَ الشَّيْخُ مُخَاطِبًا الْفَتَاةَ: إِذَا نَظَرْنَا أَيُّهَا الْأَخْتُ إِلَى الْجَوْهَرِ وَالْمَقْصِدِ وَذَلِيلِ  
الطَّرِيقِ، فَالْأَمْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَسِيرٌ، وَلِذَلِكَ سَأَجِيبُ عَنْ سُؤَالِكَ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ  
نَنْصَرِفَ مِنْ مَجْلِسِنَا، لِأَنِّي عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ لَمَسْتُ فِي حَاجَةٍ لِأَنَّ أَخْوَضَ فِي

التفاصيل، وتكفيها في هذا الأمر توضيح الكليات والمقاصد والعبر، من دون التفاصيل، فهي التي تبقى في القلب وتغوص في الوجدان.  
فكلنا أيتها الأخت الكريمة، نعلم مدى جلال خلق الكون في نظامه وجماله بما لا يحيط به علمنا وسقف إدراكنا، ولذلك فالعاقِل في مثل هذا الأمر، من أدرك قدره وعقله وسقف إدراكه وحدود منطوقه.

ولذلك أيتها الأخت، فإن كل ما لدينا من علم عن عالم الروح وما بعد الحياة إنما هو تقريب وتمثيل، ومما لا شك فيه أن حقيقة ما وراء الحياة الدنيوية المادية الطبيعية ليست على شاكله ما نرى أو نسمع أو نتخيل في عالمنا الدنيوي؛ ولذلك فإن المهم أيتها الأخت، فيما نحن بصدد، أن ندرك القصد والدلالة، فهو - بغض النظر عن الكيف - إما نعيم ومعاناة ما بعدها نعيم ومعاناة؛ وذلك للصالح القاصد الغامل في هذه الدنيا وما بعدها، وإما شقاء وتعاسة وألم ما بعده شقاء وتعاسة وألم، في هذه الدنيا وما بعدها؛ وذلك للشري القاصد الجاهل المؤذي الظالم؛ لأن الله يكره الشر والظلم، ويكره الأشرار الظالمين.

صفت الشيخ برهنة، ثم رفع رأسه ليوصل الحديث، وقال يخاطب الفتاة

وَالْحَاضِرِينَ، أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ نَعَمْ، لَيْسَ الْمُهْمُ كَيْفَ أَوْ مَاذَا، وَلَكِنَّ الْمُهْمَ كَيْفَ نَجِسُ وَنَشْعُرُ، فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ مُتَأَلِّمٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ جَسَدَهُ لَا يَشْكُو مِنْ عِلَّةٍ وَهُوَ فِي أَشَدِّ الْأَلَمِ وَالتَّعَاسَةِ، بَلْ إِنِّي أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ قَدْ مَرَّتْ بِي شَخْصِيًّا تَجْرِبَةٌ مُؤَلِّمَةٌ، رَأَيْتُهَا رَأَيْ الْعَيْنِ، وَهِيَ تُجَسِّدُ هَذَا الْمَعْنَى، وَسَأَرْوِيهَا لَكُمْ، لَعَلَّهَا تُعِينُ عَلَى مَزِيدٍ مِنْ تَوْضِيحِ الْأَمْرِ، فَهِيَ الْأَمْثِلَةُ الْوَاقِعِيَّةُ تَزْدَادُ الْأُمُورَ وَضُوحًا.

فَكَمَا تَعْلَمُونَ جَمِيعًا أَنَّ الْأَمَّ الْإِنزِلَاقَ الْغُضْرُوفِيِّ فِي الْعَمُودِ الْفِقْرِيِّ فِي الْإِنْسَانِ هِيَ مِنْ أَشَدِّ أَلْوَانِ الْأَلَمِ: لِأَنَّ الْإِنزِلَاقَ يَضْغَطُ وَيُؤَلِّمُ حَيْلَ الْأَعْصَابِ الرَّئِيسِيِّ فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ أَلَمُ الْأَعْصَابِ وَلَوْ كَانَ فِي ضَرْمِي مِنَ الْأَضْرَاسِ. وَقَدْ أَصِيبْتُ بِنَازِلَةِ الْإِنزِلَاقِ الْغُضْرُوفِيِّ، وَكُنْتُ وَمَا أَزَالُ إِذَا أَحْطَأْتُ وَحَرَّكْتُ الْغُضْرُوفَ الْمُنزَلِقَ بِحَمَلِ شَيْءٍ ثَقِيلٍ فَإِنَّ مَا يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ هُوَ الْأَلَمُ لَا يَسْهُلُ تَصَوُّرُهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَمُرَّ بِتَجْرِبَةٍ مِثْلِهَا.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ تَحَرَّكَ الْغُضْرُوفُ الْمُنزَلِقُ حَرَكَةً مَحْدُودَةً، وَمَعَ ذَلِكَ أَحْسَمْتُ أَنْ حَجَزَتْهُ عَظِيمَةٌ ثَقِيلَةٌ جَثَمْتُ عَلَى ظَهْرِي، وَأَوْكِدُ لَكُمْ أَيْهَا الْإِخْوَةُ أَنَّ هَذَا الْأَلَمَ لَمْ يَكُنْ أَقْصَى أَحَاسِيسِ الْأَلَمِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُسَبِّبَهَا تَحَرُّكُ الْغُضْرُوفِ، إِلَّا أَنَّهُ يَطَّلُ الْمَاءَ عَظِيمًا يَصْغُبُ عَلَى الْقَرَى اِحْتِمَالَهُ.

المهم أئمة الإخوة والأخوات فيما نحن بصنديه، هو هل كان مهمي وأنا في العي من  
إحساسي بثقل حجر الرخي على ظهري إن كان حقا حجرا أم لا؟ إن كل ما كان مهمي  
أئمة الإخوة والأخوات هو إحساسي والعبي الذي أجمه وأعانيه، أي أن ما مهمي ليس  
ماذا، ولكن ما كان مهمي هو إحساسي بالألم وضروزة التخلص منه.

نعم أئمة الإخوة والأخوات: إن المهم في الأمر هو أن نذكر أننا نحن الذين يراذبنا  
الحرة التي شاء الله يفتحها الله بمشيئته حرة الخيار لنكون نحن الذين نحدد في  
حياتنا مصيرنا، إما إلى نعيم وسعادة، وإما إلى ألم وشقاء، ليس المهم كيف ولا ماذا،  
فذلك تقرب لما سيكون عليه عاقبة الأمر وخصيلة المصير، إما إحساس سعادة  
ونعيم، أو شقاء وحجيم.

ولأسهل عليكم - أئمة الإخوة والأخوات - أمر معرفة المصير والعاقبة بعد الحياة،  
حتى لا يتيه الفكر وتتشتت، إن الأمر ليس في المصلحة النهائية إلا إن خيرا فخير،  
وإن شرا فشر، وغير ذلك أئمة الإخوة والأخوات لا عقل ولا عدل، ولا منطق، بل هبل  
وحنون وعبث على غير شاكلة الكون والوجود، وهو أمر لا يمكن أن يكون.  
أرخی الشيخ رأسه برهة ثم رفعه وقال:

أَمِّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، إِنْ كَانَ لِأَخِيكُمْ فِي دَارِهِ تَحْفَةٌ ثَمِينَةٌ، فَأَيْنَ يَضَعُهَا؟ مِنْ  
الْمُؤَكَّدِ أَنَّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَنَّهُ سَيَضَعُهَا فِي مَوْضِعٍ كَرِيمٍ مِنْ دَارِهِ، وَلَكِنْ أَمِّهَا الْإِخْوَةُ  
وَالْأَخَوَاتُ إِذَا كَانَ لَدَى أَحَدِكُمْ زِيَالَةٌ لَا خَيْرَ فِيهَا فَأَيْنَ يَضَعُهَا؟ لَا شَكَّ أَنَّ الْوَاحِدَ  
مِنْكُمْ سَيَضَعُهَا فِي صُنْدُوقِ الزِّيَالَةِ وَالنُّفَايَاتِ، وَكَذَلِكَ أَمِّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ فَإِنَّ  
الْإِنْسَانَ الْبِنَاءَ الصَّالِحَ الْمُصْلِحَ سَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ التَّعْبِيرِ وَالتَّكْرِيمِ، أَمَّا الْإِنْسَانُ  
الشَّيْطَانُ الطَّالِحُ الْهَدَامُ، وَالْمُقْصِرُ الْمُعْتَدِي الْمُفْسِدُ؛ فَسَيَكُونُ وَلَا شَكَّ،  
فِي مَوْضِعِ الدُّلِّ وَالْمَهَانَةِ وَالْأَلَمِ وَالشَّقَاءِ.

نَعَمْ أَمِّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ التَّفَاصِيلِ وَالْهَيْئَاتِ، فَإِنَّ غَيْرَ ذَلِكَ لَا  
يَكُونُ؛ لِأَنَّهَا كَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ -بِإِرَادَتِنَا وَنَوْعِيَّةِ حَيَاتِنَا وَأَعْمَالِنَا-  
نُقَرِّرُ مَوْضِعَنَا وَمَكَانَتَنَا فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

أَمِّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَطْنُكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَوِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ نُلْقِيَ أَكْدَاسَ  
الزِّيَالَةِ فِي سَاحَاتِ الْمَرَابِلِ، فَإِنَّ هُنَاكَ عَادَةً مَنْ يَسْتَخْلِصُ مِنْهَا كُلَّ مَا يَكُونُ لَهُ فِي  
أَكْدَاسِ الزِّيَالَةِ أَيُّ نَفْعٍ، وَأَمَّا مَا يَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا لَا نَفْعَ فِيهِ، وَلَا يُرْجَى مِنْهُ فَايْذَةٌ،  
فَمَاذَا تَطْلُتُونَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ النَّاسُ؟ وَهَفَ شَابٌّ نَابَهُ وَقَالَ: يُلْقُونَ بِهِ إِلَى الْمَحْرَقَةِ.

لِلتَّخْلِصِ مِنْهُ وَمِنْ أَذَاهُ وَضَرَرِهِ، قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ أَيُّهَا السَّابُّ، لَقَدْ أَصَبْتَ فِيمَا قُلْتَ، وَهَكَذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ تَرَى فَيَأْتِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنَّ مَصِيرَ الْقَدَارَاتِ الضَّارَّةِ السَّامَةِ هُوَ الْجَحِيمُ، وَالْعِظَةُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ لِمَنْ يَتَعَطَّ.  
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَبْعِي وَيَنْظُرَ أَيْنَ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، "إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ"، وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا الْعَدْلِ غَيْرُ ذَلِكَ، دُونَ هَذَا وَلَا جَدَلٍ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنَ الْحَدِيثِ وَقَفَ الشَّيْخُ وَقَالَ: أَرْجُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ أَجَبْتُ عَنْ تَسْأَلِكُمْ وَكَيْفَ تُذَكُّ فِي الْجَوْهَرِ مَعْنَى حَيَاتِنَا وَأَمْرَ مَصِيرِنَا، دُونَ خَاجَةٍ إِلَى لَجَجٍ أَوْ جَدَلٍ حَوْلَ مَاذَا أَوْ كَيْفَ؟ وَالْمُهْمُ كَيْفَ نَجْعَلُ ذَلِكَ يَسْتَقِرُّ فِي أَعْمَاقِ نُفُوسِنَا وَضَمَائِرِنَا، وَخَاصَّةً تَلْبِثُهُ نُفُوسِ صِغَارِنَا وَتَشْكِيْلِ ضَمَائِرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، مِنْ دُونَ إِرْهَابٍ أَوْ تَرْوِيعٍ يُؤْذِي بِنَاءِ نُفُوسِهِمُ الْغَضْبَةَ الْخَضْرَاءَ.  
عِنْدَهَا قَالَتِ الْفَتَاةُ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الشَّيْخِ بِعَيْنِ التَّقْدِيرِ وَالِإِهْتِنَاعِ: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ لَقَدْ أَجَبْتَ وَتَسَرَّتْ وَكَمَفَيْتَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ.

تَبَسَّمَ الشُّيْخُ ثُمَّ التَّقَتَ إِلَى بَيْدِيَا وَقَالَ لَهُ سَمَلْتَنِي جَمِيعًا عَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَنْ  
يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، لِأَجْلِ مَعَكُمْ بَعْدَهَا وَتَنْظُرُ فِيمَا اسْتَعْلَقَ عَلَيَّ حَكِيمِنَا  
مِنْ أَمْرِ الدُّعَاءِ وَقِلَّةِ الاسْتِجَابَةِ لَدَى مَنْ تَعْتَوْتُهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ الْمُضْطَّهِدَةِ  
الْمُسْتَضْعَفَةِ فِي عَالَمِ الْكُوَاَسِرِ الْمَادِيَةِ الْعُدْوَانِيَّةِ الْمُنْسَلِطَةِ.  
عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ أَخَذَ الْمُجْتَمِعُونَ فِي الْأَنْصِرَافِ وَهُمْ فِي شَوْقٍ إِلَى الْحَدِيثِ الْمُؤَعُّودِ  
لِلشُّيْخِ الرَّحَّالَةِ ابْنِ بَطُّوطة، فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُعْضَلِ.

## يَوْمَ امْطَرَتِ السَّمَاءُ ذَهَبًا

وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِي، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَكَمَا طَلَبَ الشَّيْخُ، حَضَرَ طَلَبَةَ الْعِلْمِ وَتَحَلَّفُوا حَوْلَ الشَّيْخِ ابْنِ بَطْوَيْلَةَ يَتَقَدَّمُهُمُ الْفَيْلَسُوفُ الْحَكِيمُ بَيْنَدَبَا؛ لِيَسْتَمِعُوا إِلَى الشَّيْخِ الرَّخَالَةَ وَيُفِيدُوا مِنْ حِكْمَتِهِ بِشَأْنِ الدُّعَاءِ وَمَا أَثَرُ بِشَأْنِهِ مِنْ عَدَمِ اسْتِجَابَةِ اللَّهِ لِدُّعَاءِ شُعُوبِ الْأُمَّةِ وَهُوَ مَا أَهْمُهُمْ جَمِيعًا.

تَبَيَّنَ الشَّيْخُ بِكَرَمٍ فِي وُجُوهِهِمْ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ شَيْءَ مِثْلِهِ مِنْ أَمْرِ الزَّائِرِ الْمُتَسَلِّلِ الْغَامِضِ أَوْ يُقْلِقِ خَاطِرَهُ، وَتَوَجَّهَ بِالْحَدِيثِ عَلَى عَادَتِهِ إِلَى صَنَدِيقِهِ الْحَكِيمِ بَيْنَدَبَا فَاقْتَبَلَ:

جَزَاكَ اللَّهُ يَا بَيْنَدَبَا عَنْ إِخْوَانِكَ خَيْرًا؛ بِمَا طَرَحْتَ مِنْ سُؤَالٍ، وَأَثَرَتْ مِنْ إِشْكَالٍ بِشَأْنِ الدُّعَاءِ وَقِلَّةِ الْاسْتِجَابَةِ لِكَثِيرٍ مِنَ الشُّعُوبِ الْمُضْطَّهِدَةِ الْمُسْتَضْعَفَةِ، وَتَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ فِي حَدِيثِنَا شَيْءٌ مِنَ الصُّوَابِ يَحُلُّ الْإِشْكَالَ، وَيُزِيلُ غَيْبَهُ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ.

فَبَيْنَا أَعْرَبِي يَا بَيْنَدَبَا سَمِعَكَ وَمَنْعَ إِخْوَانِكَ، لِأَنَّ سُوءَ فَهْمٍ أَمَرَ الدُّعَاءِ أَضْرَّ كَمَا ذَكَرْتَ- بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَالشُّعُوبِ، وَغَيْبَ وَعَنِيَّتِهِمْ، وَأَوْهَنَ عَزِيمَتِهِمْ، وَجَعَلَ النَّاسَ قَرِيقَيْنِ: أَحَدُهُمَا مُنْكَرِلُهُ وَالْأَسْرَارِ الْقُدْسِيَّةِ، وَآخَرُهُمَا يَجْعَلُ الدُّعَاءَ بَدِيلًا عَنْ حَيْدِ



السُّعْيِ وَالْعَقْلِ وَتَسْخِيرِ الشَّيْءِ وَالنِّعَمِ.

إِنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، أَنَّ الدُّعَاءَ يَأْتِي بِدَبَابِهَا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَنْظُرُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ تَفَاوُتِ الْإِيمَانِ وَالْحَسَنِ وَتَنَاقُضِهِمَا، فَذَلِكَ وَلَا شَكَّ خَطَأٌ وَخَلَطٌ فِي الْفَهْمِ، أَوْزَنُهُ انْجِرَافُ الْفِكْرِ وَتَخْلِيطُ الرُّؤْيَةِ وَالْخَطَابِ، بِمَا تَوَارَثَتْهُ تِلْكَ الشُّعُوبُ مِنْ بَعْضِ التَّرَاثِ الْعَبَثِ، وَمِنْ سُوءِ الْفَهْمِ وَجُرْئِيَّتِهِ، وَمِنْ تَشْوُّهِ مَنَاهِجِ الْفِكْرِ، وَمِنْ تَدْلِيسِ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْمَطَامِعِ؛ فَكَانَ تَشْوِيهِ الرُّؤْيَةِ، وَتَشْوِيهِ مَنَاهِجِ الْفِكْرِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَشْوُّهِ الْخَطَابِ وَمِنْ تَشْوُّهِ مَنَاهِجِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَكَانَتْ هَذِهِ التَّشْوُّهَاتُ وَالْانْجِرَافَاتُ يَأْتِي بِدَبَابِهَا هِيَ وَسِيْلَةُ الْمُتَسَلِّطِينَ لِتَضْلِيلِ هَذِهِ الشُّعُوبِ وَإِخْضَاعِهَا لِأَطْمَاعِهِمْ وَاسْتِئْذَانِهِمْ وَتَيْدِيدِهِمْ؛ بِحَيْثُ تُغْشِي السُّلْبِيَّةُ أَبْصَارَ هَذِهِ الشُّعُوبِ وَتَصْنَائِرُهُمْ، وَهَذَا مَا يُبَدِّدُ إِرَادَتَهُمْ، وَتَسْتَعْبِدُ جُمُوعَهُمْ، وَيُمْكِنُ الْكِبْرَاءَ الْمُفْسِدِينَ مِنْ إِخْضَاعِ جُمُوعِ عَامَّتِهِمْ وَالتَّحْكَمِ بِمَصْنَائِرِهِمْ كَمَا يَشَاؤُونَ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْأَخْلَامِ وَالْخُرَافَاتِ وَالشُّعُودَاتِ، وَفِي خَوْفٍ وَرُغْبٍ مِنَ التَّرْهِيْبِ وَالتَّجْهِيْلِ وَالتَّهْمِيشِ وَالتَّحْقِيرِ.

يَا بَيْدَبَا؛ دَعْنَا نَنْظُرَ إِلَى الْأَمْرِ بِعَيْنِ الْعَقْلِ وَالتَّبَصُّرَةِ، وَأَنْ نَسْتَحْضِرَ فِي نُفُوسِنَا مَا

أَوْذَعَ اللَّهُ الْكَوْنَ مِنَ السُّنَنِ وَالنُّوَامِيسِ؛ لِنَعْلَمَ وَجْهَ الْحَقِّ فِي الْأَمْرِ، وَتَزُولَ الْوَهْمُ وَاللَّبْسُ.  
أَلَمْ نَأْتِ نَعْلَمَ عَقْلًا وَنُشَاهِدُ جِسْمًا، وَنُؤْمِنُ يَا بَيْدَبَا إِيْمَانًا جَازِمًا أَنَّ الْخَالِقَ أَوْذَعَ  
الْأَرْضَ وَاقْرَ الْخَبْرَاتِ، وَكَفَلَ لِلْكَائِنَاتِ أَرْزَاقَهَا، فَكَيْفَ تَرَى بِأَمِّ أَعْيُنِنَا الْأُوفَ  
وَالْمَلَائِيْنَ مِنَ النَّاسِ يَمُوتُونَ جُوعًا فِي بَعْضِ الْبِلَادِ.

هَلْ فِي هَذَا شَيْءٌ مِنَ الْوَهْمِ يَا بَيْدَبَا؟ وَهَلْ فِي هَذَا تَنَاقُضٌ بَيْنَ الْإِيْمَانِ وَالْجِسْمِ، أَوْ بَيْنَ  
خَلْقِ الْكَوْنِ وَكَلِمَةِ الْحَقِّ؟ أَوْ بَيْنَ تَكَامُلِ كَلِمَةِ الْوَحْيِ وَوَقَاقِعِ نُوَامِيسِ الْخَلْقِ وَالطَّبِيعَةِ؟  
هَلْ مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ جُوعًا يَا بَيْدَبَا يَعْنِي أَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ فِيهَا مِنَ الْأَرْزَاقِ مَا يَكْفِي  
مَنْ هُمْ عَلَيْهَا مِنَ الْبَشَرِ وَالْخَلَائِقِ طَعَامًا وَمَتَاعًا؟

لَا يَا بَيْدَبَا، إِنَّ فِي الْأَرْضِ أَرْزَاقَهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالشَّعْيِ وَالسُّخْرِي، عَلَى مَا تَرَى مِنْ  
خَالِ الشُّعُوبِ الْعَالِمَةِ الْعَامِلَةِ، وَمَا لَدَيْهَا مِنْ خَبْرَاتٍ وَوَقَرَةٍ.

إِنَّ بَعْضَ الْجَهْلَةِ وَالْبِسْطَاءِ الَّذِينَ يَحْمِلُ بَعْضُهُمْ -لِلْأَسَفِ- إِجَازَاتٍ أَكَادِيمِيَّةً،  
يُطَلِّقُونَ الْقَوْلَ مِنْ دُونِ فَهْمٍ صَحِيحٍ لِلْعَقَائِدِ وَالطَّبَائِعِ، وَلَا يَأْتِيهِمْ يَلْفَهُمُ الصَّحِيحُ  
لِحْتَمِيَّةِ التَّطَابُقِ بَيْنَ صَحِيحِ الْعَقَائِدِ وَمَا أَوْذَعَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنَ السُّنَنِ وَالطَّبَائِعِ  
وَالْمُصَالِحِ؛ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ مُقَلِّدُونَ إِمَّا لِلْأَجْنَبِيِّ أَوْ لِلدَائِرِ مِنْ سَالِفِ عَيْبِ الثَّرَاتِ؛ فَهُمْ فِي



الْحَقِيقَةُ، قَوْمٌ لَا نَصِيبَ لَهُمْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فِي ضَرُورَاتِ السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ،  
وَالْتَفَكُّرِ وَالتَّدْبِيرِ الْعِلْمِيِّ، بِشَأْنِ حَقِيقَةِ الْوَاقِعِ، وَسُنَنِ الطَّبَائِعِ، وَتَوَاقُيَاتِهَا فِي التَّسْخِيرِ  
وَالْتَنْسِيرِ، فَجَلُّ الْمَدَنِيِّ الْمُسْتَعْرَبِ مَبْهُورٌ نَاقِلٌ، وَجَلُّ الدِّيْنِيِّ التَّرَائِي الْجَاهِلُ لَمَطْلِيٍّ مُقَلِّدٌ،  
لَيْسَ لَهُمْ - فِي عَالَمِنَا الْيَوْمَ - فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالفِكْرِ وَالْإِبْدَاعِ وَقُدْرَاتِ الْاجْتِهَادِ وَالتَّجْدِيدِ  
نَصِيبٌ يُعْتَدُّ بِهِ.

يَا بَيْدَبَا! إِنَّ جَوْهَرَ إِشْكَالَاتِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ الْمُتَخَلِّفَةِ، فِي هَذَا الْعَصْرِ، لَيْسَتْ فِي  
الْحَقِيقَةِ - إِشْكَالَاتِ لَمَطْلِيَّاتٍ وَفِقْهِيَّاتٍ، وَلَكِنَّمَا إِشْكَالَاتُ رُؤْيِيَّةٍ وَفِكْرٍ وَمَنْهَجٍ، تُسْتَدْعِي  
- بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى - إِصْلَاحَ الرُّؤْيِيَّةِ، وَإِصْلَاحَ الْفِكْرِ، وَإِصْلَاحَ الثَّقَافَةِ، وَإِصْلَاحَ الْمَنْهَجِ؛  
وَإِصْلَاحَ التَّرْبِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالْعِنَايَةَ بِالتَّحْرِيكِ وَالتَّأْهِيلِ؛ وَذَلِكَ بِالبَحْثِ وَالتَّرْمِيضِ وَالتَّنْقِيحِ  
الْأَصِيلِ، وَبِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ؛ الَّتِي يُبْصِرُ بِشَكْلِ مَوْضُوعِي عِلْمِي - هَذِهِ الشُّعُوبِ بِالْحَقَائِقِ،  
وَالتَّبَائِعِ؛ بِمَا يُنْضِجُ رُؤْيِيَّتَهَا، وَيُصْلِحُ خَلْلَ ثَقَافَتِهَا وَنَسْوَةَ مَنْهَجِ فِكْرِهَا، وَيُرْسِدُ جُهُودَهَا،  
وَيُمْكِنُهَا مِنْ مُوَاجَهَةِ تَحْدِيثَاتِهَا؛ فَتَعْبِي مَعْنَى كَلِمَةِ "الْحَقِيقَةُ" وَتَوْجِيهَاتِ مَقَاصِدِهَا الْحَقِيقَةَ  
وَدَلَالَتِهَا الْحَقِيقِيَّةَ.

عَوَامُّ أَهْلِ الْعِلْمِ يَا بَيْدَبَا يُلْقُونَ الْقَوْلَ عَلَى عَوَاهِدِهِ، بِالْفَهْمِ الْقَاصِرِ الْمُقْتَصِرِ عَلَى



مَعَاجِمِ اللُّغَةِ، وَالتَّفَقُّنِ فِي مَسْئَلِ بَهْرَجِ الْأَلْفَاظِ وَمَوْهُومِ الْإِدْعَاءَاتِ، وَعَلَى سَطْحِيهِ الْفَهْمِ،  
وَشَكْلِيهِ الْمَنْطِقِي، وَمَوْزُونِ الْأَرْءِ وَالْمَقَاهِيمِ؛ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ بِإِشْكَالَاتِ الْعَصْرِ وَإِمْكَانَاتِهِ  
وَتَحْدِيثَاتِهِ، أَوْ بِعُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ وَأَبْعَادِهِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَائِيَّةِ، وَيُحَلُّونَ مَا يَصْنَعُونَهُ مِنْ  
تَنَافُضَاتٍ وَهَمِيَّةٍ يَرْمِي النَّاسُ بِالْجَهْلِ وَالْعِصْيَانِ، وَيَتَهَدَّدُونَ وَيَتَوَعَّدُونَ وَيُصَبِّحُونَ عَلَى  
وُجُوبِ الطَّاعَةِ مِنْ دُونِ فَهْمٍ أَوْ اهْتِنَاءٍ أَوْ تَمَرَّةٍ مَلْمُوسَةٍ.

يَا بَيِّنْدَبَا لَقَدْ نَشِوَةٌ فِكْرُهُ هَذِهِ الشُّعُوبِ، وَتَشَوَّهَتْ رُؤْيُهَا كَمَا تَشَوَّهَتْ وَجْدَانُهَا؛ فَفَعَدَتْ  
عَنِ الْعَمَلِ، وَتَخَلَّفَتْ عَنِ رُكْبِ الْحَيَاةِ، وَتَهَمَّشَتْ فِي عَطَاءِ إِعْقَارِ الْأَرْضِ وَحَضَارَةِ الْإِنْسَانِ،  
فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ هُوَ السَّعْيُ بِالْعَمَلِ وَالْتِمَسُّخِيرِ، وَبِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَبِالْإِصْلَاحِ  
وَالْإِعْقَارِ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْعِبَادَةَ فِي فِكْرِ الْكَثِيرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّظَرَةِ  
الْجَزْئِيَّةِ- يَكَادُ يَفْتَصِرُ عَلَى تَمْتَمَاتِ اللِّسَانِ، وَعَلَى الشُّعُودِ لِمُجَرَّدِ التَّلَاوَةِ فِي دَوْرِ الذِّكْرِ  
وَالشُّعَائِرِ وَخَلْقَاتِ التَّرْسِ وَالْإِمْتِظَانِ.

أَمَّا الْإِحْسَانُ وَالْإِثْقَانُ يَا بَيِّنْدَبَا فِي رُؤْيَةِ أَصْحَابِ النَّظَرَةِ الْجَزْئِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا تَكُونُ لَهُ عِلَاقَةٌ  
بِالسَّعْيِ فِي الْكَوْنِ، وَفِي طَلَبِ الْأَسْتَبَابِ وَالنُّوَامِيسِ، وَإِثْقَانِ الْعَمَلِ، وَحُسْنِ أَدَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ  
الصَّبْحِيحِ الَّذِي يُحَقِّقُ مَعَانِي الذِّكْرِ وَغَايَاتِهِ وَمَقَاصِدَهُ فِي الْإِسْتِخْلَافِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ،

وَالْإِفَادَةَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ فِي بِنَاءِ الْحَيَاةِ وَالْإِعْمَارِ، وَتَيْسِيرِ الْحَيَاةِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ،  
وَوَفْرَةِ الْإِنْتِاجِ؛ الَّذِي يُوفِّرُ لِلْعَامِلِينَ مَعَاشَهُمْ، وَمَعَاشَ مَنْ يَعُولُونَ، وَمَعَاشَ مَنْ هُمْ  
وَرَاءَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْحَاجَاتِ مِنَ الضُّعْفَاءِ وَالْمَحْرُومِينَ.

الْإِحْسَانُ يَا بِنْدَبَا هُوَ الْإِثْقَانُ، وَحُسْنُ الْأَدَاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِأَوْسَعِ مَعَانِيهِ، وَحُسْنُ الْبَدَلِ،  
وَكَرِيمِ الْعَطَاءِ لِلْمُحْتَاجِينَ يَا بِنْدَبَا! هُوَ وَجْهٌ وَاحِدٌ مِنْ وُجُوهِهِ، وَتَقْوَى الْإِيمَانِ وَاسْتِحْضَارُ  
حُبِّ اللَّهِ، وَالْجِرْصُ عَلَى مَرْضَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الْخَيْرُ وَالْعَدْلُ وَالسَّلَامُ، هُوَ وَجْهٌ  
آخَرٌ مِنْ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ، وَلَكِنَّ الْإِحْسَانَ يَا بِنْدَبَا لَا يَقِفُ عِنْدَ هَذِهِ الْمَعَانِي؛ بَلْ هُوَ مَعْنَى  
شَامِلٌ لِكُلِّ أَلْوَانِ الْأَدَاءِ وَالْإِثْقَانِ وَالْبَدَلِ وَالْجِدِّ وَالْإِحْتِمَادِ، فِي كُلِّ مَجَالٍ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى يَا بِنْدَبَا لَا يُجِبُّ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا مُتَّقِنًا، وَلَا يَمْنَحُ الرِّضَا، وَلَا يُجْزِلُ الْأَجْرَ،  
إِلَّا لِمَنْ يُحْسِنُ الْعَمَلَ بِقَدْرِ جَهْدِهِ- عَلَى كُلِّ وَجْهِهِ الْخَيْرَةِ، وَمَجَالَاتِهِ النَّافِعَةِ كَافَّةً، لِذَاتِهِ  
وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْكَائِنَاتِ؛ لِأَنَّ رِضَا اللَّهِ يَتَحَقَّقُ حِينَ يُحَقِّقُ الْإِنْسَانُ ذَاتَهُ وَفِطْرَتَهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ  
بِهَا مِنْ حَاجَاتٍ وَقُدْرَاتٍ كَمَا خَلَقَهُ وَقِطْرَهُ وَبِالْأَسْلُوبِ الصَّحِيحِ الَّذِي يُسَخِّرُ وَيُعْمِرُ وَيَحْمِلُ  
الْمَسْئُولِيَّاتِ.

إِنَّ شُكْرَ النِّعَمِ يَا بِنْدَبَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُعْمِرُ وَيُسَخِّرُ.

وَيُصَلِّحُ أَحْوََالَ النَّاسِ، وَيَمْنَحُ الْعَامِلِينَ الرِّزْقَ وَالْوَفْرَةَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَالْعَطَاءَ لِمَنْ حَوْلَهُمْ.  
أَمَّا أَنْ يُفْهَمَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَا بَيْدِيَا عَلَى أَنَّ الْمُقْصُودَ بِهِ هُوَ تَرْبِيدُ تِلَاوَةِ الذِّكْرِ، وَالْإِكْتِسَادُ  
مِنْ أَعْمَالِ الشَّعَائِرِ، وَرِيَادَةُ الْخَلْقَاتِ، وَقَلِيلُ عَطَاءِ الْخَامِلِينَ الْعَاجِزِينَ، وَتَرْزُّ صِدْقَاتِهِمْ  
إِنْ اسْتَحْطَأُوا وَفَعَلُوا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فِيهِمْ حُزْنٌ قَاصِرٌ مُنْتَبِتٌ مِنْ رُؤْيَيْهِ الْكَلْبِيَّةِ الْكُؤُبِيَّةِ فِي فِيهِمْ  
مَعْنَى الْحَيَاةِ وَالْإِمْتِخَالَافِ، وَتَعَمُّةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَوَاجِبِ آدَاءِ الْأَمَانَةِ، فَالْعَمَلُ  
الصَّالِحُ يَكُونُ عَمَلًا صَالِحًا بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي قَضَائِهِ، وَجِدِّ السَّعْيِ فِي عَمَلِهِ وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ  
السُّنَنِ وَالتَّوَامِيصِ الْإِلَهِيَّةِ وَسُغِّ الطَّافَةِ؛ بِالْبَحْثِ وَالدَّرْسِ وَالْعَمَلِ وَالطَّلَبِ.

أَنَّ الْأَوَانَ يَا بَيْدِيَا أَنْ تَنْطَلِقَ مَسْوَاعِدُ أَبْنَاءِ هَذِهِ الشَّعُوبِ وَعُقُولُهُمْ وَسُغِّ الطَّافَةِ، بِمَا  
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَقْلِ وَفَهْمَةٍ وَمَهَارَةٍ وَإِدَاعٍ، إِلَى السَّعْيِ فِي الْكُؤُنِ وَالْحَيَاةِ بِالْعَمَلِ  
الصَّالِحِ، وَالْإِحْسَانِ وَالْإِتْقَانِ، بِكُلِّ صُؤْرَةٍ، وَفِي كُلِّ مَجَالَاتِهِ، شَاكِرِينَ اللَّهُ بِالْعَمَلِ  
الصَّالِحِ؛ فِي أَسَالِيْبِهِ، وَفِي آدَانِهِ، بِكُلِّ مَا يُفْلِيهِ الْعَقْلُ وَالْعِلْمُ وَالْفِطْرَةُ وَالتَّوَامِيصُ مَصْنُؤُونَ  
بِالشُّكْرِ بِالْقَوْلِ وَالشَّعَائِرِ، مُهْتَدِينَ إِلَى مَرْضَاتِهِ بِالذِّكْرِ؛ بِحُسْنِ آدَاءِ أَعْمَالِهِمْ وَإِتْقَانِهَا، بِكُلِّ  
الْجِدِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ فِي النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ؛ لِيَسْجُرُوا الْكُؤُنَ، وَيُؤَفِّرُوا مَعَاشَهُمْ، وَيَتَعَمَّرُوا  
الْأَرْضَ بِالْعُمْرَانِ الْخَيْرِ، كَمَا أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ، وَقَطَّرَهُمْ، وَنَسَّرَ السُّبُلَ أَمَامَهُمْ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ



على تنابيع الأجناب.

دعني يا بيدبا أوضح لك أمر هذه العلاقة بين مقاصد القول الحق، وحقيقه السنن والطبائع، وأخذ ذلك من مثالي وخالي كلنا نشاهد.

كلنا يا بيدبا نعلم أمر شح الأرزاق لدى بعض الشعوب، التي يهلك لكثير من أفرادها بسبب الجوع والفاقة.

ونحن نعلم بنصي الحق والوحي المنزل، ونؤمن يا بيدبا بأن الله قد أوجد في الأرض أرزاق كل ما عليها من خلق ونشر.

ونحن نعلم أيضا يا بيدبا بالعقل والجسم وبالمشاهدة؛ أن الأرض فيها الكثير من الأرزاق والطاقات التي تنتظر من يسخرها ويستخرجها ويستلبيها ويستكشفها ويطورها، وهو ما تفعله الشعوب العاملة.

ونحن نعلم ونشاهد أيضا يا بيدبا أن الله أعطى للإنسان العقل، والزمه الأمانة، وأجلسه مجلس الاستخلاف، فهو بالعقل والعلم والعمل والخيار- القادر والمتصرف في هذه الأرض على ما يختار بالخير أو بالشر.

هذا كله يا بيدبا يعني أن على الإنسان أن يفكر ويتدبر ويتعلم كيف يسخر الأرض لإرادته



وَحَاجَتِهِ؛ فَيُفَكِّرُ وَيَبْحَثُ فِي السُّئِنِ وَالطُّبَائِعِ؛ لِلْحُصُولِ عَلَى حَاجَتِهِ مِنَ الثُّبُوتِ الَّذِي  
يَأْكُلُهُ، وَعَلَى الْأَدْوَابِ وَالْآلَاتِ الَّتِي تُعِينُهُ.

وَهَذَا أَيْضًا يَا بَيْدِيَا يَعْنِي: أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْبَحْثِ وَالدَّرْسِ  
مُؤَهَّلَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي تُزْرَعُ، وَمَوَاضِعِ الْمَعَادِنِ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيَبْحَثَ  
كَيْفَ يُصَنِّمُ الْأَدْوَابَ وَالْآلَاتِ، وَكَيْفَ يَصْنَعُهَا، وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهَا فِي الصَّيْدِ، وَالزَّرَاعَةِ،  
وَفِي اسْتِخْرَاجِ مَعَادِنِ الْأَرْضِ وَخَيْرَاتِهَا، وَتَسْخِيرِهَا لِمُخْتَلَفِ حَاجَاتِهِ وَعُمْرَانِهِ؛ فَقَدْ جَعَلَ  
اللَّهُ الْخَيْرَ "الرِّزْقَ فِي حَيَاتِنَا الْأَرْضِيَّةِ"، وَأَسْرَارَ نَوَامِيصِ الْكَوْنِ.

يَا بَيْدِيَا؛ هَذَا يَعْنِي فِي الْمُحْصِيَّةِ أَنَّهُ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْإِبْدَاعِ وَطَلَبِ نَوَامِيصِ  
الْكَوْنِ وَالْفِطْرَةِ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْظِمَ حَيَاةَ مُجْتَمَعَاتِهِ، وَأَنْ يُسَجِّرَ كُنُوزَ الْأَرْضِ  
وَخَيْرَاتِهَا، وَقَوَانِينَ قَوَاهَا، وَسُنَنَ طَائِفَاتِهَا، لِحَاجَاتِهِ وَعُمْرَانِهِ، وَكَلَّمَا تَوَالَتِ الْأَجْيَالُ، وَازْدَادَ  
تَكَثُرُ الْبَشَرِ، ازْدَادَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ، وَتَرَكَمَتْ وَتَطَوَّرَتْ أَدْوَانُهُ وَازْدَادَتْ قُدْرَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى  
تَسْخِيرِ الْأَرْضِ وَالسُّئِنِ وَالْكَائِنَاتِ لِحَاجَاتِهِ الْمُنْتَزِعَةِ وَعُمْرَانِهِ الْمُتَمِّعِ.

أَلَمْ تَرْنَا بَيْدِيَا كَيْفَ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ فِي الْبَدءِ كَيْفَ "يُؤَارِي سَوَاءَ أُخِيهِ"،  
وَكَيفَ تَرَادَ الْيَوْمَ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْبَحْثِ وَالدَّرْسِ وَالْعَمَلِ وَنُمُوَ الْحَضَارَةِ يَجُوبُ  
الْأَفَاقَ، وَيَتَحَلَّعُ نَحْوَ كَوَاكِبِ الْفَضَاءِ وَنُجُومِ السَّمَاءِ.



يَا بَيْدِيَا: إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْحَيَاةِ قَدْ خُلِقَ لِيُفَكِّرَ وَيَعْمَلَ، وَيَبْنِيَ الْحَضَارَةَ، وَلِيَسْخَرَ الْأَرْضَ  
وَالْكُونَ لِيَتَسَيَّرَ أَمْرَ حَيَاتِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، وَيَمِيزَانَ الشَّجَاحَ فِي هَذَا التَّسْخِيرِ وَالْإِعْمَارِ هُوَ أَنْ  
تَكُونَ الْحَضَارَةُ وَالْعُمْرَانُ، وَأَنْ يَكُونَ التَّسْخِيرُ وَالتَّيَسِيرُ، فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَفِي  
سَبِيلِ الْكِفَايَةِ وَالْعَيْشِ الْكَرِيمِ، وَفِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالسَّلَامِ، لَهُ وَلِكُلِّ أَبْنَاءِ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ  
وَوَطَنِهِ وَأُمَّتِهِ، لَا فِي سَبِيلِ الْمَسْرِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَفِي سَبِيلِ الْكُتْرِ وَالِاخْتِكَارِ وَالسَّرْفِ  
وَالتَّبْذِيرِ، وَجِرْمَانِ الضَّعِيفِ وَالْمُعْوَزِ الْفَقِيرِ.

فَجَمِيعُ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ وَالْوَطَنِ سَوَاءٌ فِي الْكِرَامَةِ مُتَكَافِلِينَ فِي الْعَيْشِ مُسَخَّرِينَ لِبَعْضِهِمُ  
الْبَعْضَ بِتَفَاوُتٍ قَدْرَاتِهِمْ.

يَا بَيْدِيَا: مِنَ الْوَاضِحِ الْمَلْمُوسِ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِطْرَةً يَخْرُصُ عَلَى الْحَيَاةِ، وَيَخْرُصُ عَلَى  
إِنْجَابِ "الْخَلْفِ"، وَيَخْرُصُ عَلَى الْعَمَلِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ وَيَتَلَبَّبُ  
الْحَيَاةَ حَتَّى الرَّمَقِ الْأَخِيرِ؛ لِيَعْمَلَ وَيُنْجِبَ وَيَرْعَى الْخَلْفَ الَّذِي أَنْجَبَهُ؛ لِيَخْلُفَهُ وَيَأْخُذَ  
مَوْضِعَهُ، وَلِذَلِكَ يَشْقَى مَنْ لَمْ يُنْجِبْ، وَيَشْقَى مَنْ لَمْ يَعْمَلَ؛ لِأَنَّ غَايَةَ هَذَا الْجَرْصِ لَوْ  
تَمَعَّنَّا فِيهِ يَا بَيْدِيَا إِنَّمَا هُوَ دَافِعُ الْفِطْرَةِ لَدَى الْإِنْسَانَ يُؤَدِّي مِهْمَةَ الْإِسْتِخْلَافِ وَالْإِعْمَارِ الَّتِي  
خَلَقَ اللَّهُ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِذَاتِهَا، بِكُلِّ ذَلِكَ تَسْتَمِرُّ الْحَيَاةُ، وَتَسْتَمِرُّ الْإِعْمَارُ فِي الْأَرْضِ، جِيلًا

بعد جيل، فاستخلاف استعمار الإنسان في الأرض هو معنى الفطرة، وتلك الغرائز  
 وأسبابها التي أودعها الله في طبع الإنسان غايتها - كما نرى ونلمس - هو البناء والإعمار  
 والإبداع، وليست ممشروع حضارة الإنسان على الأرض، ولا يكون ذلك إلا بحب الحياة،  
 والحرص عليها، وبحب العمل والحرص عليه، وبحب الذرية لإنجاب الأجيال للأجيال؛ لكي  
 تستمر الحياة والاستخلاف والبناء. بذلك يحقق الإنسان ذاته ويكمل مشروع حضارة  
 الإنسان على وجه الأرض، بكل ما تحققه من إبداع وتسخير ومثعة؛ ولذلك فإن الوحي  
 والذكرى يتدبنا؛ ليس غاية في حد ذاته، وإنما جاء الوحي والذكرى ليعي الناس بهدائه  
 الاستخلاف؛ ولتؤدي الأمانة، وترشد الخيار، فتكون الحضارة، وتكون الإعمار في سبيل  
 الخير لا في سبيل الشر، وفي سبيل الحق والنور لا في سبيل الظلم والظلمة، وبذلك تتحقق  
 الغاية من الحياة، ومن الإعمار، ومن الحضارة، ومن استخلاف الإنسان في الأرض  
 ولما كنا - يا بيدنا - بالعقل والجسد والمشاهدة نعلم علم اليقين، أن الأرض فيها أرزاقها،  
 فإن كل المطلوب بحقيقة الاستخلاف هو أن يستخرج الإنسان بالعقل والعلم والخيار  
 الأمانة والعمل - هذه الرزاق من الأرض لمصلحته وزفاهيته وصون كرامته.  
 هنا أطرق الشيخ رأسه برهة، ثم رفعه وقال: من كل ما سبق يا بيدنا يتضح لنا من دون



أَذَى شَكِّ أَنْ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ تُعْنِي أَنْ مَنْ يَتَوَاكَلُ وَيَكْسَلُ وَيَعْجَزُ، وَلَا يُفَكِّرُ وَلَا يَعْمَلُ، لَا يَسْتَجِئُ أَنْ يَأْكُلَ وَيَطْعَمَ وَيَنْعَمَ بِالْخَيْرَاتِ، وَأَنْ مَصِيرَهُ كَمَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ فِي خَاتِمَةِ الْمَطَافِ هُوَ أَنْ يُعَانِي، وَالْكَثِيرُ مِنْ أَمْثَالِهِ، بِمَا جَنَّتَهُ أَيْدِيهِمْ جُوعًا وَمَرْضًا، وَأَنْ يَعْرِى الْكَثِيرُ مِنْهُمْ فِاقَةً وَفَقْرًا بَلْ وَحَتَّى مَوْتًا وَهَلَاكًا عَلَى مَا تَرَى، فَهَلْ عَنَاءٌ هَؤُلَاءِ وَعُرْيَتُهُمْ وَمَرْضَتُهُمْ وَمُغَانَاتُهُمْ يُغَيِّرُ مِنْ حَقِيقَةِ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا أَرْزَاقُهُمْ إِذَا مَا قَامُوا إِلَيْهَا بِالتَّعَاوُنِ وَالتَّكَاتُفِ وَالتَّكَافُلِ وَبِالْعَقْلِ وَالعِلْمِ وَالعَمَلِ؛ يَسْتَلْبِثُونَهَا وَيَسْتَخْرِجُونَ خَيْرَاتِهَا وَأَرْزَاقَهَا.

الْأَثَرِي يَا بَيْدَبَا كَيْفَ أَنَّ الطُّيُورَ بِفِطْرَتِهَا، تَغْدُو مَعَ الفَجْرِ، تَطْلُبُ الثَّمَرِ مِنَ الشَّجَرِ، لِتَعُودَ فِي الْمَسَاءِ، إِلَى أَغْشَاشِهَا، مَلِيئَةً شَبَعِي، وَهِيَ تَحْمِلُ غِدَاءَ صِبْغَارِهَا، وَلِكَيْهَا لَوَبَقِيَّتِ، أَيْهَا الْحَكِيمِ، فِي أَغْشَاشِهَا، فَهَلْ كَانَ لَهَا، أَنْ تَحْصِلَ عَلَى غِدَائِهَا، أَوْ أَنْ تَحْصِلَ عَلَى غِدَاءِ صِبْغَارِهَا.

إِنَّ مَنْ يَكْسَلُ أَوْ يَعْجَزُ يَا بَيْدَبَا، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَالْجِرْمَانُ، وَمِنْ ثَمَّ الْجُوعُ وَالْمَوْتُ، هَذَا هُوَ الصَّرْفُ بَيْنَ أُمَّمٍ تُنْتِجُ وَتَسْتَخْرِجُ وَتَنْعَمُ، بَلْ تُبِيدُ كَثِيرًا مِنَ النِّعَمِ لِالْأَسْفِ وَتُسْرِفُ، وَبَيْنَ أُمَّمٍ أُخْرَى تَعْجَزُ وَتَتَخَلَّفُ وَتَفْتَقِرُ وَتَعْدَمُ.

لَيْسَتْ الْفِاقَةُ وَالْفَقْرُ يَا بَيْدَبَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ فِي مَكْتُونِ أَرْزَاقِ الْفَرَضِ، وَلَكِنَّ الْفَقْرَ



وَالْفَاقَهُ وَالْعَجَزَ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ فِي نُفُوسِ الْبَشَرِ، وَفِكْرِهِمْ وَتَقَاتِهِمْ، وَتَحْجَرِ عُقُولِهِمْ، فَلَا يَعْمَلُونَ وَلَا يَتَلَدَّرُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَبْصُرُونَ.

مِثَالٌ آخَرَ أَضْرِبُهُ لَكُمْ أَهْمًا الْإِخْوَةَ وَالْأَخْوَاتُ بِشَأْنِ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ؛ قَالَ الْأَرْضُ، كَمَا نَعْلَمُ جَمِيعًا، فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْمَعَادِنِ النَّافِعَةِ، وَمِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الثَّمِينُ، وَلَكِنْ لِكَيْ يَحْصُلَ الْإِنْسَانُ عَلَى مَعْدِنِ الذَّهَبِ يَأْتِيهِ بِأَيْدِيهِ لَا يَدُّ لَهُ - كَمَا نَعْلَمُ وَنُشَاهِدُ - أَنْ يُنَجِّي الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تُحَدِّدُ مَوَاقِعَ وُجُودِ هَذَا الْمَعْدِنِ، وَأَنْ يُنَجِّي الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تُفَكِّهُ مِنْ صِنْعِ الْأَدْوَاتِ الَّتِي تُحَطِّمُ الصُّخُورَ، وَتَغُورُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ وَفَوْعِ الْجِبَالِ، وَتَسْتَخْرِجُ الصُّخُورَ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى الْمَعْدِنِ، كَمَا أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُنَجِّي الْمَعْرِفَةَ الَّتِي يُسْتَخْلَصُ بِهَا هَذَا الْمَعْدِنُ الثَّمِينُ مِنْ بَيْنِ شَوَاتِبِهِ، وَأَنْ يُنَجِّي الْمَعْرِفَةَ الَّتِي يُطَوَّقُ بِهَا هَذَا الْمَعْدِنُ لِجَاجَاتِهِ وَصِنَاعَاتِهِ وَزِينَةِ نِسَائِهِ.

هَلْ نَعْتَقِدُ يَا بَيْدِيَا؛ أَنَّهُ إِنْ جَلَسَ طَلَّابُ الْمَعَادِنِ يَدْعُونَ اللَّهُ بِذَاتِ السِّبِينِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ اللَّهُ لَهُمُ الْمَعَادِنَ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، مِنْ دُونِ أَنْ يُؤَهِّلُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا بِالْعِلْمِ وَالْكَيْدِ وَالْجُهْدِ، فَهَلْ تَرَاهُمْ يَحْصِلُونَ عَلَيْهَا يَا بَيْدِيَا؟  
قَالَ بَيْدِيَا يُجِيبُ الشَّيْخُ بِالطَّبَعِ لَا، أَهْمًا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؛ فَهَلْ نَعْلَمُ بِالذِّكْرِ وَالْمُشَاهِدَةِ

أَنَّهُ مَا نَالَ كَسُوكَ هَامِلٌ، وَلَا أَمْلَقَ مُجِدُّ عَامِلٌ؛ فَسِنَّةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ أَنَّ "مَنْ جَدَّ وَجَدَّ"، وَأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِأَدَاءِ وَاجِبِنَا فِي التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّبَحُّثِ وَالتَّرْسِي وَالنَّقِيبِ وَالْعَمَلِ؛ لِأَنَّنا نَعْلَمُ يَقِينًا "أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمَطَّرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً" وَلَا تُمَطَّرُ خَبْرًا وَلَا مَتَاعًا وَلَا طَائِرَاتٍ وَلَا حَاسِبَاتٍ الْيَتِيَّةَ وَلَا ذَبَابَاتٍ وَلَا صَوَارِيخَ، وَلَا حَصَدَاتٍ وَلَا حَفَارَاتٍ وَجَرِرَاتٍ.

إِنَّ تُمْكِينَهِ الْإِسْتِخْلَافِ وَالْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةَ لِلْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ، لَا يَكُونُ بِمُجَرَّدِ السُّعُودِ لِلتَّمَتُّمَاتِ وَالْمُجَادَلَاتِ وَالْقِلَاقَاتِ وَأَدَاءِ الشُّعَائِرِ؛ وَلَكِنْ أَيْضًا بِالسَّعْيِ الْجَادِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُتَّقِنِ، وَبِشُرُوطِ السَّعْيِ بِالْأَسْيَابِ وَالتَّوَامِيسِ وَالتَّسْنَنِ الَّتِي أَوْذَعَهَا اللَّهُ الْكَائِنَاتِ، فَيَدُونَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُتَّقِنِ فِي الْمَعَامِلِ وَالْمَصْنَعِ وَالْحَقُولِ وَالْمَتَاجِمِ، وَفِي أَعْمَاقِ الْبَحَارِ وَأَفَاقِ الْفَضَاءِ، وَمِنْ دُونِ صَبْرِ أَيَّامِ قَاعَاتِ التَّبَحُّثِ وَالتَّرْسِي وَتَبَالُغِهَا الطَّوَالِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالْخَبْرَةِ وَالتَّجْرِبَةِ لَنْ يَكُونَ ذَهَبٌ، وَلَا فِضَّةً، وَلَا خَبْرٌ، وَلَا قُوَّةً، وَلَا قُدْرَةً، وَلَا عِزًّا، وَلَا تُمْكِينَ، فَتِلْكَ سِنَّةُ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ، وَلَيْسَ عَنْهَا مَجِيسٌ مَهْمَاتُفَاصِحَ الْعَاجِزُونَ، وَكَابِرَ الْحَمَقَى وَالتَّبُلْهَاءَ وَالْقَاعِيدُونَ.

وَتَابِعَ بَيِّنَاتًا حَدِيثَهُ قَائِلًا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؛ مَنْ أَرَادَ التَّمَكِينَ، وَمَنْ أَرَادَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالْخَبْرَ وَالْمَتَاعَ وَالصَّنَاعَاتِ وَالْأَلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ وَالْعِلْمَ وَالتَّقْنِيَّةَ؛ وَالْعِزَّةَ وَالْقُدْرَةَ.

وَالْكَرَامَةِ، فَإِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ هِيَ مَا وَهَبَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ قُدْرَاتِ الْفِكْرِ وَالْعِلْمِ  
وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعَمَلِ وَالْبَحْثِ وَالنُّدْسِ وَالْعَمَلِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْإِثْقَانِ.

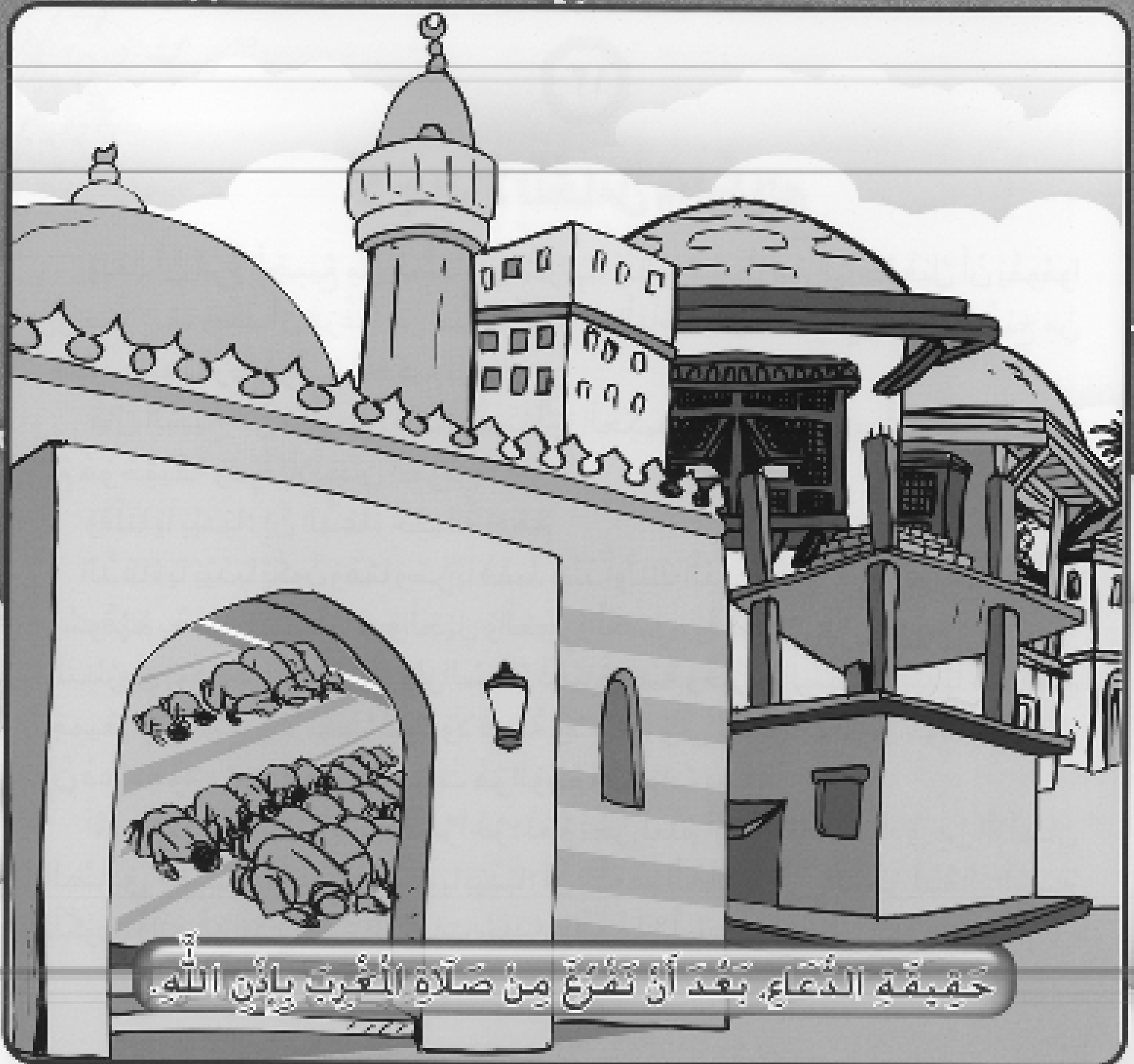
انظُرْ يَا بَيْدَبَا إِلَى مَا تَفْعَلُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، الْبَوَاحِرُ الَّتِي تَمُحَّرُ الْبِحَارَ، وَالطَّائِرَاتُ الَّتِي  
تَجُوبُ الْأَفَاقَ، فَهِيَ تُقَرِّبُ الْبَعِيدَ وَتُوقِرُ الْأَرْزَاقَ، مِنَ الْأَرْضِ الْخَصِيبَةِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُجْدِبَةِ،  
وَانظُرْ إِلَى مَا يَحْمِلُهُ الْعَدُوُّ مِنْ عُلُومِ الْوِزَائَةِ فِي مُضَاعَفَةِ الْإِنْتِاجِ، أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، فَتَكُونُ  
رِزْقاً لِأَبْنَاءِ الْعَدُوِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَسْتَبِطُنُهُ السُّنَنُ الْكُؤُوبَةُ، كُلُّ هَذَا يُبَصِّرُنَا بِإِيْدَبَا، أَنَّ فِي  
الْأَرْضِ أَرْزَاقَهَا، الَّتِي يُمَكِّنُ تَحْصِيلَهَا، بِالْعِلْمِ وَالسَّعْيِ وَالْعَمَلِ.

صَمَتَ بَيْدَبَا بَرْهَةً ثُمَّ قَالَ: وَلَكِنَّا أَهْمْنَا الشَّيْخَ الْجَلِيلَ: إِذَا سَلَّمْنَا بِذَلِكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ  
ذَلِكَ هُوَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ، فَمَاذَا تَعْنِي الدُّعَاءُ إِذْ نَأْهَلُ هُوَ وَهُمْ وَسِرَابٌ، وَهَلْ لَيْسَ  
هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ حَاجَةٍ إِلَيْهِ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الدُّعَاءُ وَهَمًّا وَلَا سِرَابًا فَأَيْنَ مَوْضِعُهُ  
مِنْ سِرِّ الْحَيَاةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا؟ وَأَيْنَ مَكَانُهُ مِنْ صِلَةِ الْإِنْسَانِ بِاللَّهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؟

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ تَطُّوطةَ: نَعَمْ يَا بَيْدَبَا سَأَجِيبُكَ عَمَّا تَسْأَلُ عَنْهُ.  
إِنَّ الدُّعَاءَ يَا بَيْدَبَا وَهُمْ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ يَا بَيْدَبَا حَقِيقَةً، وَلَكِنْ تَفْصِيلُ الْقَوْلِ فِي هَذَا الْأَمْرِ  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ نُوَاصِلَهُ وَنَحْنُ عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ التَّعَبِ؛ وَلِذَلِكَ أَدْعُوكُمْ إِلَى تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنْ

شَرَابِ الرَّهُورِ وَعَصِيرِ الْفَوَاكِهِ، وَشَيْءٍ مِنْ خَلْوَى طَجِينِ السَّمْسِمِ وَخَبْزِ الْقَمْحِ، فَإِنَّا مِنْ هَوَاتِهِ، وَتَلَدُّ لِي طَعْمُهَا، وَهِيَ خَيْرٌ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْحَدِيثِ وَالْجَوَارِيشَانِ هَذَا الْأَمْرِ الْهَامِّ فِي حَقِيقَةِ الدُّعَاءِ، بَعْدَ أَنْ تَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

سَارَعَ فَتَى الشَّيْخِ إِلَى إِحْضَارِ الْعَصَائِرِ وَالشَّرَابِ وَأَطْبَاقِ خَلْوَى طَجِينِ السَّمْسِمِ يُعِينُهُ فِي ذَلِكَ الْبَحَارُ مَسْعُودٌ الَّذِي أَصْبَحَ مُنْذُ نَزَلَ الشَّيْخُ إِلَى الْجَزِيرَةِ مِثْلَ هَلِيبِهِ لَا يَغِيبُ الشَّيْخُ عَنْ نَاطِقَتِهِ، وَتَأَلَّتِ الْعَصَائِرُ وَالْخَلْوَى إِعْجَابَ الْحَاضِرِينَ وَتَقْدِيرَهُمْ كَالْمُعْتَادِ، وَذَلِكَ لِخَبْرَةِ صُحْبَةِ الشَّيْخِ فِي إِعْدَادِ اللَّذَائِدِ أَلْوَانِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.



حَقِيقَةُ الدُّعَاءِ: بَعْدَ أَنْ تَفْرَغَ مِنْ صَلَاةِ التَّعَرُّبِ بِإَدْوَانِ اللَّيْلِ



## لَا جَائِزَةَ لِلْعَامِلِ وَالظَّالِمِ

وَيَعْدُ أَنْ فَرَعَ الْجَمِيعُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَنَالُوا قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ قَبْلَ أَنْ يَقُومُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَيَعْدُ أَنْ فَرَعُوا مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، التَّامَّ شَمْلُ الْحَاضِرِينَ حَوْلَ الشَّيْخِ مِنْ جَدِيدٍ، يَتَصَدَّرُ صُفُوفَهُمُ الْحَكِيمُ بِيَدَيَا.

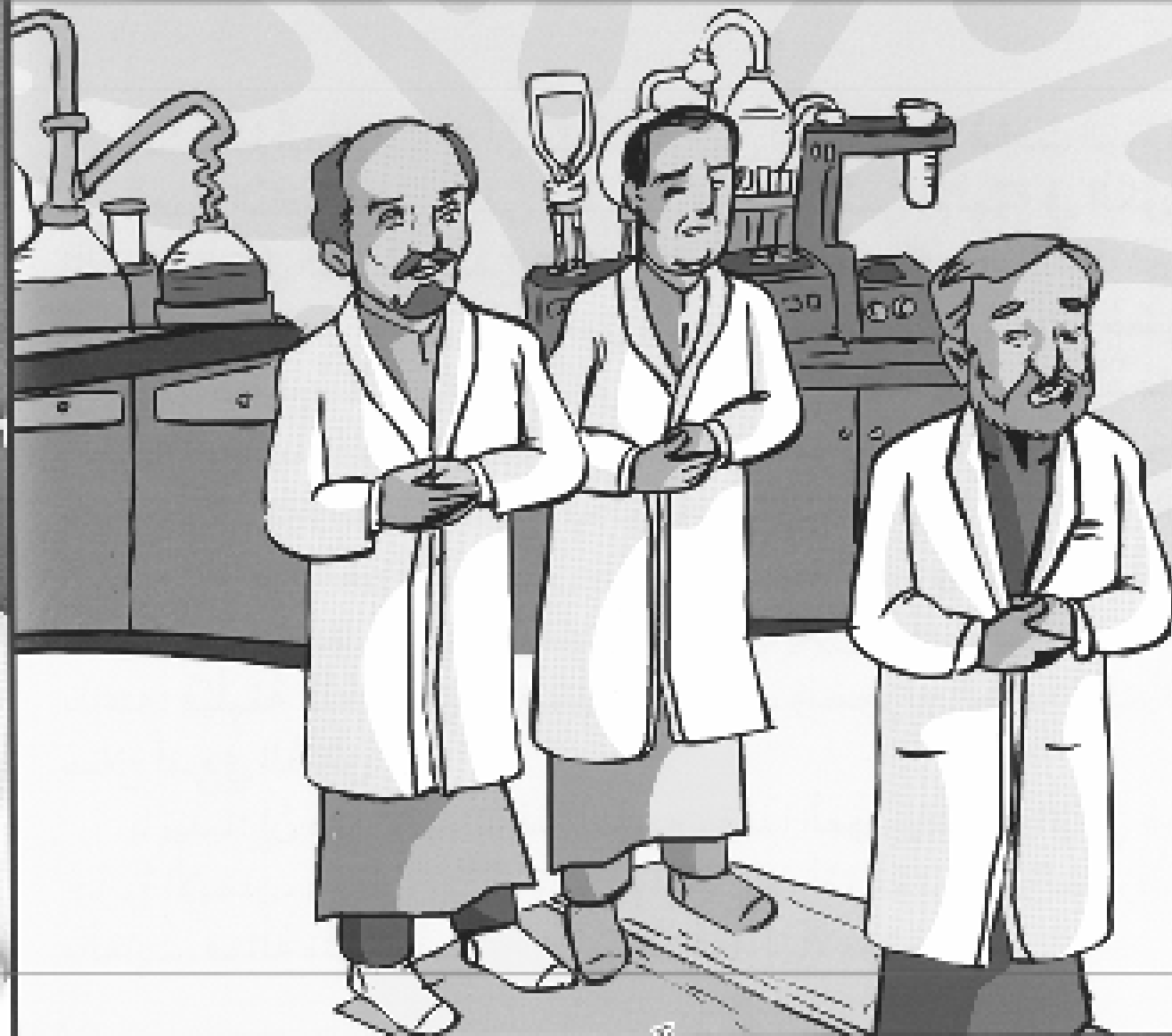
قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَحَةَ: لَقَدْ تَوَقَّفْنَا أَهْيَا الْحَكِيمِ عِنْدَ أَمْرِ الدُّعَاءِ، أَهْوَوْهُمْ وَسَرَابٌ أَمْ هُوَ حَقِيقَةٌ وَقُوَّةٌ لِلْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ؟ وَقُلْنَا يَا بَيِّدَيَا: إِنَّ الدُّعَاءَ حَقِيقَةٌ وَوَهُمٌ.

الدُّعَاءُ يَا بَيِّدَيَا يَكُونُ وَهْمًا وَسَرَابًا فَقَطْ عِنْدَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِدُوا عُقُولَهُمْ وَخَوَاصِرَهُمْ وَسُوقَهُمْ بِحُبُوبِ التَّمْتَمَاتِ وَالْجَهْلِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَقَعَدُوا فِي عَقْرِ دُورِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، يَنْتَظِرُونَ بِوَهُمِ دُعَائِهِمْ أَنْ تُمَطِّرَ السَّمَاءُ ذَهَبًا وَفِضَّةً وَخَبْرًا، وَالسَّمَاءُ يَا بَيِّدَيَا كَمَا نَعْلَمُ جَمِيعًا عِلْمَ الْيَقِينِ لَا تُمَطِّرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا خَبْرًا، وَأَنْ يَسْتَجَابَ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ يَا بَيِّدَيَا، إِنَّ دُعَاءَ هَؤُلَاءِ أَهْيَا الْأَخْوَةِ وَالْأَخْوَاتِ هُوَ الْوَهُمُ وَالسَّرَابُ بَعِينِهِ.

أَمَّا حَقِيقَةُ الدُّعَاءِ يَا بَيِّدَيَا فَأَمْرٌ آخَرٌ: نَعَمْ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الدُّعَاءَ الصَّادِقَ مِنَ الْإِنْسَانِ الصَّادِقِ حَقِيقَةٌ وَقُوَّةٌ؛ لِأَنَّنا نَعْلَمُ يَا بَيِّدَيَا: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَعَالُ الْمُسَيِّرُ لِلْكَوْنِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْذَعَ الْكَائِنَاتِ سُنَّتَهَا، وَأَنَّهُ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

وَأَنْتِ تَعْلَمُ أَيْضًا يَا بَيْدَبَا! أَنَّ سَلَفَ الْكَثِيرِ مِنَ الشُّعُوبِ الَّتِي قَعَدَتْ الْيَوْمَ فِي حُبُوتِهَا  
عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ الْمُنْتَجِ، وَعَنْ طَلَبِ النَّوَامِيسِ وَالسَّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْكُؤُونِ بِالْبَحْثِ  
وَالدَّرْسِ وَالْعَمَلِ الْمُسَخَّرِ الْعُمَرَانِيِّ، وَعَنِ الْإِبْدَاعِ وَالْإِتْقَانِ، كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ غَيْرَ ذَلِكَ. لَقَدْ  
كَانُوا أَقْوَامًا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْعَمَلِ وَالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ وَإِذْكَاءِ الْفِكْرِ وَحُسْنِ الْإِعْدَادِ  
وَالِاسْتِعْدَادِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ حُبًّا لِلَّهِ، وَتَوَجُّهًُا إِلَيْهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالِدُّعَاءِ؛ حُبًّا لَهُ،  
وَاسْتِعَانَةً بِهِ، وَطَلَبًا لِالطَّافَةِ الْخَفِيَّةِ فِي الْإِهَامِ الصَّوَابِ، وَتَيْسِيرِ أُمُورِهِمْ، وَدَفْعِ الْبَلَاءِ  
عَنْهُمْ بِسِرِّ قُدْرَتِهِ وَجَهْمَتِهِ الْكَلْبِيَّةِ، فَكَانُوا يَا بَيْدَبَا قَوْمًا تَوَجُّهُوا بِالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيمِ  
السَّمِيعِ، بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ لَهُمْ، نَعْدُ أَنْ جَدُّوا وَاجْتَهَدُوا وَعَمِلُوا، وَتَوَكَّلُوا، وَلَمْ يَعْجِزُوا. هَذَا  
مَعْنَى الدُّعَاءِ يَا بَيْدَبَا، فَالدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ يَا بَيْدَبَا يُعِينُ الْمُؤْمِنَ الْمُخْلِصَ الْمُجْتَهِدَ قَدْرَ  
طَاقَتِهِ؛ فَيُلْهِمُهُ اللَّهُ الصَّوَابَ، وَيَسْهَلُ لَهُ الْأُمُورَ، وَيُسْجِرُّ لَهُ الطَّافَةَ الْخَفِيَّةَ؛ لِمَا فِيهِ  
صَلَاحُ أَمْرِهِ فِي الدَّارَيْنِ.

يَا بَيْدَبَا! إِنَّ هَذَا الْإِهَامَ، وَهَذَا التَّيْسِيرَ، وَهَذَا الْعَوْنَ وَاللُّطْفَ الْإِلَهِيَّ هُوَ فِي كَلْبَاتِهِ  
جَائِزَةُ الْإِيمَانِ، وَحُسْنُ الْأَدَاءِ، وَعَظِيمُ الْإِجْتِهَادِ، أَمَّا الْمُتَوَاكَلُ وَالْمُفْرِطُ، وَالْعَاجِزُ  
وَالْعَابِثُ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ الْمُفْسِدِ وَالظَّالِمِ، فَلَا دُعَاءَ لَهُ وَلَا جَائِزَةَ.



فَإِنَّ الدُّعَاءَ التَّسْتَجَابَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ جَائِزُهُ الْمُؤْمِنِ الْعَامِلِ

ادْكُرْ حَيِّدًا يَا بَيْدَبَا أَنْ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ، وَأَوْكَلَ إِلَى الْبَشَرِ مَهْمَةً  
الِاسْتِخْلَافِ وَحَقْلَهُمُ الْأَمَانَةَ؛ لِيَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يُخْلِصُ فِي  
مَعِيهِ، وَمَنْ يُحْسِنُ الْعَمَلَ قَدَرِ طَاقَتِهِ، وَيُتَّقِنُ الْأَدَاءَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَا يُضَيِّعُ اللَّهُ أَجْرَهُ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلَيْدَا يَا بَيْدَبَا؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ جَائِزَةٌ الْمُؤْمِنِ الْعَامِلِ الْمُتَوَكِّلِ  
الْمُجْتَهِدِ الَّذِي يُسَخِّرُ عَقْلَهُ وَمُسَاعِدَهُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَنْفَعُ النَّاسَ، أَمَا الظَّالِمُ  
وَالْمُفْسِدُ، وَكَذَلِكَ الْمَفْرُطُ وَالْعَامِلُ وَالْعَابِثُ فَلَا دُعَاءَ وَلَا جَائِزَةَ لَهُمْ، وَلَا لِأَمْثَالِهِمْ، وَهَذَا  
هُوَ الْعَدْلُ يَا بَيْدَبَا، وَلَا يظَلِمُ رِثَكَ أَحَدًا.

لِذَلِكَ كَانَ يَا بَيْدَبَا نَصِيبُ مَنْ اجْتَهَدَ وَأَصَابَ أَجْرَيْنِ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَنَصِيبُهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ،  
أَيُّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، أَيُّ عَمَلًا عِلْمِيًّا صَائِبًا، لَهُ الثَّمَرَةُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ  
أَجْرُ الصُّوَابِ وَالتَّوْفِيقِ فِي طَلَبِ الْفِطْرَةِ وَالتَّوَامِيسِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْذَعَهَا اللَّهُ فِي  
خَلْقِهِ، وَلَهُ الْقَبُولُ فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَجْرُ الْإِيمَانِ وَالنِّيَّةِ، أَمَا مَنْ يَعْمَلُ وَلَا يُصِيبُ وَفَقِ  
تَوَامِيسِ فِطْرَةِ الْكُؤُونِ وَمُسْنِيهِ فَلَا نَصِيبَ وَلَا ثَمَرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ يَظَلُّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ  
الْقَبُولُ وَأَجْرُ النِّيَّةِ، وَأَجْرُ مَا بَدَلَ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ - قَدَرِ طَاقَتِهِ - مِنْ عَمَلٍ وَجْهِدٍ مُخْلِصٍ.

وَلِذَلِكَ أَتَتْهَا الْأُخُودُ وَالْأَخْوَاتُ، فَهَنَّ مِنْ وَاجِبِ الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُحْسِنِينَ أَنْ  
يَدْعُوا، وَأَنْ يَلْجَأُوا إِلَى كَرَمِ اللَّهِ لِأَنْ يُوفِّقَ عَمَلَهُمْ وَجُهْدَهُمْ وَجَدَّهُمْ وَاجْتِهَادَهُمْ؛ لِيَكُونُوا  
مُؤَفَّقِينَ صَائِبِينَ يَنَالُونَ بِتَدَلِّيهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ الْآخِرِينَ مَعًا؛ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.  
إِنَّ مَنْ يُفَكِّرُ، وَمَنْ يَتَعَلَّمُ، يَا بَيْدَبَا، وَمَنْ يَعْمَلُ، وَمَنْ يَجْتَهِدُ، لَهُ أَنْ يَدْعُوَ، فَإِنَّ اللَّهَ  
بِحُكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ يَسْتَجِيبُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا دُعَاةَهُ، وَيُعِينُ جَهْدَهُ، وَيَرْزُقُهُ الْقُدْرَةَ "مِنْ حَيْثُ  
لَا يَحْتَسِبُ"؛ لِأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ "أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا"،  
هَذِهِ هِيَ حِكْمَةُ اللَّهِ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّتُهُ فِي خَلْقِهِ.

فَاعْلَمْ ذَلِكَ يَا بَيْدَبَا، وَكُلَّ مَنْ خَضَرَ، نَعَمْ؛ اعْلَمْهُ وَعَلِّمَهُ وَتَبَيَّنْهُ حَقَّ الْعِلْمِ وَحَقَّ  
الْيَقِينِ، وَلَا يُزَيَّفُ لَكَ الْقَوْلَ أَحَدٌ مِنَ الْعَاقِلِينَ بِاتِّسَارِ الْفَهْمِ فِي دَلَالَاتِ الْفِطْرَةِ وَالرُّؤْيَا  
الْكَلْبِيَّةِ لِلْحَيَاةِ وَالْكُونِ.

يَا بَيْدَبَا، إِنَّ التَّقَدُّمَ وَتَنْمِيَةَ الْمَعَارِفِ وَالْإِعْمَارَ يَحْتَاجُ إِلَى بَدَلٍ مَجْهُودٍ كَبِيرٍ، وَهُوَ مَجْهُودُ  
-بِلْدَةِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَثَمَرَةِ الْإِنْتِاجِ- رَائِعٌ مُفْتَعٌ، أَمَا التَّغْوِيْقُ، وَغَرْقَةُ الْجُهُودِ، وَالْفَسَادُ  
وَالْفَسَادُ خَطَطُ الْإِصْلَاحِ وَالْإِعْمَارِ، وَالتَّخْلُفُ؛ مَعَ كُلِّ مَا يَجْلِبُ مِنَ الْكَمِّ وَحَاجَةِ وَذَلِّ  
وَضَعْفِ وَفَاقَةِ؛ فَهُوَ لِأَسَى وَالْأَسْفِ يَحْتَاجُ إِلَى مَجْهُودٍ أَكْبَرَ.

يَا بَيْدِيَا: جِئِن تَسْتَعِيدُ هَذِهِ الشُّعُوبَ رُؤْيِيهَا الْكُلِّيَّةُ الْكُونِيَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ الْحَضَارِيَّةُ  
الصَّحِيحَةُ سَوْفَ تَعْرِفُ مَعْنَى حَيَاتِيهَا وَغَايَتَهَا فِي الْإِحْسَانِ: إِتْقَانًا لِلْعَمَلِ، وَتَسْخِيرًا لِلْكَوْنِ،  
وَخَلْبًا لِمَنَافِعِ النَّاسِ، وَتَجْسِيدًا لِمَعَانِي الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، بِالْوَسَائِلِ وَالنُّوَاجِيسِ  
وَالْأَسْبَابِ الْعِلْمِيَّةِ السُّنِّيَّةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ الْكَائِنَاتِ، وَبِالْتَسْخِيرِ وَالْعُمْرَانِ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ  
اللَّهَ يَا بَيْدِيَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْأَرْضِ، وَاسْتَعْمَرَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ يَا بَيْدِيَا هُوَ سَبِيلُ الْعِبَادَةِ  
وَالْتَعْبِيدِ الْقَوِيمِ: الَّتِي يَحُضُّ عَلَيْهَا كُلُّ مَا نَزَلَ مِنَ الذِّكْرِ، وَهُوَ جَوْهَرُ الْمُطْلُوبِ مِنْ خَلْقَاءِ  
الْأَرْضِ، فِي كُلِّ مَنَاجِي السُّعْيِ وَالْحَيَاةِ، أَدَاءً لِأَمَانَةِ الْخِيَارِ: لِتَهْدِي الْإِنْسَانَ إِلَى السَّبِيلِ، لَا  
لِيَتَعَذَّبَ بِهِ عَنِ السَّبِيلِ.

فَالْوَحْيُ وَالْعَقَائِدُ الصَّحِيحَةُ يَا بَيْدِيَا جَاءَتْ لِتُخَيِّبَ النَّاسَ، وَتُرْشِدَ إِزَادَتَهُمْ وَخِيَارَ  
سَعْيِهِمْ وَعَمَلِهِمْ؛ لِيَتَكُونَ سَعْيُهُمْ نَاقِعًا صَالِحًا، وَمَا جَاءَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ يَا بَيْدِيَا لِتُهَقِّدَ  
الْعُقُولَ وَالسُّوَاعِدَ أَوْ يُقَيِّدَهَا بِالْعَجْزِ وَاللَّغْوِ وَالتَّمْتَمَاتِ وَالْأَوْهَامِ.

هَلْ أَذْرَكْتُ يَا بَيْدِيَا -بِمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ أَمْثَلَةٍ- حَقِيقَةَ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ لِلدُّعَاءِ، وَهَلْ  
عَرَفْتِ مَنْ هُمْ أَهْلُ الدُّعَاءِ، وَلِمَاذَا لَا يَسْتَجِيبُ اللَّهُ دُعَاءَ الظَّالِمِينَ وَالْمُفْسِدِينَ، وَلَا دُعَاءَ  
الْخَامِلِينَ الْعَاجِزِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَلَا دُعَاءَ الْمُفْرَطِينَ الْأَاهِينَ وَالْعَابِدِينَ الْمُتَقَاعِسِينَ؟

الدُّعَاءُ الصَّحِيحُ يَا بَيْدَبَا فِي جَوْهَرِهِ تَنْبَعُ مِنْ عَاطِفَةِ حُبِّ اللَّهِ، وَهُوَ قُوَّةٌ لِلرُّوحِ، وَطَلَبٌ لِالطَّافِ اللَّهِ فِي عَوْنِ الْجَهْدِ وَالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، وَيُحْسِنُونَ -قَدْرَ الطَّاقَةِ- فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ صُبْحًا، تَوْفِيرًا لِحَاجَاتِهِمْ وَعَوْنًا مِنْهُمْ لِمُحْتَاجٍ، وَإِمَاطَةً لِلأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَصِيَانَةً لِلْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ، وَزُرْعًا يَأْكُلُونَ مِنْهُ هُمُ وَالنَّاسُ وَالطَّيْرُ، وَصُبْحًا لِدَوَاءٍ يَشْفِي بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ، وَاخْتِيارًا عَابِتًا يَنْهَى بَعْضَ مَوَارِدِ الْمُجْتَمَعِ، وَآلَةً تُبَسِّرُ بَعْضَ حَاجَاتِ النَّاسِ، كُلُّ هَذَا وَغَيْرُهُ يَا بَيْدَبَا إِحْسَانٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا حَسُنَ الْقَصْدُ وَحَسُنَتِ النِّيَّةُ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بِكُلِّ الْوَأْنِ مَطْلُوبٌ، وَالْقُوَّةُ مَطْلُوبَةٌ، وَالْعِزُّ مَطْلُوبٌ، وَكُلٌّ حَسَبَ قُدْرَتِهِ وَطَاقَتِهِ، وَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

يَا بَيْدَبَا؛ حِينَ تَسْتَعِيدُ هَذِهِ الشُّعُوبُ رُؤْيَهَا الْإِسْتِخْلَافِيَّةَ الْخَضَارِيَّةَ الْخَيْرَةَ وَدَافِعِيَّتَهَا، وَالتِّي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقَتْ، وَحِينَ تَقُومُ بِأَدَاءِ أَمَانَتِهَا بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَإِتْقَانٍ وَإِحْسَانٍ قَدْرَ الطَّاقَةِ، فِي حَوْضِ عِمَارِ الْحَيَاةِ وَإِعْمَارِهَا، وَتَسْخِيرِ كُنُوزِهَا وَسُنَنِهَا، وَفِي تَبَسُّرِ حَيَاةِ النَّاسِ فِيهَا وَإِعْمَارِهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ عَلَى شَاكِلَةِ أَسْلَافِ عَهْدِهَا مِنَ الصَّالِحِينَ الْبَنَائِينَ الْمُجَاهِدِينَ، عِنْدَ ذَلِكَ فَقَطْ يَا بَيْدَبَا يَكُونُ لِدُعَائِهِمْ مَعْنَى وَجَدْوَى، أَمَا مَنْ يَنْتَظِرُ أَنْ

تُمْطِرُ السَّمَاءُ ذَهَبًا وَفِضَّةً وَخَبْرًا وَقُوَّةً وَعِزَّةً وَعُمْرَانًا فَلَنْ يُجِدِيَهُ الدُّعَاءُ شَيْئًا مَهْمَا اسْتَدَّ  
نُوحًا، وَعَلَا غَوِيلَهُ، وَتَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُ أَيْبِيهِ؛ فَيَلِكُ يَا بَيْدَبَا - كَمَا نَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ - سُنَّةَ  
اللَّهِ فِي الْخَلْقِ، (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا). (فاطر: ٤٣)

يَا بَيْدَبَا؛ بَصِّرْ هَؤُلَاءِ الْغَافِلِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَاللَّاهِينَ الْخَامِلِينَ، وَالْمُسْتَهِلِّينَ الْعَاجِزِينَ  
الْمُقْصِرِينَ، وَأَنْذِرْهُمْ بِأَنَّ الْعَقْلَ وَالْفِكْرَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَالْإِثْقَانَ وَالْإِبْدَاعَ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ،  
وَبِمَا يُسْجِرُ الْمَنَافِعَ وَالْأَرْزَاقَ، وَيَبْنِي صَالِحَ الْحَضَارَاتِ وَالْعُمَرَانَ، وَالْإِقَادَةَ مِنْ كُلِّ مَا فِي  
ذَلِكَ مِنْ مُنْعَةِ الْمَعْرِفَةِ بِأَسْرَارِ الْكُونِ وَالْفِطْرَةِ، وَنَفْعِ التَّسْخِيرِ وَالْقُدْرَةِ، إِنَّهَا هِيَ الْغَايَةُ مِنْ  
وُجُودِ الْإِنْسَانِ خَلِيفَةً مُتَّصِرَةً فِي الْأَرْضِ، بِقُدْرَةِ عَقْلِهِ، مُؤْتَمِنًا فِيهَا بِخَيْرِيَّةِ إِزَادَتِهِ.

يَا بَيْدَبَا؛ إِنَّ الذِّكْرَ وَالْوَحْيَ الْإِلَهِيَّ إِنَّمَا نَزَلَ لِيَكُونَ دَلِيلًا كَلِيمًا، وَمُدْكَرًا وَمُرْشِدًا بِشَأْنِ  
حَقِيقَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَقِطْرَتِهِ، وَلِيُهَيِّجَ عَلَى تَوْضِيحِ الْغَايَةِ وَالرُّؤْيَا، وَيُحَرِّكَ الدَّافِعِيَّةَ،  
وَيَنْدَلَّ عَلَى سَبَلِ صَالِحِ الْعَمَلِ لِمَا يُحْيِي النَّاسَ، وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ دَلِيلُ الْعَمَلِ بَدِيلًا عَنِ  
الْعَمَلِ، وَلَا خَيْرٌ فِي ذِكْرٍ لَا يَحُضُّ عَلَى فِكْرٍ وَيَتَحَثُّ عَلَى بَحْثٍ وَدَرْسٍ تَكُونُ نَتِيجَتُهُ عَمَلًا  
وَإِثْقَانًا وَإِعْمَارًا وَتَسْخِيرًا وَخَيْرًا؛ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، وَيَنْفَعُ النَّاسَ وَيُحْيِيهِمْ، فَالذِّكْرُ كَانُ، وَلَا بُدَّ  
لَهُ أَنْ يَكُونَ، هِدَايَةً وَتَذْكَيرًا، وَنُورًا وَتَبْصِيرًا.



فُدْرَةُ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ وَحُبِّ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِبْدَاعِ، وَقُدْرَةُ الْعَمَلِ وَالْإِتْقَانِ، هُمَا الْاِثْنَانِ  
الَّذَانِ أَوْذَعَهُمَا اللَّهُ فِي طَبَعِ الْإِنْسَانِ لِلْإِعْمَارِ، وَالذِّكْرُ هُوَ دَلِيلُ الْعَقْلِ، وَوَجْهَةُ الْخَيْرِ فِيهِ،  
فَمَنْ تَوَجَّهَ إِلَى الدَّلِيلِ يَقْرَأُهُ، وَيُقَلِّبُ صَخَائِفَهُ، وَيُرَدِّدُ كَلِمَاتِهِ، مُنْصَرِّفًا عَنِ الْعَمَلِ وَالْأَذَاءِ  
وَالْإِتْقَانِ الَّذِي قَصَدَ إِلَيْهِ الدَّلِيلُ؛ فَقَدْ أَخْطَأَ الْمَطْلَبَ، وَضَلَّ الْغَايَةَ وَالْأَرْبَ.

إِنَّ مَثَلِ هَذِهِ الشُّعُوبِ الْغَافِلَةِ الْعَاجِزَةِ الثَّابِتَةِ يَا بَيْدَبَا كَمَثَلِ مَنْ أُعْطِيَ أَدَاةً لِتَرْكِيبِهَا  
وَتَشْغِيلِهَا وَإِعْدَادِهَا لِلْإِنْتِاجِ بِهَا، وَالْإِفَادَةِ مِنْهَا، فَانْصَرَفَ إِلَى ذَلِيلِ التَّرْكِيبِ، يَقْرَأُهُ،  
وَيُكْرِرُهُ، وَيُنْعِمُهُ، وَيُخْرِزُهُ، وَيُرِيئُهُ، وَيُبْدِي فِيهِ وَتُعِيدُ، وَتَرَكَ قِطْعَ الْأَلَةِ جَانِبًا لِتَصُدَّ:  
نَاسِيًا أَمْرَ تَرْكِيبِهَا وَإِنْتِاجِهَا وَتَسْخِيرِهَا وَالْإِفَادَةَ مِنْهَا.

يَا بَيْدَبَا؛ مَا أَكْثَرَ حَدِيثَ كَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْغَافِلِينَ الْأَاهِينَ وَالْمُتَوَاكِلِينَ الْعَاجِزِينَ عَمَّا  
يَجِبُ، وَمَا أَقَلَّ -عَدَا الْإِسْتِهْلَاكَ- فِعْلُهُمْ وَمُبَادِرَتُهُمْ لِمَا يَجِبُ عَمَلُهُ وَتَعَجُّبُهُ مِنَ الْفَيْتَمِ  
وَالْمَعَانِي وَالْمَنَافِعِ الْخَيْرَةِ؛ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعَمَلِ الْمُتَّقِنِ، وَالْفِعْلِ الْمُبْدِعِ، وَالْأَذَاءِ النَّافِعِ  
الْبِنَاءِ الْمُسَخِّرِ لِلْكَوْنِ، الْمُنَبِّسِ لِحَيَاةِ النَّاسِ، الْمَوْفِرِ لِحَاجَاتِهِمْ، نَعَمَ يَا بَيْدَبَا؛ مَا أَكْثَرَ  
أَقْوَالَهُمْ الْهَازِلَةَ! وَمَا أَقَلَّ أفعالَهُمْ النَّافِعَةَ! وَكَأَنَّهُمْ فِي عَالِمِ الْيَوْمِ وَقُدْرَاتِهِ وَعُضَائِهِ نُمُودَجُ  
لِلْمَعْجَزِ وَالضَّعْفِ وَالْقُصُورِ.

يَا بَيْدَبَا: هَلْ مِنْ الصُّوَابِ أَنْ تَرَى مَعْنَى، أَوْ تَتَوَقَّعَ خَيْرًا، مِمَّنْ يَجْلِسُ قَابِعًا فِي رُكْنٍ أَوْ زَاوِيَةٍ أَوْ قَارِعَةٍ طَرِيقِي، يُتَمَتِّمُ بِالذِّكْرِ، وَيَتَكَفَّفُ بِهِ لُقْمَةَ الْعَيْشِ؟ وَهَلْ مِنْ أَجْلِ هَذَا جَاءَ الذِّكْرُ؟ يَا بَيْدَبَا: مَا أَضَلَّ سَعْيَ الْعَاجِزِينَ الْخَامِلِينَ الْمُتَوَاكِلِينَ مِنْهَا اسْتَظْهَرُوا وَتَمَتَّمُوا: فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي أَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ، وَلَا يَحْضُرُهُمْ ذِكْرُهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ النَّافِعِ، فِي الْاجْتِهَادِ، وَالْجِهَادِ بِالْفِكْرِ وَالْعَمَلِ وَالنُّسْجِيرِ لِمَا فِيهِ نَفْعُ النَّاسِ وَصَلَاحُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِكُلِّ الْوَانِيَةِ، وَمِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْأَزْرَاقِ وَالزَّيْنَةِ وَالْمَنَافِعِ، وَتَسْخِيرِهَا وَإِنْفَاقِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؛ لِتُرْشِدَ الْحَيَاةَ، وَلِتُصَيِّرَهَا، وَتَسُدَّ الْحَاجَاتِ؛ تَجْسِيدَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّكَاوُلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ، فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَكُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ "خَالِصَةً لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِينَ فِي الْآخِرَةِ".

هَلْ هَذِهِ الشُّعُوبُ الْيَوْمَ بِتَخْلُفِهَا وَعَجْزِهَا وَضَعْفِهَا وَتَقْصِيرِهَا يَا بَيْدَبَا! تَدْرِكُ حَقًّا مَعْنَى تَأْوِيلِ الْوَحْيِ بِالذِّكْرِ، وَمَا أَوْجَبَهُ حَقًّا فِي الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ دَلِيلُ عَمَلٍ وَهُدَايَةٌ وَإِرْشَادٌ إِلَى رِسَالَةِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ، وَمُهَيِّمَةٌ وَجُودِهِ وَفِطْرَتِهِ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَجْيَالِ فِي الْأَرْضِ؟ هَلْ سَاءَ لَنَا أَنْفُسَنَا يَا بَيْدَبَا حَقًّا: لِمَاذَا نَضْبِعُ كُلَّ جُهُودِ إِحْيَاءِ هَذِهِ الشُّعُوبِ هَيَاةً وَهَدْرًا؟! هَلْ حَقًّا أَدْرَكْنَا كَيْفَ نَخَاطِبُهَا، وَعَنْ أَيِّ أُمُورٍ نَحَدِّثُهَا، وَإِلَى أَيِّ السَّبِيلِ وَالْإِنْتِجَازَاتِ نُوَجِّهُهَا وَنُرْشِدُهَا؟

إِنَّ مِهْمَةَ وُجُودِ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ يَا بَيْدَبَا - مِمَّا نَلْحَظُ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، وَمِمَّا أَخْبَرَنِيهِ  
 الذِّكْرُ - هِيَ الْبِنَاءُ الْخَيْرُ لِلْحَضَارَةِ وَالْعُمَرَانِ وَالْتَّمَسْخِيرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُتَغَيَّرُ  
 الْوَحِيدُ فِي وُجُودِ الْبَشَرِ عَلَى مَرِّ الْأَرْمَانِ، وَتَعَاقِبِ الْأَجْيَالِ، وَالَّذِي مِنْ أَجْلِهِ - كَمَا قَدُلُ  
 الْفِطْرَةَ وَالْعَقْلُ الْمُسْلِمُ وَأَيُّ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ - غَرَسَ اللَّهُ فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ حِرْصَهُ عَلَى  
 الْحَيَاةِ، وَحِرْصَهُ عَلَى الْعَقْلِ، وَحِرْصَهُ عَلَى الْإِنْتِجَابِ جَيْلًا بَعْدَ جَيْلٍ؛ يَمُوتُ جَيْلٌ وَتَنْتَبِهُ  
 حَيَاتُهُ، وَتَتَوَقَّفُ أَدَاؤُهُ؛ فَيَقُومُ جَيْلٌ جَدِيدٌ يُوَاصِلُ الْعَمَلَ وَالْإِبْدَاعَ، وَتُدْفَعُ بِعَمَلِهِ عَجَلَةُ  
 الْحَضَارَةِ وَالْإِعْمَارِ؛ حَتَّى يَتِمَّ مَشْرُوعُ إِعْمَارِ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الذِّكْرُ  
 الْحَكِيمُ، وَكَمَا نَشَاهِدُ فِي ذَوَاقِ الْفِطْرَةِ، وَمَسْتَسْتَمِرُّ ذَلِكَ حَتَّى يَكْتَمِلَ مَشْرُوعُ اسْتِخْلَافِ  
 الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ: "لِيَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا".

قُلْ لِي يَا بَيْدَبَا: كَيْفَ يُمَكِّنُ لِشُعُوبِ الْأَرْضِ، بِتَقَدُّمِ الْأَجْيَالِ وَتَعَاقِبِهَا، وَتَكَاثُرِ الْبَشَرِ عَلَى  
 وَجْهِ الْأَرْضِ، أَنْ يُوَاجِهُوا خَاجِبِيهِمْ، وَأَنْ يُدَبِّرُوا أَرْزَاقِيهِمْ، وَأَنْ يُعَلِّمُوا أَبْنَاءَهُمْ، وَأَنْ  
 يَحْمُوهُمْ مِنَ الْأَقَاتِ وَالْأَمْرَاضِ وَالنُّوَازِلِ، إِلَّا بِالْجِدِّ وَالْإِحْتِنَادِ، وَالْإِبْدَاعِ فِي الْبِنَاءِ وَالْتَّمَسْخِيرِ  
 وَالْعُمَرَانِ؟ وَتِلْكَ هِيَ الْحَضَارَةُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاسْتِخْدَامِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْبَحْثِ  
 وَمَعْرِفَةِ السُّنَنِ، وَطَلَبِ الْأَسْبَابِ، بِكُلِّ الْإِحْلَاصِ وَالْجِدِّ وَالْإِحْتِنَادِ.

أليس ذلك من ألزم لوازيم وُجود الإنسان على الأرض، وأوجب واجباته؛ لتوفير حاجاته، وترقيته حياته؛ شريطة أن يكون عملاً خيراً؟ أليست غاية الذكر والهداية هي الحُضُّ على هذا النوع من العقل، وحمل مسئوليته، وإتقان أدائه، تحقيقاً للذات ووفاءً بواجب الاستخلاف وحمل الأمانة على وجهها الصحيح في الإعمار والتسخير الخير، عملاً وإتقاناً وجهاداً وبنّاءً وعتاءً؟

أوليس هذا العقل، وما على شاكلته، إذا خلصت فيه النيّة وحسن القصد، وما يتبعه من قدرة وبنّاء وإتقان وإحسان، هو العقل الصالح، يا بنّينا، وصلاخه هو غاية الذكر والهداية؟

على هذه الشعوب وأصحاب الفكر والثقافة والعلم في الأرض يا بنّينا؛ أن يعيدوا التطرف في فهمهم لروايتهم الكونية، ولمعنى حياة الإنسان على الأرض وتغاقب الأجيال فيها؛ حتى يكتمل مشروع حضارة الإنسان، واستخلافه فيها؛ ليبرث الله بعد ذلك الأرض ومن عليها، وتصبح "خصيماً كأن لم تكن بالأمس"، وينتجى عالم الأرض والطين؛ ليرقى الوجود الإنساني إلى عالم السماء والروح، ولشوق كل نفس بما عملت؛ "إن خيراً فخير، وإن شراً فشر". "ولا يظلمون شيئاً".



يَا بَيْدَبَا! إِنَّ أَمْرَ خَلْقِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي مُجْمَلِهَا، وَفِي تَطَوُّرِهَا، وَدَوْرِهَا فِي إِعْقَارِ الْأَرْضِ، وَبِنَاءِ الْحَضَارَةِ، وَتَسْخِيرِ الْكَوْنِ لِخَاجَاتِ الْبَشَرِ، هِيَ عَلَى شَاكِلَةِ أَمْرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ الْفَرْدِ وَتَطَوُّرِهِ وَدَوْرِهِ فِي إِعْقَارِ الْأَرْضِ، وَبِنَاءِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَسْخِيرِ الْكَوْنِ لِخَاجَاتِهِ وَخَاجَاتِ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْبَشَرِ وَالْكَائِنَاتِ.

فَالْفَرْدُ وَاجِدُ الْإِنْسَانِ يَا بَيْدَبَا! وَهُوَ لَيْسَ إِلَّا صُورَةٌ مُصَغَّرَةٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ، لَيْسَتْ إِلَّا صُورَةٌ مُكَبَّرَةٌ مُمْتَدَّةٌ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، لِلْفَرْدِ، وَلَئِيَّ وَاجِدٍ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ.

فَكَمَا أَنَّ الْفَرْدَ يَا بَيْدَبَا! يُوَلَّدُ صَغِيرًا ضَعِيفًا جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، ثُمَّ هُوَ شَيْئًا فَشَيْئًا يَنْمُو وَيَنْقُوى وَيُدْرِكُ وَيَتَعَلَّمُ، عَلَى أَطْوَارٍ وَمَرَاجِلَ، إِلَى أَنْ يَشْتَدَّ عُوْدُهُ، وَيَكْتَمِلَ وَيَقْدِرَ، وَيُبْدِعُ وَيُتْلِجُ، وَيُغَطِّي أَفْضَلَ مَا عِنْدَهُ؛ لِيَنْتَهِيَ بَعْدَهَا وَيَمُوتَ، فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانِيَّةُ يَا بَيْدَبَا! بَدَأَتْ بِذُرَّةٍ بَدَائِيَّةٍ، إِلَّا مِنْ اسْتِعْدَادَاتِهَا، لَا تَكَادُ تَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، لِيَتَنَمَّوْا وَتَكْبُرَ وَتَعْلَمَ، عَلَى أَطْوَارٍ وَمَرَاجِلَ، وَيَتَنَمَّوْا بِنُمُوِّهَا الْإِعْمَارَ، وَيَتَنَمَّوْا بِنُمُوِّهَا الْحَضَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَيَتَنَمَّوْا مَعَهَا الْفُدْرَةَ وَالتَّسْخِيرَ، كَمَا وَكَيْفًا، وَمَا تَزَالُ الْإِنْسَانِيَّةُ - يَا بَيْدَبَا - تَنْمُو، وَتَنْمُو مَعَهَا الْحَضَارَةُ، وَيَشْتَدُّ سَاعِدُهَا وَقُدْرَتُهَا فِي الْعِلْمِ، وَفِي الْإِعْمَارِ وَالتَّسْخِيرِ.



وَسَيَسْتَمِرُّ ذَلِكَ يَا بَيْدَبَا، وَيَسْتَمِرُّ مَعَهُ نُمُوُ الْإِنْسَانِيَّةِ وَعِلْمُهَا وَخَضَارَتُهَا وَقُدْرَاتُهَا إِلَى أَنْ  
 تَكْتَمِلَ، وَتَبْلُغَ غَايَةَ وُجُودِهَا، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَا بَيْدَبَا؛ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَلْتَبَّيَ تِلْكَ الْخَضَارَةَ،  
 وَتَلْتَبَّيَ مَعَهَا الْإِنْسَانِيَّةَ، وَتَلْتَبَّيَ مَعَهَا عَالَمَ كَوْكَبِ الْأَرْضِ، مِثْلَهَا فِي ذَلِكَ مِثْلُ كُلِّ كَائِنٍ حَيٍّ  
 فِي نَامُوسِ هَذَا الْكَوْنِ، فَلَا بُدَّ لِكُلِّ كَائِنٍ مِنْ يَوْمٍ يَبْلُغُ فِيهِ ذُرْوَتَهُ وَعَايَتَهُ، وَتَلْتَبَّيَ فِيهِ أَجَلَهُ.  
 وَلِذَلِكَ يَا بَيْدَبَا؛ فَإِنَّ مِنَ الْمُهَيِّمِ لِلْفَرْدِ، وَكَذَلِكَ لِلشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ، وَلِمَسْعَاهُمْ فِي  
 الْأَرْضِ، وَلِمُشَارَكَتِهِمُ الْخَضَارِيَّةَ فِي إِعْمَارِ الْكَوْنِ، وَهُمْ يَخُوضُونَ عِمَارَ الْحَيَاةِ وَالْإِعْمَارِ،  
 النَّظَرَ إِلَى مَدْلُولِ هَذَا الْمَسْعَى، وَهَذِهِ الْمَشَارَكَةِ، وَإِلَى مَالِيهَا، أَهْوَاؤِ اسْتِخْلَافِ إِلَى الْخَيْرِ  
 وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْكَافِلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ، أَمْ تَمَلُطُ إِفْسَادَ يُؤَدِّي إِلَى الشَّرِّ وَالظُّلْمِ  
 وَالْقِسْوَةِ وَالْعُدْوَانِ.

يَا بَيْدَبَا؛ يَجِبُ عَلَى الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ أَنْ تَتَّعِظَ مِنْ حَيَاةِ مَنْ سَبَقَهَا، مِنْ الشُّعُوبِ  
 وَالْأُمَمِ، كَمَا تَتَّعِظُ مِنْ حَيَاةِ كُلِّ فَرْدٍ فِيهَا، وَمَا يَعْتَرِيهِ مِنْ خَالِ الْأَحْيَاءِ، وَمَدْلُولِ أَفْعَالِهِمْ،  
 وَمَا أَمْرِهِمْ، وَالْأَبَاؤُوهَا جَمِيعًا بِالْوَبَالِ وَالنَّدَامَةِ وَالْخُسْرَانِ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ يَا بَيْدَبَا؛  
 الشُّعُوبُ، وَالْأُمَمُ، وَالْأَفْرَادُ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

أَيْنَ تَضَعُ يَا بَيْدَبَا نَفْسَ الْمَتَاعِ؟ أَلَا تَضَعُهَا يَا بَيْدَبَا فِي الصَّدَازَةِ مِنَ الدَّارِ، وَفِي مَوْضِعِ

الإعزاز والتكريم؟ وأين تضع الرتبة والفضلات والوخم يا يندبا؟ ألا تضعها بزوايجها  
 المُنْتِنَة بعيداً عنك في حاويات الرتالات؟ هل من الممكن واللائق أن يكون غير ذلك يا  
 يندبا؟ أليس هذا - في مصير الإنسانية، وفي عالم النور والروح - تحصيل حاصل يا يندبا،  
 والذي لا يقهر العقل والعدل سواها؟ هذا هو لب الحال، ومعنى المقال، فالحسنى لمن  
 أحسن العمل في هذه الحياة الدنيا، وصنفت نفسه، وصنفاً مغدنه، والسوء لمن أساء.  
 من المهيم يا يندبا أن نجعل الأجنال تُدرك أن "استخلاف الإنسان في الأرض ليست  
 مقولة يلزم الذكر والوحي الثامن بها بالأمر والإملاء؛ بل هي تعبير ووصف لحقيقة طبع  
 خلقهم، ومفهوم استخلافهم، وهو تعبير عن واقع وجودهم في الأرض، كما أراة الله في  
 أصل خلق الإنسان وطبعه وفطرته.

ومفهوم "الأمانة" أيضاً يا يندبا ليس إلا الخيار والإرادة التي أودعها الله في فطرة  
 الإنسان؛ فهما يتنازعا بين الخير والشر، وبين النور والظلمة، وبين الروح والطين، وهو  
 الخيار بين قانون الغاب؛ حيث الحق للقوة، وقانون الروح؛ حيث الصوة للحق. وحمل  
 الإنسان للأمانة، وهي أمر عظيم؛ إنما تعني ممارسة حق الاختيار، وتصريف الإنسان  
 للحياة من حوله؛ بالخير أو بالشر.

"وَالْعَقْلُ وَالْعِلْمُ" يَا بَيْدِيَا لَيْسَ إِلَّا الْأَدَاةُ الَّتِي أَهَّلَ اللَّهُ بِهَا الْإِنْسَانَ، وَهَيَأَةُ بِهِمَا لِلْفِعْلِ وَالْعَمَلِ، وَالتَّصَرُّفِ وَالْبِنَاءِ؛ فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ الْخِيَارُ وَالْبِنَاءُ خِصَارَةً وَإِدَاعًا صَالِحًا؛ يُعِينُ عَلَى النَّفْعِ وَالْخَيْرِ وَإِقَامَةِ مُجْتَمَعِ الْعَدْلِ وَالتَّكَافُلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ خِصَارَةً وَإِدَاعًا قَاسِمًا قَاسِمًا يُمَكِّنُ لِمُجْتَمَعِ التَّفْسِيحِ وَالتَّظَالُمِ وَالْعُدْوَانِ؛ وَذَلِكَ هُوَ مِيزَانُ الْفَصْلِ فِي أَمَانَةِ الْإِسْتِخْلَافِ، وَمُمَارَسَةُ أَمَانَةِ التَّصَرُّفِ، وَمَعْنَى وَجُودِ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ، أَهْوَاؤُهَا فِي الْأَرْضِ أَمْ إِفْسَادُ فِيهَا؟ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

"وَالذِّكْرُ" بِهَذَا يَا بَيْدِيَا، وَبِكُلِّ أَشْكَالِهِ، نَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَاصِحًا فِي وَعْيِ الْإِنْسَانِ، وَفِي خِطَابِ الدُّعَاةِ، أَنَّهُ لَيْسَ قَهْرًا وَلَا فِسْرًا وَلَا إِلْغَاءَ لِخِيَارِ الْأَمَانَةِ؛ وَلَا إِلْغَاءَ لِلْعَقْلِ أَوْ صَرْفًا عَنِ الْعَمَلِ، وَلَكِنَّهُ تَذْكَيرٌ وَذَلِيلٌ إِلَى النُّورِ وَالْحَقِّ وَالْخَيْرِ، فَهُوَ مُوجِّهٌ لِلْعَمَلِ لِيَكُونَ صَالِحًا؛ بِمَا نَهَوَاهُ التُّفُوسُ، وَتَلْتَمِشُوقِي إِلَيْهِ، وَتُوفِّرُهَا حَاجَاتِهَا، وَهُوَ مُفْطَوِّرٌ فِي أَصْلِ جِبِلَّةِ الْإِنْسَانِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّكَافُلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ، وَهُوَ تَذْكَيرٌ بِالْإِصْلَاحِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ عَمَلِ الْإِنْسَانِ السُّوِّيِّ وَجُهْدِهِ، وَبِهِ يُحَقِّقُ الْإِنْسَانُ ذَاتَهُ، وَيُسَيِّدُ خَطَاةً.

مَعْنَى هَذَا يَا بَيْدِيَا؛ أَنَّ الذِّكْرَ لَيْسَ إِجْبَارًا لِلْإِنْسَانِ، وَلَيْسَ أَوْامِرٌ تُحْمِلُهُ مَا يُثْقِلُ كَاهِلَهُ، كَمَا هُوَ مَأْلُوفٌ فِي جُلِّ خِطَابِ الْوَعَاظِ فِي هَذَا الزَّمَانِ؛ بَلْ هُوَ ذِكْرٌ وَهِدَايَةٌ، وَتَسْيِيدٌ



وَتَرْشِيدٌ لِلخِيَارِ، وَالْفِكْرُ وَالْعَمَلُ؛ بِمَا يُحْيِي النَّاسَ، وَيَنْفَعُهُمْ، وَيُمَتِّعُهُمْ، وَيَصُونُ كَرَامَتَهُمْ،  
 وَيَسْتَجِيبُ لِطَطْرَتِهِمْ، وَيُحَقِّقُ ذَوَاتَهُمْ وَعَمِيقَ أَسْوَاقِ أَرْوَاحِهِمْ؛ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُسَوِّءَ الْقِيَمَ،  
 وَيُطَوِّعَ وَيُجْتَزَأَ؛ بِحَيْثُ يَغِيبُ وَعَنِ الشُّعُوبِ، وَيَقْعُدُ سَعْيَهُمْ، وَتُكَيِّثُ طَاقَةَ الْفِكْرِ وَالدَّرْسِ  
 وَالْبَحْثِ وَالْإِبْدَاعِ وَاللُّسْخِيرِ وَالْإِمْتِنَاعِ وَالْعُمُرَانَ فِي فِطْرَةِ خَلْقِهِمْ. إِنَّ مِنَ الْمَهَمِّ يَا بَيْدَبَا أَنْ  
 نَعْلَمَ أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ فِي فَهْمِ الذِّكْرِ هِيَ مُسْتَقَّةٌ مِنْ "مَصْدَرٍ" "التَّعْيِيدِ" لَا مِنْ "مَصْدَرٍ"  
 "الِاسْتِعْبَادِ"، وَهِيَ بِذَلِكَ بِمَعْنَى التَّنْذِيلِ لَا بِمَعْنَى الْمَنْدَلَةِ أَوْ الْمَهَانَةِ؛ فَتَعْيِيدُ الْعِبَادِ  
 أَنْفُسَهُمْ وَتَنْذِيلُهَا لِلْخَيْرِ وَالْحَقِّ، بِإِزَادَتِهِمْ الْحُرَّةَ، هِيَ مَصْدَرُ عِزَّةٍ وَتَكْرِيمٍ، لَا مَصْدَرُ مَذَلَّةٍ  
 وَمَهَانَةٍ وَاسْتِعْبَادٍ.

قَالَ بَيْدَبَا: صَدَقْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، وَمَا تَفَضَّلْتَ بِذِكْرِهِ لَنَا يُوضِّحُ السِّرَّ فِي أَرْوَاقِ  
 كَثِيرٍ مِنَ الشُّعُوبِ، وَالْمَثَبُ فِي تَخْلِفِهَا وَتَهْمِيصِ دَوْرِهَا الْخَضَارِيِّ، كَمَا يُوضِّحُ لَنَا لِمَاذَا  
 أَصْبَحَتْ شُعُوبًا مُتَخَلِّفَةً عَاجِزَةً مُسْتَهْلِكَةً، غَيْرَ مُبْدِعَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ هِيَ الْأُولَى بِالْقِيَادَةِ  
 وَالرِّيَادَةِ لَوْ عَرَفَتْ حَقِيقَةَ رُؤْيَيْهَا وَرِمَالَتِهَا، وَأَنَّ الْجِهَادَ بِالْعَمَلِ وَاللُّسْخِيرِ وَالْإِعْمَارِ الصَّالِحِ  
 هُوَ مَهْدَفُ الذِّكْرِ، وَمَعْنَى الْوُجُودِ وَالِاسْتِخْلَافِ الْمُصْلِحِ فِي الْأَرْضِ، فَذَلِكَ وَعَدُّ اللَّهِ، وَهُوَ  
 أَصْلُ الْفِطْرَةِ، وَغَايَةُ الْخَلْقِ، فَهَيِّبْنَا لِلْعِبَادِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ الْمُحْسِنِينَ الصُّنْعَ.

الْمُتَّقِينَ الْأَذَاءَ، الْمُجَاهِدِينَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْخَيْرِ النَّافِعِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلنَّاسِ وَالْخَلْقِ. إِنَّهُ  
يَا بَيْدَبَا جِهَادُ اسْتِخْلَافٍ وَإِعْمَارُ خَيْرٍ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ، وَالْبَحْثِ وَالدَّرْسِ بِمَا  
يَنْفَعُ النَّاسَ، وَيُتَمِّعُهُمْ وَيُوفِّرُهُمْ حَاجَاتِهِمْ، وَيُنَبِّسُ حَيَاتِهِمْ، وَيَدْفَعُهُمْ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَتَقْوِيمِ  
بَيْتِهِمْ مُجْتَمَعِ الْعَدْلِ وَالْوَفْرَةِ، وَمُجْتَمَعِ التَّكَاثُلِ وَالْتِرَاحِمِ، وَمُجْتَمَعِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ،  
وَيُخَمِّمُهُمْ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِمْ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَيْهِمْ.

عِنْدَ هَذَا الْخَبَرِ قَالَ بَيْدَبَا: يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ لَقَدْ خَطَرْتُ بِنَهْيِي خَاطِرَ مَهْمَةٍ، لَا أَقْبَلُ أَنْ  
أَسْكُتَ عَنْهُ، وَإِنِّي أَجِدُ مِنَ الضَّرُورِيِّ، أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ وَأَسْتَوْضِحَ رَأْيَكَ فِيهِ.  
قَالَ الشَّيْخُ: أَفَصِيحٌ عَمَّا بَدَأَ لَكَ يَا بَيْدَبَا فَإِنَّ الْأَمْرَ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا ذَكَرْتَ أَمْرًا مَهْمًا.  
قَالَ بَيْدَبَا: يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ: هَلْ مَعْنَى مَا قُلْتَ أَنْ كُلَّ جُهُودِ الْإِعْمَارِ وَالْحَضَارَةِ الَّتِي  
يُبْنِئُهَا الْإِنْسَانُ وَعَقْلُهُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، سَوْفَ تُصْبِغُ وَتَهْلِكُ، يَهْلِكُ الْأَرْضِ؟ فَمَا أَظُنُّ  
ذَلِكَ ذَلَالَةً مَا قُلْتَ، وَلَيْسَ هُوَ مَا إِلَيْهِ فَصَدَدْتُ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنَ بَطْوَيْطَةَ: صَدَقْتَ يَا بَيْدَبَا؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ مَعْنَى مَا قُلْتَ، وَلَيْسَ هُوَ مَا إِلَيْهِ  
فَصَدَدْتُ.

أَنْتَ تَعْلَمُ يَا بَيْدَبَا أَنَّ الْإِنْسَانَ، وَعَقْلَ الْإِنْسَانِ، مِنْ صُنْعِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ وَطَوَاقِيهَا

التي سخرها الله للإنسان هي من صنع الله أيضا، وأن مشروع حضارة الإنسان في  
المُحصلة هو من صنع الله وتدبيره، فكيف تظن، أو يخطر لك بالبال، أن هذا  
المشروع، وهذه الجهود، سوف تضيع هباءً وتذهب سدى.

يا بنيدينا: لن تضيع كل ما يتدله الإنسان من جهود الإبداع المُصلح الخيرهتاء، وإن  
من المهم أن تعلم ذلك أنت وأخوانك يا بنيدينا.

نعم من المهم، بل من أهم المهم، أن ندرك جميعا، بعد كل هذا وخصيلته، أن ما  
يبدعه العقل الإنساني الذي خلقه الله وأبدع صنعه، من الحضارة، ومن معاني الخير  
والإثقان والإبداع والتيسير والتسخير والإمتاع، لن تضيع هباءً ولا سدى، بل إنه سينتقل  
إلى عالم الروح والخلود، نعيها خالصا للعوالمين الأخيار: لينجدوا في عالم الخلود والروح  
كل ما فعلوا من الخير، وكل ما فعله الإنسان، من جهد الحضارة والإبداع والخير،  
"ولينجدوه عند الله حاضرا"، ينعمون به، خالصا مبرا من كل السوءات، ومن كل  
قدازات الجلبين.

يا بنيدينا: إن الحياة الدنيا ليست نهاية مشروع الحضارة والإبداع الإنساني على  
الأرض، ولكنها البداية التي ستمتد، ولا شك، إلى عالم النور والروح والخلود؛ ولذلك فإن

مَا يَبْدُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَمَلِ وَالْجُهْدِ وَالْإِنْتِقَانِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ لَذَّةٍ  
وَرِاحَةٍ وَيُسْرِفُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، بَلْ يَمْتَدُّ فِي عَالَمِ الرُّوحِ وَالْخُلُودِ، وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ أَوْ حَبَّةٍ  
خَرْدَلٍ، إِلَى آفَاقٍ أَبْعَدَ وَأَوْسَعَ مِنَ اللَّذَّةِ وَالْمُتَعَةِ وَالْيُسْرِ الرُّوحِيَّةِ.

يَا بَيْدَبَا: عَلَيْكَ أَنْتَ وَعَلَى إِخْوَانِكَ وَأَخَوَاتِكَ فِعْلُ كُلِّ مَا تُطِيقُونَ مِنْ جُهْدٍ؛ لِكَيْ يَعْجِ  
بَنُو الْإِنْسَانِ حَقِيقَةَ مَعْنَى وُجُودِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتِخْلَافِهِمْ فِيهَا، وَقِيَمَةَ مَا رَزَقُوا مِنْ  
نِعْمَةِ الْعَقْلِ، وَقُدْرَةِ الْإِبْدَاعِ وَالْتَعَرُّفِ، لِكَيْ تُحَقِّقَ جُهُودَهُمْ، وَابْتِدَاعَاتِهِمْ الْخَيْرَةَ غَايَتِهَا فِي  
نَفْسِهِمْ، وَفِي إِمْتَاعِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَوْفَ تَكُونُ نَعِيمًا مُقِيمًا خَالِصًا لِلْعَامِلِينَ  
الصَّالِحِينَ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ.

يَا بَيْدَبَا: عَلَى الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، أَنْ يَبْدُلَ غَايَةَ جُهْدِهِ فِي الْإِبْدَاعِ وَالْإِنْبَاءِ  
وَالْإِعْمَارِ وَالنَّسْجِيزِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ  
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ.

يَا بَيْدَبَا: إِنَّ انْتِهَاءَ عَالَمِ الْإِنْسَانِ وَحَضَارَتِهِ، بَعْدَ أَنْ يَكْتَمِلَ مَشْرُوعُهَا، لَا يَعْنِي الْمَوْتُ  
وَالْهَلَاكُ بِمَعْنَى الْعَدَمِ، وَلَكِنَّهُ "مِيرَاثٌ" يَا بَيْدَبَا؛ حَيْثُ "يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا" مِنْ  
عَالَمِ الْجَلِينِ وَالْقَنَاءِ، إِلَى عَالَمِ النُّورِ وَالرُّوحِ وَالْخُلُودِ، وَهَذَا "الْمِيرَاثُ" يَا بَيْدَبَا؛ "مِيرَاثٌ"

مخلوق "مكرم"، وهو ميراث عزيز نفيس.

يا نبيدبا؛ كم من المولم أن يضيع كثير من البشر حياتهم هباءً بالتقصير والتقاعدس  
واللغو والكسل في هذه الحياة، أو أنهم يضيعونها بالسعي في الأرض بالشر والموء  
والفساد، فيضيعون، ويضيعون اغتنام فرصة العمر، بتحقيق سعادة الدارين؛  
ليندموا بعد فوات الأوان، ولات ساعة مندم.

يا نبيدبا؛ البشر في هذه الحياة وإعمارها أشبه ما يكونون بما يُسعى "عمال التراجيل"؛  
حيث تأتي بهم مركبات الأمومة والحياة إلى الدنيا لينقوشوا بما سَجَرُوا مِنْ أَجَلِهِ، وفي نهاية  
اليوم وأجل الحياة، تأتي مركبة الأجل والموت ليعودوا إلى مُسْتَقَرِّهِمْ وَمَعْنَمِ تَقَارِيرِ  
أدائهم، "فإن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر".

ومعنى هذا يا نبيدبا؛ أن دور الإنسان في هذه الحياة، هو مزاوله الحياة وتحقيق الذات  
بإعدادها الفردية والجماعية، بالإفادة والإستمتاع بما خلق له واستخلف فيه من  
مقدراتها، وتنميتها وفقاً لهدى الروح ونوازع الفطرة السوية والضمير الإنساني السوي،  
لينال الإنسان بذلك مشاعر السعادة والرضا وزاخرة النال والضمير في هذه الحياة،  
والثقة والطمأنينة إلى حسن المال في الآخرة.

نَعَمْ! لَقَدْ أَحْمَسْتِ يَا بَيْدَبَا، بِسُؤَالِكَ الْخَصِيفِ، لَكِنِّي تَوَضَّيْحَ هَذَا الْمَعْنَى الدَّقِيقِ  
لِإِخْوَانِكَ وَأَخْوَاتِكَ مِنَ الْحَضُورِ، وَمَنْ سَيَأْتِي بَعْدَهُمْ، مِنَ الْأَجْيَالِ الصَّالِحَةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ.  
قَالَ بَيْدَبَا: نَعَمْ لَقَدْ أَوْضَحْتَ وَأَوْقَيْتِ أَتَيْهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، وَلَيْسَ بَعْدَ مَا قُلْتَهُ مِنْ  
حَاجَةٍ عِنْدِي إِلَى مَزِيدٍ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنْ مُسْتَقْبَلِ أَجْيَالِ الشُّعُوبِ الْمُسْلِمِيَّةِ الْخَيْرَةِ  
الْعَامِلَةِ وَالْمُبْدِعَةِ الْمُحْسِنَةِ مِنْ وَرَائِنَا خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ.

يَقُولُ الْحَكِيمُ بَيْدَبَا: يَهْتَمُّ وَأَنَا أَقْرَبُ إِتْنَاءِ سَرْدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَرِوَايَتَيْهَا، وَمَا سَمِعْتُهُ  
وَوَعَيْتُهُ مِنْ حَدِيثِ الشَّيْخِ الرَّخَالَةِ ابْنِ بَطْلُوطَةَ فِيهَا، أَنْ أَذْكَرَ مَنْ يَقْرُؤُهَا بِبَعْضِ أَهَمِّ مَا  
تَنَاوَلْتَنَا مِنْ الْقَضَايَا وَالرُّؤْيَى وَالْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ حَتَّى الْآنَ فِي سَابِقِ لِقَاءِ إِنَّا بِالشَّيْخِ الرَّخَالَةِ  
ابْنِ بَطْلُوطَةَ، وَهُوَ أَنْ يُدْرِكَ الْإِنْسَانَ أَنْ مَصْدَرِ الْفِعْلِ وَالْفِرَارِ الَّذِي يُحَدِّدُ حَقًّا مَكَانَةَ  
الْأُمَّةِ، وَمَكَانَةَ الْوَطَنِ، وَمَكَانَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى تَرَابِ وَطَنِهِ، وَهَلْ يَكُونُ عَزِيزًا أَوْ ذَلِيلًا؟ أَوْ  
سَيَكُونُ مُكْرَمًا مَسِيدًا أَوْ عَبْدًا مُهَانًا؟، وَقَادِرًا أَوْ عَاجِزًا؟، وَهَلْ سَيَكُونُ عَاجِلًا أَوْ عَامِلًا؟  
وَمُتَّقِفًا أَوْ جَاهِلًا؟ وَمُبْدِعًا أَوْ مُقَلِّدًا؟ الْأَمْرُ الَّذِي يُحَدِّدُ مَكَانَةَ كُلِّ هَؤُلَاءِ فِي عَالَمِ الْأُمَمِ  
وَالْحَضَارَاتِ؟ أَنْ هَذَا الْمَصْدَرِ الَّذِي يَقْرُرُ هَذَا الْقِرَارَ، هُوَ وَعِي كُلِّ أَبِي وَجَهْدُهُ، وَرِعَايَةُ كُلِّ  
أُمِّ وَرِعَايَتَيْهَا وَحَنَانَيْهَا، وَكَيْفَ يُرْتُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَأَيُّ نَوْعٍ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ يَكُونُونَ؟ وَكَمَا يَقُولُ

الْمَثَلُ الْحَكِيمُ "مَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ" وَ "كَمَا تَكُونُونَ يُؤَلَىٰ عَلَيْكُمْ"، وَ "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ".

يَقُولُ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَيْطَةَ فِي هَذَا الشَّانِ: يَا بَيْنَدِيَا: إِنَّهُ لَا يَكْفِي الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ وَرُؤْيَةَ الْعَقْلِ لِتَحْرِيكِ الْفِعْلِ فِي النَّفْسِ مَا لَمْ يُوَافِقِ الْعِلْمَ وَالْعَقْلُ طَبَعَ النَّفْسِ وَطَبِيعَةَ الْوَجْدَانِ، وَإِلَّا كَانَ الْعِلْمُ، وَكَانَتْ الْمَعْرِفَةُ، مُجَرَّدَ قَوْلٍ لَا يَتَّبِعُهُ فِعْلٌ، وَلَعَوًا لَا يَسَاوِي قِيَمَةَ الْمِدَادِ الَّذِي يُسَطِّرُهُ، فَتَرَى الْقَائِلَ يَعْلَمُ الصَّوَابَ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَعْلَمُ الْخَطَأَ وَيُبْصِرُ عَلَىٰ فِعْلِهِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ طَبَعَ النَّفْسِ وَالْوَجْدَانِ لَدَيْهِ لَمْ يُوَافِقِ مَطَالِبَ الْعَقْلِ وَالْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ.

مِنْ هُنَا يَا بَيْنَدِيَا: تَأْتِي أَهْمِيَّةُ التَّرْبِيَةِ وَبِنَاءِ الْوَجْدَانِ فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ وَالشُّعُوبِ؛ لِأَنَّهَا أَسَاسُ الْإِرَادَةِ وَالْفِعْلِ فِي كَيَانَ الْإِنْسَانِ، وَأَذَاةٌ تَفْعِيلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ فِي حَيَاتِهِ.

عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يَا بَيْنَدِيَا: أَنْ يَقْرَأُوا وَيَتَعَلَّمُوا وَيَتَدَبَّرُوا كَيْفَ يُرْتُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَأَنْ يَتَلَفَّهُوا فِي تَرْبِيَتِهِمْ مَا فَاتَ فِي تَرْبِيَةِ أَنْفُسِهِمْ، فَلَيْسَ هُنَاكَ فِي الْعَالَمِ مِنْ قُوَّةٍ تَأْتِي فِي تَكْوِينِ إِرَادَةِ الْأَطْفَالِ وَوَجْدَانِهِمْ، أَشَدَّ مِنْ قُوَّةِ تَأْتِيرِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَى أَطْفَالِهِمْ، وَالْآبَاءِ وَلَا شَكَّ دَوْرٌ فِي التَّعْلِيمِ أَيْضًا، وَلَكِنَّهُ فَقَطْ دَوْرٌ دَاعِمٌ لِلْمَدْرَسَةِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّدْرِيبِ، وَالْمَدْرَسَةُ يَا بَيْنَدِيَا هِيَ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّدْرِيبِ، وَدَوْرُهَا فِي التَّرْبِيَةِ وَتَكْوِينِ الْإِرَادَةِ وَالْوَجْدَانِ

وَهُوَ أَيْضًا مُجَرَّدُ دَوْرٍ دَاعِمٍ لِدَوْرِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ فِي هَذَا الْمَجَالِ الْخَطِيرِ فِي بِنَاءِ وَجْدَانِ  
الشَّخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَا يَكُونُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ بَدِيلًا عَنْهُ، إِلَّا إِذَا أَرَادَ الْآبَاءُ فِسَادَ  
تَرْبِيَةِ الْآبْنَاءِ، وَتَشْوِيَةَ وَجْدَانِهِمْ؛ بِتَرْكِهِمْ تَحْتَ تَأْثِيرِ كُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ مِنَ الْأَصْحَابِ  
وَالرِّفَاقِ، وَلِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُونَ وَيُشَاهِدُونَ مِنْ مُرَوِّجِي بَحَارَاتِ الرَّذَائِلِ، أَوْ لِأَصْحَابِ  
الْأَغْرَاضِ وَالْأَهْوَاءِ؛ الَّذِينَ لَا يَكُونُونَ فِي الْإِفْسَادِ وَالتَّعْبِقِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفَضَائِلَاتِ، أَوْلَكُلِّ  
مَنْ يَلْقَوْنَ مِنَ الْفَاسِدِينَ وَالْمُفْسِدِينَ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ الرِّفْقَاءِ فِي النُّوَادِي وَالطَّرِيقَاتِ.

يُضِيفُ الْحَكِيمُ بَدَلًا نَصِيحَةً أُخَيْرَةً لِمَنْ يَقْرَأُ مَا سَطَرَ قَلَمُهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَتِلْكَ  
النَّصِيحَةُ هِيَ أَلَّا يَغِيبَ عَنِ بَالِ الْقَارِي، وَعَنْ بَالِ كُلِّ مُوَاطِنٍ فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ، أَهْمِيَّةُ  
الْمُؤَسَّسَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الشَّعْبِيَّةِ السَّبَبِ الْمُنتَخِبَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ؛ الَّتِي أُعْطِيَتْ تِلْكَ الْجَزِيرَةُ  
وَذَلِكَ الْوَادِي مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ رِفَاهٍ وَأَمْنٍ وَسَلَامٍ، وَأَنْ يَبْقَى دَائِمًا فِي بُؤْرَةٍ وَعَيْبٍ وَاهْتِمَامِهِمْ  
الْحَرِصُ عَلَى أَنْ يُعْمَلُوا جُهْدَهُمْ لِبِنَاءِ مِثْلِ تِلْكَ الْمُؤَسَّسَاتِ فِي أُمَّهَاتِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، فَلَا يَكُونُ  
فَرْدٌ مِنْ دُونِ أُمَّةٍ وَجَمَاعَةٍ، وَلَا تَكُونُ أُمَّةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ مِنْ دُونِ فَرْدٍ وَمُوَاطِنٍ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ  
لَيْسَ تَجَاوُزًا أَنْ يَأْتِيَ خِطَابُ الْفَرْدِ جَمَاعَةً، وَخِطَابُ الْجَمَاعَةِ فَرْدًا، لِأَنَّهُ لَا فَرْدٌ مِنْ دُونِ  
جَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةٌ مِنْ دُونِ أَفْرَادٍ، بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَجُودًا وَكِيَانًا وَمَصْلَحَةً وَمَصِيرًا.



وَالَّذِينَ هَلِكُوا أَوْ أَصَابَهُمُ امْتِحَانٌ فَغَايَةً وَالْوُجُودِ، أَمَا هَذِهِ الْمُؤَسَّسَاتُ  
الْمُسْتَقْبَلَةُ السَّبْتُ فَرِي:

١- مُؤَسَّسَاتُ الدِّينِ وَالْقِيَمِ: الَّتِي تَبْنِي وَجَدَانَ الْأُمَّةِ، وَالَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَةِ ضَمِيرِ الْأُمَّةِ، وَالَّتِي  
تَنْشُرُ بِكُلِّ الْحَرِيَّةِ الدَّعْوَةَ إِلَى الْخَيْرِ، وَتُعَلِّمُ شَأْنَ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ، وَتَسْهَرُ عَلَى  
تَعْلِيمِهَا وَالِدَعْوَةَ إِلَيْهَا (١) دُونَ تَدْخُلِ أَوْ تَسَلُّطِ مِنْ قِبَلِ سُلْطَاتِ الْحُكْمِ فِي الدَّوْلَةِ.

٢- مُؤَسَّسَاتُ الْإِعْلَامِ الشَّعْبِيِّ: الَّتِي تُنْفِي الْوَعْيَ، وَتُصَدِّقُ الْخَيْرَ، وَتُرْسِدُ الْقَرَارَ.

٣- مُؤَسَّسَةُ مَجْلِسِ الشُّورَى وَالتَّشْرِيعِ: الَّتِي تُصَدِّرُ عَنِ اقْتِنَاعَاتِ الْأُمَّةِ وَمُوَاطِنِهَا  
الْقَوَائِمِ الَّتِي تُعْبَرُ عَنْ قِيَمِ الْأُمَّةِ وَمَبَادِيئِهَا وَمَقَاصِدِهَا، وَالَّتِي تُهْدِي مَسَارَ الْعَمَلِ، وَتُرْسِي  
مَقَايِدِيسَهُ وَضَمَوَائِطَهُ بِالتَّوَافُقِ مَعَ انْتِمَاءَاتِ الْمُوَاطِنِينَ كَافَّةً، وَمَعَ مُخْتَلَفِ مَصَالِحِهِمْ؛  
مِنْ مُنْطَلَقِ احْتِرَامِ إِنْسَانِيَّتِهِمْ وَخُصُوصِيَّاتِهِمْ؛ فَيَكُونُ مِنْهَا مَا يَنْفَعُ، وَيَكُونُ مِنْهَا مَا يَخْصُرُ،  
وَيَكُونُ مِنْهَا مَا يَدُومُ، وَيَكُونُ مِنْهَا مَا يَنْقُضِي لِجَلَالِ أَوْ أَجَلِ (٢).

٤- مُؤَسَّسَةُ التَّنْفِيذِ: الَّتِي تُحِطُّ الْعَمَلَ وَتُرْعَى الْمَصَالِحَ وَتَسْهَرُ عَلَى تَأْمِينِ السَّلَامِ  
وَالْأَمْنِ، وَتُدَلِّلُ الْعَقَبَاتِ، وَتُوَفِّرُ الْحَاجَاتِ.

٥- مُؤَسَّسَةُ هَيْئَةِ الْقَضَاءِ: الَّتِي تُقِيمُ دَوْلَةَ الْقَانُونِ، وَتُحَقِّقُ الْحُقُوقَ، وَتُرْسِي الْمُسَاوَاةَ.

وَتَحْبِي الْعَدَالَةَ.

(١) الملحق التوضيحي الأول

(٢) الملحق التوضيحي الثاني

٦- مَوْسِمَةُ مَجْلِسِ صِيَانَةِ الدَّمَشْقِ وَمِثْلَامَةُ آدَاءِ مَوْسِمَاتِ النِّظَامِ الإِجْتِمَاعِيِّ: الَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَةِ الخَارِصِ، وَالَّتِي تُرَاقِبُ آدَاءَ المَوْسِمَاتِ وَمَقْدَى التِّزَامِ بِمَهَامِهَا وَتَرَامِجِهَا؛ فَتُسَدِّدُ المِيسِرَةَ وَتَمْنَعُ التَّعْدِيَاتِ.

فَهَذِهِ المَوْسِمَاتُ هِيَ سُلْطَاتٌ وَمَوْسِمَاتٌ مُسْتَقِلَّةٌ يَنْتَجِبُهَا الشُّعْبُ مِنَ المَوْهَلِينَ البُقَاتِ، وَتَكُونُ مُتَعَاوِنَةً فِيهَا بَيْنَهَا، وَتُدْعَمُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَلَكِنْ لَا تَجْمَعُنَا يَدٌ وَاحِدَةٌ، بَلْ تَتَكَامَلُ فِي مَجْمُوعِهَا؛ لِتَلْبِي بِفَاعِلِيَّةِ خَاجَاتِ المُجْتَمَعِ، وَمَشَارَكَةِ، وَتُعْلِي الحَقَّ وَالْعَدْلَ وَالمُسَاوَاةَ وَالتَّكَاوُلَ فِي المُجْتَمَعِ، وَتَحْتَرِمُ التَّعَدُّ وَالمُخْصِصِيَّاتِ، وَتَمْنَعُ الإِسْتِبْدَادَ وَالتَّعْدِيَّاتِ، وَتُخَيِّجُ مِنَ الفُسَادِ وَالمُظَالِمِ، وَهِيَ أَمْرَاضٌ تُغَابِئُهَا لِالْأَسْفِ -عَلَى غَيْرِ مَا تَدْعِي- كَثِيرٌ مِنَ البِلَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ، فَلَا تُغَيِّرُ بِذَلِكَ إِلا تَقْمِنَهَا، وَلَا تُسَهِّلُ إِلا أَطْمَاعَ المُنْتَرِصِينَ بِهَا، يَقُولُ الشَّيْخُ: وَاعْلَمْ يَا بَيْدَبَا: أَنَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ فَسَادِ كَثِيرٍ مِنَ الشُّعُوبِ فِيهَا مَضَى عَلَى الرِّغْمِ مِنَ سُمُورِ عَقَائِدِهَا، وَتُبُلِّ مَقَاصِدِهَا، وَبِرِغْمِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا مِنْ ذِكْرِ وَدَلِيلِ هِدَايَةٍ- أَنَّ مَوَازِينَهَا القَبَلِيَّةَ وَالمَوْثِقِيَّةَ البِدَائِيَّةَ، وَالمِيزَانِ المَوْثِقِيَّةَ الشُّعُوبِيَّةَ الإِسْتِبْدَادِيَّةَ، لَمْ تُمْكِنْهَا مِنْ بِنَاءِ المَوْسِمَاتِ الَّتِي مِنْ دُونِهَا لَا يَسْتَقِرُّ بُنْيَانٌ، وَلَا يَبْقَى عَرْسٌ، وَلِذَلِكَ سَهَّلَ فِي بِلَادِهَا وَبَيْنَ شُعُوبِهَا الجِرَافَ الرُّؤْيِيَّةَ وَنَشْؤُهُ مَنَاجِحَ الفِكْرِ، وَأَنْتَهَى عُمُرَانَهَا وَخَضَارَتُهَا إِلَى الوَهْنِ وَالمُضْيَاعِ.

## البشر أعبى من البقر

يقول بيدينا: نعم من الواجب أن نعلم جميعاً، ونعلم كل من يقرأ هذه القصة، أن الشيخ الجليل ابن بطوطة، قد صدق في قوله ونصحه: من أنه لا بد من هذه المؤسسات السبب؛ لبناء مجتمع العدل والتكافل والسلام في أمة، ولا بد منها للقضاء على الظلم والفساد والعدوان والإستبداد، وغالبنا أن نحرص على ألا نكرر أخطاء العصور السالفة؛ بالتفصير في إثنان بناء مؤسسات الحكم، وإدارة المجتمع، وامتدائها على أساس الرؤية والفكر الصحيح للأمة؛ لأن من أهم ما يساعد على استقرار المجتمعات، الإهتمام ببناء المؤسسات، وإثنان هذا البناء وتطويره وصيانتها، وليس ذلك في علاقات المجتمع الداخلية فقط؛ بل في علاقاته الخارجية أيضاً.

نعم هناك -كما يقول الشيخ ابن بطوطة- مجتمعات وشعوب منطلقاتها الموروثة في مدوناتها المحفوظة، هي منطلقات روجيه أسفى وأزقى من سواها، ولكن لأنها تركبها حروفاً على وزق، ولم تبين المؤسسات الإجتماعية والسياسية، أو تطورها، لتكون قوة فاعلة منظمة لمسيرة المجتمع ومجسدة لتلك المنطلقات والغايات على أرض الواقع؛ لذلك لم تنفعها تلك المنطلقات والمفاهيم والموروثات -إلى حد كبير- في شيء، وهي في

ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ خَالِ الشُّعُوبِ الَّتِي اهْتَمَّتْ بِنِئَانِ الْمَوْسُئَاتِ الَّتِي تُفَعِّلُ الْمُنتَلَقَاتِ  
وَالْمَقَاهِيمِ، الَّتِي تُعْبِرُ عَنْ رُؤَايَاهَا وَتَطَوَّرُهَا، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ انْجِطَاطِ الْكَثِيرِ مِنْ مُنْطَلَقَاتِهَا  
الْمَادِّيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ فَبِئْسَ قَدْ تَمَكَّنْتَ بِذَلِكَ مِنْ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا، فِي الْقُوَّةِ وَالْقَاعِلِيَّةِ  
وَاسْتِقْرَارِ مُجْتَمَعَاتِهَا، فَحَقَّقْتَ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الرِّقَابَةِ وَالْإِنْضِبَاطِ، وَمُرَاعَاةِ إِرَادَةِ جُمْهُورِ  
شُعُوبِهَا، وَالْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ فِي إِدَارَةِ مُجْتَمَعَاتِهَا.

إِنَّ مَثَلِ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمَادِّيَّةِ بِسَبَبِ وَضُوحِ رُؤْيَتِهَا، وَعِلَاقَةِ ذَلِكَ بِقِيَمَتِهَا  
وَمَقَاهِيمِهَا وَمَبَادِيئِهَا، مَثَلٌ مِنْ لَدَيْهِ "سَيَّارَةٌ" كَامِلَةٌ الْعَدَّةُ خَيِّدَةُ الْبِنَاءِ، لَا تَتَخَلَّفُ فِي  
خِدْمَتِهِ وَخَفِلَ أَثْقَالِهِ، وَمَثَلُ الْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأُمَمِ الْمَشُوْهَةِ الرُّؤْيَةَ الْعَاجِزَةَ الْمَخْرُومَةَ،  
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نِزَاءِ نِزَائِهَا بِالْقِيَمِ وَالْمَقَاهِيمِ وَالْمُنْطَلَقَاتِ الْقِيَمَةِ السَّامِيَّةِ، مَثَلٌ مِنْ لَدَيْهِ  
"سَيَّارَةٌ" أَوْ عَرَبَةٌ خَيِّدَةُ النُّوعِ، وَلِكَيْهَا مُفَكِّكَةٌ إِلَى قِطْعٍ وَأَوْصَالٍ لَا يَجْمَعُهَا كَيْانٌ، وَلِذَلِكَ  
تُصْبِحُ قِيَمَتُهَا وَمَقَاهِيمُهَا وَمُنْطَلَقَاتُهَا وَمَبَادِيئُهَا مِثْلَ قِطْعِ تِلْكَ "السَّيَّارَةِ" أَوْ الْعَرَبَةِ، عَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ لَهَا فِي ذَاتِهَا قِيَمَةً ثَمِينَةً، وَهِيَ قِطْعٌ مُفَكِّكَةٌ عَلَى الرُّفُوفِ لَا نَفْعَ مِنْهَا، وَلَا  
اسْتِعْمَالَ لَهَا، فِي حَيَاةِ صِنَاجِبِهَا، وَسَتَبْقَى عَلَى تِلْكَ الْخَالِ مَا دَامَتْ قِطْعًا مَحْفُوظَةً عَلَى  
الرُّفُوفِ، لَا يُغَيَّرُ مِنْ ذَلِكَ تَعَلُّفُهَا، وَإِعْرَازُهَا لَهَا، لِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَعْمِلَهَا، وَلَنْ يُفِيدَ مِنْهَا، وَهِيَ



وَفِي الشَّخْرِ وَالشَّمْرِ وَالنَّمْرِ فَلَا جَمْعَ لَهَا كَلِمَةٌ. وَلَا تَرْتَبُ بَيْنَ أَهْلِهَا مَصْلَحَةٌ

على تلك الحال إلا إذا جمع بعضها إلى بعض، برؤية سليمة، وكيان كلي متكامل؛ تصبح القيم والمفاهيم والمبادئ والمنطلقات وسيلة فعالة مجسدة عاملة، لها فائدتها واستعمالاتها، في كيانها الكلي المتكامل.

يقول بيدبا: لقد رأيت بنفسي -وكما رأى الشيخ ابن بطوطة مثلي- عجباً، كيف أن الأمة التي تنطلق من مفهوم وحدة الإنسان، وتراحمه، وحقه في الحرية والخيال، تنتهي -بسبب تشوه رؤيتها، وعدم اهتمامها ببناء المؤسسات التي تجلي الرؤية وتفعل المنطلقات والمفاهيم، وتحويلها إلى أمر واقع، وقوة اجتماعية فاعلة- إلى أن تصبح، على غير حال مثيلايتها من الأمم الكبرى، أمة يضرب بها المثل، في الفقر والجهل والضعف والتخلف وضيق الحقوق وسوء الإدارة، وفي الاستبداد والفساد، وفي التناحر والتفرق والتمزق، فلا تجمعها كلمة، ولا تربط بين أبنائها مصلحة، ولا يؤلف بين قلوبهم رحم ولا دين.

يقول بيدبا: وعلى الصعيد الآخر، نجد أمماً أخرى من الكواكب؛ التي تنطلق من مفهوم الصراع والمصالح الذاتية، ومن مفهوم عنصرية القومية، وتمايز البشر، وبناء الهوية الإنسانية على الاختلاف والفروقات في الجنس واللون واللغة، تنجح، بسبب



وَضُوحَ رُؤْيَيْهَا الْمَادِّيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَبِنَاءِ مُؤَسَّسَاتِهَا، فِي تَوْجِيدِ شُعُوبِهَا، وَتَفْعِيلِ طَاقَاتِهَا،  
 وَفِي بِنَاءِ مُؤَسَّسَاتِ نُظْمِ عَالَمِيَّةٍ، يُسَمُّوْنَهَا تَارَةً "عُصْبَةً"، وَبِنَعْتِهَا تَارَةً "مُتَّجِدَةً"،  
 وَبِدَعْوَى أَنَّهَا مُنْتَظَمَاتٌ مُهْدَفٌ إِلَى إِسْئَاءِ السَّلَامِ الْعَالَمِيِّ، وَالْقَضَاءِ عَلَى الصِّرَاعَاتِ  
 وَالْمُظَالِمِ وَالْحُرُوبِ بَيْنَ الشُّعُوبِ؛ وَلِكَيْتَهَا فِي الْوَاقِعِ لَمْ تَقُمْ إِلَّا بِهَدَفِ الْمَكَاسِبِ وَالسَّيْطَرَةِ  
 وَالْهَيْمَنَةِ لِلْقُوَى الْكُبْرَى؛ وَلِذَلِكَ كَانَتِ الْحُرُوبُ وَالْمُظَالِمِ الدَّوْلِيَّةُ، الَّتِي هِيَ مِنْ صُنْعِ هَذِهِ  
 الدُّوَلِ، وَبِأَسْلِحَةٍ مِنْ اخْتِرَاعَاتِهَا، وَإِنْتِجَاجِ مَصْنَاعِيهَا، هِيَ الْيَوْمَ أَمْدٌ فَطَاعَةٌ، وَأَكْثَرُ فَتْكًا،  
 وَعَدْدًا، مِنْ أَيِّ عَصْرِ مَضَى؛ لِأَنَّ الْعَايَةَ الْحَقِيقِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْمُوَسَّسَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، الَّتِي  
 تُقِيمُهَا هَذِهِ الشُّعُوبُ وَالدُّوَلُ، إِنَّمَا هِيَ تَحْقِيقُ سِيَادَتِهَا وَتَسْلُطِهَا وَمَنِيْطَرَتِهَا الْكَوْنِيَّةِ،  
 وَحِمَايَةَ نَفْسِهَا وَدَوْلِهَا مِنَ الدُّخُولِ فِي حُرُوبٍ لَا تَقْصِدُهَا، وَلَا مَصْلِحَةَ لَهَا فِيهَا، فَهِيَ بِهَذِهِ  
 الْمُوَسَّسَاتِ الدَّوْلِيَّةِ تَكُونُ قَدْ حَقَّقَتْ غَايَاتِهَا وَمَصَالِحَهَا بِأَبْسَطِ التَّكَالِيفِ وَأَقْلَى  
 الْخَسَائِرِ، وَتَسْرَتْ تَحْقِيقَ مَكَاسِبِهَا وَهَيْمَنَتِهَا، وَلَمْ تُبْقِ بِلَاذِهَا حَطَبَ الْحُرُوبِ، وَلِكَيْتَهَا هِيَ  
 الْبِلَادُ الَّتِي تُشْعَلُ بَيْنَ فِرَائِسِهَا وَضَخَايَاهَا الصِّرَاعَاتِ وَالْحُرُوبِ؛ وَهَذَا مَا يُفَكِّتُهَا مِنْ دُونَ  
 كِبَرِ عَنَاءٍ، مِنْ تَهَبِ الْكَثِيرِ مِنْ نِزَوَاتِ هَذِهِ الشُّعُوبِ وَالدُّوَلِ الضَّعِيفَةِ الْمُنْتَظِعَةِ،  
 وَبِأَقْلَى التَّكَالِيفِ وَأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ.



لَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ كَمَا يَزُورِي بِنْدَبَا عَنِ الشَّيْخِ ابْنِ بَطْوُطَةَ أَنْ يَسُودَ مَفْهُومُ الْعَدْلِ  
وَالشُّورَى، وَمَفْهُومُ الْإِحَاءِ وَالسَّلَامِ، فِي الْعَالَمِ لَوْ أَنَّ الشُّعُوبَ -الَّتِي تُبَاهِي بِإِدْعَاءِ الْإِيمَانِ  
بِمُؤَزُونِهَا الثَّمِينِ مِنَ الْقِيمِ وَالغَايَاتِ- بَادَرَتْ فِي عُهُودِ أَزْدِهَا رَهَا وَقَدَرَتْهَا، إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى  
سَلَامَةِ رُؤْيَيْهَا وَوُضُوحِهَا، وَإِلَى إِقَامَةِ الْمُؤَسَّسَاتِ الَّتِي تَفْعَلُ تِلْكَ الرُّؤْيَا وَالْقِيمِ وَالغَايَاتِ،  
وَلَمْ تُبْقِهَا مُجَرَّدَ مَرْقِيٍّ مِنْ رُؤْيَا وَفِكْرٍ وَفَلَسْفَةٍ وَشِعَارَاتٍ مُفَكِّكَةٍ مُبَعَثَرَةٍ فِي طَيَّاتِ الْكُتُبِ  
وَخُطَبِ الْمَنَابِرِ.

يَقُولُ بِنْدَبَا: لَقَدْ كَانَتْ جَلِيسَةُ الشَّيْخِ ابْنِ بَطْوُطَةَ إِلَيْنَا، وَحَدِيثُهُ مَعَنَا؛ بِشَأْنِ الرُّؤْيَا  
الْكُونِيَّةِ لِلْأُمَّمِ، وَأَهْمِيَّةِ الْمُؤَسَّسَاتِ، وَأَهْمِيَّةِ التَّعَاوُنِ، وَأَهْمِيَّةِ عَمَلِ الْفَرِيقِ فِي تَحْرِيكِ  
طَاقَاتِ الْأُمَّمِ وَتَفْعِيلِهَا، مِنْ أَهَمِّ الْجَلِيسَاتِ، وَمِنْ أَهَمِّ أَحَادِيثِهِ إِلَيْنَا.

يَقُولُ بِنْدَبَا: لَقَدْ كَانَ يَوْمًا بَارِدًا مَاطِرًا، وَقَدْ أَكْرَمَنَا الشَّيْخُ جَزَاءَ اللَّهِ خَيْرًا -إِلَى جَانِبِ  
عَلَمِهِ وَتَصَبُّحِهِ، وَخَبِيَّةٍ وَحُسْنِ اسْتِقْبَالِهِ، وَلَطْفِ مَعَشَرِهِ وَبِشَاشَةِ وَجْهِهِ- كَالْمُعْتَادِ بِكَثِيرٍ  
مِنْ عَصَبِ الثَّمَرِ، وَكَثِيرٍ مِنَ اللَّبَنِ وَالسَّرَابِ السَّاحِنِ؛ الَّذِي بَعَثَ الدِّفْءَ فِي قُلُوبِنَا، إِنَّ  
قِحْطَةَ الشَّيْخِ كَانَتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَشَدَّ حَفَاوَةً بِنَا فَكَانَتْ تَمُرُّ فِي أَلْفَةٍ وَمَوَدَّةٍ بَيْنَ صُفُوفِنَا،  
كَرِيمَةٍ فِي تَمَسُّجِهَا بِفَرُوعِهَا النَّاعِمِ بِأَيْدِينَا، عَدَا جَفَوَاتِهَا وَنَظَرَاتِهَا الْحَادَّةِ نَحْوَ الْبَحَارِ

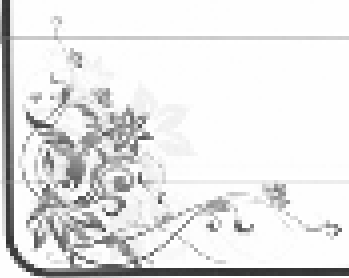




منسعود الذي أصبح ظلًا للشيخ لا يفارقه، والذي كانت قطعة الشيخ لا تألو جهنمًا في إظهار استيائها منه، فكانت تكثير عن أنيائها عند الإفتراب منه والنظر إليه، وكان رائحة منه تستثيرها، أو كأنها تغار منه لملازمته الشيخ في مجالسه وزوجاته وغدواته، على أي حال فإن ما لقبناه من كرم وخفاوة أزال ما أصاب نفوسنا من عناء وتعب فأقبلنا على الاستماع إلى الشيخ مجددًا بقلوب واعية، وأذان مصغية.

بدأ الشيخ ابن بطوطة حديثه قائلًا يا بندبا! إن بناء المؤسسات لتفعيل رؤى الأمم، وتحقيق مقاصدها، هو الضمان للفاعلية والاستقرار والاستمرارية عند الشعوب، وإذا وجدت دول وقبائل في أي دولة تستعصي على بناء المؤسسات، بالأسلوب الصحيح، فلنعلم أن ذواقعها ليست إلا المفسد والمطامع الشخصية، للاستثمار في نهاية المطاف بالسلطة والثروة والوصول إلى الاستبداد والفساد، وأن مال دولها وشعوبها إلى الضعف والتمزق والضياع.

إن مفهوم المؤسسات يا بندبا! في هذا الزمان، لم يبق أمر خيار؛ بل أصبح هو ذاته بنية أساسية في هذه المرحلة من مراحل الحضارة والعمران الإنساني، لا تجاح ولا تقدم لأية أمة أو شعب أو دولة من دولها.



لَمْ تَبْقِ الْإِنْسَانِيَّةُ يَا بِنْدِيَا؛ قَبَائِلَ وَجَمَاعَاتٍ مُنْقَصِلَةً مَعْرُوءَةً مُتَبَاعِدَةً، وَلَمْ تَبْقِ  
الْقُدْرَاتُ وَالْمَهَارَاتُ وَالْبُطُولَاتُ، قَضَايَا فَرْدِيَّةٌ وَعَنْتَرِيَّةٌ بَسِيطَةٌ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ  
أَنْظَمَتُنَا وَعُلُومُنَا وَمَعَارِفُنَا وَتَقْنِيَاتُنَا وَإِنْتَاجُنَا وَكَيَانَاتُنَا، أَصْبَحَتْ عَالَمًا مُتَّسِعًا  
مُتَشَابِكَ الْكَيَانَاتِ وَالْعَلَاقَاتِ وَالْمَصَالِحِ، وَأَصْبَحَتْ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ وَفِكْرَهُ وَإِنْتَاجَهُ  
وَعُمُرَانَهُ، وَالْمَرَحَلَةَ الَّتِي بَلَغَهَا الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ، مُرَكَّبَاتٍ وَتَفَاعُلَاتٍ مُعَقَّدَةً؛ لَا يَقْدِرُ  
عَلَيْهَا، وَلَا يَقُومُ بِتَبِعَاتِهَا الْعَامِلُونَ فَرَادِي؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَكَاتَفُوا، وَيَتَعَاوَنُوا عَلَى  
اِخْتِلَافِ مَهَامِهِمْ وَتَخْصُصَاتِهِمْ فِي فِرَقٍ عَمَلٍ وَمُؤَسَّسَاتٍ فِكْرٍ وَتَنْظِيمٍ وَإِدَارَةٍ وَإِنْتَاجٍ،  
مَهْمَا تَمَيَّزَ الْأَفْرَادُ فِي الْقُدْرَاتِ وَالْعَطَاءِ.

يَا بِنْدِيَا؛ هَذَا الْعَصْرُ إِلَى جَانِبِ مُؤَسَّسَاتِ الْحُكْمِ وَالْإِدَارَةِ، هُوَ عَصْرُ الْمُؤَسَّسَاتِ  
الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِنْتَاجِيَّةِ، فَلَمْ تَبْقِ التِّجَارَةُ دُكَّانَةً فِي خَارَةِ، وَلَا جِمْلٌ بَعِيرٌ فِي قَرْيَةٍ؛ بَلْ أَصْبَحَتْ  
مُؤَسَّسَاتٍ وَشَرِكَاتٍ كَبِيرَةً، لَا تَقْتَصِرُ فِي نُمُودِهَا عَلَى الْبَلَدِ الْوَاحِدِ، بَلْ أَخَذَتْ تَشَاطُؤَهَا  
تَغْبِرُ الْقَارَاتِ.

وَلَمْ يَبْقِ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ فِي زَحْمِهِمَا الْعِلْمِيُّ الْمُتَخَصِّصُ الْمُتَعَمِّقُ يَا بِنْدِيَا- مُجَرَّدَ  
تَأْمَلَاتِ أَفْرَادٍ بَيْنَ أَكْدَاسِ مِنَ الْكُتُبِ، فِي صَوَامِعِ الدُّسَالِكِ؛ بَلْ هِيَ مُؤَسَّسَاتٌ عِلْمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ.

وَمَعَامِلٌ يَحْتَبِ عَلَيَّ هَائِلَةٌ، يَتَخَصَّصُ فِيهَا أَلُوفُ الْعَامِلِينَ، وَيَلْمَعُ فِيهَا نُجُومُ الْعِبَاقِيرَةِ  
الْجَادِينَ الْمُبْدِعِينَ، فَهُمْ يَتَعَاوَنُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى بِنَاءِ تَرَكَيبِ هَائِلَةٍ، وَتَخَصُّصَاتِ  
مُعَقَّدَةٍ، مِنَ الْإِبْدَاعَاتِ، وَالْإِخْتِرَاعَاتِ، وَالآلَاتِ الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ، وَتَجُوبُ قَاعَ الْبِحَارِ،  
وَتَبْلُغُ عَنَانَ السَّمَاءِ.

وَأَنْتَ يَا بَيْدَبَا؛ تَعْلَمُ وَتَرَى، كَيْفَ أَصْبَحَتِ الْمُنتَجَاتُ، مِنَ الْإِبْدَاعِ وَالْتَعْقِيدِ، مَا  
مَكَّنَ مِنْ تَوْفِيرِ حَاجَاتِ الْمَلَائِكِينَ وَالْبَشَرِ؛ وَذَلِكَ بِتَيْمِيرِ نَوَامِيسِ الْخَلْقِ،  
وَقَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ، فِي تَحْوِيلِ الْمَوَارِدِ وَتَحْوِيرِهَا، وَفِي إِنتَاجِ الْآلَاتِ وَالطَّاقَاتِ  
الصِّنَاعِيَّةِ الْهَائِلَةِ، إِنَّ الْمَصْنَعِ الْوَاحِدَ مِنْ مَصَابِعِهَا، يَضُمُّ أَلُوفَ الْبَشَرِ، وَتَلْتَمِي إِلَى  
مُؤَسَّسَاتِهَا، الَّتِي تَمْتَدُّ مِثْلَ أَذْرُعِ الْأَخْطَبُوطِ، عَلَى مَدَى بِلَادِ الْعَالَمِ، مِمَّا تَأْتِي مِنَ  
الْعَامِلِينَ.

يَا بَيْدَبَا حَدِيرَ-أَنْتَ وَإِخْوَتُكَ- سَيَابِ الْأُمَمِ الْمُتَخَلِّفَةِ وَقُوَادِمِهَا، وَأَنْذِرْهُمْ، أَنْ يُدْرِكُوا  
طَبِيعَةَ الزَّمَانِ الَّذِي يَعِيشُونَهُ، وَالْمَرَحَلَةَ الْحَضَارِيَّةَ الَّتِي بَلَغَتْهَا إِنْسَانِيَّتُهُمْ، وَأَنْ  
يَدْخُلُوا بِكُلِّ قَوْمِهِمْ، عَصْرَ الْمُؤَسَّسَاتِ، وَالْإِبْدَاعَاتِ، وَالْوَحْدَةِ، وَالتَّعَاوُنِ، فِي كُلِّ  
مَجَالٍ مِنْ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ؛ حَيْثُ تَتَمَيَّزُ الشُّعُوبُ وَالْأُمَمُ وَالِدُّوَلُ، وَحَيْثُ يَتَمَيَّزُ الْأَفْرَادُ،

مِنْ خِلَالِ عَمَلِ الْفَرِيقِ، وَتَعَاوُنِ الْمَجْمُوعِ، وَتَكَافُلِهِمْ، هِيَ مَسْئُولِيَّةٌ عَقْدِيَّةٌ،  
إِنْسَانِيَّةٌ، عُمْرَانِيَّةٌ، حَضَارِيَّةٌ، وَذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ، لَكَيْ يُحْيُوا مَوَاتَ شُعُوبِهِمْ، وَيَبْعَثُوا  
الْحَيَاةَ، فِي قِيَمِهِمْ وَغَايَاتِهِمُ الشَّامِيَّةِ، الَّتِي وَرِثُوهَا عَنْ آبَائِهِمْ، وَالَّتِي هِيَ بَقِيَّةُ عَصُورِ  
النُّورِ وَالرُّوحِ، فِي ضَمِيرِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَنْبَعِ النُّورِ وَالْهِدَايَةِ وَالرُّشْدِ فِي مُسْتَقْبَلِهَا.

قَالَ بَيْدِيَا: قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، عَلَى هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ، وَعَلَى هَذِهِ  
الشُّعُوبِ، أَنْ يُدْرِكُوا أَهْمِيَّةَ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ، وَالْعَمَلِ الْمُؤَسَّسِيِّ، وَرُوحِ الْفَرِيقِ، فِي  
تَنْظِيمِ حَيَاتِهِمْ، وَأَنْ يُقْلِعُوا عَنْ بَسَاطَةِ الْفِكْرِ الْفَرْدِيِّ وَبِدَائِيَّتِهِ؛ الَّذِي يَقُومُ عَلَى  
أَخْلَامِ بَطُولَاتِ السَّادَةِ الشُّجْعَانِ الْمُحْتَطِطِينَ وَعَنْتَرِيَّاتِهِمْ لِإِنْقَادِ الْبُؤْسَاءِ وَالضُّعْفَاءِ  
وَالْمَحْرُومِينَ، فَالْحَالُ فِي هَذَا الرَّمَانِ غَيْرُ الْحَالِ، وَالْعَصْرُ غَيْرُ الْعَصْرِ، وَلَمْ يَبْقَ  
لِلْأَرْبَعِيَّةِ "الطَّائِنَةِ" وَلَا لِعَنْتَرِيَّاتِ الرُّمَحِ وَالسِّيفِ وَالخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهْدَاءِ مَوْضِعٌ؛  
فَقَدْ أَصْبَحَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَضَارَةُ، وَالْعُمْرَانُ الْبَشَرِيُّ، فِي عَالَمِ الْيَوْمِ، وَمَا سَيَأْتِي  
بَعْدَهُ، نِتَاجَ عِلْمٍ، وَمَعْرِفَةٍ، وَتَعَاوُنٍ، وَتَكَافُلٍ، وَمُؤَسَّسَاتٍ، وَنُظُمٍ؛ وَمِنْ دُونِهَا، لَا تَكُونُ  
قُدْرَةً، وَلَا عُمْرَانًا، وَلَا يَكُونُ بِنَاءٌ، وَلَا نُمُوءٌ، وَلَا إِنْتِاجٌ؛ وَمَنْ لَا يُجِدُ الْعِلْمَ، وَالنَّحْتَ،  
وَالدَّرْمَنَ، وَالْعَمَلَ، وَبِنَاءَ فِرْقِ الْعَمَلِ، وَمُؤَسَّسَاتِ الْإِدَارَةِ وَالْإِنْتِاجِ، وَيُرْتَبِي صِبْغَارَهُ عَلَى

نَشْرِبُ مَفَاهِيمَهَا، وَإِجَادَةَ أَدَانِيهَا؛ فَلْيَمْنِ لَهُ فِي عَالَمِ الْحَضَارَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْمَوْءَةِ،  
وَالْعِزَّةِ، مَجَالًا، وَلَا فِي سِبَاقِ الْأَمَمِ، فِي هَذَا الزَّمَانِ، مَكَانًا أَوْ مَوْضِعًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ابْنُ بَطْوَحَةَ: نَعَمْ يَا بَيْدِيَا؛ أَعْلِمِ الشَّبَابَ وَالصِّغَارَ وَالْكِبَارَ فِي  
كُلِّ الْبِلَادِ أَنَّ الْقُدْرَةَ وَالْعِزَّةَ وَالنُّجَاحَ إِنَّمَا تَكْمُنُ النَّوْمُ فِي تَنْمِيَةِ التَّعَاوُنِ، وَتَنْمِيَةِ رُوحِ  
الْقَرِيقِ، وَتَنْمِيَةِ بِنَاءِ الْمَوْسِسَاتِ، فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْفِكْرِ وَالْإِدَارَةِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ،  
وَالْعَقْلِ وَالْإِنْتِاجِ، وَأَعْلِمَهُمْ أَيْضًا أَنَّهُ لَا مَفْرِيَا بَيْدِيَا؛ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ كُلُّ الشَّبَابِ، وَكُلُّ  
الشُّعُوبِ، وَكُلُّ الْقَادَةِ، وَكُلُّ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ؛ أَنَّ رُوحَ الْقَرِيقِ، وَبِنَاءَ الْمَوْسِسَاتِ، هِيَ  
مَفَاتِيحُ الْقُدْرَةِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْحَضَارَةِ، وَالْعُمْرَانِ، فِي عَالَمِ الْيَوْمِ، وَعَالَمِ الْغَدِ.

إِنَّ أَبْطَالَ هَذَا الْعَصْرِ، وَمَا يَلِيهِ مِنْ عَصُورٍ كَثِيرَةٍ، لَيْسُوا يَا بَيْدِيَا أَصْحَابَ الْبَيْتَاتِ  
الْعَنْثَرِيَّةِ وَالنَّفَخَاتِ الْخَاتِمِيَّةِ، بَلْ هُمْ الْمُفَكِّرُونَ، وَالْعُلَمَاءُ، وَالْبَاحِثُونَ، وَالْعَامِلُونَ  
السَّاهِرُونَ فِي حَيْدٍ وَصَبْرٍ وَجَلْدٍ، بِالْعَقْلِ لَيْلَ نَهَارٍ، فِي الْمَعَامِلِ، وَالْمَصْنَعِ، وَالْمَنَاجِمِ،  
وَفِي الْجَامِعَاتِ، وَقَاعَاتِ الْبَحْثِ وَالذَّرْسِ، وَفِي أَعْقَابِ الْغَابَاتِ، وَفِي فَيَافِي الصَّحْرَاءِ،  
وَذُرَى الْجِبَالِ، وَفِي قِيَعَانِ الْبِحَارِ، وَعَنَانِ الْقَضَاءِ؛ يُقِيمُونَ صُرُوحَ الْقُدْرَةِ، وَالْمَعْرِفَةِ  
الْمُتَطَاوِلَةِ، طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ، إِلَى آفَاقٍ مُتَبَعَةٍ مُتْرَامِيَّةٍ مِنْ أَسْرَارِ تَسْخِيرِ الْكَوْنِ،  
وَنَوَامِيْسِ الْوُجُودِ وَطَاقَاتِهِ وَقُدْرَاتِهِ.

قَالَ بَيْدَبَا: هَلْ تَسْمَعُ لِي أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، وَقَدْ أَمْتَعْنَا "بِقِصَّةِ الدِّيكِ" وَ"قِصَّةِ الْعُصْفُورِ" مِنْ قَبْلُ، أَنْ أَمْتَعَكَ الْيَوْمَ بِقِصَّةِ وَجْهَةِ مِنْ حَيَاةِ الْخَيْوَانِ الَّتِي دَرَسْتَهَا، وَشَاهَدْتَهَا بِأَمِّ عَيْتِي، فَأَنْتَ تَعْلَمُ مَدَى حُبِّي وَشَغْفِي بِحَيَاةِ الْخَيْوَانِ، وَالذُّرُوسِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَفِيدَهَا الْإِنْسَانُ مِنْهُ، عِطْلَةٌ وَعَيْبَرَةٌ، وَهِيَ قِصَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِأَهْمِيَّةِ رُوحِ الْقَرِيقِ؛ الَّتِي يَبْهَمُ اسْتِطَاعَتِ الْكِلَابِ الْمُتَوَحِّشَةِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ ضَعْفِهَا وَضَالَّتِهَا، أَنْ تَأْكُلَ بَقْرَ الْوَحْشِيِّ بِرُغْمِ ضَخَامَتِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَقُرُونِهِ الْحَادَّةِ الطَّوِيلَةِ، الْمُشْهَرَّةِ كَالرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ الْمُنْطَلِقَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ وَقَدْ انْبَسَطَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ: مَرْحَبًا يَا بَيْدَبَا؛ كَلِّهِ وَكُلِّهِ الْخَاضِرِينَ أَذَانًا صَاغِيَةً لِمَا لَدَيْكَ مِنْ خَيْرَةٍ وَجْهَةٍ، وَلَا أَخْفِي عَلَيْكَ أَنَّهُ أَمْرٌ عَجِيبٌ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْكَلْبُ الْمُتَوَحِّشُ عَلَى ضَالَّتِهِ أَنْ يَأْكُلَ الْبَقْرَةَ الْوَحْشِيَّةَ؛ وَالَّتِي لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَسْتَطِيعَ أَيُّ كَلْبٍ الْوُقُوفَ أَمَامَهَا، وَإِلَّا كَانَ نَصِيبُهُ الْمَوْتُ الزُّوَامِ، مِنْ دُونِ أَنْ تَطْرَفَ عُيُونُ الْبَقْرَةِ الْوَحْشِيَّةِ الْجَمِيلَةِ طَرْفَةً وَاجِدَةً.

قَالَ بَيْدَبَا: صَدَقْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؛ فَلَا مَجَالَ لِمُقَارَنَةِ قُوَّةِ الْكِلَابِ، وَقُوَّةِ الْبَقْرِ الْوَحْشِيِّ، وَلَكِنَّ الدَّرْسَ وَالْعِطْلَةَ هُنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ هُوَ فِي قِيَمَةِ التَّعَاوُنِ وَالتَّأَثُّرِ

وَالْتَكَافُلِ وَعَمَلِ الْفَرِيقِ: الَّذِي أَشْرَتْ إِلَيْهِ فِي دَرْسِكَ الْحَكِيمِ، عَنِ الْمُؤَسَّمَاتِ، وَعَنِ  
التَّعَاوُنِ وَالْتِزَارِ وَالتَّكَافُلِ، وَعَنْ عَمَلِ الْفَرِيقِ، وَعَنِ الْمُؤَسَّمَاتِ فِي عَالَمِ الْيَوْمِ.  
قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُّوطة: لَقَدْ زِدْنَا شَوْقًا إِلَى مَا عِنْدَكَ؛ فَاسْمِعْنَا يَا بَيْدَبَا، وَازِدْ غَلَّةَ  
فَضُولِنَا.

قَالَ بَيْدَبَا: هَذِهِ الْقِصَّةُ، بَلْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ، أَمَّا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، كَانَ مَوْضِعَهَا شَرْقِ  
إِفْرِيقِيَا؛ حَيْثُ يَعِيشُ بَقَرُ الْوَحْشِ، فِي تَجْمَعِ هَائِلٍ، يَضُمُّ الْأَلُوفَ الْمُؤَلَّفَةَ مِنْ هَذَا  
الْحَيَوَانَ الضَّخْمِ الْقَوِيِّ الْجَمِيلِ، وَلَهُ رَحْلَةٌ سَنَوِيَّةٌ، لِعِدَّةِ آلَافٍ مِنَ الْأَمْهَالِ، يَقْطَعُهَا  
كُلَّ عَامٍ؛ يَتَّبِعُ فِيهَا مَوَارِدَ الْمِيَاهِ وَالْمَرَاعِي وَالْكَأْ.  
وَمَا يُهْمُّنِي أَنْ أَرَوِيهِ الْيَوْمَ مِنْ مُشَاهِدَاتِي لِهَذَا الْحَيَوَانَ، أَمْزَانِ مُدْهِشَانِ فِي أَصْلِ  
طَبْعِ هَذَا الْحَيَوَانَ وَخَلْقِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ: أَتَجَفَّنَا يَا بَيْدَبَا؛ فَمَا هُوَ هَذَا الطَّبْعُ؟  
قَالَ بَيْدَبَا: الطَّبْعُ الْأَوَّلُ؛ هُوَ أَنْ كَامِلَ الْوَفِّ الْقَطِيعِ تَلْدُ فِي أَسْبُوعٍ وَاحِدٍ؛ إِنَّهُ وَلَا  
شَكَّ أَمْرٌ عَجِيبٌ غَرِيبٌ، وَلَكِنَّ الْمُهَيْمَ أَنْ نَعْرِفَ الْجَكْمَةَ الرَّثَائِيَّةَ فِي ذَلِكَ.  
قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بَيْدَبَا لِمَادَا كُلُّ هَذِهِ الْأَلُوفِ فِي أَسْبُوعٍ وَاحِدٍ؟ إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ أَمْرٌ  
عَجِيبٌ غَرِيبٌ، فَمَا هِيَ الْجَكْمَةُ فِي ذَلِكَ؟

فَالْجَلِيلُ لَهْلِكَ نَسَلُهَا وَانْقَرَضَ.  
فَالشَّيْخُ: وَلَكِنْ كَيْفَ يَحْدُثُ ذَلِكَ يَا بَيْدَبَا؟ إِنَّ مَا تَقُولُهُ يَزِيدُ الْأَمْرَ عَجَبًا وَيَزِيدُنَا شَوْقًا لِسَمَاعِ مَا عِنْدَكَ.

فَالْبَيْدَبَا: هَذَا التَّجْمَعُ الْهَائِلُ وَالْقَطِيعُ الْعَظِيمُ، مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِيِّ، يَتَّبَعُهُ قُطْعَانٌ مِنَ الْكِلَابِ الْمُتَوَحِّشَةِ؛ الَّتِي تَأْكُلُ صِغَارَ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ وَمَوَالِيدَهَا، وَلَوْ أَنَّ الْبَقَرَ كَانَ يَلِدُ عَلَى قَتَرَاتٍ وَتَبَاعِدٍ فِي مَوْعِدِ الْوِلَادَةِ؛ لَقَضَبَتِ الْكِلَابُ الْوَحْشِيَّةُ، عَلَى كُلِّ مَا يُولَدُ مِنْ صِغَارِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ، أَوْلًا بِأَوَّلٍ، وَلَكِنْ لِأَنَّ الْقَطِيعَ يَلِدُ فِي أَسْبُوعٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ الْكِلَابَ الْمُتَوَحِّشَةَ سَوْفَ تَلْتَمِسُ جُزْءًا مِنَ الْمَوَالِيدِ الصِّغَارِ، فَإِذَا كَبِرَ الْبَاقُونَ فَإِنَّ الْكِلَابَ الْوَحْشِيَّةَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْهُمْ، أَوْ تَهَاجِمَهُمْ.

فَالشَّيْخُ الرَّخَالَةُ: إِنَّ مَا تَقُولُهُ يَا بَيْدَبَا عَجِيبٌ؛ وَلَكِنْ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ الْكِلَابُ الْمُتَوَحِّشَةُ، فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ صِغَارِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ، وَتَقْتَرِسَهَا وَأَيْنَ أُمَّهَاتِهَا، أَلَا تَأْبَهُ الْبَقَرَاتُ لِمَا يَجْرِي لِصِغَارِهَا وَمَوَالِيدِهَا، وَتَحْمِيهِمْ، وَهِيَ قَادِرَةٌ فَذَلِكَ فِي أَصْلِ فِطْرَةِ الْأُمُومَةِ؟ فَمَا تَقُولُهُ يَا بَيْدَبَا لَا يَكَادُ يُصَدِّقُهُ عَقْلٌ.



قال بيدينا: على رسلك أيها الشيخ الخليل، فما تقوله حق، فإن أمهات صغار بقري  
 الوحش، تأتيه بل تستميت في الدفاع عن صغارها، ولكن غباء بقري الوحش،  
 وحقاقتها، يرغم قوتها، فما السبب في قتل صغارها، كما أن ذكاء الكلاب الوحشية،  
 وتعاونها، وبناء روح القريب الذي حدثنا عنه، هو السبب في التغلب على بقري  
 الوحش، القوي الغبي، وقدزمتها عليه، وانتزاع الصغار من بين أذرع أمهاتها.  
 قال الشيخ: أسرع برك يا بيدينا، وأخبرنا، كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ فلا تكاد  
 نصدق ما تقوله أو نعقله.

قال بيدينا: اليس، أيها الشيخ الخليل، أن الكلاب الوحشية لا تقترب من البقرات  
 الأمهات فرادى، فلو أن أي كلب اقترب وحده من الأم لما استطاع أن يصل إلى  
 الصغير، وكان مصيره الهلاك على فروع البقرة الأم.

قال الشيخ: إذا كيف تقترب الكلاب من الأم ومن وليدها؟

قال بيدينا: تكون الكلاب الوحشية، التي تريد أن تأكل صغيراً من صغار بقري  
 الوحش، فريقاً من ثلاثة كلاب، يحيطون بالبقرة المغنية، ويصغبرها، ويتقدم واحد  
 منها نحو الصغير، فتتطلق الأم، بكل قوتها وعنفها، وتسد فروعها نحو، ويرتد



قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ كِلَابٍ يُحِيطُونَ بِالْبَقَرَةِ الْمَعْنِيَةِ وَيَضْفِيرُهَا

الكلب، والبقرة تتبعه، وتستمر في الجري خلفه حينذاك يتقدم كلب آخر نحو الصغير، فتترك الأم الكلب الذي كانت تطارده؛ لتهاجم الكلب الآخر الذي يهاجم صغيرها، والأم تتبعه، فيتقدم الكلب الثالث نحو الصغير، وتركض الأم من جديد خلف الكلب المهاجم لحماية صغيرها، ومهاجمته؛ ليتراجع وتهرب.

وهكذا يستمر الكرو والفرين الأم من جهة، وفريق الكلاب الثلاثة من جهة أخرى؛ إلى أن ينال التعب مناله من الأم؛ بحيث لا تستطيع جرياً ولا دفاعاً عن صغيرها؛ عندها ينقض فريق الكلاب المتوحشة، على الصغير، أمام عيني أمه، وتأخذونه فريسة لذيذة سهلة، والأم تنظر إلى صغيرها تجرهُ الكلاب وتفتريسه، وهي لا تستطيع لهم صدىً ولا رداً.

قال بئربا: هل أذركت يا سيدي كيف يتم الأمر؟ وكيف تغلب الكلاب المتوحشة، على الأبقار الوحشية؛ بزعم ما تتمتع به الأبقار الوحشية من إمكانات وقوة هائلة، وقرون حادة كالرمح أو السيف المشرعة؟

قال الشيخ الرحالة: ولكن أين الأبقار الأخرى؟ ولماذا لا يهبون لنجدة الأم ويتعاونون معها كما تفعل الكلاب؟ هل تنتفي الكلاب أمّا مغزولة عن القطيع يا

بَيْدِيَا؟ قَالَ بَيْدِيَا: لَا يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ؛ الْبَقْرُ يَسِيرُ قَطِيعًا وَاجِدًا، وَالْأُمُّ الَّتِي تُهَاجِمُنَا  
 الْكِلَابُ، وَتُهَاجِمُ صَغِيرَهَا، لَيْسَتْ فِي مَعْرَلٍ عَمَّنْ سِوَاهَا مِنَ الْأَبْقَارِ؛ بَلْ هِيَ عَلَى مَشْهَدِ  
 وَمَرَأَى مِنْهُمْ، يَنْظُرُونَ إِلَى الْمَعْرَكَةِ، بَيْنَ الْبَقْرَةِ الْأُمِّ وَصَغِيرِهَا مِنْ جِهَةٍ، وَقَرِيبِ الْكِلَابِ  
 الْمُتَوَحِّشَةِ مِنْ جِهَةٍ، بِأَعْيُنِهِمُ الْوَاسِعَةِ، الْمُبْتَخِلِقَةِ الْجَمِيلَةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَطَّرِفَ لِأَحَدٍ  
 مِنْهُمْ جَفْنًا، أَوْ يُحَرِّكُوا فِي عَوْنِهِمْ مَسَاكِينًا. يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ؛ لَوْ أَنَّ بَقْرَةً وَاجِدَةً أُخْرَى،  
 أَوْ ثَوْرًا وَاجِدًا آخَرَ، أَغَانَ الْأُمَّ الْمَكْرُوبَةَ، لَمَا أُمَكَّنَ لِلْكِلَابِ الْمُتَوَحِّشَةِ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنَ  
 الصَّغِيرِ، أَوْ أَنْ تَقْتَرِسَهُ إِبْلَاقًا.

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ يَا سَيِّدِي، وَهَذِهِ هِيَ الْعِبْرَةُ؛ فَإِنَّ الْأَبْقَارَ بَغْبَائِيهَا وَحَمَاقَتِهَا، لَا  
 تَتَعَاوَنُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُوَاجِهُ مَصِيرَهُ مُنْفَرِدًا، وَلَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْآخَرِينَ، إِلَى مَا يَجْرِي  
 لِأَيِّ أَحَدٍ آخَرَ، سِوَى نَفْسِهِ، إِلَى أَنْ يَجِيئَ حِينُهُ، وَيُصْبِحَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ هُوَ نَفْسُهُ  
 الْفَرِيسَةَ، وَحَيْثُمَا يَسْقُطُ فِي يَدِ أَعْدَائِهِ، لُقْمَةً سَهْلَةً سَائِغَةً؛ فَلَا يَجِدُ لَهُ بَدْوَرًا، مُعِينًا  
 وَلَا نَصِيرًا يَقِفُ إِلَى جَانِبِهِ فِي مِحْنَتِهِ وَشِدَّتِهِ، وَيَتَذَمُّ، حِينَ لَا يَنْقَعُ التُّذَمُّ.

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ، وَهَذِهِ هِيَ الْعِظَةُ وَالْعِبْرَةُ الَّتِي تَوْضِحُ كَيْفَ يَتَغَلَّبُ الْجَبَانُ  
 الضَّعِيفُ، كَالذِّئْبِ الْوَاحِدِ الْمُتْفَرِّدِ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ؛ لِكَوْنِهِ قَدْ عَرَفَ مَعْنَى

التَّعَاوُنِ، وَمَعْنَى رُوحِ الْقَرِيبِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَيْفَ يَخْسِرُ، الْقَوِيُّ الْقَادِرُ مِثْلُ الْبَقْرِ  
الْوَحْشِيِّ، بِرَغْمِ ضَخَامَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَهُرُوبِهِ الَّتِي قَدْ تَعَجَّزُ عَنْ نَفْعِهِ وَجَمَالَتِهِ أَمَامَ مَنْ  
هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْضَعُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى التَّعَاوُنِ، وَلَا مَعْنَى رُوحِ عَمَلِ  
الْقَرِيبِ، وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يُؤْخَلَفُ طَائِقَاتِهِ، وَيُفِيدُ مِنْ إِمْكَانَاتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَيْطَةَ: الْآنَ أَدْرِكُنَا مَعْرَى مَا ذَكَرْتَ يَا بَيْدَبَا، وَكَيْفَ تُصْبِحُ الْقُوَّةُ  
ضَعْفًا، وَالضَّعْفُ قُوَّةً، إِذَا عَرَفْنَا مَعْنَى التَّعَاوُنِ وَالتَّكَاوُلِ وَالتَّأَزْرِ، وَمَعْنَى  
الْمُؤَسَّسَاتِ، وَمَعْنَى رُوحِ عَمَلِ الْقَرِيبِ، وَعَرَفْنَا كَيْفَ نُؤْخَلَفُ طَائِقَاتِنَا وَنُفِيدُ مِنْ  
إِمْكَانَاتِنَا بِفِعْلِ الْمُؤَسَّسَةِ وَرُوحِ الْقَرِيبِ.

قَالَ بَيْدَبَا: أَنَا أَفْهَمُ أَتَمًّا الشَّيْخَ، أَنْ يَقَعَ فِي هَذَا الْعَبَاءِ، وَفِي هَذِهِ الْحَقَاقَةِ، حَيَوَانُ  
الْبَقْرِ، وَلَكِنْ لَا أَفْهَمُ، وَلَا أَدْرِكُ، كَيْفَ يَقَعُ فِي ذَاتِ التَّصَرُّفَاتِ الْعَبِيَّةِ الْحَمَقَاءِ  
شُعُوبُ بَعْضِ الْأُمَمِ، مِنْ بَنِي النَّسْرِ، فَتَنْفَرِقُ وَتَتَنَازَعُ، بَلْ تَسْتَعِيدُ أَعْدَاءَهَا عَلَى  
أَنْفُسِهَا؛ لِيَقَعَ الْوَاحِدُ تَلْوِ الْأَخْرِ فِرَازِي قَرِيسَةً لِأَعْدَائِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ يَطْلُونَ جِيلاً بَعْدَ  
جِيلٍ، وَقَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ، عَلَى خَالِيهِمْ، مِنَ الْعَفْلَةِ وَالْبِلَادَةِ وَالْعَبَاءِ، يَلْقَى جَمِيعَهُمْ  
وَاحِدًا تَلْوِ الْأَخْرِ، بِغَبَائِهِمْ وَحَمَاقَتِهِمْ، ذَاتِ التَّصِيرِ مِنَ الْعَسْفِ وَالذَّلِّ وَالْمَهَانَةِ  
وَالذَّمَارِ.

قال الشيخ ابن بطوطة نعم يا بيدبا! الفماد، والطمع، والمصالح العاجلة،  
الخاصة، والتسلط الناجم عن تشوه الرؤية، وعن تشوه منهج الفكر، وعن سوء  
التربية، يعني الأبخار والأفئدة، ونجعل البشر أغبي من البقر، وصدقت يا بيدبا يوم  
قلت في كتابك الشهير "كيلة ودمنة" عبارتك التي ذهبت مضرب الأمثال: "أكلت يوم  
أكل النور الأبيض".

نعم يا بيدبا، إنه إذا لم تعي الجماعة أفرادها وتكفلهم، فلن يعطي الفرد ولن  
ينذل، كما أنه إذا الفرد لم يعط ولم ينذل، فلن تعين الجماعة أفرادها، ولن تكفل  
أي واحد منهم، فالفرد بالجماعة، والجماعة بالفرد، وبغير ذلك، فإنه لا قوة ولا  
منعة، ولا وفرة ولا نماء، ولا عزة ولا كرامة.

مثل هذه الجماعات والأمم يا بيدبا، إنما هم كالأنهار، بل هم أغبي وأضل.  
عند هذا الحد أدار الشيخ ابن بطوطة نظره فيمن حوله، وكلمهم أذان صاغية،  
برغم طول الجلوس، وما نالهم من التعب، وقال يخاطبهم: كفاتنا ما أدزنا اليوم من  
الحديث، لنستكمل ما بقي منه في جلسة الغد، بإذن الله، ومن ذلك أمران أود أن  
أحدثكم بشأنهما قبل أن أرحل من دياركم، ما لم يعن لكم أمر أو أمور أخرى مهمكم  
تجلبتها قبل الفراق، وقبل أن يطلع الشراع إلى أرض الأهل والأحباب.

وَقَبِيهَا كَانَ الْمُرِيدُونَ يُنْصَرِفُونَ مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ اسْتَبْقَى الشَّيْخُ بَيْدَبَا إِلَى جَانِبِهِ، فَقَالَ بَيْدَبَا: خَيْرًا أَمَّا الشَّيْخُ؟ إِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ شَيْئًا مِنَ الْقَلْبِ، لَعَلَّ زَائِرَ الشُّؤْمِ يَزْعُمُ الْعُيُونَ مَرْمُجِدًا بِدَارِكَ بِالْأَمْسِ أَيْضًا؟

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بَيْدَبَا، وَمَا يُخَيِّرُنِي وَيُقَلِّبُنِي أَنِّي لَا أَدْرِي كَيْفَ يَلِجُ هَذَا الزَّائِرُ الدَّارَ مِنْ دُونِ أَنْ تَرَاهُ الْعُيُونَ، كَمَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْلَمَ سَبَبًا لِمَا يَفْعَلُ هَذَا الزَّائِرُ وَلَا أَجِدُ خَلًّا لِلْعَزِيزِ تَارَاتِهِ وَتَحْتِهِ الدَّائِبِ فِي الدَّارِ كُلَّمَا قَارَفْتُمَا وَمَعِيَ مُرَاقِبِي! وَكَأَنَّهُ يَتَرَصَّدُ حَرَكَاتِي وَمَسْكَتَاتِي، وَيَعْرِفُ عَادَاتِي وَمَخَارِجَ ذَارِي وَمَدَاخِلَهَا!

قَالَ بَيْدَبَا: أَرْجُو أَنْ تُجِيبُنِي عَلِيمًا كُلَّمَا عَزَمْتَ فِي الْأَيَّامِ الْقَادِمَةِ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الدَّارِ أَعَزَّزَ الْجِرَاسَةَ وَالْمُرَاقِبَةَ وَالرَّصْدَ لِكُلِّ مَنْ يَأْتِي إِلَى الدَّارِ كَابِتًا مَنْ كَانَ، نَضَعُ أَيْدِينَا عَلَى هَذَا الشَّيْطَانِ الْمُخَيِّرِ مُتَلَبِّسًا بِجَرِيمَتِهِ، وَنَأْمَنُ أَلَّا يُصِيبَكَ أَيُّ أَدَى يَأْذِي اللَّهَ.

انْصَرَفَ بَعْدَهَا بَيْدَبَا لِيُوعِزَّ إِلَى مَسْئُولِ الْأَمْنِ فِي الْحَيِّ أَنْ يُعَزِّزَ الْجِرَاسَةَ غَيْرَ الْمَرْتَبَةِ فِي مَجِيطِ دَارِ الشَّيْخِ، وَأَنْ يَرَصُدَ كُلَّ مَنْ يَحُومُ حَوْلَهَا، أَوْ يُؤْمِنُهَا، مَهْمَا كَانَ، وَمَنْ كَانَ.

## الْخُرُوفُ الْأَحْمَقُ يَطْلُبُ الْعُشْبَ مِنْ يَدِ الْجَزَارِ

وفي اليوم التالي بكر الحكيم يندبا وإخوته في الصبح بالذهاب إلى نزل الشيخ الرخالة، واصطفوا حوله، للاستماع إليه، وبادره يندبا بالسؤال قائلا: لقد وعدتنا أمها الشيخ الجليل يوم أمس، بالحديث عن أمرين، فما هما هذان الأمران أمها الشيخ الجليل؟

قال الشيخ ابن بطوطة: على الرُحْبِ وَالسَّعَةِ، وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونُ خِتَامَ حَدِيثِي إِلَيْكُمْ وَأَنْسِي بَكُمْ.

أما الأمر الأول أمها الحكيم يندبا؛ فهو توضيح يعين على فهم معنى الرؤية الكونية الكلية، ومعنى الوجود الإنساني وحياة الإنسان على الأرض؛ لأن وضوح الرؤية الكلية من أخطر ما تواجهه الأمم، وتجب توضيحها بكل السبل، ومفتاح الأمرنا يندبا؛ معرفة أن الأمم والثقافات والحضارات على نوعين يجب أن نعلمهما، وأن نفرق بينهما؛ لننجو ونفلح، ونحقق الغاية من حياتنا بنجاح، في هذه الحياة الدنيا. النوع الأول من الحضارات والثقافات، هو نوع كلي روحي نوراني، وهو الذي ينظر إلى وجوده بنظرة كلية، من مبتدئه إلى مآله، وبذلك يدرك أن لوجوده معنى وغاية.



تَجْعَلُ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ وَجُودًا بِنَاءً إِعْقَابًا خَيْرًا، يَلْتَرِمُ الْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ وَالتَّكَاْفُلَ  
وَالسَّلَامَ، وَيَتَأَيَّ عَنِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَالنُّوعُ الثَّانِي مِنَ الْحَضَارَاتِ وَالثَّقَافَاتِ، هُوَ زُؤِنَةٌ وَجُودٌ مَا دِي طَبِئِي حَيَوَانِي،  
بَاهِبِ الضُّمِيرِ، مُشَوِّهِ الْإِرَادَةِ، لَا يُؤْمِنُ، وَلَا يَدْرِكُ، وَلَا يَسْتَجِيبُ إِلَّا لِحِسِّهِ وَتَرْوَاتِهِ  
وَشَهَوَاتِهِ، وَلَا يَعْرِفُ، عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ، لِوُجُودِهِ وَحَيَاتِهِ غَايَةً وَلَا مَعْنَى إِلَّا الشَّهَوَاتِ  
وَالْمَتَعَ الْحَسِيَّةِ، وَهُوَ نَوْعٌ كَالْكَوَاسِرِ لَا يَعْرِفُ - يَعِيدًا عَنْ زَيْفِ الْقَوْلِ - إِلَّا قَانُونَ الْعَابِ  
وَالغَلْبَةِ وَالْعُدْوَانِ وَالِافْتِرَاسِ وَالظُّلْمِ؛ ذَلِكَ الْقَانُونَ الَّذِي يَدْعُوهُ "سِيَاسَاتِ الْقُوَّة"  
وَ"سِيَاسَاتِ الْأَمْرِ الْوَاقِعِ" وَ"الْمَصَالِحِ الْقَوْمِيَّةِ".

هَذَا الثَّقَائِلُ، هُوَ الَّذِي يُمَثِّلُ ثُنَائِيَّةَ الرُّوحِ وَالطَّيْنِ فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ وَالْأُمَّمِ  
وَالْحَضَارَاتِ، وَهُوَ الَّذِي يُمَثِّلُ ثُنَائِيَّةَ الْخَيْرِ وَالسَّرِّ، وَثُنَائِيَّةَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَثُنَائِيَّةَ  
الْعَدْلِ وَالظُّلْمِ، وَالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَهُوَ فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ يُمَثِّلُ ثُنَائِيَّةَ قَانُونِ النُّورِ  
وَالرُّوحِ؛ فِي أَنَّ "الْقُوَّةَ لِلْحَقِّ"، وَقَانُونَ الطَّيْنِ وَالْعَابِ؛ فِي أَنَّ "الْحَقَّ لِلْقُوَّةِ".

وَقَانُونَ الْعَابِ فِي أَنَّ "الْحَقَّ لِلْقُوَّةِ" فِي الْمُجْتَمَعَاتِ وَبَيْنَ الْأُمَّمِ، يَتَمَثَّلُ فِي هَذَا  
العَصْرِ أَيْهَا الْحَكِيمِ بِيَهْدِيَا، فِي العُنْصُرِيَّاتِ وَالْعِرْقِيَّاتِ، وَفِي سِيَاسَاتِ الْقُوَّةِ،

وَالْمُتَلَطِّ، وَالْهَيْمَنَةَ، وَالْعُدْوَانَ عَلَى الشُّعُوبِ، وَفِي حَشَعِ الْإِسْتِغْلَالِ وَظُلْمِ  
الْإِسْتِعْمَارِ، وَفِي الْكَيْلِ بِمِكَئَالَيْنِ، وَفِي التَّفْسِيحِ وَالْإِنْجِلَالِ، وَضِيَاعِ الْأَخْلَاقِ، لَدَى كَثِيرٍ  
مِنَ الشُّعُوبِ.

لِهَذَا فَإِنَّ عَلَى أَيْتَاءِ كُلِّ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ يَا بَيْدَبَا: أَنْ يَعْلَمُوا وَيَتَفَقَّهُوا، قَبْلَ فَوَاتِ  
الْأَوَانِ، وَيُلَوِّحَ مَرَحَلَةَ إِذْقَانِ السُّلُوكِ الْخَاطِي، وَالْمُمَازَنَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ الْمُنْخَطَّةِ؛ إِلَى  
أَيِّ الرُّؤْيَيْنِ، وَإِلَى أَيِّ الْقَانُونَيْنِ، هُمْ يَنْتَسِبُونَ؟ وَإِلَى أَيِّ الطَّرِيقَيْنِ هُمْ يَقْصِدُونَ؟ وَفِي  
ضَمْوٍ ذَلِكَ تَكُونُ وَجْهَتُهُمْ، وَتَكُونُ جُهُودُهُمْ، وَتَكُونُ لِقَاؤُهُمْ وَتَفَاعُلُهُمْ وَتَنَافُسُهُمْ  
وَتَدَافُعُهُمْ سَلَامِيَّ الْغَايَةِ أَوْ عُدْوَانِيَّ الْغَايَةِ.

يَا بَيْدَبَا: مَنْ عَلِمَ مَقْصِدَهُ وَتَيَقَّنَ، وَعَلِمَ وَجْهَتَهُ، وَاتَّضَحَّتْ رُؤْيَتُهُ، جَدَّ فِي عَمَلِهِ  
وَطَلَبَ بُغْيَتِهِ وَإِذْرَاكَ مَقْصِدِهِ، وَمَنْ غَامَتِ رُؤْيَتُهُ، وَجَهَلَتْ غَايَتَهُ، وَمَا عَلِمَ إِلَى أَيِّ فَرِيقٍ  
يَنْتَبِي، وَإِلَى أَيِّ وَجْهَةٍ يَنْجُو، وَعَلَى أَيِّ طَرِيقٍ يَسِيرُ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَقِفُ، تَجَدُّ قَدْ  
فَنَرَتْ هِمَّتُهُ، وَضَعُفَتْ عَزِيمَتُهُ، وَانْقَطَعَ طَلَبُهُ، وَتَهَدَّمَ عُمْرَانُهُ؛ لِيُصْبِحَ مُهْمَشًا،  
يَحْتَلِطُ فِي رُؤْيَتِهِ الْخَابِلُ بِالنَّابِلِ، "فَلَا هُوَ فِي الْعِيرِ وَلَا هُوَ فِي التَّغِيرِ". لِذَلِكَ يَا بَيْدَبَا:  
تَجَدُّ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَمِ، قَدْ تَرَاجَعَتْ مَكَانَتُهَا، وَتَهَدَّمَ بِنَاؤُهَا، وَخَفَلَتْ هِمَّتُهَا، حِينَ

غَبَشْتُ رُؤْيُهَا؛ فَعَمِيَتْ بَصِيرَتُهَا، وَتَشَوَّاهَا مَنَاجِيهَا، وَعَانَتْ السُّعُودَةَ وَالْحُرَافَةَ فِي عَقْلِيَّتِهَا، وَالْبِلَادَةَ وَالرَّهْبَةَ وَالْجَهَنَّ فِي وَجْدَانِهَا، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيَّ وَجْهَ الْحَقِيقَةِ لِحَيَاتِهَا مَعْنَى، وَلَا لِوُجُودِهَا غَايَةَ، فَتَبَدَّدَتْ هِمَمُ آيَاتِهَا، وَجَفَّ نَبْعُ عَطَائِهِمْ، وَفَسَدَ نِظَامُهُمْ، وَتَهَدَّمَتْ عُمَرَاتُهُمْ، وَأَصْبَحُوا قَرِيسَةً لِلطَّامِعِينَ.

لِذَلِكَ فَإِنَّ أَوَّلَ أَمْرٍ يَجِبُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِكْرِ وَالرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ وَالْإِصْلَاحِ فِي الْأُمَّةِ يَا بَيْدَنَا هُوَ أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى وَضُوحِ رُؤْيَا أُمَمِهِمْ؛ وَمَعْنَى هَذَا الْوُجُودِ وَغَايَتِهِ لِيَأْخُذَ النَّاسُ حَيَاتَهُمْ مَا خَذَ الْجَدِّ، وَيَجِدُوا فِي الطَّلَبِ، وَيُحَقِّقُوا ذَوَاتَهُمْ وَيُبَدِّعُوا فِي عُمَرَانِ رُبُوعِ بِلَادِهِمْ وَرِخَاءِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ وَعَطَاءِ خِصَارَتِهِمْ، وَهَذَا عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ مَعْنَى الْحَيَاةِ، وَغَايَةَ الْوُجُودِ وَمَعْنَى تَعَاقِبِ الْأَجْيَالِ؛ حَيْثُ الْمُتَغَيِّرُ الْوَجِيدُ، هُوَ نَوْمُ الْمَعَارِفِ وَالْقُدْرَاتِ الشَّخِيرِ وَتَطَوُّرِ الْخِصَارَةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْعُمَرَانِ، هَكَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْبَشَرَ، وَلِهَذَا خَلَقَهُمْ، وَهَكَذَا أَرَادَ، وَمَقِيَامُ النُّجَاحِ فِي مَعْنَى الْوُجُودِ الْعَادِلِ الْمُتَرَاجِمِ الْمُتَّقِنِ الْمُبْدِعِ وَتَحْقِيقِ الذَّاتِ الْمُؤْمِنَةِ الْمَصْلُحَةِ، يَا بَيْدَنَا أَنْ تَكُونَ الْمَعَارِفُ وَالْقُدْرَاتُ وَالْخِصَارَةُ لِقَصْدِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ.

دَعْنِي أَكْرِزُ عَلَى مَسَامِعِكَ يَا بَيْدَنَا، وَعَلَى مَسَامِعِ إِخْوَانِكَ، فَاخْبِرْتُهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ

أَنَّهُ مِنْ دُونَ وَضُوحِ الرُّؤْيَةِ وَمِنْ دُونَ إِجَابِيَّةِ الرُّؤْيَةِ أَيَا كَانَتْ وَجْهَتُهَا وَغَايَتُهَا يَا بَيِّدَتَا  
لَا يَكُونُ عَمَلٌ وَلَا طَلِبٌ، وَلَا يَكُونُ جِدٌّ وَلَا صَبْرٌ، وَلَا تَكُونُ قُدْرَةٌ وَلَا تَكُونُ مَكَانَةٌ، وَلَا  
تَكُونُ ثَمَرَةٌ، وَلَا يَكُونُ إِتْدَاعٌ، وَلَا يَكُونُ إِعْمَارٌ.

إِنَّ مَثَلَ الْأَمَمِ فِي رُؤْيَيْهَا وَطَلِبِهَا - أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيِّدَتَا - مَثَلُ النَّهْرِ الْكَاسِرِ حِينَ يَرَى ظَلْمِيًّا؛  
فَهُوَ يَغْدُو فِي طَلْبِهِ كَالرَّيحِ الْعَاصِفِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَمْشِي الْهُوْنَى فِي كَمَلٍ وَمَلٍ لَا يَدْرِي  
إِلَى أَيْنَ يَتَّجِعُ وَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ، وَمَثَلُهُ مَثَلُ الثُّغْلِبِ يَتَجَوَّلُ فِي الْغَايَةِ فَاتِرَ الْخَطْوِ  
كَالْتَانِهِ، فَإِذَا رَأَى أَرْبَابًا هَبَّ فِي طَلْبِهِ يَطْوِي الْأَرْضَ طَيًّا، بِكُلِّ قُوَّتِهِ وَجِيلَتِهِ، لَا يَنَالُ مِنْهُ  
نَعْبٌ وَلَا كَلٌّ وَلَا مَلٌّ، وَمَثَلُ صَنَاجِبِ الرُّؤْيَةِ مَثَلُ الْقِرْدِ الَّذِي تَهَبُّ فِي هِمَّةٍ وَنَشَاطٍ  
يَتَمَسَّقُ الْأَغْصَانِ بِكُلِّ خِفَّةٍ وَمَهَارَةٍ حِينَ تَلْمَحُ عَيْنَاهُ شَيْئًا مِنَ الثَّمَرِ فِي أَعْلَى الشَّجَرِ.  
إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْتَ يَا بَيِّدَتَا؛ إِذَا كُنْتَ فِي خَالَةٍ كَمَلٍ وَتَبَلِّدٍ، وَلَا رُؤْيَةَ عِنْدَكَ، وَلَا غَايَةَ  
تَطَلُّبِهَا، أَتُرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئًا أَمْ تَبْقَى مَسَاكِينًا لَا تَبْدُلُ جُهْدًا وَلَا تَطَلِّبُ حَاجَةً؟ وَهَذَا أَيُّهَا  
الْحَكِيمُ عَلَى عَكْسِ خَالِكَ، حِينَ تَكُونُ لَكَ رُؤْيَةٌ وَغَايَةٌ تَطَلُّبِهَا، وَحَاجَةٌ تَرْجُوهَا؛ فَأَنْتَ  
تُفَكِّرُ وَتُخَطِّطُ وَتَسْعَى وَتُدَبِّرُ أَمْرَكَ لِتَبْلُغَ غَايَتَكَ وَتُحَقِّقَ حَاجَتَكَ؟ بَلْ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا  
الْحَكِيمُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى صَغِيرِكَ حِينَ يُجِسُّ حَاجَةً أَوْ يَرَى مَا يَرُوقُ لَهُ كَيْفَ يَفْعَلُ،

وَقَارِنُ خَالَهُ هَذِهِ بِحَالِهِ جِئِن لَّا تَكُونُ لَهُ غَايَةٌ وَلَا يَرَى مَا يَرْغَبُ فِي تَحْقِيقِهِ وَالْحُصُولِ عَلَيْهِ. إِنَّهَا سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْكُؤُونِ يَا بَيِّنَاتِنَا، وَإِنَّ مَنْ يَعْقِلُ عَنْهَا يَدْفَعُ الشُّمْنَ.

وَهَذَا أَمْرُ الْحَكِيمِ بَيِّنَاتِنَا هُوَ خَالُ الْأُمَّمِ، وَخَالُ أَفْرَادِهَا، مِنْ دُونِ غَايَةٍ، وَمِنْ دُونِ رُؤْيَةٍ، وَمِنْ دُونِ مَنَهِجٍ فِكْرٍ سَبَبِيٍّ سَوِيٍّ؛ فَإِنَّهُمْ مِثْلُ "آلَةٍ" أَوْ "عَرَبَةٍ" مُفَكَّكَةٍ مُتَنَابِرَةٍ الْأَوْصِنَالِ لَا دَافِعَ لَدَيْهِمْ، وَلَا هُدًى عَلَى الْأَذْيَاءِ أَوْ الْإِعْمَارِ أَوْ الْإِبْدَاعِ، وَلَكِنَّ الْأَهْمَّ يَا بَيِّنَاتِنَا فِي أَمْرِ الرُّؤْيِ الْحَضَارِيَّةِ، وَأَمْرِ الْإِعْمَارِ وَالْإِبْدَاعِ، هُوَ مِثَالُ هَذِهِ الْغَايَاتِ وَالرُّؤْيِ فِي مِيزَانِ الرُّوحِ وَالْمَالِ، وَهُوَ الْمِيزَانُ الْحَقُّ لِمَعْنَى الْوُجُودِ الَّذِي تَحْتَ مِنْ أَجْلِهِ الْأَفْرَادُ وَالْأُمَّمُ، وَتَعْمُرُ وَتُبْدِعُ فِي حَيَاتِهَا، فِي الْقَدَى الْمُقَدَّرِ لَهَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. أَهْوَى فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ أَمْ هُوَ فِي سَبِيلِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ؟ أَهْوَى فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ أَمْ هُوَ فِي سَبِيلِ الشَّرِّ وَالْإِفْسَادِ؟

نَعَمْ: إِنَّ الْأَمْرَ الْمُهِيْمَ فِي مِيزَانِ الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ أَمْرُ الْحَكِيمِ بَيِّنَاتِنَا: الَّذِي يَجِبُ أَلَّا يَغِيْبَ عَنْ ضَمِيرِ كُلِّ عَاقِلٍ لَا يُثَلُّ وَلَا يَضِيغُ مَعْنَى الْحَيَاةِ فِي مِيزَانِ الْمَعَانِي وَالْغَايَاتِ، فَيَنْدَمُ الْإِنْسَانُ وَلَا تَسَاعَةُ مَنْدَمٍ، هَذَا الْأَمْرَ الْمُهِيْمَ هُوَ إِلَى أَيِّ غَايَةٍ تُوجَّهُ الْأُمَّمُ وَالْأَجْنِيَالُ وَالْحَضَارَاتُ جُهُودَهَا وَتَصَرُّفَاتِهَا فِي الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ؟ أَهْوَى انْتِصَارًا لِلْحَقِّ

وَالْعَدْلُ وَالْخَيْرُ وَالسَّلَامُ، أَمْ هُوَ غَلْبَةُ لِلْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ؟ هَذَا هُوَ مِقْيَاسُ  
النَّجَاحِ أَوْ الْفَشَلِ، وَمِقْيَاسُ حُسْنِ أَدَاءِ أَمَانَةِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، أَوْ سُوءِ خِيَانَةِ أَمَانَةِ  
الْأَدَاءِ وَغَلْبَةِ الشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالظُّلْمَةِ وَالطَّيْبِ. هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْأَهْمُّ، وَهَذَا هُوَ غَايَةُ  
الْوُجُودِ وَمَعْنَى ثَنَائِيَةِ الْخِيَارِ، وَهَذَا هُوَ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ مَعْنَى الْمَصِيرِ وَالْمَالِ.

وَإِذَا انْصَحَبَتِ الْغَايَةُ، وَانْصَحَبَتْ مَعَهَا الرُّؤْيَةُ، أَيَا كَانَتْ أَيُّهَا الْحَكِيمُ يَتَذَبَا، عَلِمْتَ  
الْأَمْرَ مَا تَفَعَلُ، وَعَلِمْتَ مَا تَأْخُذُ وَمَا تَدَعُ، وَمَا تَفَعَلُ وَمَا لَا تَفَعَلُ، وَلَكِنْ بِحِجِّهِ وَقُوَّةِ  
وَإِبْدَاعِ، وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ هُوَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَغَايَةِ الْحُلَمَائِيَّةِ  
وَالرِّضَا، لَا فِي سَبِيلِ الشَّرِّ وَغَايَةِ التَّدَامَةِ وَالْحُمُرَانِ.

قَالَ يَتَذَبَا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، مَا أَظُنُّكَ بَعْدَ كُلِّ مَا دَارَ بَيْنَنَا وَحَدَّثْتَنِي عَنْهُ إِلَّا  
أَنْتَ قَدْ هَدَيْتَنِي إِلَى طَلِبَتِي، وَأَذْرَكْتُ الْآنَ لِمَاذَا تَتَخَلَّفُ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرِ وَتُخَفِّقُ جُهُودُ  
كَثِيرٍ مِنْهَا فِي الْهُوْضِ مِنَ الْكِبْوَةِ، وَتَعْجِزُ عَنِ اللَّحَاقِ بِالرَّكْبِ؛ وَذَلِكَ لِمَا أَصَابَ رُؤْيَهَا  
مِنْ غَيْبِ، وَمَنْهَجَهَا مِنْ تَسْوِهِ، وَفِكْرَهَا مِنْ تَخَلُّفِ، وَوَجْدَانِهَا مِنْ انْجِطَاطِ؛ وَهَذَا مَا  
أَفْقَدَهَا ذَاقِعِيَّةَ حِدِّ الطَّلَبِ، وَقُدْرَةَ الْإِبْدَاعِ، وَأَوْزَانَهَا الدَّلَّ وَالْقَمَرِ وَالضُّبْيَاعِ، فَهِيَ عِنْدَ  
ذَلِكَ لَا تَنْقِنُ إِلَّا الْمُحَاكَاةَ وَدَاءَ التَّقْلِيدِ الْعَشْوَانِيِّ الْأَعْمَى؛ لِيَكُونَ مَثَلُ خَالِيهَا فِي جِهَالَةِ

تَقْلِيدَهَا، وَعَشْوَائِيَّةِ اِتِّبَاعِيَّتِهَا؛ حِينَ تَأْخُذُ مَا تَأْخُذُ بِجَهَالَةٍ، وَمِنْ دُونَ دِرَايَةِ بِحَالِهَا  
وَحَالِ مَنْ تُحَاكِيهِ؛ مَثَلُ حَالِ مَنْ يَأْخُذُ "الْأَكْسُجِينَ" فِي وَرِيدِهِ بَدَلِ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ أَنْفِهِ  
وَرِئْتَيْهِ؛ فَيَنْكُوثُ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ وَسُوءُ مَالِهِ.

## رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ عَقْلِهِ

قال بئدبا: لقد تحدثت معنا أيها الشيخ الجليل في أمر الرؤية الكلية وموقعها المحوري من حياة الإنسان وأهميتها في تفعيل جهده، وذافعية نفسه، وتنظيم حياته، ولكن الرؤية الكلية فيها الكثير مما يتعلق بكليات الحياة والوجود، وما يُعد من أمر الغيب، والغيب وعلاقته بالحياة والشهود، كما يعلم شيخنا الجليل، قضية من القضايا التي أثارَت بين الناس الكثير من الجدَل، ووصلَ بشأنها كثيرٌ من العقول في جدلٍ عقيمٍ وشدٍ وجذبٍ لا نهاية له، فهل لك أن تحدثنا عنها بشيءٍ يعيننا على معرفة كيف نتعامل معها، ونفيد منها، بشكلٍ عمليٍّ ونبتعدُ بذلك عن المنازعات الفسيفسائية البيزنطية المخيرة؛ التي لا تنتهي المجادلات بشأنها إلا لئبداً من جديد، فيكون حديثك عوناً لنا في التعامل الإيجابي معها بإذن الله.

قال الشيخ: نعم يا بئدبا؛ إن ما ذكرت من أمر الرؤية الكلية وأهميتها لحياة الإنسان، وتوجيهها صحيح، وخبر الرؤية الكلية ما تلقاه الإنسان عن الحياة وما بعدها، بشكلٍ صحيحٍ موثوقٍ، وأن تكون فحواً خيرةً إيجابيةً؛ فتبهر له الطريق وتسلم معها المصير، وتكون دليلنا إلى الغيب في حياتنا، وكيف نذكرُ معناها،



وَدَلَالَتُهُ، فِي نَفْسِنَا، وَفِي أَمْرِ قَصِيرِنَا؟ وَكَيْفَ نُحْسِنُ فِهْمَهُ، وَالتَّعَامُلَ مَعَهُ، وَالْإِفَادَةَ مِنْهُ؟  
إِنَّ الْغَيْبَ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ يَا بَيْدَبَا أَمْرٌ مِهِمٌّ لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ، وَلَا تَهْنَأُ النَّفُوسُ،  
وَلَا تَهْدَأُ، مِنْ دُونِ التَّعَامُلِ مَعَهُ، وَالْإِطْمِئْنَانِ إِلَيْهِ، وَالْإِفَادَةَ مِنْهُ، وَلَكِنَّ الْمُهِيْمَ كَمَا  
ذَكَرْتُ لَكَ يَا بَيْدَبَا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَهْمُ وَالتَّعَامُلُ حَيْرًا، بِنَاءً، وَإِيجَابِيًّا، وَعَمَلِيًّا،  
وَبَعِيدًا عَنِ السُّفْمِطَاتِ وَالْمَتَاهَاتِ وَالشَّغْوَذَاتِ.

وَالذِّكْرُ؛ فَاغْلَمْ يَا بَيْدَبَا، أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ حَضَرَ مَعَنَا الْيَوْمَ؛ بَدَأَ أَنَّهُ بِقَدْرِ مَا يَتَمَتَّعُ  
الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِشُؤْنٍ مَا حَوْلَهُمْ مِنَ الْكَوْنِ، وَخَالِ النَّاسِ،  
وَتَحْدِيَاتِ الْعَصْرِ، وَإِمْكَانَاتِهِ، بِقَدْرِ مَا يُدْرِكُ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءُ أَبْعَادَ الْغَيْبِ فِي مَعْنَى  
الْحَيَاةِ وَغَايَاتِهَا وَرُؤَاهَا الْكُونِيَّةِ، وَفِي تَفَاعُلِنَا مَعَ وَاقِعِ زَمَانِهِمْ وَمَكَانِهِمْ، وَمِنْ هُنَا يَأْتِي  
تَقَاوُتُ النَّاسِ فِي كُلِّ عَصْرِ فِي حُسْنِ أَدَائِهِمْ؛ فِهْمًا وَعِلْمًا وَحِكْمَةً، لِأَنَّهُ بِقَدْرِ بَصِيرَتِهِمْ  
وَعِلْمِهِمْ تَرشُدُ بَصِيرَتُهُمْ، وَتَنْضِجُ قُدْرَتُهُمْ فِي فَهْمِ الدَّلَالَاتِ وَالْمَعَانِي الْمُتْرَاكِبَةِ، فِي  
مُجْرَنَاتِ حَيَاتِهِمْ، وَضَمَنِ إِمْكَانَاتِهِمْ، وَذَلِكَ مَا يُحَدِّدُ مَدَى قُدْرَتِهِمْ فِي الْإِفَادَةِ مِنْ  
مَخْرُوجِ عُلُومِهِمْ وَمَعْلُومَاتِهِمْ فِي تَبْصِيرِ أَقْوَامِهِمْ، وَتَرْشِيدِ ذُرُوبِ مَنَعِيهِمْ، بِالتَّعْلِيمِ  
وَالدُّعْوَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ، وَلَيْسَ بِالْإِدْعَاءِ أَوْ بِالتَّعَالِي، أَوْ بِالتَّمْتَرِسِ خَلْفَ

الإجازات والألقاب والمظاهر والشكليات والمفسطات؛ وصاية وتزهييا وتسلطا، وخدمة  
بوعي أو دون وعي، لأطماع النفس، ومصالح أصحاب المال والأجاه والسلطان.

يقدر الإخلاص وشمولية المعرفة في تكوين قيادات فكر الأمة وسلامه وخدماتهم  
وشجاعة جنابهم يا بئدبا تكون سلامة المعرفة، وتكون الحكمة، وتكون الرشاد، فليمن  
الأمر في جوهريه يا بئدبا أمر عقل ونقل فقط، كما يقولون، ولكنه أمر ذكاء قلب، وسعة  
علم، وشمولية معرفة، ويقدر العمق والشمول يكون حسن الفهم، وسلامة الإدراك  
والاستدلال، وحسن المآخذ، وسلامة النظر والاجتهاد، وحيث يكون لكل مشكلة حل،  
ولكل مسألة جواب، ولكل طريق دليل.

فلنغن يا بئدبا: في تعليم أبنائنا بترويديهم بالرؤية الكونية السليمة، وبالقيم السامية،  
وبالمعرفة المعمقة الشمولية في نفوس تراث أمهم، وفي علوم عصرهم، وخال الكائنات،  
والناس وطبائعهم، وفي إمكانات العصر وتحدياته وحاجاته وأفاقه، بكل الحكمة والتأمل  
والتفكير؛ بقصد الصلاح، والإصلاح، وتحقيق المصلحة العامة في ضوء الكليات،  
وحسن فهم الجزئيات، ووصفها، وإدراك دلالات الخطاب، والمعنيين به، في الزمان  
والمكان، وحينئذ، يا بئدبا، يكون الأمر أمرا علميا عمليا؛ أي يكون أمر تفكير وتمغن

وحوار، وأمرتوافق وحسن فهم، وطالب مقاصد، لا أن يكون جدلاً نظرياً سفسطائياً؛  
وعندها ترشد حركة المجتمع، وترشد المسيرة، وتطيب البناء.

قال بيدنا: ولكن ما بال الغيب في حياتنا ووجودنا يا سيدي الشيخ؟

قال الشيخ: الرؤية الكلية بدءاً ومصيراً من أهم ما يعني الإنسان من أمر الغيب، وذلك  
يا بيدنا أهم جزء يوجه حياتنا، ويحدد في نهاية المطاف، في ضمائرنا، معنى هذه الحياة؛  
ولذلك لا تخطئ يا بيدنا بقبول ما هو غير مؤثوق من خير الغيب؛ لأنه ليس بإمكانك أن  
تقيس على أمره في نقد من مقولاته، فهو ليس له في شاهد حياتك مثيل، ولا تخطئ يا  
بيدنا بعدم ربط تفاصيله بكتباته، بحكمة وحسن ما أخذ؛ فكتباته هي المقصد، وجزئياته  
بالضرورة، وفي كثير من الحالات، إنما هي لتقريب الأمر إلى عقول البشر؛ لأن حال عالم  
الغيب بالضرورة على غير حال دنيا البشر، والحدز الحدزنا بيدنا أن تخطئ أو تخطئ في  
توجيه خطاباته إلى غير المعنيين بها، أو إلى غير مقاصده الكلية في توجيه الحياة، وتحقيق  
مقاصدها، أو أنك لا تراعي في خطاباته حال المخاطب به، فإني أعيدك، وأعيد أمثالك،  
أن تفعل شيئاً من ذلك؛ بسبب الجهل وقلة العلم والحكمة، أو بسبب التأون أو الغرض؛  
لأن في ذلك يا بيدنا ولا شك أسوأ الضرر، وأبعد الأثر، وأشد الخطر؛ وذلك لِمَا للغيب من

سُلْطَانِ الْقِدَامَةِ فِي نُفُوسِ الْبَشَرِ؛ حَيْثُ يُجِيلُ -بَلْحَنِ الْقَوْلِ وَسُوءِ تَوْجِيهِهِ الْخِطَابِ-  
شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ هِدَايَةَ الْقِدَامَةِ قَهْرًا فِي النُّفُوسِ، وَفَسَادًا فِي الْكُرُصِ، وَضَلَالًا فِي  
الْمَسِيرَةِ، وَهَلَاكًا فِي الْمَصِيرِ.

اذْكُرْ، يَا بَيْدِيَا؛ أَلَّا تَخْلِطُ خِطَابَاتِ الْغَيْبِ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ وَحَاجَاتِهِمْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ  
وَالْكَافِرِ، وَبَيْنَ الضَّالِّ وَالْمُعْتَدِلِ الْمُكَابِرِ، وَبَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، وَبَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ،  
وَبَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، اِخْرِصْ يَا بَيْدِيَا أَنْ تُوَجِّهَ الْخِطَابَ بِمَا يُخَيِّ النُّفُوسَ وَيُبَصِّرُهَا،  
وَيُبْعَثُ الْأَمَلَ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْإِثْقَانِ فِيهَا، كُلُّ نَفْسٍ بِحَسَبِ حَالِهَا وَحَاجَتِهَا،  
فَالْإِنْسَانُ يُقْبَلُ عَلَى مَا يُحِبُّ وَيَتَرَعَّبُ، وَيُدْبِرُ وَيَتَزَوَّرُ وَيَبْعُدُ عَمَّا يَخَافُ وَيَكْرَهُ.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَا بَيْدِيَا، وَصِفَاتُهُ؛ هُوَ كُلُّ مَا نُحِبُّ وَنَتَرَعَّبُ فِي قَرَارَةِ نُفُوسِنَا،  
وَأَشْوَاقِ أَرْوَاجِنَا، فَهُوَ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ وَالرَّحْمَةُ وَالسَّلَامُ، وَنَحْنُ فِي قَرَارَةِ هَذِهِ النُّفُوسِ،  
وَأَشْوَاقِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ، نَكْرَهُ مَا يَكْرَهُ، فَنَحْنُ نَكْرَهُ الْبَاطِلَ وَالظُّلْمَ وَالْقَسْوَةَ وَالْعُدْوَانَ، وَلَا  
نَرْضَى عَنْ نُفُوسِنَا حِينَ تَقَعُ فِي شَيْءٍ مِنْ تَوَازِعِ تَطَالِمِ الْقَادَةِ وَالطَّيْنِ؛ بِتَرْبِيَةِ الشَّيْطَانِ،  
وَهَوَى النُّفُوسِ، وَنَحْنُ نَرْتَاخُ وَنَفْرَحُ وَنَقْرُ نُفُوسِنَا وَأَعْيُنُنَا وَحَيَاتِنَا حِينَ نَرْجِعُ عَنْ شَيْءٍ  
وَقَعْنَا فِيهِ مِنْهَا، فَالْخَيْرُ الْخَيْرُ أَتَيْهَا الْإِخْوَةَ أَنْ نَعْلَمَ كَيْفَ نُحْسِنُ مَعْرِفَةَ مَوْجِعِ الْغَيْبِ فِي

حَيَاتِنَا، وَأَنْ نُحْسِنَ التَّعَامُلَ مَعَهُ، وَالِاسْتِيفَادَةَ مِنْهُ، يَكُونُ كَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ لَنَا، وَكَمَا مَكَّنَ لَهُ فِي نُفُوسِنَا، وَأَرْشَدَنَا إِلَيْهِ بِفِطْرَتِنَا حُبًّا وَرَغْبَةً، وَنِعْمَةً وَدَافِعًا، لَا نِشْمَهُ وَمَخْذَلًا، تَنْفِرُ مِنْهُ النَّفُوسُ، وَمِنْهُ تَرْهَبُ وَتَهْرَبُ.

اذْكُرْ يَا بَيْدَبَا أَنْتَ وَإِخْوَانُكَ وَلَا تَنْسُوا أَبَدًا: أَنَّ خَالَ الْخِطَابِ كَخَالِ الدَّوَاءِ؛ إِنْ لَمْ نَكُنْ بِهِ وَبِخَالَ الْمُعَالِجِ بِهِ عَالِمِينَ، يَكُونُ ضَرَرُهُ أَكْبَرَ مِنْ نَفْعِهِ، وَقَدْ يُصْبِحُ الدَّوَاءُ الْبَلْسَمُ سُمًّا زَعَافًا، فَأَحْسِنِ الْفَهْمَ يَا بَيْدَبَا، وَمَسِّدِ الْخِطَابِ، "فَعَدُوٌّ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ صَنْدِيقِ جَاهِلٍ". وَقَبْلَ أَنْ يُوَاصِلَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ، رَفَعَ أَحَدُ السُّبَابِ يَدَهُ وَحَاجِبَتِهِ، وَكَانَهُ مُنْدَهِسٌ مِمَّا سَمِعَ.

قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: مَا الَّذِي أَذْهَشَكَ يَا بَيْتِي فِيمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ الْفَتَى: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، إِنِّي لَا أَدْرِكُ، كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْعَدُوُّ خَيْرًا مِنَ الصَّنْدِيقِ. عِنْدَ هَذَا، ابْتَسَمَ الشَّيْخُ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً وَقَالَ لِلْفَتَى: بَلَى يَا بَيْتِي، إِنَّ هَذَا أَمْرٌ مُمَكِّنٌ، فَالْجَهْلُ قُصُورٌ فِي الْفِكْرِ، وَخَمَافَةٌ فِي الرَّأْيِ، وَلِعَلَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِالدُّبِّ، الَّذِي هَوَى عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهِ بِيَدِهِ، لِيَقْتُلَ ذُبَابَهُ وَقَعَتْ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهِ، فَطَارَتِ الدُّبَابَةُ، وَتَحَطَّمَتِ رَأْسُ صَاحِبِهِ.

ضَجَّتِ الْقَاعَةُ بِالضُّجُجِ مِمَّا سَمِعَهُ الْحَاضِرُونَ، وَأَطْرَقَ الشَّيْخُ هَدَاتِ الضُّجَّةِ،  
 وَالتَّفَتَ مُجَدِّدًا إِلَى بَيْدِنَا، مُوَاصِلًا مَا انْقَطَعَ مِنْ حَدِيثِهِ قَائِلًا لَهُ: نَعَمْ يَا بَيْدِنَا، يَجِبُ أَنْ  
 نَعْلَمَ أَنَّ لِلْعَقْلِ مَوْضِعَهُ، فَلَا حَقِيقَةَ لِشَيْءٍ فِي خَاتِمَةِ الْمَطَافِ فِي تَصَوُّرِ الْإِنْسَانِ وَإِدْرَاكِهِ  
 مِنْ دُونِ الْعَقْلِ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ حُدُودَ الْعَقْلِ، وَحُدُودَ الْمَنْطِقِ الْإِنْسَانِي، فِي هَذِهِ  
 الْحَيَاةِ، وَأَنْ نَعْرِفَ سَقْفَهُمَا، مِنْ دُونِ تَنْطَعٍ وَسَفْسَاطَةٍ، وَمِنْ دُونِ فَمَسِيْفَمَائِيَّاتٍ؛  
 فَتُسْتَحْدِمُ "الْعَقْلُ بِعَقْلٍ"، لَا كَمَا فَعَلَ وَيَفْعَلُ كَثِيرُونَ حِينَ يُسْتَحْدِمُونَ الْعَقْلَ بِ"قَلْبِ  
 عَقْلٍ" حِينَ يَتَجَاهَلُونَ حُدَّهُ وَسَقْفَ قُدْرَتِهِ وَمَنْطِقَهُ؛ وَحِينَ يَتَعَامَلُونَ بِهِ مُطْلَقًا، بِالظَّنِّ  
 وَالتَّخْرِيفِ وَالتَّخْرِيفِ، مِنْ دُونِ أَدَاةٍ وَلَا عِلْمٍ وَلَا ذَلِيلٍ فِيهَا وَزَاءَ قُدْرَةِ الْعَقْلِ وَمَنْطِقِهِ  
 وَحُدُودِ طَبِيعَتِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَ"رَجِمَ اللَّهُ أُمَّرًا" "عَرَفَ سَقْفَ عَقْلِهِ"، فَهَذَا مَا يُرْمَدُ  
 جَمَهْرَةُ الْعُقُولِ يَا بَيْدِنَا، وَتَجْمَعُهَا عَلَى التَّوَافُقِ الرَّاشِدِ الْمَقْبُولِ، وَتَهْدِيهَا إِلَى حُسْنِ النَّظَرِ،  
 وَحُسْنِ الْمَأْخِذِ، وَإِلَى التَّعَامُلِ الْمُنِيرِ مَعَ وَاقِعِ الْحَيَاةِ وَكَلِّيَّاتِهَا وَمَقَاصِدِهَا الْبِنَاءَةَ الْخَيْرِيَّةَ.  
 قَالَ بَيْدِنَا: نَعَمْ، صَدَقْتَ يَا سَيِّدِي فِيمَا ذَكَرْتَ، وَكَمْ أَسَاءَ كَثِيرُونَ حَيْثُ أَرَادُوا أَنْ  
 يُحْسِنُوا بِجَهْلِهِمْ، وَقُصُورِ أَدَاةِ عِلْمِهِمْ، وَاتِّفَعَالَاتِ عَوَاطِفِ نُفُوسِهِمْ، فَسَلَامَةُ الرُّؤْيَةِ  
 الْكَلِّيَّةِ وَسَلَامَةُ مَنَبْجِ الْفِكْرِ، وَشُمُولِيَّتُهُ أَسَاسُ مِبْلَاقَةِ النَّظَرِ وَسَدَادِ الرَّأْيِ، وَصَوَابِ



الخطاب، وبذلك تفاوت قدر العلماء، وتفاوتت قدراتهم، وتفاوتت عمق أفكارهم، ونسب ما أخذهم، وهذا المنهج هو ما يجب أن نرسي أيها الإخوة والأخوات دعائمه في تربية أبنائنا، وتعليمهم، وإعدادهم ليكونوا كوايدراً قادرة بناة؛ تحيي النفوس، وتستعيد القدرة، وتسترد المسيرة، فصاحب المنهج السليم، والمعرفة الشمولية، يعرف للغيب موضعه، وللعقل موضعه، ويستطيع أن يرى في النص ما لا يراه سواه، ويدرك دلالته فيما حوله من حال الناس وأحوال العصر، وفي ذلك المبدأ والرشد الذي يسعى إليه البشر في كل عصر ومصر، فيما يمثل من تطور الحياة والحضارة الإنسانية، في الزمان والمكان، يكتميل بناء حضارة الإنسان على الأرض، وتتبدى قدراتها وجمالها، وطاقت السخيرة والإبداع والإمتاع فيها، بما أودع الله في الإنسان بقطرته من طاقات وقوى وقدرات؛ لينعم بها الخير، وتوسع أفاقه، وليسود الحق والعدل، وينهر الشر والباطل، إلى أن يكشف المستار، فطوبى يا بنيديا يومئذ للعاملين الأخيار.

استمع الجميع إلى هذا العرض الميسر الذي ينبوعن السفحة النظرية التي لا تنبع من واقع الحياة وقضاياها، ولا أثر لها ولا نتيجة سوى إشاعة القوضى الفكرية في رؤية الأمة والفتى في عزيمه أفرادها.



وَمِنْ دُونِ سَابِقِ إِثَارِ وَالْجَمِيعِ غَارِقٍ فِي تَأْمُلٍ مَا سَمِعَ، قَطَعَ السُّكُونُ صَوْتٌ وَادَعَ زَفِيقٌ، التَّفَتَّ الشَّيْخُ إِلَى مَصْدَرِهِ فَرَأَى فِتَاءَهُ جَمِيلَةً بَهِيَّةَ الطَّلَعَةِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ مُسْتَأْذِنَةً فِي الْحَبِيبِ.

قَالَ الشَّيْخُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، فَمَاذَا لَدَيْكَ أَيُّهَا الْأَخْتُ؟ قَالَتِ الْفِتَاءُ: لَقَدْ سَعِدْنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ حِكْمَتِكَ، وَقَدْ مَرَزْتُ بِحَادِثَةِ طَرِيفَةٍ كَأَنَّهَا تُجَسِّدُ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ، فَهَلْ يَرَى الشَّيْخُ أَنْ أَقْصِبَهَا عَلَيَّ مَسَامِعِهِ؟

قَالَ الشَّيْخُ: عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ، فَأَمْتِعِينَا بِمَا عِنْدَكَ؟

قَالَتِ الْفِتَاءُ: كُنَّا جَمَاعَةً مِمَّنْ جَلَسَ إِلَى أَحَدِ تَلَامِيذَةِ فِلَسْفَاتِ حَضْرَةِ الْإِغْرِيْقِي الْأُسْطُورِيَّةِ الصُّورِيَّةِ، الْبَانِدَةِ، وَكَانَ مِمَّا نَحَدَّثُ بِهِ إِلَيْنَا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْمُتْقَلِمِيفُ حَدِيثًا عَنْ مُعْضِلَةِ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ خَلْفًا، وَشَاءَ أَنْ يُعْرِضَهَا عَلَيْنَا لِتَرَى إِنْ كَانَ لَدَيْنَا مَا يُعِينُهُ عَلَى خَلْفِهَا. قَالَ: كَانَ عِنْدِي قِطْعٌ ذِكْرِي أَرِيْبٌ يُسَلِّبُنِي بِخَرَكَاتِهِ وَدُعَابَاتِهِ، وَقَدْ أَفْلَحْتُ فِي تَعْلِيمِهِ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَرَكَاتِ وَالْجَدَمَاتِ، وَخَطَرِي يَوْمًا أَنْ أَنْهِيَ ذِكَاةَ هَذَا السُّتُورِ الْأَرِيْبِ، وَأَنْ أَعْلَمَهُ مَبَادِي عِلْمِ الْخَيْرِ وَالْحِسَابِ، قَالَ الْمُتْقَلِمِيفُ الْيُونَانِي: لَكِنْ مَا خَيْرِي، وَمَا تَزَالُ يُخَيْرُنِي، أَنِّي لَمْ أَفْلَحْ فِي تَعْلِيمِهِ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ وَلَا شَيْئًا مِنَ الْحِسَابِ، مَعَ أَنْ مَا عَرَضْتُهُ



عَلَيْهِ هُوَ أَيْسَطُ مَبَادِيهِ وَمَعْلُومَاتِهِ. وَالْقَضِيَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ الْعَوِيصَةُ الَّتِي أَوَاجِبُهَا هِيَ: هَلْ هَذَا الْهَرُغِي؟ وَلَكِنِّي أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ هَرًا غَبِيًّا، بَلْ هُوَ مِنْ أَدَكِي مَا عَرَفْتُ مِنَ الْقِطْعِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْقِطْعُ غَبِيًّا فَلَا بُدَّ أَنَّ الْحِسَابَ لَا يُمَكِّنُ تَعْلِيمَهُ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْحِسَابَ يُمَكِّنُ تَعْلِيمَهُ، وَأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَإِنْ دَقَقْتُ تَعْلِيمَ الْخَبَرِ وَالْحِسَابِ حَقِيقَةً فِي يَدِي، كَمَا أَنَّ الْقِطْعَ حَقِيقَةً أَمَامِي، فَكَيْفَ يَكُونُ الْقِطْعُ حَقِيقَةً وَذَكِيًّا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعْلَمَ أَيْسَطَ مَبَادِي عِلْمِ الْحِسَابِ، الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ أَيْضًا، وَيُمْكِنُ - لِلطِّفْلِ - أَنْ يَتَعْلَمَهُ، إِنَّهُ أَمْرٌ مُخَبَّرٌ وَمَسْأَلَةٌ فَلَسَفِيَّةٌ عَوِيصَةٌ مُخَيَّرَةٌ، لَا أَجِدُ لَهَا الْيَوْمَ خَلًّا فَلَسَفِيًّا مَنْطِقِيًّا مَغْضُولًا؛ لِأَنَّ كِلَا الْأَمْرَيْنِ فِي عِلْمِي حَقِيقَةٌ، وَلَكِنَّهُمَا يَبْدُوَانِ مُتَنَاقِضَيْنِ، وَلَا بُدَّ لِهَذَا التَّنَاقُضِ مِنْ خَلٍّ!

قَالَتِ الْفَتَاةُ: خَيَّمَتِ الصَّمْتُ عَلَى الْخَاضِرِينَ، وَكَأَنَّهُمْ فِي خَيْرَةٍ مِمَّا بَسَطَهُ الْمُتَقَلِّبُ الْإِعْرَاقِيُّ أَمَامَهُمْ بِشَأْنِ هَذَا التَّنَاقُضِ بَيْنَ الْقِطْعِ الذَّكِيِّ وَالْحِسَابِ الْبَسِيطِ الَّذِي يُمَثِّلُ مُشْكَلَةَ فَلَسَفِيَّةٍ تَحْتَاجُ إِلَى خَلٍّ.

قَالَتِ الْفَتَاةُ: وَنَحْنُ فِي خَيْرَتِنَا فَوَجَدْنَا بِأَخْبِ الْأَطْفَالِ الْخَاضِرِينَ يَفْطَعُ هَذَا الصَّمْتَ، وَقَدْ بَادَرَتْكُمْ بِبَسَاطَةِ الْأَطْفَالِ وَتَلَقَّابْتَهُمْ وَمِنْ دُونِ إِذْنِ مَنْ أَحَدٍ، فَقَالَ: وَلَكِنَّ هَذَا قِطْعٌ يَا أَسْتَاذَ، لَيْسَ إِنْسَانًا يَتَعْلَمُ الْحِسَابَ.

قَالَتِ الْمَلَأَةُ: هُنَا، فَجَاءَتْ، وَكَانَتْهَا صَبَحُونَا مِنْ غَفْوَتِنَا وَعُدْنَا إِلَى صَوَابِنَا، نَعُدُّ أَنْ كُنَّا غَارِقِينَ مَعَ فَيْلَسُوفِنَا الْبَيْرُطِيِّ فِي قَضِيَّتِهِ وَتَنَاقُضَاتِهِ: لِيُنْذِرَكَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ فِي أَصْلِهَا قَضِيَّةٌ وَهَمِيَّةٌ؛ فَمَنْذُ مَتَى كَانَ الْقَطُّ مَهْمًا كَانَ ذِكَاؤُهُ الْحَيَوَانِيُّ يَصِلُ إِلَى مَرَحَلَةِ ذِكَاةِ الْإِنْسَانِ وَقُدْرَاتِهِ؛ فِي الْإِذْرَاكِ، وَتَعَلُّمِهِ عُلُومَ الْإِنْسَانِ؛ فَكُنَّا نَعْلَمُ بِالْبَدِيهَةِ أَنَّ لِكُلِّ كَائِنٍ سَفَقَهُ الْمَعْرِفِيُّ، وَسَفَقَهُ الْمُنْطَلِقِيُّ.

وَهَكَذَا أَيُّهَا الشَّيْخُ تَعَلَّمْنَا مِنْ دُونِ سَفَسَطَةٍ مِنْ مَنْطَلِقِي هَذَا الْجَفَلِ الْبَلْقَانِيِّ الْبَسِيطِ أَنَّ مِنَ الْجَهْلِ وَالْإِسْتِكْبَارِ أَنْ يَخُوضَ الْإِنْسَانُ، مِنْ دُونِ ذَلِيلٍ، فِيمَا هُوَ وَوَرَاءَ سَفَفِ مَنْطَلِقِيهِ وَمَعْرِفَتِيهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَاقَلَ فَقَطُّ مَعَ شُؤْنِ الْخَيْرِ الْمُؤْتَوِقِ مِنَ الْغَيْبِ، فِي حُدُودِ عِلَاقَتِهِ بِهِ، وَمَا يَنْطَلِوِي وَجُودَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَبْعَادٍ، وَلَكِنْ ضَمِنَ مَا يَنْدَرُجُ فِي حُدُودِ مَنْطَلِقِيهِ وَمَعَارِفِهِ وَخَاجَتِهِ وَمَصَالِحِهِ، وَمَا يُخْتِمُهُ ذَلِيلُ هَذَا الْمُنْطَلِقِي، وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ، وَهَذِهِ الْحَاجَاتُ وَالْمَصَالِحُ، فَلَمْ تَكُنْ فَضِيلَةُ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا لِاعْتِرَافِهَا بِحُدُودِ سَفَفِ مَعْرِفَتِنَا، وَلَمْ تَكُنْ جَرِيمَةً إِبْلِيسَ إِلَّا لِإِنْكَارِهِ أَنْ لِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِيهِ وَمَنْطَلِقِيهِ سَفَقًا يَقِفُ عِنْدَهُ؛ فَجَهْلٍ وَاسْتِكْبَارٍ وَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ.

قَالَ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتِ أَيُّهَا الْأَخْتُ وَأَجَدْتِ، وَمَا أَظُنُّ بِنِدَانِي إِلَّا قَدْ طَرِبْتُ لِسَمَاعِ قِصَّةِ

السَّنُورِ وَالصِّفْلِ الَّذِي حَلَّ بِمَنْطِقِهِ الْبُلْقَانِي التَّبَسُّطِ لِذَلِكَ الشَّيْخِ السُّفْطَانِيِّ مُعْضِلَتَهُ  
 الْبِرْزَنْطِيَّةَ الرَّابِفَةَ، الَّتِي كَثِيرًا مَا يَقَعُ النَّاسُ فِي أَمْثَالِهَا، مِنْ دُونِ أَنْ يُدْرِكُوا ذَلِكَ.  
 قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْلُوطةَ: إِنَّ مِنْ أَهْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنْ مُسْتَوَاتِ الْمَنْطِقِ الْمُخْتَلِفَةِ  
 تَجْعَلُنَا نَرَى فِي حَيَاتِنَا وَحُدُودِ عِلْمِنَا وَمَنْطِقِنَا، فِي مُسْتَوَى مَنْطِقِي مَا لَا نَرَاهُ فِي مُسْتَوَى  
 مَنْطِقِي آخَرَ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَعْلَمُهُ كُلُّ مَنْ دَرَسَ الْعُلُومَ؛ حَيْثُ يَرَى الْعُلَمَاءُ مِنْ حَالِ الْمَادَّةِ  
 فِي مُسْتَوَى الْمَنْطِقِ الْعِلْمِيِّ التَّقْلِيدِيِّ لِلْعُلُومِ غَيْرَ مَا يَرُونَهُ مِنْ حَالِ الْمَادَّةِ فِي الْمَنْطِقِ  
 النَّوَوِيِّ أَوِ الدَّرِيِّ؛ حَيْثُ تَكُونُ الْمَادَّةُ فِي مَنْطِقِ الْإِحْتِرَاقِ الْعَادِيِّ "لَا تُفْنَى وَلَا تُسْتَحَدَثُ"،  
 وَلَكِنَّهَا فِي مُسْتَوَى مَنْطِقِ الْعُلُومِ النَّوَوِيَّةِ تُفْنَى وَتُسْتَحَدَثُ، وَلَكِنْ كَانَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ  
 يَنْتَظِرُوا يَكْتَسِفُوا الْمَنْطِقَ النَّوَوِيِّ (الدَّرِيِّ)، وَأَنْ يَرْفَعُوا مَنْطِقَهُمْ، وَأَنْ تَرْفَعُوا مَعَارِفَهُمْ، إِلَى  
 مُسْتَوَى الْمَنْطِقِ النَّوَوِيِّ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْمَادَّةَ تُفْنَى وَتُسْتَحَدَثُ فِي خَالَةِ التَّفَاعُلَاتِ الذَّرِّيَّةِ  
 وَالْهَيْدُرُو جِينِيَّةِ، "وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا".

عِنْدَهَا قَامَ أَحَدُ الشَّبَابِ مِنْ طُلَّابِ الْعُلُومِ الْفِيْزِيَاءِيَّةِ فِي بَرْدَةِ مَعْمَلِهِ الْبَيْضَاءِ، وَقَالَ: نَعَمْ  
 يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ؛ لَقَدْ وَجَدْنَا فِي التَّفَاعُلَاتِ النَّوَوِيَّةِ أَنَّ الْمَادَّةَ تُفْنَى فِي خَالَةِ تَفَاعُلَاتِ  
 الْإِنْفِجَارَاتِ الذَّرِّيَّةِ، كَمَا أَنَّ الْمَادَّةَ تُسْتَحَدَثُ فِي خَالَةِ تَفَاعُلَاتِ الْإِنْفِجَارَاتِ الْهَيْدُرُو جِينِيَّةِ.

قال الشيخ: نعم أيها الأخ الكريم؛ بَارَكَ اللهُ فِيكَ عَلَى هَذِهِ الْفَائِدَةِ الْعَلْمِيَّةِ؛ ثُمَّ تَابِعَ  
 الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: نَعَمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ؛ إِنَّ مَا سَبَقَ يُوضِّحُ لَنَا حَالِ عَالَمِ الْغَيْبِ  
 بِالنَّسَبَةِ إِلَى خَالِنَا؛ فَتَحْنُ نَعْلَمُ بِعُقُولِنَا وَمَنْطِقِنَا وَجُودِهِ، وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ فِخْوَاهُ لَيْسَتْ فِي  
 حُدُودِ إِدْرَاكِ عُقُولِنَا وَمَنْطِقِنَا وَمَعَارِفِنَا، وَإِلَى أَنْ نَرْفِيَ مَنْطِقِنَا إِلَى مُسْتَوَى ذَلِكَ الْوُجُودِ،  
 وَمَا أَظَلُّهُ سَبَّحَدُثُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَرْفِيَ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ عَلَيْنَا الْأَنْتِهْرَفَ فِي أَمْرِ  
 الْغَيْبِ بِمَا لَا نَعْرِفُ، وَأَنْ نَكْتَفِيَ مِنْهُ بِمَا تَيْسَّرَ لَنَا فِي حُدُودِ عِلْمِنَا وَمَنْطِقِنَا، بِمَا يُصْلِحُ أَمْرَ  
 حَيَاتِنَا، وَبِمَا يُعِينُنَا عَلَى تَحْقِيقِ ذَوَاتِنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، مِنْ دُونِ سَفْسَطَةٍ، وَلَا تَمَحُّكٍ، وَلَا  
 تَخْرِيفَاتٍ وَشِعْوَذَاتٍ تُلْغِي عُقُولِنَا وَتُضِلُّ سَعِينَا وَتَسْتَنْفِدُ طَاقَاتِنَا الذِّهْنِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ  
 وَالنَّفْسِيَّةَ، كَمَا أَضْرَبْتُ وَاسْتَهْلَكْتُ طَاقَاتٍ فِكْرِيَّةً مِنْ قَبْلِنَا، فِيمَا لَا طَائِلَ خَلْقِهِ، وَلَا  
 نَفْعَ فِيهِ، وَمَا أَحْكَمَ مَنْ قَالَ: "يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا" وَ"كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ".

صَمَتَ الشَّيْخُ بِرُزْمَةٍ وَقَالَ: التَّفَكُّرُ وَالتَّدَبُّرُ الْمُهْتَدِي يَأْتِيَانِ هُوَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلِبَةُ  
 كُلِّ إِنْسَانٍ فِي حُدُودِ مَنْقَبِ مَعْرِفَتِهِ وَإِدْرَاكِهِ، فَيَكْفِي الْبَدَوِيَّ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ فِي  
 الصَّخْرَاءِ، لِهُدْرِكِ غَائِبَةِ الْوُجُودِ، وَأَخْلَاقِيَّتِهِ، وَإِنْدَاعِ خَلْقِهِ، وَضَرُورَةِ طَلْبِ سُنَنِهِ  
 "وَأَقْدَارِهِ" الْكُونِيَّةِ، أَنْ يَتَمَعَّنَ فِي الْمَضَاءِ الْأَرْزَاقِي الْمَسِيحِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِي، وَالْمُتَلَدِّي بِالنُّجُومِ

وَالْكَوَاكِبِ فَوْقَ رَأْسِهِ فِي نِظَامٍ بَدِيعٍ يَهْدِي سَبِيلَهُ، وَيُرْسِمُ طَرَفَهُ، فِي بِنَادِ الصُّحْرَاءِ وَيُوَهِّدُهَا  
وَمَفَازَاتِهَا.

وَيَتَكْفِي - أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ - هَذَا الْهِنْدِيُّ مَا يَرَى كُلَّ يَوْمٍ مِنْ تَعَاقِبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا  
يَرَى مِنْ تَعَاقِبِ الْمَصْبُولِ كُلِّ عَامٍ، وَمَا يَرَى مِنْ بَدِيعِ الصُّنْعِ فِي الْخَلْقِ وَالنَّسْجِ فِي تَكْوِينِ  
الْإِبِلِ لِيَنْدَعُوَهَا "سَفْنِ الصُّحْرَاءِ"، وَفِي تَكْوِينِ النَّخْلَةِ وَثَمَرِهَا، لِيَعِيشَ بِهَا فِي صَحْرَائِهِ بِرَعْمٍ  
هَجِيرِهَا وَقِلَّةِ مَائِهَا وَزُرْعِهَا.

وَيَتَكْفِي الْعُلَمَاءُ أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ: مَا يَعْلَمُونَ مِنْ وُجُودِ غَيْرِ مُتَنَاهٍ لِانْتِظَمَةِ الْأَجْرَامِ  
السَّمَاوِيَّةِ مِنَ الْأَقْمَارِ إِلَى الْمَجَرَّاتِ، فِي نِظَامٍ كَوْنِيٍّ، يَعْلَمُونَ مُبْتَدَأَهُ وَلَا يَصِلُ عِلْمُهُمْ إِلَى  
مُنْتَهَاهُ.

بَلْ إِنَّ الْعُلَمَاءَ مَا زَالَ عِلْمُهُمْ يَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ أَسْرَارِ أَجْسَادِهِمْ، فِي نِظَامٍ رَازِعٍ، مُرَكَّبٍ  
مِنْ "بِلَايِينِ" الْأَنْظِمَةِ؛ حَيْثُ كُلُّ خَلِيَّةٍ فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ، لَهَا نِظَامٌ رَازِعٌ مُعَقَّدٌ، وَمِنْ هَذِهِ  
الْخَلَايَا، تَتَكَوَّنُ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْأَنْظِمَةِ، لِتَكُونَ وَتَبْنِي أَنْظِمَةَ جَسَدِيَّةً كُبْرَى، كَالْقَلْبِ  
وَالدِّمَاغِ وَالْكَبِدِ وَالرِّئَةِ وَالْمَعِدَةِ وَسِوَاهَا، وَلِتَتَكَامَلَ هَذِهِ الْأَنْظِمَةُ وَتَتَرَاتَبُ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ  
جَمِيلٍ بَدِيعٍ هُوَ جَسَدُ الْإِنْسَانِ، وَمِثْلُهَا أَجْسَادُ كَثِيرٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ،

وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَفِي جَوَافِ الْبَحَارِ، وَعِنَانِ الْمَضَاءِ، وَمِمَّا تَرَاهُ الْعَيْنُ، وَمِمَّا يَدْرُقُ عَنِ الْعَيْنِ،  
وَمَا لَا يُفَكِّرُ أَنْ تَرَاهُ الْعَيْنُ إِلَّا بِالْمِجْهَرِ، أَوْ بِعَيْنِ الْعَقْلِ؛ لِتَتَكَامَلَ هَذِهِ الْأَنْظِمَةُ غَيْرُ  
الْمُتَنَاهِيَةِ، فِي نِظَامٍ كَلْبِيٍّ يَدْبِعُ مُنْتَظِمٌ مُتَرَابِعٌ مُتَكَامِلٌ.

نَعَمْ أَمَّا الْمَشَابُ، لَقَدْ كَانَ الْكَوْنُ وَمِمَّا يَزَالُ، يَكْشِفُ لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّدْبِيرِ الْإِنْسَانِي الْعَلِيَّ  
خَفِيَّ أَسْرَارِهِ، وَيَدْبِعُ تَكْوِينَهُ، وَجَمَالَ صُنْعَتِهِ.

وَبِهَذَا يَعْلَمُ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُمْ كُلَّمَا زِدَادُوا عِلْمًا بِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَمْرِ الْكَوْنِ زِدَادُوا بِعِلْمِهِمْ  
جَهْلًا وَجَرَسًا عَلَى طَلَبِ الْمَعْرِفَةِ، وَأَنَّهُمْ بِعِلْمِهِمْ وَذَرَسِهِمْ يَزِدَادُونَ حِكْمَةً وَتَوَاضَعًا وَادْرَاكًا  
لِسُقْفِ عُقُولِهِمْ، وَغَائِبَةِ وُجُودِهِمْ، وَأَخْلَاقِيَّةِ هَذَا الْوُجُودِ، ذَلِيلًا عَلَى مَا هُوَ فِي أَصْلِ  
فِطْرَتِهِمُ الرُّوحِيَّةِ مِنَ الْقِيَمِ وَمَعَانِي الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِنْفِقَانِ وَالْإِصْلَاحِ  
وَالسَّلَامِ، وَكَرِهَ مَعَانِي الظُّلْمِ وَالْقِسْوَةِ وَالْإِفْسَادِ وَالْعُدْوَانَ.

يَا بَيِّنَا؛ زَجَمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَ عَقْلِهِ، وَلِذَلِكَ لَيْسَ عَجِيبًا يَا بَيِّنَا أَنْ يَسْتَجِيبَ قَلْبُ  
الْإِنْسَانِ وَعَقْلُهُ لِوَحْدَانِيَّةِ مُبْدِعِ الْوُجُودِ، وَلِغَائِبَةِ هَذَا الْوُجُودِ وَأَخْلَاقِيَّتِهِ، نَعِيدًا عَنِ  
الْكِبَرِ وَالتَّكْبِيرِ وَالمُسْتَسْطَةِ وَالظَّنِّ، وَنَحْنُ يَا بَيِّنَا فِي شَأْنِ عَالَمِ الْغَيْبِ؛ نَعْلَمُ فِي قِرَارَةِ  
نُفُوسِنَا، وَمَدَارِكِ عُقُولِنَا، أَنَّهُ "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، "وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا".

فَلْتَدْعُ أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ جِدَانَ الْحَوْضِ فِي أَمْرِ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى أَنْ نَعُودَ إِلَى عَالَمِ  
الرُّوحِ وَالْغَيْبِ، وَنَكْفِينَا أَنْ نَشْغَلَ أَنْفُسَنَا بِمَا هُوَ مِنْ شَأِينَا مِنْ عَالَمِ وَجُودِنَا وَخَاجَاتِهِ فِي  
عَالَمِ الْحَيَاةِ، مِنَ الْعَمَلِ الْمُثْمِرِ الصَّالِحِ، وَطَلَبِ الْمَعْرِفَةِ وَدَافِعِ الْإِيذَاعِ، وَسَعْيِ التَّسْخِيرِ  
وَالْإِحْسَانِ وَالْإِثْقَانِ وَالْإِعْمَارِ. مَنْ يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِالْمَغِيبِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، فَإِنَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ  
أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ يَكُنْ قَدْ ضَاعَ وَأَضَاعَ. وَمَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ يُسَابِقُ ظِلَّهُ، وَيَتَشْغَلُ عَنْ  
شَأْنِهِ إِلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ، أَوْ مَنْ يَتَعَجَّلُ الْأُمُورَ قَبْلَ أَوَانِهَا، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْعَقْلِ  
وَالْحِكْمَةِ فِي شَيْءٍ.

قَالَ بَيْدَبَا وَالْمَشِيخُ قَدْ جَمَعَ أَطْرَافَ رِذَائِهِ وَهُوَ يَهْمُ بِالْقِيَامِ إِذَا نَأَى بِانْتِهَاءِ الْخَبِيثِ: جَزَاكَ  
اللَّهُ، أَيْهَا الْمَشِيخُ الْجَلِيلُ، خَيْرًا: لِمَا سَمِعْنَا الْيَوْمَ مِنْ حِكْمَتِكَ.  
وَهُنَا أَطْلَقَ أَحَدَ الظَّرْفَاءِ الْحَاضِرِينَ -ضَاحِكًا- صَرْخَةً مُوَاءَ قِطْعَةٍ، تَذَكِيرًا بِقِطْعَةِ  
الْفِيلِلسُوفِ السُّفْسُطَائِيِّ، أَضْحَكَتِ الشَّيْخُ، وَأَضْحَكَتْ مَعَهُ بَيْدَبَا، وَضَحِكَ لَهَا  
الْحَاضِرُونَ وَهُمْ يُغَادِرُونَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

## خَلَطَ الْمَفَاهِيمَ وَالْخَطَايَا أَنْكَى مِنْ خَلَطِ الْعَذَبِ بِالْأَجَاجِ

قال الشيخ: يا بيدبا: الأمر الآخر الذي لا يقل أهمية عن أي أمر سبق أن حدثتك عنه هو أمر الخلط بين المفاهيم، وأول خلط أود أن أحديثك عنه هو أمر الخلط بين الذكر من جهة، والجهاد في سبيل الحياة وإعمارها من جهة أخرى؛ فالذكر وإرشاد الهدي ليس تديلاً عن جهادات الحياة لتحقيق الذات في العمل والسعي، والإبداع للشمس وغيره، وبناء الحياة وإعمارها؛ بل إن الذكر هو دليل العقل، ولا معنى لدليل لا يؤدي إلى غاية في العقل وإغناء الحياة.

أما الخلط الآخر الذي أود أن أحديثك عنه فهو أمر الخلط بين الدولة والدعوة، خاصة في عهد اشتداد الصراعات والمواجهات بين الشعوب والأمم؛ فإن ذلك يعشبي الرؤية، ويضرب بمستقبل علاقات الأمم والخصارات، فيخرجها من دائرة التكامل والتعاون والجوار إلى دائرة الصراعات والفتن والحروب.

فالدعوة يا بيدبا عاطفة إزاء إنساني، وهي الكلمة الحسنى، وهي حب وإرشاد إلى طريق الخير، لا مجال فيها لكونها علاقة إنسانية نبيلة للإغرام أو الإكراه أو الكراهية أو الغضب، فكل شاة معلقة من عرفها "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وهذا غير أمر الدولة



وَتَصْرِيفِ سُئُوبِهَا، وَمُوَاجَهَةِ تَحَدِّيَاتِهَا.

فَالدَّوْلَةُ يَا بَيِّنَاتِي -عَلَى خِلَافِ الدَّعْوَةِ- هِيَ كَيَانٌ بَشَرِيٌّ بِكُلِّ مَكُونَاتِهِ؛ أَيُّ إِنَّ الدَّوْلَةَ أَرْضٌ  
وَشَعْبٌ وَأَنْظِمَةٌ وَمَصَالِحٌ وَثَقَافَاتٌ وَتَقَالِيدٌ، وَالدِّينُ وَالْعَقِيدَةُ اللَّذَانِ هُمَا مَوْضُوعُ الدَّعْوَةِ  
جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ مَقْوَمَاتِ الدَّوْلَةِ، وَهُوَ جُزْءٌ وَلَا شَكَّ يُؤَثِّرُ فِي سُلُوكِ الدَّوْلَةِ وَتَفَاعُلَاتِهَا وَرُدُودِ  
فِعْلِيَّاتِهَا تَجَادَةً مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الدُّوَلِ وَالشُّعُوبِ، لِكِنَّهُمَا لَا يَنْفَرِدَانِ بِالتَّأثيرِ فِي سُلُوكِ الشُّعُوبِ  
وَالدُّوَلِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ عِلَاقَاتِ الدُّوَلِ وَمَصَالِحِهَا مَعَ الْآخَرِينَ، سَوَاءً أَكَانَتْ وَدِيَّةً أَمْ عِدَائِيَّةً،  
وَلَا سِيَّمًا حِينَ تَكُونُ هَذِهِ الدُّوَلُ صَحِيَّةً عُدْوَانٍ عَلَيْهَا، تُبِيحُ لَهَا مَمَارَسَةَ حَقِّهَا وَحَقِّ شَعُوبِهَا  
فِي مُوَاجَهَةِ الْعُدْوَانِ، وَالِدِفَاعِ عَنِ نَفْسِهَا، وَعَنْ حُقُوقِهَا، بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُهُ، وَبِكُلِّ  
مَسْئُولِيَّةٍ، مِنْ دُونِ مُبَالِغَةٍ أَوْ تَجَاوُزٍ لِلْحَاجَةِ أَوْ الضَّرُورَةِ الَّتِي تُقَدِّرُ بِقُدْرَتِهَا فِي ضَوْءِ الْحَالِ  
وَالأَمْرِ الْوَاقِعِ، فَلَا يَرْتَكِبُ بِاسْمِ الدِفَاعِ عَنِ النَفْسِ أَيُّهُ أَعْمَالٌ مُدْمِرَةٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا وَلَا  
ضَرُورَةَ لَهَا، وَخَاصَّةً حِينَ يُوجَدُ لَهَا بَدِيلٌ مُتَوَازِنٌ أَقْلُ ضَرَرًا عَلَى أَطْرَافِ الْبِرَاعِ؛ لِأَنَّ حَيَاةَ  
الْإِنْسَانِ وَحُقُوقَهُ وَمُمْتَلِكَاتِهِ -مَدِينِيًّا كَانَ أَمْ عَسْكَرِيًّا- حَقٌّ مُقَدَّمٌ وَمَسْئُولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لَا  
يَصِحُّ التَّضَجُّعُ بِهَا مِنْ دُونِ مُسَوِّعٍ مُشْرُوعٍ، وَمِنْ دُونِ ضَرُورَةٍ شَدِيدَةٍ لَيْسَ عَلَيْهَا مِنْ  
مَجِيصٍ، هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي عِلَاقَاتِ الدُّوَلِ، وَأَيُّ قَوْلٍ غَيْرِهِ كَذِبٌ وَزَيْفٌ وَخُرُوبٌ نَفْسِيَّةٌ.

يَعِشُ بِهَا الْمُتَرَفِّقُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَا تَنْطَلِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَلْتَزِمُهَا قَائِلُهَا قَبْلَ أَيِّ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَكُلُّ أَحْدَاثِ الْوَاقِعِ وَالتَّارِيخِ وَضُرُوبَاتِ الْفِطْرَةِ وَالْبِنَاءِ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ. فَإِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ يَا بَيْدِيَا هِيَ كَلِمَةُ حَسَنَةٍ لِلْخَيْرِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ، فَالْعَالَمُ فِي مَنْظُورِهَا، وَفِي مَنْظُورِ الدَّعَاةِ، لَا يَكُونُ إِلَّا دَارَ قَبُولٍ وَدَارَ دَعْوَةٍ: أَيُّ بِلَادٍ مَنْ قَبِلَ وَأَمَنَ بِالدَّعْوَةِ، وَبِلَادٍ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الدَّعْوَةَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا بَعْدُ، وَيَجِبُ مُوَاصَلَةُ دَعْوَتِهِمْ رَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ وَقَبُولِهِمْ لَهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

أَمَّا الدُّوْلَةُ يَا بَيْدِيَا فَهِيَ كَيْفَانٌ وَمَصَالِحٌ، تَتَعَرَّضُ عِلَاقَاتُهَا لِلْمَلَمِ وَالْخَرْبِ، وَالْوُدِّ وَالْعَدَاةِ، وَمِنْ مَكُونَاتِهَا الدِّينُ وَالْعَقِيدَةُ، وَلِهَا ثِقَافَاتُهَا، وَتَتَعَلَّقُ بِهَا الْحُقُوقُ وَالْمَصَالِحُ، وَتَعْرُوهَا الْقُوَّةُ وَالضَّعْفُ، وَكُلُّ مَا سَبَقَ هِيَ عَوَامِلٌ تُؤَثِّرُ مُجْتَمَعَهُ فِي سُلُوكِ الدُّوْلَةِ وَعِلَاقَاتِهَا؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْعَالَمَ فِي مَنْظُورِ الدُّوْلَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ هِيَ: دَارُ السِّلْمِ، وَدَارُ الْعَهْدِ، وَدَارُ الْخَرْبِ.

فِدَارُ السِّلْمِ هِيَ أُمَّةٌ وَبِلَادٌ تَكُونُ فِي جَوْهَرِهَا مُجْتَمَعًا وَاحِدًا، وَلِهَا مَصْلَحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَتَخْضَعُ لِقِيَمِهِمْ وَتَشْرِيْعَاتِ وَقَوَائِينِ مُلْكِيَّةٍ مُوَحَّدَةٍ يُقْضَى فِيهَا بَيْنَ النَّاسِ عَلَى أَسَاسِهَا بِالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ، وَلَا مَشْرُوعِيَّةَ يَا بَيْدِيَا فِي دَارِ السِّلْمِ؛ الَّتِي هِيَ دَارُ مُوَاطَنَةٍ وَرَجْمٍ، إِلَّا

لِلْوَثَائِلِ السِّلْمِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ، وَلَا مَوْضِعَ لِاسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ فِي أَيِّ بَرَاءٍ أَوْ دَعْوَةٍ  
إِنْصَافٍ أَوْ إِصْلَاحٍ.

وَذَارُ الْعَهْدِ: هِيَ بُلْدَانٌ وَدَوْلٌ يَرْتَبِطُهَا عَهْدٌ قَدْ يَكُونُ بَيْنَ مُجْتَمَعَيْنِ، أَوْ يَكُونُ بَيْنَ عِدَّةِ  
مُجْتَمَعَاتٍ، لَهُمْ عِلَاقَاتٌ سَلَامٌ مَشْرُوعَةٌ بِشُرُوطِ الْعَهْدِ، وَعَلَى أَطْرَافِهِ الْوَفَاءُ بِهِ، وَلِذَلِكَ  
قَبْلُ عَلَى كُلِّ طَرَفٍ وَاجِبُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ مَا أَوْفَى الطَّرْفُ الْأُخْرَى بِهِ.

وَذَارُ الْحَرْبِ: هِيَ الْبِلَادُ وَالْدَوْلُ الَّتِي تَسْعَى بِالظُّلْمِ وَالْقَهْرِ وَالْعُدْوَانِ، وَالَّتِي تُعْلِنُ الْعَدَاءَ  
وَتَسْعَى بِالضَّرْرِ، وَإِعْلَانُ الْعَدَاوَةِ وَالْحَرْبِ، مِنْ دُونِ وَجْهِ حَقٍّ أَوْ عُذْرٍ مَشْرُوعٍ، فَتَكُونُ  
الْعِلَاقَةُ مَعَهَا بِالطَّبَعِ عِلَاقَةُ حَرْبٍ وَعَدَاءٍ وَدِفَاعٍ مَشْرُوعٍ عَنِ النَّفْسِ.

هَذَا هُوَ جَوْهَرُ طَبِيعَةِ الدَّعْوَةِ وَأَسْلُوبِهَا، وَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ طَبِيعَةِ الدَّوْلَةِ وَعِلَاقَاتِهَا  
وَوَاجِبَاتِهَا تَجَادُرَ عَايَاهَا، وَتَجَادُ الْإِنْسَانِيَّةِ، هَكَذَا كَانَتْ فِيهَا مَضَى، وَهَكَذَا اسْتَبَقَى إِلَى أَمَدٍ  
طَوِيلٍ، إِلَى أَنْ تَتَكَاثَرَ الدَّوْلُ وَالْمُجْتَمَعَاتُ، وَتَتَأَلَّفَ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَتَلْتَقِيَ فِي تَجْمُوعٍ وَاحِدٍ،  
وَكِبَانٍ عَالِمِيٍّ سَلْبِيٍّ وَاحِدٍ، وَحُكُومَةٍ عَالَمِيَّةٍ فِدْرَالِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَعَلَى أَمْرٍ سَوَاءٍ مِنَ الْعَدْلِ  
وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، فِي خِلَافِ مَصْلَحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقِيَمٍ وَقَوَانِينٍ وَتَشْرِيعَاتٍ عَامَّةٍ تُوَافِقِيَّةٍ وَاحِدَةٍ،  
وَتَكُونُ مُلْزِمَةً؛ بِخَيْثُ تَلْتَزِمُ الْحُرِّيَّةَ وَالْعَدْلَ وَالتَّكَافُلَ، وَتُوَفِّرُ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ لِلْجَمِيعِ.

غَيْرَ هَذَا يَا بَيْدِيَا؛ خَلَطَ وَزَيَّفَ وَافْتَرَأَ لَا يَخْدُمُ إِلَّا الْحُرُوبَ النَّفْسِيَّةَ لِلْمُهْتَمِينَ  
 الْكَوَاسِرِ؛ لَيْتَ رُوحَ الْهَزِيمَةِ، وَقَتْلَ رُوحِ الْعَزِيمَةِ وَالْمُقَاوِمَةِ فِي ضَحَايَا الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.  
 وَلِذَلِكَ؛ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ أَوْ الصَّوَابِ فِي عَالَمِنَا الْيَوْمَ، وَفِي حُرُوبِهِ النَّفْسِيَّةِ، أَنْ تُخَمَّلَ  
 الْعَقَائِدُ وَالْأَدْيَانُ، أَوْ أَيُّ عُنُصُرٍ مِنْ عُنَاصِرِ كِيَانِ الدُّوَلِ وَحَدَهُ مَسْئُولِيَّةَ تَصَرُّفَاتِ الدُّوَلِ،  
 بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُنظَرَ فِي الْأَمْرِ نَظْرَةً كَلِّيَّةً إِلَى الْمَوْقِفِ لِمَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ الْحَقِيقِيَّةِ،  
 وَالْعُنَاصِرِ الْمُؤَثِّرَةِ الْمُخَرِّكَةِ، وَالْمَسْئُولِيَّاتِ الْمُتَرْتِبَةِ، وَعَدَمِ إِصْدَارِ الْمُنْصَبِينَ وَأَنْصَارِ  
 الْعَدْلِ وَالسَّلَامِ الْأَحْكَامِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ جُزْأَهَا؛ تَبَعًا لِأَغْرَاضِ الْمُعْتَدِينَ وَخَطَطِ حُرُوبِهِمْ  
 النَّفْسِيَّةِ.

وَإِذَا كَانَتِ الْأَدْيَانُ وَالْعَقَائِدُ يَا بَيْدِيَا تُدْعَوُ إِلَى السَّلَامِ وَالسَّمَاخِ فَإِنَّ مِنْ وَاجِبِهَا أَنْ تُقَرَّ  
 حَقُّ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ لِمَنْ يُسْتَضْعَفُ، وَلِمَنْ يُعْتَدَى عَلَيْهِ، وَلَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ فِي شَيْءٍ  
 أَنْ يُطَلَّبَ بَعْضُ أَطْرَافِ الْقُوَى الْمُعْتَدِيَّةِ إِلَى رِجَالِ الْأَدْيَانِ وَالْعَقَائِدِ، وَإِلَى رِجَالِ الْفِكْرِ  
 وَالْكَلِمَةِ، فِي بِلَادِ الشُّعُوبِ الْمُسْتَضْعَفَةِ الْمَقْهُورَةِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ  
 وَمَوَاقِفِ أَطْرَافِ الصِّبْرَاغَاتِ، أَنْ يُنْكَرُوا مِنْ دُونِ قَيْدٍ أَوْ شَرْطٍ عَلَى هَذِهِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ  
 الْمُسْتَضْعَفَةِ حَقِّهَا فِي الدِّفَاعِ الْمَشْرُوعِ عَنْ نَفْسِهَا، وَدَفْعِ الْمَطَالِمِ عَنِ شُعُوبِهَا، وَعَنِ



المُستضعفين من بني البشر، وحفظ حقوقهم وأرضيتهم ودمائهم، وأن يتألبوا منهم دعوة هؤلاء المقهورين والمستضعفين إلى قبول الظلم والقهر والسحق والخنوع والخضوع للأقوياء المعتدين، وأن عليهم أن يديروا معارك دفاعهم عن أنفسهم، وعن حقوق شعوبهم، إن اعترف لهم بذلك من قبل الأقوياء المعتدين، على القواعد والوسائل و"الإستراتيجيات" التي يفرضها هؤلاء الأقوياء المعتدون، والتي تُناسب "إستراتيجياتهم" وإمكاناتهم، بما لا يترك لهذه الدول والشعوب المقهورة المظلومة أية فرصة للدفاع المشروع الفعال عن نفسها، والخروج من الصراعات الظالمة بوضع يسمح لها بالوصول إلى حلول سياسية مناسبة معقولة لمعانيتها ومطالبها، وإن التبديل لهذا المنطق الأعرج المعوج عملياً وواقعياً هو دفع هذه الشعوب وشبابها إلى الإحتياط وزدود الفعل اليائسة، خاصة حين يكون العدوان مدمراً لكيانات هذه الدول والشعوب، وكرامتها، وللمستقبل أجيالها ومصالحها الأساسية المشروعة.

وكما ترى يا بنيدينا؛ فإني لا أتحدث في عالم كواسر هذا الزمان، عن حلول إنسانية عادلة؛ لأن مثل هذه الحلول لا تعرفها "سياسات القوة"، ولكنني أتحدث عن حلول سياسية مُحتملة معقولة؛ لأنه لا يستطيع عاقل في "عالم الكواسر" و"العنصريات"



و"سياسات القوة" و"الأمر الواقع" و"شريعة الغاب"، فهما زئف المرتفقون، أن يتخذت عن حلول عادلة من دون أن يُرمى بالغباء والجُنون في عالم السياسة المعاصرة.

إن من يُنكر على الشعوب حقها في الدفاع عن النفس فإنه على ما تُشاهد من خال البشر واهم، إن ظن أن هذه الشعوب والأمم، سوف تُصغي إلى مثل هذه الدعاوى والمطالب، من أي متحدث كان، وبأي اسم كان؛ وعلى كُلي من تُهمهم مصالح شعوبهم، ويُهمهم سلام الإنسانية وأمنها، أن يتعلموا الدروس، وتأخذوا العبر من سالف تجارب الشعوب ومآسيتها، وما جرته أطماع أصحاب المصالح الجامحة والجشع المفرط والهوس والخرف العقدي من خسائر وإسالة دماء لشعوبهم قبل سواها، ولا تخرج من مثل هذا المأزق الإنساني المخزي والمُخزٍ في الوقت نفسه إلا أن تأخذ الأمم والشعوب وعقلاؤها أمر سياسات حكوماتها، وأمر مصالحتها، وأمر مصائبها ومصالح أبنائها، ودمائهم، في يديها، لا في يد الحُمقى وأصحاب المصالح الخاصة والنُفوس المريضة فيها.

نعم يا بئديا إن على الشعوب والدول جميعا إذا أخلصت في طلب العدل والأمن والسلام أن تتعلم من التاريخ، وأن العقل والحكمة إنما يكمنان، بحديهما الأدنى، في الحلول السياسية المعقولة العادلة ما أمكن، ولهذه الدول والشعوب والقادة



دُرُسٌ وَعِبْرَةٌ فِيمَا يُسَمَّى الإِمْبِرَاطُورِيَّةَ العَجُوزَ الَّتِي لَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ تُغِيبُ عَنْهَا كَمَا يَقُولُونَ؛ فَالسَّبِيلُ الَّذِي سَلَكَتُهُ هَذِهِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةُ وَحُكْمَاءُ السِّيَاسَةِ فِيهَا، فِي مُوَاجَهَةِ الشُّعُوبِ وَحَرَكَاتِ المُقَاوَمَةِ، حِينَ ذَرَفَتْهَا فِي أَوْصَالِهَا؛ هُوَ السَّبِيلُ الحَرِيُّ بِالتَّمَعُّنِ فِيهِ، وَالإِسْتِفَادَةِ مِنْهُ، فَقَدْ أُبْدِعَ سَاسَةُ هَذِهِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ، عَلَى عَكْسِ مِوَاهِمٍ مِنَ السِّيَاسَةِ الحَقِيقِيَّةِ، إِلَى الأَخْذِ بِالحُلُولِ السِّيَاسِيَّةِ، وَتَخَلُّوًا عَنِ سِيَاسَاتِ العُنْفِ وَالقَهْرِ الحَاطِلَةِ؛ فَحَاقَطُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَكَاسِبِهِمْ مِنْ ذُوبِ حُرُوبٍ وَلا سَفْكَ دِمَاءٍ.

أَمَّا الدُّوَلُ المُعْتَدِيَّةُ المُغْرُورَةُ بِقُوَّتِهَا فِي عَالِمِ اليَوْمِ فَإِنَّ عَلَّتِهَا أَنْ تَذْكَرَ دُرُوسَ مُقْطُوعِ العَاشِمِينَ وَرِوَالِ الإِمْبِرَاطُورِيَّاتِ البَائِدَةِ؛ فَمَا حَدَثَ ذَلِكَ إِلا بِسَبَبِ الإِثْمَانِ، وَالإِسْتِيفَارِ، وَتَرْفِيفِ الدِمَاءِ وَالمَوَارِدِ؛ بِمُقَاوَمَةِ الشُّعُوبِ المُقْهُورَةِ الَّتِي أَحْبَطَهَا اليَأْسُ وَالظُّلْمُ، وَأَصْبَحَتْ لِشِدَّةِ مُعَانَاتِهَا، وَمَا تَكَبَّدَتْهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الأَلَامِ وَالحَسَانِيرِ، تُسْتَمِيتُ فِي انْتِقَامِهَا وَمُقَاوَمَتِهَا، وَتَتَحَمَّلُ بِجِلْدٍ عَجِيبٍ مَا يَنْزِلُ بِهَا مِنْ حَسَانِيرٍ وَكَوَارِثٍ؛ وَكَانَتْهَا لَمْ يَبْقَ لَدَيْهَا مَا تَبْكِيهِ أَوْ تُحْسِرُهُ، قَالَ قَائِلُهُمْ: "ضَرَبُوا الأَعْمَى عَلَى عَيْنِهِ". قَالَ لَهُمْ: مَا عَلَيْنَا! "حَسْرَانَةٌ حَسْرَانَةٌ".

يَا بَيْدَبَا؛ فِي دُرُوسِ التَّارِيخِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَغْتَبِرُ.

إِنَّ ذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الْأَوَّلِيُّ وَالصَّحِيحُ فِي عِلَاقَاتِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، خَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَمَا تَمَلَّكَهُ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْ وَسَائِلِ الدَّمَارِ، أَمَا الْعُنْفُ وَالظُّلْمُ وَالْقَهْرُ، وَالْإِسْتِخَارُ بِالْأَرْوَاحِ وَالذِّمَاءِ، وَالْإِسْتِيسْلَامُ لِتَوَاعِي الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ وَخِمَاقَةِ الْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى السِّيَاسَاتِ الْخَاطِئَةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُؤَلِّدُ إِلَّا مَزِيدًا مِنَ الْعُنْفِ وَالْخِمَارَةِ لِلْأَطْرَافِ الْمُتَوَرِّطَةِ فِيهِ كَافَّةً.

إِنَّ عَلَى جَمِيعِ الْأَطْرَافِ يَا بِنْدَبَا أَنْ تَعُودَ -إِنْ عَقَلْتَ وَانْعَضْتَ وَاعْتَبَرْتَ- عَنْ كُلِّ ذَلِكَ إِلَى رُشْدِهَا، وَأَنْ تَضَعِ -بِالْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالْإِعْتِدَالِ- حَدًّا لِحَصْرَاعَاتِهَا.

وَعَلَى الضَّعِيفِ يَا بِنْدَبَا أَنْ يَذْكَرَ أَنْ يَطُشْنَ الْقَوِيَّ مُؤَلِّمٌ وَمُدَمِّرٌ، وَلَا خَيْرَ فِي طَلْبِهِ. وَلْيَذْكَرِ الْقَوِيُّ يَا بِنْدَبَا أَنْ طُولَ مُعَانَاتِهِ وَاسْتِنْفَارِهِ ضَارٌّ وَمُتَمِّكٌ وَمُدَمِّرٌ، وَأَنَّهُ يُؤْذِيهِ بِنَفْسِ الْقَدْرِ الَّذِي يُؤْذِي بِهِ ضَجِئَتَهُ وَأَكْثَرَ؛ لِأَنَّهُ فَلَمَّا يَكُونُ لَدَى الْمُسْتَضْعَفِ الْمَقْبُورِ كَثِيرٌ يَفْقِدُهُ.

وَمِنَ الْمُهِيْمِ أَيْضًا يَا بِنْدَبَا؛ أَنْ يُدْرِكَ الْجَمِيعُ أَنَّ مَسْئُولِيَّةَ الْقَوِيِّ وَالْمُعْتَدِي هِيَ الْأَعْظَمُ فِي تَدْبِيرِ الْحُلُولِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تُزِيلُ الْمَظَالِمَ، وَتُضْعِفُ دَوَاقِعَ الْمُقَاوِمَةِ وَالْعُنْفِ، وَتَتَغَلَّبُ عَلَى رَغْبَةِ الْإِنْتِقَامِ وَدَوَاقِعِهَا فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ.



هَذَا فَقَطْ يَا بَيْدَبَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحُلَّ الْعَدْلُ وَالسَّلَامُ وَالْإِحَاءُ وَالْوَنَامُ بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ مَحَلَّ  
 الْعُنْفِ وَالذِّمَاءِ وَتَوَازِعِ الشَّرِّ وَالْإِتِّقَامِ فِي النُّفُوسِ، وَهَذَا وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُعِيدُ لِلْعَقَائِدِ  
 وَالْأَدْيَانِ قُوَّةَ تَأْيِيدِهَا الْفُعَالِ فِي الدَّعْوَةِ؛ وَفِي تَمَكِينِ دَعَائِمِ الْمَلَامِ الْعَدْلِ وَالْوَنَامِ بَيْنَ النَّوَلِ  
 وَالشُّعُوبِ، وَالْأَفْلِيكَفِ الْمُعْتَدُونَ وَالطَّامِعُونَ عَنِ اللُّؤْمِ، فَلَا لُؤْمَ إِلَّا عَلَيْهِمْ، وَلَا سَبَبَ  
 لِذَلِكَ الصِّرَاعِ وَالْعُنْفِ إِلَّا عُدْوَانُهُمْ وَأَطْمَاعُهُمْ وَسِيَّاسَاتُهُمْ.

وَتَأْيِغِ الشَّيْخَ الْعَجَلِيلُ حَبِيثَهُ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَمُرِيدِيهِ مِمَّنْ حَضَرَ الْبِقَاءَ قَائِلًا: وَمِنَ الْمُهَيْمِ يَا  
 بَيْدَبَا؛ أَنْ تُدْرِكَ الشُّعُوبُ الضَّعِيفَةَ أَنَّنَا إِذَا تَدَبَّرْنَا طَبَائِعَ النُّفُوسِ، فِي الْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ،  
 خَاصَّةً إِذَا تَمَلَّكَهَا غُرُورُ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ، وَإِذَا تَمَلَّكْتُهَا ذَوَائِعُ الْجَشَعِ وَالطَّمَعِ، وَكَثِيرًا مَّا  
 يَحْدُثُ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللُّؤْمَ لَا يَقَعُ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى الْقَوِيِّ الْمُعْتَدِي وَحْدَهُ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأُمَّمَ  
 الضَّعِيفَةَ فِي الْحَقِيقَةِ تُسَهِّمُ بِضَعْفِهَا فِي إِثَارَةِ أَطْمَاعِ الطَّامِعِينَ، وَجَشَعِ الْجَشَعِينَ، وَلِذَلِكَ  
 قَائِلًا بِضَعْفِهَا تَنَالُ نَصِيبًا مِنْ مَسْئُولِيَّةِ الْعُدْوَانِ عَلَيْهَا، مِثْلَهَا فِي ذَلِكَ مِثْلُ مَسْئُولِيَّةِ  
 صَاحِبِ الْمَعْرِزِ الْبَائِسِ الَّذِي لَا يُرْسِلُ مَعَ مَعْرِزِهِ كَلْبًا حَارِسًا؛ وَذَلِكَ لِمَا يَتَّبِعُهُ ضَعْفُ الْمَعْرِزِ فِي  
 قَلْبِ الذُّبِّ مِنْ غَرِيزَةِ الْإِفْتِرَاسِ؛ حِينَ لَا يَرَى كَلْبًا يَحْرُسُ الْمَعْرِزَ وَيَتَدَفَّعُ عَنْهُ، فَالْقُوَّةُ  
 وَالْقُدْرَةُ أَمْرٌ لَا غِنَى عَنْهُ لِكُلِّ ذُوْلَةٍ وَشَعْبٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَمَنْ قَعَدَ لَا يَجِدُ الشَّعْبَ، وَلَا  
 يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ فَلَا يَلُومَنَّ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ إِلَّا نَفْسَهُ.

البحث، والتدريس، والعلم، والمعرفة، "والتقنية"، والعمل، والإنتاج، ثم تبنى أمور رفاهية  
وزينة وكماليات، بل أصبحت بمفهوم العصر وتطلعاته وإمكاناته وتحدياته، وطبيعة  
القوى فيه المملووة بالغرور والجشع والطمع وشهوة التسلط، وسياسات القوة  
والمصالح القومية، ضرورات أساسية وحتمية لرفاهه والبقاء والتعامل في هذا العالم  
شريكاً لا فريسة، وسيداً معززاً لا عبداً مهاناً، وعلى كل المحبين للحرية والعدل والسلام  
أن يعينوا الشعوب والدول المستضعفة على أن تنهض، وأن تزدهر؛ لتصبح شريكاً يسهم  
في رفاه الإنسان ويتبادل المصالح مع سواه من الشعوب، لا فريسة تتصارع عليها الضياع  
والكوايسر لتبني لحميتها وتمزق جسديها.

وبالمقابل؛ يجب يا بيدبا؛ أن تعلم الأمم والشعوب التي أسلمت قيادتها للجشعين  
والطامعين من أصحاب المصالح الخاصة مقابل رشوة هذه الشعوب من قبل سامنتها  
بزئب القول، وتقديم الوعود بتعويض ما مهم هذه الشعوب من شؤون أمورهم الحياتية  
الداخلية الخاصة؛ كالتعليم والتأمين الصحي والاجتماعي، وتأمين العقلي، وما إلى ذلك،  
مقابل أن تمنحهم هذه الشعوب مصيرها، ومصير دماء أبنائها، وقرار السلم والحرب في  
سياساتها وعلاقاتها مع الشعوب والدول الأخرى لهؤلاء السائمة وأصحاب المصالح

الْحَمَقَى وَالْجَشِعِينَ، وَتَثَرَكْ لَهُمْ تَدْبِيرَاتِهِمْ الْعَدُوَّائِيَّةَ الظَّالِمَةَ، مِنْ دُونِ رَقِيبٍ وَلَا خَسِيبٍ  
مِنْ وَعَى جُمْهُورِ الْأُمَّةِ، وَلَا عِلْمٍ بِأَهْدَافِ هَؤُلَاءِ الْمَنَاسَةِ وَأَطْمَاعِهِمْ لِيَتَحَكَّمُوا فِي سِيَاسَاتِ  
هَذِهِ الشُّعُوبِ وَالذُّوَلِ، وَلِيَسْجُرُوا قَوَاهَا وَطَاقَاتِهَا وَدِمَاءَ أُنْبَانِهَا لِمَصَالِحِهِمُ الْوَضِيعَةَ  
الْجَشِيعَةَ، وَيُبَدِّدُوهَا وَيَسْفِكُوهَا كَمَا يَشَاؤُونَ، فَبِذَلِكَ يَجْرُونَ الْوَيْلَاتِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ  
سِوَاهُمْ.

لِهَذِهِ الْعُقْلَةَ، وَهَذَا الْحَمَقَى وَالسَّفَهَ، نَرَى الْيَوْمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّعُوبِ، وَلَا مَبِيتًا شُعُوبٌ مَا  
يُسَعَى الذُّوَلُ الْكُبْرَى وَالْقَوِيَّةُ، أَمَّا تَدْفَعُ ثَمَنًا غَالِيًا حِينَ تَعْقِلُ وَتُقَرِّطُ فِي أَمْرِ الرِّقَابَةِ عَلَى  
سِيَاسَاتِ بِلَادِهَا الْخَارِجِيَّةِ بِذَاتِ الْقَدْرِ بِاهْتِمَامِهَا بِسِيَاسَاتِ بِلَادِهَا الدَّاخِلِيَّةِ وَمَنَافِعِهَا  
الْأَيَّةِ.

هَذِهِ الشُّعُوبُ الَّتِي تُسَلِّمُ قِيَادَهَا لِلْمَنَاسَةِ الْمَرْضِي وَالْجَشِعِينَ، وَأَصْحَابِ الْقَصَالِحِ  
الْخَاصَّةِ، يَا بَيْدِيَا! مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ قَادَتِهِمْ مَثَلُ الْخُرُوفِ يَسْتَمْتِعُ بِالْخَشَائِشِ وَالْعَلْفِ مِنْ يَدِ  
الْجَزَارِ؛ بَلْ يَجْرِي وَيَسْعَى وَيَطْلُبُ هَذَا الْعَلْفَ الَّذِي هُوَ وَعُودُ الْمَنَاسَاتِ الْمُخَلِيَّةِ وَشُرُوعِهَا  
الدَّاخِلِيَّةِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ لَيْسَ كَسَبًا وَلَا نَفْعًا وَلَا غَنِيمَةً، بَلْ هُوَ طَعْمٌ يُعَدُّهُ  
الْجَزَارُ لِلْخُرُوفِ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَى الذَّبْحِ فِي الْمَجْرَرَةِ، وَهِيَ حُرُوبُ الْمَنَاسَاتِ الْخَارِجِيَّةِ

الْحَمَقَاءِ الَّتِي لَيْسَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا لِلشُّعُوبِ فِيهَا عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ نَافِعٌ وَلَا جَمَلٌ، فَكَمْ قَادَ هَؤُلَاءِ السَّاسَةَ الْحَمَقَى وَالْمَرْضَى الْجَشَعُونَ شُعُوبَهُمْ إِلَى الْحُرُوبِ وَالْمَجَازِرِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي يَهْلِكُ فِيهَا الْأَلُوفُ، بِلِ الْقَلَابِيْنَ مِنْ أُنْبَاءِ هَذِهِ الشُّعُوبِ، وَحَقًّا يَا بَيْدَبَا: لَوْ أَنَّ هَذِهِ الشُّعُوبَ عَقَلَتْ وَأَدْرَكَتْ مَا يُدْبِرُ لَهَا لَمْ تُسْمَخْ لِهَؤُلَاءِ السَّاسَةِ الْحَمَقَى، وَالْمُرْتَشِيْنَ، وَأَصْحَابِ الْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ: الَّذِينَ يَكْسِبُونَ أَمْوَالَهُمْ بِغَشِّ الشُّعُوبِ وَسَرِقَةِ نِزَوَاتِهَا، وَيَشْتَرُونَ بِهَا سَاسَتَهَا وَأَصْحَابِ الْقَرَارِ فِيهَا، كَمَا نَرَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ.

إِنَّ السِّرِّيَا بَيْدَبَا فِي قُدْرَةِ هَؤُلَاءِ السَّاسَةِ وَمَنْ خَلَفَهُمْ وَأَصْحَابِ الْقَرَارِ فِيهَا، كَمَا نَرَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ مُنْظَمُونَ مُتَغَطِّرِسُونَ، وَلِذَلِكَ يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يُسَخِّرُوا الشُّعُوبَ الْغَافِلَةَ الْمُضَلَّلَةَ لِمَارِيهِمُ الْجَشَعَةَ الْمُتَسَلِّطَةَ الْمَرِيضَةَ، وَتَقُوذُوهُمْ وَتَقُوذُونَ شُعُوبَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْحُرُوبِ وَالْمَجَازِرِ: لِيَقْتُلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: جَشَعًا وَطَمَعًا وَعُدُوًّا، وَلَقَدْ أَنْ الْأَوَانُ لِهَذِهِ الشُّعُوبِ يَا بَيْدَبَا -مَعَ تَغَاطُّمِ خَسَائِرِهَا- أَنْ تَعْقِلَ وَأَنْ تُدْرِكَ مَا يُدْبِرُ لَهَا وَيُحَاكِّ صِبْدَهَا، وَأَلَّا تُتْرَكَ سِيَّاسَاتِهَا الْخَارِجِيَّةِ مِنْ دُونِ رَقِيبٍ وَلَا حَسِيبٍ، أَصْبَحَ خَالٌ هَذِهِ الشُّعُوبِ الْيَوْمَ مَعَ مَسَاسَةِ بِلَادِهِمْ وَتَفْرِيطِهِمْ بِشَأْنِ سِيَّاسَاتِ بِلَادِهِمْ الدَّوْلِيَّةِ، كَمَا تَقُولُ الْحِكْمَةُ السَّالِفَةُ بِشَأْنِ خَالِ الْخِرْقَانِ وَالْجِرَارِ "إِنَّهَا لَوْ عَقَلَتْ مَا طَمَعَتْ وَلَا طَمَعَتْ وَلَا

سَمِنَتْ مِنْ حَشِيشِ الْجَزَارِ وَعَلْفِهِ وَشَعْبِرِهِ وَتَذْيِيرَاتِهِ؛ لِيَكُونَ مَصِيرُهَا الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ  
وَالذَّبْحُ، وَتَعْدُو دِمَاءَ أَبْنَاءِ الشُّعُوبِ وَمَصَالِحَهَا طَعَامًا لِجَمْعِ السَّاسَةِ، وَمَصَالِحِ  
الْمُنْتَفِعِينَ."

مَا أَصْعَبَ، أَيُّوْمَ يَا بَيْدَنَا، خَالَ الشُّعُوبِ ضَعِيفِنَا وَقُوِّيْنَا، فِي عَقْلِنَا وَعَدَمِ وَعْيِنَا، فِي  
الْخِيَارَيْنِ خَالَ الْمَاعِزِ فِي فَمِ الذَّبِّ، وَخَالَ الْخُرُوفِ فِي يَدِ الْجَزَارِ، وَمَا أَسْوَأَ الْمَالِ، وَمَا  
أَخْوَجَ الشُّعُوبِ إِلَى أَنْ تُمْسِكَ مَصَالِحَهَا وَمِيَسَاتِمَهَا الدَّاخِلِيَّةَ وَالْخَارِجِيَّةَ بِيَدِنَا، وَبِيَدِ مَنْ  
تُحْسِنُ الْخِيَارَ لَهُمْ مِنْ قِيَادَاتِنَا الْمُخْلِصِينَ لِنَا وَالْإِنْسَانِيَّةِ، فِي طَلَبِ الْخَيْرِ وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ؛  
وَحِينَئِذٍ فَحَقُّ يَنْهَضُ الضَّعِيفُ وَنُقُوي، وَتَكُونُ شَرِيكَ مَصْلَحَةِ وَسَلْمِ، وَتُمْسِكَ الْقُوي  
وَالْقَادِرُ بِمَصِيرِهِ وَمَصِيرِ سِيَامَاتِهِ جَمِيعَهَا بِيَدِهِ، الدَّاخِلِيَّ مِنْهَا وَالْخَارِجِيَّ، فَيُخَيِّ مَصَالِحَهُ  
الْحَقِيقِيَّةَ، وَيَحْفَظُ دِمَاءَ أَبْنَائِهِ؛ لِتُصْبِحَ جَمِيعُ الشُّعُوبِ وَالذُّوُلِ إِخْوَةً فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، شُرَكَاءَ  
فِي الْخَيْرِ؛ حَيْثُ يَعْمَلُونَ جَمِيعًا مِنْ أَجْلِ سَلَامِ الْإِنْسَانِ، كُلِّ الْإِنْسَانِ، وَمِنْ أَجْلِ أَمْنِ  
الْإِنْسَانِ، كُلِّ الْإِنْسَانِ، وَمِنْ أَجْلِ رِفَاهِ الْإِنْسَانِ، كُلِّ الْإِنْسَانِ، وَلَنْ تُضَيِّقَ الْقُرْصُ بِأَرْزَاقِ  
أَهْلِنَا وَخَاجَتِهِمْ، هَكَذَا كَانَتْ الْقُرْصُ، وَهَكَذَا سَتَبْقَى، مَا شَاءَ اللَّهُ لَهَا أَنْ تَبْقَى  
مِنْ ذُوِي وَحْدَةِ الْإِنْسَانِ يَا بَيْدَنَا فِي قَصْدِ الْخَيْرِ، وَمِنْ ذُوِي عَقْلِ الْإِنْسَانِ وَجِدَمِ

وَاجْتِهَادِهِ، وَبِنَاءِ حَضَارَتِهِ وَإِعْمَارِهَا، فِي مَسْبَلِ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ، فَلَا  
إِيمَانٌ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ، وَلَا إِعْمَارٌ وَلَا حَضَارَةٌ، وَلَكِنَّهُ صِرَاعٌ وَتَطَالُمٌ حَيَوَانِيٌّ، وَمَصِيرٌ إِلَى  
الْبِمَاءِ وَالْخَرَابِ وَالذَّمَارِ، وَمَا مَضَى مِنْ تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ وَصِرَاعَاتِهَا شَاهِدٌ وَنَذِيرٌ؛  
فَالْجَمْعُ الْيَوْمَ أَعْظَمُ، وَالْمَنْدَى أَوْسَعُ، وَالْوَسَائِلُ أَفْطَحُ وَأَفْتَكُ.

إِنَّ الْإِيمَانَ يَا بَيْدَبَا! قَدْ نَمَا وَتَقَدَّمَ فِي مَسَارِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالتَّوَاصُلِ الْكَوْنِيِّ،  
وَهُوَ الْيَوْمَ بَعْلِمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَتَوَاصُلِهِ بِطَبِيعَتِهِ قَائِدٌ-لَوْ شَاءَ- عَلَى تَعْلِيمِ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ مِنْ  
تَارِيخِ إِنْسَانِيَّتِهِ وَتَرَاثِمِهَا؛ لِنَعُودِ إِلَى رُشْدِهِ، وَتَهْتِدِي إِلَى طَرِيقِ سَلَامِ مَسِيرَةِ حَضَارَتِهِ وَعُمُرَانِهِ،  
وَعَلَى كُلِّ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُصْلِحِينَ وَالْمُفَكِّرِينَ يَا بَيْدَبَا! الْعَقْلُ الْجَادُّ بِرُوحِ الْقَرِيبِ مِنْ أَجْلِ  
التَّقْدِيمِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، وَالْمَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ السَّامِيِّ السَّيْلِ، قَبْلَ  
قَوَاتِ الْأَوَانِ.

يَا بَيْدَبَا! كُلِّي تَقَاوُلًا وَأَمَلًا فِي أَنْ يُعْتَدِلَ الْمِيزَانُ، وَلَنْ تَسْمَعَ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ  
عَلِمًا أَنْ تَسُودَ شَرِيعَةُ الْغَابِ فِي عَالِمِ الْإِنْسَانِ، وَأَنْ يَسُودَ الشَّرُّ وَالظُّلْمُ فِي الْأَرْضِ، وَفِي  
حَضَارَةِ الْإِنْسَانِ، وَلَا بُدَّ لِلْفِطْرَةِ السُّوِّيَّةِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ أَنْ تَعُودَ، وَأَنْ  
تَسُودَ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَكُونَ إِلَّا بِأَيْدِي الشَّبَابِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ الْمُصْلِحِينَ الْمُتَّقِينَ يَا

بَيْدِنَا؛ وَذَلِكَ آتٍ؛ حِينَ يَصْبِحُ الْعَزْمُ، وَتَصْبِحُ الْعَقِيدَةُ، وَتَصْبِحُ الرُّؤْيَةُ الْحَضَارِيَّةُ الْكُونِيَّةُ،  
نَعْمَ يَا بَيْدِنَا؛ ذَلِكَ آتٍ مِنْ دُونِ سَكَ أَوْزَيْبٍ، وَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا اتَّصَحَّتِ الرُّؤْيَةُ قَرِيبًا بِإِذْنِ اللَّهِ.  
عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ تَوَقَّفَ الشَّيْخُ عَنِ الْحَدِيثِ لِيَرْتَفِفَ جِرْعَةٌ مِنَ الْمَاءِ، انْتَهَزَ بَيْدِنَا الْفُرْصَةَ  
عِنْدَ ذَلِكَ مُسْتَرْيِدًا هُوَ وَإِخْوَانُهُ مِنْ حِكْمَةِ الشَّيْخِ وَمِمَّا تَبَقِيَ مِنَ الْوَقْتِ فَقَالَ مُخَاطِبًا  
الشَّيْخَ الْجَلِيلَ ابْنَ بَطْلُوطَةَ: هَلْ مِنْ أَمْرٍ آخَرَ نَعُدُّ هَذَا الْحَدِيثَ الْهَامَّ الشَّيْقِي يَا مَسِيدِي؟  
قَالَ الرَّحَالَةُ الْجَلِيلُ: هُنَاكَ أَمْرٌ آخَرٌ يَا بَيْدِنَا؛ أَوْدُ أَنْ أذْكُرَكَ لَكَ وَإِخْوَانِكَ، وَهَذَا الْأَمْرُ هُوَ  
الْغَايَةُ مِنْ طُولِ حَدِيثِي إِلَيْكَ وَإِلَى إِخْوَتِكَ وَأَخْوَانِكَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْإِصْلَاحِ طَوَالَ هَذِهِ  
الْأَيَّامِ، وَذَلِكَ لِمَا مَرَّبِي مِنْ خُبْرَةٍ وَتَجْرِبَةٍ أَيْهَا الْحَكِيمُ الْأَدِيبُ بَيْدِنَا.

قَالَ بَيْدِنَا: وَمَا تِلْكَ الْغَايَةُ أَيْهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ؛ فَأَبْنَى لَنْ أَلُوْجِهْدَا فِي أَنْ أَحْقِيقَ لَكَ طَلَّتَهَا.  
قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْلُوطَةَ: أَنْتَ تَعْلَمُ، يَا بَيْدِنَا، أَنِّي مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَلَا  
أُرِيدُ - وَقَدْ فَازَتْ الْأَجَلُ يَا بَيْدِنَا، وَأَذِنَ بِالرَّحِيلِ مِنْ دَارِ الطَّيْنِ وَالْفَنَاءِ إِلَى عَالِمِ الرُّوحِ  
وَالْبَقَاءِ - أَنْ يَنْتَهِيَ الْعُمْرُ، وَأَرْحَلَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، لِأَبْدَأُ - مِثْلَ كُلِّ الْبَشَرِ - رِحْلَةَ الْعَوْدَةِ إِلَى  
عَالِمِ الرُّوحِ، مِنْ دُونِ الْأَمَلِ فِي مُسْتَقْبَلِ قَرِيبٍ أَفْضَلَ، وَحَيَاةٍ قَادِمَةٍ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ أَعَزَّ

وَأَكْرَمَ، لِلْإِيمَانِ وَالْأُمَّةِ، وَلِلْقَائِمِ مِنَ الْأَجْيَالِ، وَمِنْ دُونَ الْأَمَلِ فِي حَضَارَةِ رَاهِبَةٍ أَنْثَى وَأَزَقِي  
 لِلْإِنْسَانِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ تَرَانِي يَا بَيْدَبَا؛ قَدْ حَرَصْتُ خِلَالَ مَا مَضَى مِنْ أَيَّامٍ عَلَى أَنْ أُنْقَلِ إِلَيْكُمْ  
 لُبَّ تَأْمَلَاتِي وَخَبْرَتِي فِي الْحَيَاةِ، وَخِلَاصَتَهَا، وَهَكَذَا تَرَى يَا بَيْدَبَا؛ أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ حَدِيثِي إِلَيْكَ  
 وَإِلَى إِخْوَانِكَ وَأَخَوَاتِكَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْإِصْلَاحِ هُوَ الْأَنْ تَكْتَفُوا بِسَمَاعِ مَا تَخَدَّثْتُ بِهِ  
 إِلَيْكُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ وَعَلَى إِخْوَانِكَ وَأَخَوَاتِكَ أَنْ تَنْقُلُوا مَا سَمِعْتُمْ مِنْ حَدِيثِ، وَمَا تَلَّمْتُمْ مِنْ  
 خَبْرَةٍ، إِلَى الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، وَالشُّبُوحِ وَالشَّبَابِ، مِنْ أَجْيَالِ الْمُسْتَقْبَلِ؛ وَأَنْتَ بِخَاصَّةٍ يَا  
 بَيْدَبَا، مَقْصُودٌ أَكْثَرُ مِنْ سِوَاكَ لِأَنَّكَ تُجِيدُ حَيْثُكَ الْحَدِيثِ وَالْحِكَايَاتِ، وَلِأَنَّ الصِّغَارَ  
 وَالشَّبَابَ فِي حَدَاثَةِ سِنِهِمْ الْيَافِعَةِ قَدْ يَصْعَبُ عَلَيْهِمُ الْإِلْقَامُ بِكُلِّ هَذِهِ الْجَهْرَاتِ وَالنَّجَارِ  
 وَالنَّامَلَاتِ الَّتِي تَطْرُقُنَا إِلَيْهَا، وَفِي أَغْلِبِ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ وَأَعْيُنَهُمْ قَدْ لَا تَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ  
 إِلَى كَثِيرٍ مِنْ مَصَادِرِ هَذِهِ الرَّؤْيِ وَالنَّامَلَاتِ؛ لِذَلِكَ فَإِنْ أَسْأَلْتُكَ الْحَكِيمَ يَا بَيْدَبَا فِي الْحَدِيثِ  
 وَالْحِكَايَةِ وَالْقِصَّةِ وَالْجَوَارِ، وَمَا إِلَيْهَا مِنْ وَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْإِعْلَامِ وَالْجَوَارِ؛ يُعَدُّ  
 وَسِيلَةً أَسْهَلًا وَأَيْسَرَ فِي إِبْصَالِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ، وَهَذِهِ الْخَبْرَةِ وَالتَّجْرِبَةِ لِنَفْعِ هَذِهِ الْأَجْيَالِ، وَهُوَ  
 الْأَسْلُوبُ الَّذِي أَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ لِنَقْلِ مَا دَارَيْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ إِلَيْكُمْ، وَلِتَوْفِيرِ الرَّؤْيِ وَالْخَبْرَةِ  
 الصَّالِحَةِ إِلَى نُفُوسِهِمْ؛ وَفِي سِنٍ مُبَكِّرَةٍ، قِيلَ أَنْ يَصْلُبَ عَوْدُهُمْ عَلَى عَوْجٍ؛ فَتُفِيدُهُمْ بِذَلِكَ



فِي بِنَاءِ فِكْرِهِمْ وَوَجْدَانِهِمْ، وَتَبْيِيرِ زُرُوفَتِهِمْ، وَتُسَيِّدِ جُهُودِهِمْ وَمَسِيرَتِهِمْ؛ لِتَحْقِيقِ الْغَايَاتِ  
الْخَيْرَةِ مِنْ حَيَاتِهِمْ، وَلِيَنْتَفِعُوا بِهَا قَبْلَ أَنْ يُغَادِرُوا الْحَيَاةَ وَمَوَاقِعَ الْبِنَاءِ وَالْعَطَاءِ، مِثْلَ مَا  
كَانَ مَصْبُورًا أَبَانًا بِالْأَمْسِ، وَمَا سَوَّفَ يَحْدُثُ لَنَا نَحْنُ عَمَّا قَرِيبٍ، وَلِيَقْبَلُوا كَشُوفَ حِسَابِ،  
وَتَقَارِيرِ أَعْمَالِ ذَاتِ قِيَمَةٍ وَنَفْعٍ عَنْ مَعْنَى حَيَاتِهِمْ وَمَا بَدَلُوا مِنْ جِدِّ وَاجْتِهَادٍ فِي التَّسْجِيرِ  
وَالْتَّبْيِيرِ عَلَى النَّاسِ وَالْخَلَائِقِ، وَفِي فِعْلِ الْخَيْرِ وَبِنَاءِ الْحَضَارَةِ فِي الْأَرْضِ، كَمَا شَاءَ اللَّهُ  
بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لِلْإِنْسَانِ، وَأَزَادَ.

قَالَ بِيَدِيَا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ! لَنْ أَحْتَفِظَ وَأُخَوِّبِي وَأُخَوِّبِي بِمَا سَمِعْنَا مِنْكَ  
لِأَنْفُسِنَا وَحَدِيثِنَا؛ لَكِنَّا سَنَقْصُ وَنُحْكِي كُلَّ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ عَلَى النَّاسِ، كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ،  
وَعَلَى الصِّغَارِ وَالشَّبَابِ خَاصَّةً؛ يَنْتَفِعُوا بِمَا فِي تَوْجِهَاتِكَ وَأَرَائِكَ مِنْ حِكْمَةٍ وَرُؤْيَةٍ وَخَيْرَةٍ؛  
تُعِينُهُمْ عَلَى النُّجَاحِ وَالْفَلَاحِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَتُحَقِّقِ الْغَايَاتِ السَّامِيَةَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِأُمَّمِهِمْ،  
وَلِلْوُجُودِ وَالْمَخْلُوقَاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ، وَذَلِكَ غَايَةٌ مَا تَصْبُؤُ إِلَيْهِ نُفُوسُنَا، وَنَفْسُكَ أَيْضًا أَيُّهَا  
الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، وَتَرْجُوهُ.

تَبَسَّمَ الشَّيْخُ مَسْرُورًا بِمَا سَمِعَ، وَانْتَصَبَ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَاقِفًا، وَقَدِ اكْتَسَى وَجْهَهُ بِسَمْتِ  
جَادٍ وَقُورٍ، وَقَالَ:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ: سَمِعْتُمْ مِنِّي، وَسَمِعْتُمْ مِنكُمْ الْكَثِيرَ فِيمَا مَضَى مِنَ الْأَيَّامِ، وَهُوَ خَيْرٌ، وَلَا شَكَّ، بَحَثْنَا وَمَحْصَنَّا بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ، وَوَضَعْنَا بِهِ كَثِيرًا مِنَ الرُّؤْيَا، وَلَكِنْ لَيْسَ لِكُلِّ هَذَا مِنْ قِيَمَةٍ، وَيُصْبِحُ أَشْبَهَ بِالْبَهْرِ وَالْهَنْدِ، مَا لَمْ يَصْحَبِ الْقَوْلَ الْعَمَلَ.  
لِذَلِكَ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ اجْتِمَاعَاتِنَا وَمُذَارَسَاتِنَا بِدَايَةِ مَزِيدٍ مِنَ الْعَقْلِ، وَأَنْ يَنْصَرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مِنْ هَذَا الْاجْتِمَاعِ، وَهُوَ يُفَكِّرُ بِشَكْلِ حَادٍ إِبْدَاعِيٍّ، أَنْ يَبْدَأَ مَشْرُوعًا يَتَعَاوَنُ فِيهِ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ؛ لِيُضِيفَ بِهِ إِلَى حَيَاةِ مُجْتَمَعِهِ، فِكْرَةً وَجِدْمَةً تَنْمُو وَتُكْبَرُ؛ لِيَتَمُورَ بِهَا حَيَاةُ الْأُمَّةِ، وَيَعْلَمُوا وَيَتَّبِعُوا.

إِنَّ الْخَيْرَ وَالنَّقْدَمَ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا لَنْ يَتَحَقَّقَ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ؛ إِلَّا إِذَا أَخَذَ كُلُّ مِنَّا بِزِمَامِ الْمُبَادَرَةِ فِي يَدِهِ، وَبِرُوحِ الْبَدَلِ وَالْإِثْقَانِ وَجَمْعِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَإِذَا لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَنَعْلَمَ جَمِيعًا أَنَّ كُلَّ مَا نَقُولُهُ وَنَتَّخِذُهُ بِهِ إِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدٌ لِهَوِّ وَهَنْدٍ، يَحْطُّ مِنْ قِيَمَةٍ أَصْحَابِهِ، وَيَشِينُ سَمْعَتَهُمْ، وَيَغْرِي بِهِمُ أَعْدَاءَهُمْ.

وَأخِيرًا أَرْجُو أَنْ تَذْكُرُوا خُلَاصَةَ الْقَوْلِ فِيمَا دَارَ بَيْنَنَا وَتَحَدَّثْنَا فِيهِ، وَأَنْ تَضَعُوهُ نُصَبَ أَعْيُنِكُمْ وَلَا تَلْسُوهُ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُونَهُ أَبَدًا.

وَهَذِهِ الْخُلَاصَةُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ: هِيَ أَنَّ كُلَّ مَا نَصْنَعُهُ فِي دُنْيَانَا إِنَّمَا نَسْتَجِيبُ بِهِ

لِحَاجَاتِ مَعَاشِنَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَمَقْلَبَسٍ وَسَكْنٍ، لَكِنِ بِالْخُلُقِ وَالسُّلُوكِ الْقَوِيمِ نُحَسِّنُ  
بِهِ نَوْعِيَّةَ حَيَاتِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَنُوَدِّي بِهِ مَسْئُولِيَّاتِ الْإِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ وَبِنَاءِ حَضَارَةِ  
الْإِنْسَانِ الْخَيْرَةِ، وَلَا خَوْفَ عَلَيْنَا - نَحْنُ بَنِي الْإِنْسَانِ - مِنْ فَقْرٍ وَلَا جُوعٍ وَلَا عَوْرٍ، فَالْأَرْضُ  
فِيهَا أَرْزَاقُهَا لِلْمُسْتَخْلَفِينَ الْعَالَمِينَ الْعَامِلِينَ، وَبِذَلِكَ نُحَسِّنُ أَيْضاً، نَوْعِيَّةَ عَالَمِنَا، فِي عَالَمِ  
الرُّوحِ وَالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ، فَالتَّكْرِيمُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْكَرِيمِ، فَهَذَا أَسْعَدُ مَنْ مَعِدَ بِعَمَلِهِ فِي  
الدَّارَيْنِ !!

أَرْجُو، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ؛ أَنْ أَكُونَ قَدْ نَصَحْتُ وَتَلَعْتُ، فَأَنْتُمْ أَهْلُ رُؤْيَا، وَعَزِيمَةٌ،  
وَعِلْمٌ، وَقُدْرَةٌ، وَرِسَالَةٌ، أَدْعُو إِلَيْكُمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالْمُدَادِ، وَأَرْجُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَلَّا  
يَكُونَ نَصِيبُ مَا قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ نَصِيحٍ أَوْلَمَنْ يَأْتِي بَعْدَكُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ الْبُلُوِي فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ  
وَقَفَّ بَيْنَدَا، وَوَقَفَ مَعَهُ الْجَمِيعُ لِلْإِنْصِرَافِ، مَعْبَرِينَ لِلشَّيْخِ عَنْ شُكْرِهِمْ لَهُ، وَعَنْ  
عَزِيمَتِهِمْ وَمَنْ وَّرَاءَهُمْ مِنْ شَبَابِ الْأُمَّةِ، لِلْعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِ الْمَزِيدِ مِنَ الْعَمَلِ وَالْجُهْدِ  
وَالْبَدَلِ؛ لِتَمَاقِيهِ خَيْرُهُمْ وَخَيْرُ الْأُمَّةِ وَصَلَاحِهَا.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ أَمْسَكَ الشَّيْخُ بِعَصَاهُ؛ لِيَقِفَ بِدَوْرِهِ مُوَدِّعًا يَنْدَبًا وَإِحْوَانَهُ وَأَخْوَاتِهِ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ.

وَهُنَا مَنَبَقَتُهُ فَتَاهُ جَمِيلَةٌ مِنَ الْحَاضِرَاتِ بِالْوُقُوفِ مِنْ خَلْفِ الصُّفُوفِ، وَخَاطَبَتِ الشَّيْخَ ابْنَ تَطْلُوطَةَ فِي حَيَاءٍ قَائِلَةً لَهُ: يَا شَيْخَنَا الْجَلِيلِ: هَلْ تَسْمَحُ لِي بِكَلِمَةٍ؟  
نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى مُخَيَّأِهَا الْجَمِيلِ وَطَلَعَهَا النَّبِيَّةَ، وَقَالَ: تَكَلِّمِي يَا ابْنَتِي، فَكَلِمِي إِذَا نَ مُصْغِيَةً.

قَالَتِ الْفَتَاةُ: أَنْتَ تَعْلَمُ يَا مَسِيدِي الْجَلِيلَ أَعَزَّكَ اللَّهُ، أَنَّنَا أَحْبَبْنَاكَ وَاسْتَمْتَعْنَا بِحَدِيثِكَ وَجَمْعَتِكَ وَخَيْرَتِكَ وَكَرَمِكَ، وَإِنِّي أَوْدُ أَنْ أُوَاصِلَ الْجُلُوسَ إِلَيْكَ، وَالْإِفَادَةَ مِنْ صُحْبَتِكَ، فَهَلْ تَقْبَلُ بِي رُوحَةَ لَكَ، وَأَنْ أَرَاكَ إِلَى بَلَدِكَ، وَفِي أَسْفَارِكَ، وَأَعِينِكَ عَلَى أُمُورِكَ؛ فَذَلِكَ أَقَلُّ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَّا رَجُلٌ مُخْلِصٌ مُجَاهِدٌ مِثْلَكَ؟  
نَظَرَ إِلَيْهَا الْحَاضِرُونَ، وَتَهَامَسُوا، وَتَضَاحَكُوا، وَهَمَّهَمُوا، وَأَوْمَأُوا بِرُؤُوسِهِمْ تَأْيِيدًا لِسُؤَالِهَا.

نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَيْهَا مَلِيًّا، وَرَأَى فِيهَا فَتَاهًا، تَفُوقَ الْبَدْرَ جَمَالًا، لَا يَرَاهُ فِي مِثْلِهَا رَجُلًا، مَهْمَا بَلَغَ بِهِ الْعُمُرُ، وَقَالَ يُخَاطِبُهَا: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَا ابْنَاتِي مَا أَكُنْتُ لِمَسَابِ الْعِلْمِ وَالْإِصْلَاحِ مِنْ



قَهْلُ تَقْبَلُ بِي زَوْجَةً لَكَ، وَأَنْ أُرَاقَمَكَ إِلَى بَيْتِكَ، وَفِي أَسْمَارِكَ

الْمَخْبِيَّةَ وَالتَّقْدِيرَ، وَلَكِنِّي كَمَا تَعْلَمُونَ رَجُلٌ بَرِّحَالٍ وَسَفَرٌ لَا يَقْرَأُهُ قَرَارٌ، وَرَجُلٌ يُقْبِرُ  
 الْمَسْئُولِيَّةَ وَلَا يُفْرِطُ فِيهَا، وَرَجُلٌ لَهُ فِي أَرْضِ الْوَطَنِ زَوْجَةٌ وَبَنَاتٌ وَأَبْنَاؤٌ وَخَفِيدَاتٌ وَأَحْفَادٌ  
 أَحَبَّيْتَهُمْ وَأَحْبَبُونِي، وَقَدْ أَخْلَصْتُ الْعَهْدَ لِرَوْجَتِي فَأَخْلَصْتُ لِي الْعَهْدَ، وَأَمِنْتُ جَانِبِي، وَأَمِنْتُ  
 جَانِبَهَا، وَلَمْ تَمْتَدَّ يَدِي وَلَا يَدُهَا وَلَا لِسَانِي وَلَا لِسَانُهَا بَيْنَنَا قَطُّ وَلِذَلِكَ أَصْبَحُ مَا يَرْتَبُ بَيْنَنَا  
 هُوَ مَخْصُصُ الْإِخْلَاصِ وَالْأَمْنِ، وَهُوَ سِرٌّ أَيْهَا الشَّبَابُ - إِلَى جَانِبِ الْإِخْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ الْمُتَبَادَلِ  
 بَيْنَ الْأَزْوَاجِ وَأَفْرَادِ الْأُسْرَةِ - مِنْ أَمَمِ أَسْرَارِ سَعَادَةِ الْأُسْرَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ يَا إِخْوَتِي  
 إِذَا حَفِظْتَ كِرَامَتَهَا وَأَمِنْتَ حَقًّا جَانِبَ زَوْجَتِهَا، بِإِحْسَانٍ قَلْبِيهَا وَمَشَاعِرِهَا وَعَطَاءِ زَوْجَتِهَا  
 وَتَضَاجُعِيهَا، وَأَنْتَ لَنْ تَتَخَلَّى عَنْهَا، فَإِنَّهَا تَهَبُ زَوْجَتِهَا، وَتَهَبُ أَبْنَاءَهُمَا، زَوْجَتَهَا وَخَالِصَ حِرْصِهَا  
 وَوَلَدَيْهَا، فَلَا يَكُونُ دَاخِلَ الْأُسْرَةِ فَرِيصًا، وَلَا تَتَعَدَّدُ فِيهِ الْمَصَالِحُ وَالْجَسَابَاتُ.

وَفِي الْجَانِبِ الْأَخْرَبِ أَحْوَاتِي، فَإِنَّ عَلَى الزَّوْجَةِ الْحَذَرَ مِنَ السَّمَاعِ إِلَى النَّصَائِحِ الْحَقِيقَةِ  
 الضَّرَّةَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى إِثَارَةِ غَيْبَةِ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِسْفِينٌ يُدْقُ فِي أَصْلِ بِنَاءِ الْأُسْرَةِ  
 وَعِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ وَاسْتِقْرَارِهَا، وَإِنْ إِعْطَاءُ الْأَمْنِ الصَّادِقِ لِلزَّوْجَةِ مِنْ جَانِبِ الزَّوْجِ، وَثِقَّةُ  
 الزَّوْجِ بِعِفَّةِ الزَّوْجَةِ، وَصَبْرُ كِرَامَتِهَا وَكِرَامَةِ أَبْنَائِهَا، هُمَا الْقَاعِنَتَانِ اللَّتَانِ يَقُومُ عَلَيْهِمَا  
 بِنَاءُ الْأُسْرَةِ الصَّالِحَةِ الْمُسْتَقْبِرَةِ، وَاللَّتَانِ يَخُوضُ بِهِمَا الزَّوْجَانِ فُرُوبَ الْحَيَاةِ؛

خُلُوقَهَا وَمُرَّهَا. ظَهَرَ إِلَى ظَهْرِ. وَتَبَقْنَا يَا إِخْوَتِي أَنَّهُ لَا أَسْرَةَ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ دُونِ هَاتَيْنِ الْقَاعِدَتَيْنِ الْأَسَاسِيَّتَيْنِ؛ وَكُلُّ مَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ خِلَافَاتِ الرُّؤْيِيَّةِ. يُمَكِّنُ لِلزُّوَاجِ-مَا حَكَمْتَ عِلَاقَتَهُمَا آدَابُ الْإِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ الْمُتَبَادِلِ يَدَاوِلِمَانَا- أَنْ يَصِلَا بِالْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَوَاصِرٍ مُتَبَيِّنَةٍ، وَمِنْ مَشَاعِرِ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، إِلَى إِصْلَاحِهِ وَتَلَاقِي سَلْبِيَّاتِهِ وَالتَّعَايُشِ، مِنْ دُونِ عَظِيمِ عَدَاةٍ مَعَ الْكَثِيرِ مِنْهُ.

إِنَّ مِنَ الْمُهْمِ جِدًّا أَنَّهُمَا الْمَثَابُ وَالْمَثَابَاتُ، أَنْ تُقَدِّرُوا مَسْئُولِيَّتَكُمْ بِجَاهِ أَطْفَالِكُمْ، وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ تُلْحِقُوهُ بِهِمْ مِنْ أَدَى هَائِلِ مُدْمِرٍ يَسْتَقِرُّ فِي أَعْمَاقِ نُفُوسِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ نَتِيجَةَ الْإِسْتِحَارِ بِعِلَاقَاتِكُمْ الْأَبَوِيَّةِ، وَتَهْدِيدِ أُمَّهَاتِهِمْ وَدَفْعِ عَشِيهِمْ بِالْبُرْءِ وَالصَّبْرِ فِيمَا بَيْنَكُمْ عَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنْهُمْ، أَوْ مَا هُوَ أَنْكَى مِنْ ذَلِكَ، بِالْفِرَاقِ وَالطَّلَاقِ وَهَدْمِ الْعُشِيِّ وَالِدَارِ؛ لِيَتَفَعَّ الصِّغَارُ صَرَغِي الْحَمَاقَاتِ وَالْأَنَابِيَّاتِ وَضَعْفِ حَسَنِ الْمَسْئُولِيَّةِ، فَيُنْتَمِ الصِّغَارُ، وَيَتَشَرَّدُونَ، وَيُدْمَرُ عَشِيهِمْ، وَيَتَهَدَّمُ حِصْنُهُمْ، وَيَتَشَلَّتْ شَمْلُهُمْ، وَيَتَمَرَّقُ نُفُوسُهُمْ وَيَتَوَرَّعُ بَيْنَ أَبْوَابِ مُتَنَاجِرَتَيْنِ، وَعَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ خَيْرِيهِمْ وَضَعْفِيهِمْ وَبِرَاءَتِهِمْ، الْأَمْرَ الَّذِي يَدْفَعُ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى مَنَاهَاتِ الضَّمِنِ وَمَهَالِكِ الْجَرِيْمَةِ وَالْمُخْدِرَاتِ، فَلِيَحْمِلْ سَيِّئَاتِنَا وَسَيِّئَاتِنَا مَسْئُولِيَّتَهُمْ، وَلِيَرْحَمُوا ضَعْفَ صِغَارِهِمْ، فَلَا يَفْتَالُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَأُمَّتَهُمْ وَبِرَاءَتَهُمْ، وَلَا

يُسْطَوْنَ حَيَاتِهِمْ وَشَبَابَهُمْ، وَإِلَّا كَانَتِ الْعَجْمَاوَاتُ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلِيَحْذَرُوا النَّدَمَ، بَعْدَ الْفُوتِ،  
وَلِيَمِنَ سَاعَةَ مَنَدَمٍ.

لِكُلِّ ذَلِكَ أَيْتُهَا الْعَزِيزَةُ، وَإِلَّاهِي رَجُلٌ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ، وَاقْتَرَبَ وَلَا شَكَّ مِنْهُ الْأَجَلُ؛  
وَلَنْ أَسْتَطِيعَ فِي هَذِهِ السِّنِّ الْوَفَاءَ بِمَسْئُولِيَّاتِ أَفْرَاحِ زُغْبٍ صِغَارٍ، فَلَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَسِيءَ  
إِلَى مَنْ أَمِنَنِي وَأَخْلَصَ لِي وَأَسْلَمَ ظَهْرَهُ إِلَيَّ صَدْرِي، كَمَا أَنَّنِي لَنْ أُجِيبَ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ  
سَيَتَعَلَّقُ أَمْرُهُمْ مِنْ بَعْدِي بِكَ، فَكَمَا تَقُولُ الْحِكْمَةُ الشَّعْبِيَّةُ "أَبْنَاءُ الشَّبَابِ لِلشَّيْبَةِ وَأَبْنَاءُ  
الشَّيْبَةِ لِلْخَيْبَةِ". وَقَبْلَ ذَلِكَ، وَتَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَوْ الْمَوْدَّةِ أَوْ الْإِحْسَانِ فِي  
شَيْءٍ، أَنْ يُعَدِّدَ الرَّجُلُ الرُّوْحَاتِ مِنْ دُونِ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِ -أَيْتُهَا  
الْأَخْتُ الْكَرِيمَةُ- كَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُمْ خَلِقُوا أَرْوَاجًا، فَمُنْذُ الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ زَوْجًا وَخَلَقَ  
خَوَاءً وَاحِدَةً زَوْجًا لَهُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الْبَشَرُ وَمَا زَالُوا يُوَلِّدُونَ -دُونَ فَرَقٍ يُذَكِّرُ- مُنَاصِفَةً،  
ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَلَيْسَ تَسَاوِي خَلْقِهِمْ عَيْثًا، وَلِذَلِكَ كَانَ الْأَسْبَتَانِ، أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ أَكْثَرُ مِنْ  
زَوْجَةٍ، وَذَلِكَ لِخَاجَاتِ، تَتَعَلَّقُ بِالْمُجْتَمَعِ، كَأَثَارِ الْخُرُوبِ، وَمَا تَمْتَثِبِعُهُ هَذِهِ الْخُرُوبُ، مِنْ  
إِزْهَاقِ أَرْوَاحِ أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الرِّجَالِ، وَاسْتِشْهَادِهِمْ، دِفَاعًا عَنِ الْأُمَّةِ وَالْأَوْطَانِ، وَمَا يَتَرْتَبُ  
عَلَى ذَلِكَ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَالَاتِ، مِنْ انْهِيَارِ الْمَوْسِسَاتِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَضَاوُلِ الْمَوَارِدِ



الإقتصاديّة، وما يستتبع ذلك من حاجة النساء الأرملي، إذ لم توجد المؤسسات أو لم تتوفر الموارد اللازمة لرعاية الأيتام الصغار (اليتامى) وتربّعاتهم وتزوي أسرتهم، وهنا يتحتم على من بقي من الرجال، وعلى زواجهم التّضحّيّة ليكون الرجل على قدر طاقته الماديّة، وقدر فداحة أعداد الشّهداء، ورعاية "اليتامى"، زوجاً لامرأة أرملة ثانية أو ثالثة أو رابعة، بقدر الطّاقة، وليس في ذلك تفلّماً واستهانة بحقوق الرّوّة والأسرة.

ومن هذه الاستثناءات أيضاً أن يضطرّ الرجل لزوجة ثانية؛ للحفاظ على عشرة زوجة عاقر، لا أمل لها في إنجاب الولد، فيتكون ولدٌ وُلد لها، وتكون للأبناء أما ثانية كما الرّضاع تُحبّهم وتربّعاتهم، وتسعى مع أمهم لإصلاحهم وسعادتهم، وبذلك يكون للأبناء أمان تحنّون عليهم.

ومن ذلك أيضاً، أن يتخذ الرّوّة زوجة ثانية؛ لرعاية زوجة مريضة، مفاقة نفسياً أو جسدياً، وتكون في حاجة، إلى رعاية محرم يعتني بها؛ فيبقي عليها، ويتخذ زوجة ثانية؛ حفظاً لحقّ سابق العشرة، وأداء لحقّ المؤدّة والرّحمة وحقّ مشاعر الإتياء وعلاقات القرّبي.

ليمن في كلِّ هذا أيُّها الشَّبَابُ وَالشَّابَّاتُ إِحْلَالَ بِمِيزَانِ الْعَدْلِ، أَوْ بِتَوَازُنِ فِطْرَةِ الْخَلْقِ،  
أَوْ الْإِسْتِثْنَاءِ بِنَفْسِيَّةِ الرُّوْحَةِ وَالْأَيْتَاءِ، وَلَا بِحُقُوقِهِمْ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَقْصِيرٌ فِي الْقِيَامِ  
بِوَجِبِ الْمَسْئُولِيَّةِ بِجَاهِهِمْ، وَالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ.

وَأَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَخْتُ الْكَرِيمَةُ لَسْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَأَيُّ شَيْءٍ غَيْرُ ذَلِكَ يَا ابْنَتِي،  
إِنَّمَا، إِضَافَةٌ إِلَى كُلِّ مَا سَبَقَ، هُوَ تَعَدِّي عَلَى حُقُوقِ الْأَخْرَبِينَ مِنَ الرِّجَالِ فِي إِمْكَانِ تَوْافُرِ  
الْحُصُولِ عَلَى شَرِيكَ دُونَ عَنَاءِ.

إِنَّ التَّعَدُّدَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ طَلَبًا لِلْمُنْعَةِ فَقَطْ إِنَّمَا هُوَ تَعَدِّي عَلَى حُقُوقِ الْمُجْتَمَعِ  
وَعَلَى حُقُوقِ الرُّوْحَةِ الْمُؤَدِّيَةِ لِحُقُوقِ زَوْجِهَا، وَأَيُّ خَلٍّ لِأَيَّةِ مُشْكَلَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ أُخْرَى،  
كَالتَّفَلُّتِ الْأَخْلَاقِيِّ بِالْحُصُولِ عَلَى الْمُنْعَةِ الرَّخِيصَةِ، دُونَ حَمْلِ مَسْئُولِيَّتِهَا، فَذَلِكَ يُتَبَسَّرُ  
الدَّعَاةُ بِأَشْكَالِهَا الْمَكْشُوفَةِ، وَالْمُقَنَّعَةِ، وَيُسَهَّلُ عُرُوفَ الشِّيَابِ عَنِ الزَّوْاجِ وَحَمْلِ  
مَسْئُولِيَّةِ الْأُسْرَةِ؛ لِأَنَّ الْجِنْسَ وَالْمَرْأَةَ، وَلَيْسَ الْوَلَدَ، هُوَ أَهْمُ مَا يَرْبِطُ الرَّجُلَ بِالْأُسْرَةِ  
وَالْوَلَدَ، كَمَا أَنَّ أَهْمَ مَا يَرْبِطُ الْمَرْأَةَ بِالْوَلَدِ هُوَ ضَعْفُهَا، وَضَعْفُ وُلْدِهَا، وَحَاجَةُ وُلْدِهَا  
إِلَيْهَا، وَكُلُّ هَذَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى تَفْسِي الْعُنُوسَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَيُسَهَّلُ (وَيَمْسِهَلُ)  
الطَّلَاقَ، وَتَهَارُ (وَأَتَهَيَّرُ) الْحَيَاةَ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَيْضاً، مُخَاوَلَةٌ خَلَّ الْمَشْكِلَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةِ؛ لِأَنَّ مِنَ الْخَطَا حَلَّ مُشْكِلَةٍ عَلَى حِسَابِ مُشْكِلَةٍ أُخْرَى، فَذَلِكَ لَا يَحُلُّ الْمَشْكِلَةَ، بَلْ يَخْلُقُ مُشْكِلَةَ أُخْرَى، وَالتَّعَدُّدُ هُنَا هُوَ أَيْضاً تَعَدُّ لَا تَعُودُ مَعَهُ عِلَاقَاتُ الْأَرْوَاجِ عِلَاقَاتٍ تَأْزِرُ وَمُصْلِحَةٌ وَاحِدَةٌ، يُوَاجِهُهُ بِهَا الْأَرْوَاجُ الْحَيَاةَ ظَهْرًا لِظَهْرِ، بَلْ تُصْبِحُ عِلَاقَاتُ الزَّوْجِ الْمُفْرِطِ فِي حَقُوقِ الْأُسْرَةِ - مَعَ زَوْجَاتِهِ - إِنَّمَا هِيَ عِلَاقَاتُ فُرْقَاءٍ مُتَوَجِّسِينَ، حَيْثُ يَنْهَدِمُ فِي نَفْسِ الزَّوْجَاتِ جَمِيعاً حِسُّ الْأَمْنِ وَالْوَلَاءِ وَالْإِخْلَاصِ، الزَّوْجَةُ الْأُولَى بِمَا لَقِيَتْ، وَالزَّوْجَاتُ الْأُخْرَى بِمَا أَخَذْنَ، وَبِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَلْقَيْنِ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ مِثْلِ هَذَا الزَّوْجِ، فَتُصْبِحُ الْأُسْرَةُ، نَتِيجَةُ صِرَاعِ الْإِنَاثِ، هَسَّةِ الْبِنَاءِ وَالْوَلَاءِ، وَيَذْهَبُ ضَجِيجُهَا الْهَيْئَاءُ وَالْأَبْنَاءُ.

أَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ؛ اذْكُرُوا أَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، الَّتِي ائْتَهَرَتْ فِيهَا الْأَخْلَاقُ، وَفَشَتْ فِيهَا الرِّذِيلَةُ، وَتَنَفَّذَتْ فِيهَا نَجَارَهَا وَ"أَزْلَامَهُمْ"، ائْتَهَرَتْ فِيهَا الْأُسْرَةُ، وَضُيِّعَتِ الْمَرْأَةُ، وَضُيِّعَ الْوَلَدُ، وَائْتَهَرَتْ تِلْكَ الْأُمَمُ وَالْحَضَارَاتُ وَالْمُجْتَمَعَاتُ، بِضِيَاعِ أَخْلَاقِ الْمُجْتَمَعِ، وَضِيَاعِ أَجْيَالِ مُسْتَقْبَلِهِ، وَأَمَّاسِ بُلْبَانِهِ.

فَالْحَذَارِ الْحَذَارِ أَيُّهَا الشَّبَابُ وَالشَّبَابَاتُ، مِنَ الْمَسِيرِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الْمُضْلِمِ، أَوْ مَخَاوِلَةِ  
الدُّخُولِ فِي هَذِهِ الْمَغَامِرَاتِ النَّيِّنَةِ الْمَسْمُومَةِ الْمُهْلِكَةِ، أَوْ تَقْلِيدِهَا وَمُخَاكَاتِهَا.  
عِنْدَ هَذَا تَحَدَّثُ بِيَدَيَا قَائِلًا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّبَابُ وَالشَّبَابَاتُ، فَقَدْ صَدَّقَ الشُّبَّخُ الْجَلِيلُ فِي  
كُلِّ مَا قَالِ، وَالْوَيْلُ الْوَيْلُ "لِمَنْ حَرَبَ الْمُجْرِبَ".

## السيد المكي يطلق زوجته

صَمَتَ الشَّيْخُ الرَّحَّالَةَ بُرْهَةً ثُمَّ وَاصَلَ خَدِيثَهُ مُخَاجِلًا بَيْنَنَا قَائِلًا: أَوْدُ يَا بَيْدَبَا وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الشُّبَّانِ أَنْ أَرَوِي لَكُمْ قِصَّةً طَرِيفَةً تُجَسِّدُ فِي الْوَاقِعِ فَخَوِي مَا مَسْمَعْتُمُوهُ مِنِّي عَنْ أَسْسِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ الْمُتَأَلِّفَةِ الْمُسْتَقِرَّةِ.

قَالَ بَيْدَبَا: نَعَمْ يَا شَيْخَنَا فَالْشُّبَّانُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الدَّرُوسِ وَالْحِكْمَةِ لِبِنَاءِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ الْمُسْتَقِرَّةِ السَّعِيدَةِ، فَقَدْ بَلَغَ أَسْمَاعُنَا الْكَثِيرَ مِنْ تَضَعُّعِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ وَالزُّهْدِ فِيهَا وَمَا يَعْنِي ذَلِكَ مِنْ حِرْمَانِ الْمَرْأَةِ مِنْ حَقِّ الْأُمُومَةِ، إِلَى جَانِبِ ارْتِفَاعِ نِسْبَةِ الطَّلَاقِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ الْأُخْرَى وَتَخَوُّنِي أَنْ يَمْتَدَّ هَذَا الدَّاءُ إِلَى بِلَادِنَا وَشَبَابِنَا.

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بَيْدَبَا، لَقَدْ رَأَيْتُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ ظَاهِرَةَ انْهِيَارِ الْأُسْرَةِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ مَآسٍ لِلْأَبْنَاءِ وَالْوَالِدِينَ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ تُدَلُّ عَلَى ضَعْفٍ فِي أَخْلَاقِيَّاتٍ وَذَلِيلٍ عَلَى سُوءِ التَّرْبِيَةِ وَعَدَمِ تَقْدِيرِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَتَشْوِيهِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ السُّوِيَّةِ، فِي تِلْكَ الْبِلَادِ.

وَكَمَا تَعْلَمُ يَا بَيْدَبَا فَإِنِّي رَجُلٌ رَحَّالٌ، فَكَانَ مِنْ أَطْرَفٍ وَأَفْضَلِ مَا مَرَّ بِي كَانَ جِبْنَ نَزَلْتُ إِلَى إِحْدَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَجَلَسْتُ إِلَى خَلْقَةٍ أُحَدِّثُ الْمُعَلِّمِينَ الْعُلَمَاءَ وَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأُسْرَةِ وَعَنْ أَسْسِ بِنَائِهَا وَتَكَامُلِ أَدْوَارِ أَعْضَائِهَا وَتَرَاحُمِهِمْ وَأَثَرِ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِيَّةِ أَيْتَانِهِمْ وَأَهْقِيَّةِ

فَبِمَا كَلَّمَ أَبِ وَكُلِّ أُمَّ بِدَوْرِهِ فِي تَحْقِيقِ الرَّفَاهِ لِأَسْرَتِهِ زَوْجًا وَأَبْنَاءً، وَأَنْ يُمَكِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ  
الْأَبْوَانِ الْأَخْرَجِيَّةِ دَوْرَهُ وَيَتَّقُوا بِوَأَجْبَاتِهِ، وَجِئْنَا نُنْقِصُكَ بِالسُّؤَالِ عَمَّا يَعْنُ لَهُمْ أَوْ يَشْغَلُ خَاطِرَهُمْ.

عِنْدَهَا تَوَجَّهَ أَحَدُ الشَّبَابِ إِلَى الْمُعَلِّمِ بِالسُّؤَالِ وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمَنَا الْجَلِيلَ لَقَدْ أَفَادَنَا  
وَأَمْتَعَنَا حَدِيثُكَ، وَوَعَلَى أَحَدٍ لَدَيْكَ نَصِيحًا فِي شَأْنِ أَمْرٍ أَقْلَقَنِي وَخَيْرِي يَتَعَلَّقُ بِزَوْجَتِي، فَأَنَا  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ زُرِقْتُ بِزَوْجَةٍ فَاضِلَةٌ وَرِزْقُنَا بِأَيَّةٍ جَمِيلَةٍ قَرَّبَتْ بَيْنَنَا أَعْيُنُنَا، وَلَكِنَّا كَمَا تَرَى أَمَّا  
الْمُعَلِّمُ مَا زِلْنَا يَافِعِينَ تَنْقُصُنَا الْخَبْرَةَ، وَلَا بُدَّ لِمِثْلِنَا أَنْ نَحْصُلَ لَهُ مَا قَدْ يُعَكِّرُ مِنْ مَنَاسِبِ  
الْأُمُورِ صَفْوَتَنَا، وَخَاصَّةً مَا تَعَلَّمَ مِنْ أُمُورِ الْأُمَمَاتِ الْيَافِعَاتِ مِنْ أَحْوَالِ جَسَدِيَّةِ  
وَ"هُرْمُونِيَّةِ" تَجْعَلُ مِرَاجِحُنَّ يَنْفَعِلُنَّ أَحْيَانًا فِي يُسْرِ وَسُهُولَةٍ، وَيَرْغَمُ صَبْرِي وَتَفْهِي أَحَدُ  
زَوْجَتِي، وَرُبَّمَا ذَلِكَ مِنْ تَأْيِيرِ بَعْضِ مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْجَاهِلَاتِ، كُلَّمَا تَعَكَّرَ مِرَاجِحُنَا أَوْ ضَاقَ  
صَدْرُنَا مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ الْعِنَايَةِ الْمُرْهِقَةِ بِالطِّفْلِ وَبِشُؤْنِ الدَّارِ، وَهِيَ يَافِعَةٌ قَلِيلَةُ الْخَبْرَةِ،  
فَأَجِدُهَا تَصْرُخُ وَتَنْفَعِلُ وَتَطْلُبُ الطَّلَاقَ، وَلَا أُدْرِي مَاذَا أَفْعَلُ، وَأَخَشِي أَنْ يَنْفَدَ صَبْرِي.

قَالَ الشَّيْخُ لِلْمَقِي: صَدَقْتَ يَا بَنِي، فَمِرَاجُ الْمَرَاةِ الْيَافِعَةِ وَمَسْئُولِيَّاتُهَا الْأَسْرِيَّةُ الْمُرْهِقَةُ  
وَنَصَائِحُ الْجَاهِلَاتِ مِمَّا قَدْ يُعَكِّرُ صَفْوَةَ الْحَيَاةِ الرَّوْحِيَّةِ، وَرُبَّمَا يَبِينُ مَنْ كَانُوا جُهْلَاءَ حَمَقَى

وغير مُقدِّرين للمسئولية الزوجية والأبوية، أن ينتهي الأمر بينهما إلى الطلاق لِأثفه الأسباب، وخيرا فعلت يا بُني بصبرك وبسؤالك.

وجوابي على سؤالك لن يكون مزيداً من الحديث، ولكنهُ سيكون رواية أحداث قصة طريفة، تحكي أمرك وتُجيب عن سؤالك؛ لذلك أقصها اليوم على مسامعك ومسامع إخوانك، وقد حدثت أحداث هذه القصة لأخ أعرفهُ عرفاً يئدنا بحسن خلقه وكريم شمائله، وخاصة ما عرف عنه من صدق الوعد، ولذلك كنّا ندعوه تقديراً له بالسيد المكي؛ لأن تلك الصفات الكريمة هي مما يُحمد من صفات أبناء ذلك البلد المقدس.

وتبدأ قصة السيد المكي بالزواج كما تزوجت أنت، ورزق مثلك بابتنة جميلة قررت بها عينه وعين زوجته، وكان سلوك زوجته على شاكله زوجته، ولهذا تجدني أسرود قصة على مسامعك ومسامع إخوانك وأخواتك من الحاضرين لأن فيها على طرافتها الإجابة العملية عما تُعانيه ويُعانيه كثيرٌ مثلك.

قال الشيخ ابن بطوطة ولا أخفي عليكم يا إخواني أنني اشفتُ لِسَمَاعِ قصة هذا السيد المكي، وما فيها من طرافة وحكمة، وقد كانت كذلك؛ ولذلك لم أنسها، وأقدت منها؛ ولهذا أنجز هذه الفرصة أيضاً لِأَسْرُدَهَا على مسامعكم.

قَالَ بَيْدَبَا يُخَاطِبُ الشَّيْخَ: لَقَدْ اشْتَقْنَا نَحْنُ أَيْضًا يَا شَيْخُنَا إِلَى سَمَاعِ قِصَّةِ السَّيِّدِ  
الْمَكِّيِّ وَقِصَّةِ طَلَاقِ زَوْجَتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنَ بَطُّوطةَ لِبَيْدَبَا: لَا تُعْجَلْ يَا بَيْدَبَا وَلَا تُتَسَرَّعْ وَتَقْضِي وَأَنْتَ الْحَكِيمُ فِي  
الْأَمْرِ قَبْلَ سَمَاعِهِ.

قَالَ بَيْدَبَا: صَدَقْتَ يَا شَيْخُنَا قَدْ عُنَّا نَسْمَعُ قِصَّةَ مَا جَرَى فَكُنَّا آذَانٌ مُصْغِنَةٌ لِقِصَّةِ  
السَّيِّدِ الْمَكِّيِّ وَزَوْجَتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنَ بَطُّوطةَ يُخَاطِبُ بَيْدَبَا وَالشَّبَابَ مَعَهُ: وَكَمَا ذَكَرْتُ لَكُمْ أَنَّهَا الْإِخْوَةُ فَإِنَّ  
السَّيِّدَ الْمَكِّيَّ كَانَ مَعْرُوفًا بَيْنَ إِخْوَانِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالخُلُقِ الْحَسَنِ وَحَسَنِ الْمَسْئُولِيَّةِ.

وَقِصَّتُهُ كَمَا زَوَّاهَا ذَلِكَ الْمُعَلِّمُ الْفَاضِلُ لِتَلَامِيذِهِ وَسَمِعْتُهَا مِنْهُ هِيَ أَنَّ زَوْجَةَ السَّيِّدِ  
الْمَكِّيِّ غَضِبَتْ ذَاتَ يَوْمٍ أَشَدَّ الْغَضَبِ وَانْفَعَلَتْ أَشَدَّ الْانْفِعَالِ وَطَلَبَتْ الطَّلَاقَ وَبَدَتْ جَادَّةً  
غَاضِبَةً، عَلَى رَغْمِ أَنْ مَا تُشْكُو مِنْهُ لَا يَتَعَدَى بَعْضَ مَسْئُولِيَّاتِهَا الْأَسْرِيَّةِ الَّتِي لَا مَقَرَّ لِلْأُمِّ مِنْهَا  
بِجَاهِ دَارِهَا وَصِغَارِهَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَا مُبَرَّرَ لِطَلَبِهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَلَبُهَا الْخَطِيرُ  
لَيْسَ إِلَّا تَقْلِيدًا أَوْ مَخَاكَةً لِكَثِيرٍ مِنَ الزَّوْجَاتِ الْجَاهِلَاتِ مِنْ بَابِ التَّحَكُّمِ وَالذَّلَالِ.

قَالَ الْمُعَلِّمُ: أَلَمْ حَدِيثُهَا وَطَلَبُهَا السَّيِّدَ الْمَكِّيَّ، فَأَطْرَقَ صَامِتًا مُتَفَكِّرًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى



زَوْجَتِهِ وَقَالَ لَهَا: اسْمَعِي يَا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ وَاعْلَمِي أَنِّي لَنْ أُطَلِّقَ أَبَدًا، فَلَسْتُ أَنَا  
 الَّذِي يَرْتَكِبُ الْخَطَأَ بِالرَّوَّاحِ لِتُدْفِعَ هَذِهِ الصَّغِيرَةَ ثُمَّنَ خَطْبِي وَغَلَطْتِي، وَأَنْتِ يَا  
 زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ تَعْلَمِينَ صِدْقَ قَوْلِي، وَإِنِّي لَا يُمَكِّنُ أَنْ أُنْخَلَى عَنْ مَسْئُولِيَّاتِي بِالطَّلَاقِ  
 وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ آثَارِ بَالِغَةِ الْأَثْرِ وَالضَّرَرِ خَاصَّةً عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَلَكِنِّي يَا زَوْجَتِي  
 الْعَزِيزَةَ سَأَكْتُبُ صِبْغَةَ الطَّلَاقِ وَأَتْرُكُ فَرَغَابَ تُمْلَأُ بِالْأَسْمَاءِ، اسْمِي وَاسْمِكَ، وَإِذَا  
 كُنْتُ خَفًّا تُرِيدِينَ الطَّلَاقَ فَلْتَكُنِّي وَرَقَةَ الطَّلَاقِ يَخُطُّ يَدِكَ وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ سَوْفَ  
 أَنْزِلُ عِنْدَ طَلِّيكَ مَهْمَا كَانَ مُؤَلِّمًا، وَأَوْقِعْهَا لَكَ فِي الْحَالِ مِنْ دُونِ أَيِّ تَأْخِيرٍ، فَلَنْ أَقْبَلَ  
 أَنْ تَبْقَى مَعِي يَوْمًا وَاحِدًا بِغَيْرِ خِيَارِكَ وَإِرَادَتِكَ وَرَغْبَةٍ مِنْكَ، لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْأَسْرِيَّةَ -بِرِغْمِ  
 مَا فِيهَا مِنْ مُعَانَاةٍ وَبَدَلٍ وَتَضَاجُعٍ- يَجِبُ أَنْ تُبْنَى يَا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ عَلَى الْخِيَارِ وَالرَّغْبَةِ  
 وَالْمُودَّةِ وَالرَّحْمَةِ لِتَكُونَ لِكُلِّ أَهْرَادِ الْأُسْرَةِ تَأْلَفًا وَسَكَنًا.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَوَةَ: وَكَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ الْمُعَلِّمُ لِطَّلَاقِهِ فَقَدْ قَامَ الشَّهِيدُ الْمَكِّيُّ  
 بِكِتَابَةِ صِبْغَةِ وَثِيقَةِ (وَرَقَةِ) الطَّلَاقِ وَقَدَّمَهَا لِزَوْجَتِهِ، قَالَ الْمُعَلِّمُ: وَكَمَا أَعْلَمُ أَنَّهَا  
 الشَّبَابُ فَإِنَّ الشَّهِيدَ الْمَكِّيَّ عَلَى عُمْرِهِ الْقَدِيدِ، لَمْ يُوقِعْ تِلْكَ الرَّقْعَةَ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْ  
 زَوْجَتِهِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ -مَهْمَا بَلَغَتْ بِهَا جِدَّةُ الْغَضَبِ وَعِنَاءُ وَمَتَاعِبُ الْأُسُومَةِ، خَاصَّةً



الْوَرَقَةُ الَّتِي لَمْ تُؤَفَّقْ

بَعْدَ أَنْ امْتَدَّتْ الْأَلْفَةُ وَكَثُرَ الْأَبْنَاءُ- كَلِمَةً طَلَبَ الطَّلَاقَ قَطُّ، وَهَكَذَا عَاشَ الْمَيِّدُ الْمَكِّيُّ  
وَزَوْجَهُ وَأَطْفَالُهُمَا مُتَالِفِينَ سَعْدَاءَ فَلَمْ يَكُنْ مِنْ شَيْفَةِ السَّيِّدِ الْمَكِّيِّ يَا بَيْدِيَا أَنْ يُطَلِّقَ  
زَوْجَتَهُ وَأَنْ يُضْرَطَ فِي مَسْئُولِيَّاتِهِ، وَتَهْدِيمِ أَسْرَتِهِ، وَبَيْتِمِ أَبْنَاءِهِ، وَلَمَّا زَوَّجَتْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَمْ  
تَطْلُبِ الطَّلَاقَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَيْطَةَ: وَالدَّرْسُ هُنَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ كَمَا مَتَّبِقٌ أَنْ ذَكَرْتُ لَكُمْ هُوَ  
أَنَّ الْحَيَاةَ الرَّؤُوحِيَّةَ السَّعِيدَةَ الْمُسْتَقْبِرَةَ تَنْبِي عَلَى الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَجِسِّ الْمَسْئُولِيَّةِ  
وَإِلْحْتِرَامِ الْمُتَبَادُلِ لِمَنَانًا وَبِدَا، وَبِالصَّبْرِ وَتَقْبِيرِ مَشَاعِرِ الْآخِرِ، وَإِذَا وَثِقَ الرَّجُلُ بِكَرَامَةِ  
زَوْجَتِهِ وَعَقَبَتِهَا، وَأَمِنَتِ الرَّؤُوحَةَ جَانِبَ الرَّوْحِ وَإِخْلَاصَهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَنْخَلِي عَنْهَا أَوْ يَغَيِّرُهَا أَبَدًا،  
كَانَتْ هُنَاكَ أَسْرَةٌ سَعِيدَةٌ قَوِيَّةٌ مَيِّبَةٌ يَعِيشُ أَفْرَادُهَا ظَهْرًا إِلَى ظَهْرِ، وَلِجَمِيعِهِمْ مَصْلَحَةٌ  
وَاجِدَةٌ وَكَيَانٌ وَاجِدٌ يُجَسُّ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَالْأَبْنَاءُ بِالثِّقَةِ وَالْأَمَانِ، وَتَتَوَحَّدُ مَصَالِحُهُمْ  
وَجُهُودُهُمْ لِلتَّغْلِبِ عَلَى مَا يُوَاجِهُونَ مِنْ مَصَاعِبِ الْحَيَاةِ، وَمَا مِنْ مَصَاعِبٍ إِذَا حَيَّمِ الْوُدُّ،  
وَصَبَّحَ الْعَزْمُ وَتَكَاثَفَتِ الْجُهُودُ وَسَادَ الْجَرِصُ عَلَى مَصْلَحَةِ الْمَجْمُوعِ إِلَّا أَمَكَّنَ خَلْقَهَا  
وَالتَّغْلِبُ عَلَيْهَا.

أَطْرَقَ الشَّيْخُ بُرْهَةٌ وَهُوَ يُرِيْتُ عَلَى فَرْوِ قِطْبَتِهِ الْجَمِيلَةِ، وَأَطَالَ التَّفَكِيرَ وَأَخَذَ الشَّبَابَ

يَتَنَادَلُونَ النَّظْرَاتِ، وَكَأَنَّهُمْ يَتَسَاءَلُونَ عَمَّا أَهَمَّ الشَّيْخَ وَذَعَاهُ إِلَى إِطَالَةِ التَّفْكِيرِ.  
وَهُنَا لَمْ يَتَمَّاكْ بِيَدَيَا أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الشَّيْخِ بِالسُّؤَالِ عَمَّا أَهَمَّهُ وَذَعَاهُ إِلَى إِطَالَةِ  
التَّفْكِيرِ.

رَفَعَ الشَّيْخُ رَأْسَهُ فِي بَطْءٍ وَتَوَدَّدَ، مُحَدِّثًا فِي وَجْهِ الْفَيْلَسُوفِ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْخِطَابَ  
فِي صَوْتٍ غَمِيْقٍ كَأَنَّهُ يَصُدِّرُ مِنْ أَعْمَاقِ هُوَادِيهِ وَقَالَ:

يَا بَيْدِيَا كَمْ يُؤَلِّمُنِي وَيَحْزُنُنِي فِي نَفْسِي وَيُؤَزِّقُنِي خَاطِرِي، أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ،  
وَشَبَابِ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ، لَمْ يَعُودُوا يُدْرِكُونَ مَعْنَى الْأَمْرَةِ وَلَا أَهَمِّيَّةِ الْأُسْرَةِ، وَلَا  
مَعْنَى الْأَبُوَّةِ أَوْ مَعْنَى الْأُموميةِ، وَيَزْعَمُ أَنَّ الْأَمْرَةَ هِيَ الْقَاعِدَةُ الْأَسَاسُ فِي بِنَاءِ الْقُرْدِ،  
وَفِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَأَنَّ الْأُسْرَةَ هِيَ الْأَسَاسُ فِي تَوْفِيرِ الْأَمْنِ وَالسُّكْنِ وَالْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ  
النَّفْسِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ مِنْ يَوْمِ يُولَدُ وَتَتَفَتَّحُ عَيْنَاهُ عَلَى الْحَيَاةِ إِلَى يَوْمِ يَقْضِي  
أَجَلَهُ وَيُعَادِرُ هَذِهِ الْحَيَاةَ، وَلَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا أُدْرِكَ الرَّجُلُ (الْأَبُ) -بِحَسَنِ الْبَدَلِ  
وَالْمَسْئُولِيَّةِ- أَوْلِيَّاتِ الْأَبُوَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ فِي الْأُسْرَةِ، وَإِلَّا إِذَا أُدْرِكَتِ الْمَرْأَةُ  
"الْأُمُ" -بِحَسَنِ الْبَدَلِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ أَيْضًا- أَوْلِيَّاتِ الْأُموميةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ  
الْأَسَامِيَّةِ السُّوْتِيَّةِ فِي الْأَمْرَةِ، فَهَذَا خَلِقَتِ الْفُرُوقَاتُ فِي أَصْلِ خَلْقِ الرُّوَجِيِّنِ، ذِكْرًا

وَأَتَى عِبْنَا، وَعَلَى أَسَاسِ مِنْهَا، يَجِبُ أَنْ تُحَدَّدَ الْأَوْلِيَّاتُ وَالْأَدْوَارُ وَالْمَسْئُولِيَّاتُ فِي الْحَيَاةِ وَالْأُسْرَةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ أَيْهَا الْإِخْوَةُ تَكُونُ الْفَوْضُوْنَةُ وَالْعَبِيْثَةُ الْمُدْمِرَةُ.

نَعَمْ أَيْهَا الْإِخْوَةُ، يَجِبُ أَلَّا يَغِيْبَ عَنْ وَعَيْكُمْ أَبَدًا أَنَّ الْأُسْرَةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ لِكُلِّ أَفْرَادِهَا هِيَ الْمَهْدُ، وَهِيَ الْعُشُّ الدَّافِي الْوَتِيْرُ، وَهِيَ الْحِصْنُ الْحَصِيْبُ؛ الَّذِي تَتَرَعَّرُ فِيهِ الْحَيَاةُ الْأُسْرِيَّةُ الرَّوْجِيَّةُ السَّعِيْدَةُ، يَجْدُ الْوَتِيْرُ فِيهِ مَشَاعِرَ الرَّعَايَةِ وَالْحُبِّ وَالْعَنَانِ، وَ"الْمَوْدَّةُ وَالرَّحْمَةُ" وَالْعَمَانُ وَالرَّعَايَةُ، وَتَكُونُ الرَّوْجُ فِيهِ "طِفْلٌ" رَوْجِيَّةً، فَيَجْدُ فِيهِ عُمُقَ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالْمَوْدَّةِ، وَلَمَسَاتِ الْمُتَعَةِ وَالرَّعَايَةَ، وَتَكُونُ الرَّوْجَةُ فِيهِ "طِفْلَةٌ" رَوْجِيَّةً، تَجْدُ فِي رُبُوعِهِ، عُمُقَ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالْمَوْدَّةِ وَالْمُتَعَةِ، وَأَمَانِ الْحَاجَةِ وَالرَّعَايَةَ، وَالْأَبُ الْهَرِيْمُ، وَالْأُمُّ الْمُسِنَّةُ، يَجْدَانِ فِيهِ مَشَاعِرَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوْدَّةِ وَالْعِرْفَانِ، رِعَايَةَ مِنَ الْإِبْنِ وَأُسْرَةَ الْإِبْنِ وَالْأَخْفَادِ، وَعِنَايَةَ مِنَ الْإِبْنَةِ وَأُسْرَةَ الْإِبْنَةِ وَالْأَخْفَادِ، وَكَذَلِكَ الْمُجْتَمَعُ يَجْدُ فِي عِلَاقَاتِهِ تَرَاحِمَ الْأَرْحَامِ، وَصِلَةَ الْقَرَابَاتِ.

وَهَذَا بِالطَّبَعِ أَيْهَا الشَّبَابُ، ثَمَرَةُ النَّضْجِ الْخُلْفِيِّ التَّرْبَوِيِّ وَالْإِجْتِمَاعِيِّ الَّذِي يُبْنَى عَلَى التَّكَامُلِ وَالرَّاحِمِ، وَلَا مَكَانَ فِيهِ لِعِلَاقَاتِ الْقَهْرِ وَالْقَسْوَةِ وَالنَّسْلِطِ، وَلَا مَجَالَ فِيهِ لِأَيِّ لَوْنٍ مِنَ ألْوَانِ الْعُنْفِ النَّفْسِيِّ أَوْ الْجَسَدِيِّ؛ فَتِلْكَ خُطُوطُ حَمْرَاءَ، لِيَمْنَ وَرَاءَهَا إِلَّا التَّفَكُّكُ

وَالشَّقَاءُ، وَمُجْتَمَعُ قُطْعَانِ الْعَبِيدِ الْأَذْلَاءِ.

وَلَكِنِّي بِنَبِيِّ ذَلِكَ الْعُنْثُ عَلَيْكُمْ أَهْلِ الشَّبَابِ، أَنْ تَتَذَكَّرُوا، وَأَلَّا تَنْسُوا أَبَدًا، أَنْ  
عَلَاقَاتِ الْأُسْرَةِ الْحَمِيمَةِ النَّاجِحَةِ، وَعَلَاقَاتِ الْمُجْتَمَعِ النَّاصِحِ، وَكُلُّ عِلَاقَةٍ نَاجِحَةٍ  
نَاصِحَةٍ، هِيَ عِلَاقَةٌ تَبَادُلِيَّةٌ، فِيهَا أَخَذٌ وَعَطَاءٌ، وَإِلَّا فَإِنَّ "يَدًا وَاجِدَةً لَا تُصَفِّقُ"،  
وَالخِسَارَةُ فِيهَا نَعْمُ الْجَمِيعِ.

إِنَّ الْأُسْرَةَ أَهْلِ الشَّبَابِ لِلْإِنْسَانِ فِي كَافَّةِ مَرَاجِلِ حَيَاتِهِ هِيَ الْعِنَايَةُ، وَهِيَ الرِّعَايَةُ،  
وَهِيَ الْمَوَدَّةُ، وَهِيَ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا انْتَهَرَتِ الْأُسْرَةُ، انْتَهَرَتْ قَاعِدَتُهُ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ وَانْتَهَرَ  
أَمْنُ أَفْرَادِهِ وَمَعَادَتُهُمْ وَانْتَهَرَ مَعْنَى الْهَيُوتِ وَمَعْنَى الْإِنْتِمَاءِ، وَالْمَوْسِفُ أَهْلُ الْإِخْوَةِ أَنَّهُ  
لَا يُدْرِكُ، حَقَّ الْإِذْرَاكِ، مَدَى الْخِسَارَةِ الَّتِي تَلْحَقُ بِمَنْ لَمْ يُحْتَضِنْهُ أُسْرَةٌ، أَوْ بِمَنْ نَشَأَ  
فِي أُسْرَةٍ مُفْكَكَةٍ، إِلَّا مَنْ نَشَأَ فِي أُسْرَةٍ سَوِيَّةٍ، حَفِيَّ فِيهَا بِالْأَمْنِ وَبِالْعِنَايَةِ وَبِالرِّعَايَةِ  
وَبِمَشَاعِرِ الْوُدِّ وَالْمَحَبَّةِ.

لَكُمْ أَحْسَنُ الْأَلَمِ أَهْلُ الشَّبَابِ لِمَا أَرَى مِنْ قَلِيلِ كَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ، مِنْ ضَبِيعَةٍ  
جَمِيعِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَضَبِيعَةِ الْوَعْيِ بِمَعْنَى الْأُسْرَةِ وَالْإِسْتِهْتَارِ بِمُقَدَّرَاتِهَا، وَتَحْطِيمِ  
أَوَاصِرِهَا، وَالْجِنَايَةِ بِذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى مَنْ تَتَعَلَّقُ بِرِقَابِهِمْ مَسْئُولِيَّاتِهِمْ، لِأَتَمِّمْ

لَمْ يَعُوذُوا بِرُؤُونِ مِنَ الْعَلَاقَاتِ الزَّوْجِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْأَسْرِيَّةِ، إِلَّا جَوَانِبَ اللَّذَّةِ الْجَسِيَّةِ، فِي  
 طَلَبِ لَاهِبٍ لَا يَنْقَطِعُ، وَسَرَابٍ ظَمًا لَا يَرْتَوِي، فِي مَسِيرَةِ ضَيَاعٍ وَشَقَاءٍ وَهَدْمٍ لِمَعَاذَةِ الْفُرْدِ  
 وَتَكَافُلِ الْجَمَاعَةِ، وَأَمْنِ الْحَيَاةِ، وَتَدْمِيرِ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَفِي سَيْرِ مَالِفِ الْأُمَمِ وَغَايِبِ  
 الْحَضَارَاتِ، لِمَنْ يَعْقِلُونَ وَيَتَعَبَّلُونَ، ذُرُوسٍ وَعَيْبٍ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْ تِلْكَ الْأُمَمِ قُوَّتُهُمْ وَلَا  
 ثُرُوَاتُهُمْ حِينَ انْتَهَزَتْ أَخْلَاقُهُمْ، وَضَيَّعُوا مَسْئُولِيَّاتِهِمْ، وَتَنَكَّرُوا لِسُورِي فِطْرَتِهِمْ، وَتَحَوَّلُوا  
 عَنْ حُرِّيَّةِ طَلَبِ الْحَقِّ وَالصُّوَابِ إِلَى فَوْضَى الْخَطَا وَالْخَطِيئَةِ؛ فَضَيَّعُوا حَقِيمًا ضَيَّعُوا-  
 دِفَاءً وَدَّ الْأُسْرَةَ وَأَمْنٍ عُمِّيَّ صِغَارِهَا، فَهَدَمُوا أَسَاسَ بِنَاءِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ، فَزَالُوا وَزَالَتْ  
 حَضَارَاتُهُمْ.

لِهَذَا أَمَّا الشَّبَابُ، كَانَ مِنَ الْمُهِمِّ، أَنْ يُرَبَّى الْأَطْفَالَ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ وَجَمْعِ  
 الْمَسْئُولِيَّةِ، وَأَنْ لَا يُنَالَ أَحَدٌ مِنْ أَهْرَادِ الْمُجْتَمَعِ عِلَاقَةَ الْجِنْسِ - وَخَاصَّةً الذَّكُورَ مِنْهُمْ - إِلَّا  
 مِنْ خِلَالِ عِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ وَحَمْلِ مَسْئُولِيَّاتِ الْأُسْرَةِ وَالْأَبْوَةِ لِأَنَّ الْأُنْثَى بِفِطْرَتِهَا خَرِيصَةٌ عَلَى  
 عَرَضِهَا وَعَرَضٌ نَسْلِيهَا، وَلِأَنَّ الرَّجُلَ لَوْ نَالَ غَايَتَهُ الْجِنْسِيَّةَ مِنَ الْمَرْأَةِ، مُقَابِلَ لَقِيَمَاتٍ أَوْ  
 ذَرِيَمَاتٍ، فَلِمَاذَا يَتَحَمَّلُ أَعْبَاءَ الْأُسْرَةِ وَالزَّوْجِيَّةِ وَالْأَبْوَةِ، وَإِذَا حَفَلَتِ الْمَرْأَةُ بِالْعَمَلِ فَوْقَ  
 طَاقِهَا لِتُوقِرَ أَعْبَاءَ مَعِيشَتِهَا، فَلِمَاذَا تَزِيدُ فِي إِزْهَاقِ نَفْسِهَا بِأَعْبَاءِ الزَّوْجِيَّةِ وَالْأُمُومَةِ.

الوَعْيُ أَيْهَا الشَّبَابُ بِأَهْمِيَّةِ فِطْرِيَّةِ الْأُسْرَةِ لِاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ وَهِنَاءِ الْعَيْشِ وَمَسْكَنِ  
 الْأَمْنِ وَالْمَوَدَّةِ وَبِسَلَامَةِ بِنَاءِ الْأُسْرَةِ، وَحُسْنِ تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ، وَتَوْفِيرِ الْأَبْحَاثِ وَالْأَدَبِيَّاتِ  
 الْأُسْرِيَّةِ وَالتَّرْبِيَّةِ الْوَالِدِيَّةِ، وَالَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ ثِقَافَةٍ -حَسَبِ  
 مُعْطِيَّاتِهَا- وَأَنْ تَكُونَ مِنْ أَهَمِّ أَوْلَوِيَّاتِ جُهُودِ الْمُشْكِرِينَ وَالتَّرْتُوبِيْنَ وَالْقَادَةَ  
 الْإِصْلَاحِيَّيْنَ، وَكُلِّ الْوَسَائِلِ، بِنْدَاءِ بِمَكْتَبَةِ الْأُسْرَةِ وَجَوَارَاتِ الْأُسْرَةِ وَمُفَارَسَتِهَا  
 التَّرْتُوبِيَّةِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، لِيَتِمَّكَنَ الْأَبْنَاءُ مِنْ حُسْنِ بِنَاءِ نَفْسِيَّةِ الْأَبْنَاءِ،  
 وَحُسْنِ بِنَاءِ صِفَاتِهِمْ الْخَلْقِيَّةِ وَقُدْرَاتِهِمْ الْإِنْتِاجِيَّةِ، وَأَنْ يَحْمِلُوا مَسْئُولِيَّاتِهِمْ،  
 وَيُحْسِنُوا بِنَاءَ مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَيُسْعِدُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَبْنَاءَهُمْ وَقَرَابَتَهُمْ وَمَنْ حَوْلَهُمْ فِي  
 مَسِيرَةِ الْحَيَاةِ، وَيُحَقِّقُوا بِذَلِكَ ذَوَاتِهِمْ الْخَيْرَةَ، وَضَمَائِرَهُمُ الْحَيَّةَ، وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ  
 الْمُتَكَافِلَةَ كَمَا فِطَرَهَا اللَّهُ، اسْتِخْلَافًا وَإِعْمَارًا لِلْأَرْضِ، وَصِبْلَاحًا لِلْحَيَاةِ وَالْمَعَاشِ،  
 وَقِلَاحًا فِي الْأَجَلِ وَالْمَعَادِ.

وَهَذَا انْتَهَى بِيَدِيَا تَوَقَّفَ الشَّيْخُ عَنِ الْحَدِيثِ، وَكَأَنَّهُ يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ، وَيُرْتَبِّئُ أَفْكَارَهُ،  
 لِيُدَاعِبَ الشَّيْخُ وَيُضْحِكَ الشَّبَابَ، قَائِلًا: يَا شَيْخَنَا الْعَزِيزَ لَقَدْ خَلَلْتُ لِي بِحَدِيثِكَ  
 الْحَكِيمِ لُغْرًا حَيْرَتِي، جِئْتُ قُلْتُ: إِنَّا جَمِيعًا "أَطْفَالٌ" فِي أَسْرِنَا، فَهَذَا يَا سَيِّدِي يُفَسِّرُ



لِي لِمَاذَا أَجِدُنِي أَتَصَبَّرُ أَحْيَانًا كَالْأَطْفَالِ، حِينَ يَجْتَمِعُ حَوْلِي الْأَحْفَادُ، وَلِذَلِكَ لَنْ أَسْمَعَ  
لِلْحَبِّ أَنْ يَلُومَنِي بَعْدَ الْيَوْمِ عَنْ أَيِّ تَصَبَّرٍ "طُفُولِي" اسْمِنَاذَا لِمَا قُلْتَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ.  
نَظَرَ الشَّيْخُ مُنْصَبِّئًا لِيَدَيْهَا، وَقَدْ ضَجَّ الْمَجْلِسُ بِضَجِّكَ الشَّبَابِ وَشَقِيهِمْ، لِيَزِدَّ الشَّيْخُ  
عَلَى بَيْدَبَا بِمَا يُبَارِي تَعْلِيْقَهُ، مِنْ حُضُورِ الْيَتِيمِيَّةِ، وَرُوحِ الْفِكَاهَةِ قَانِلًا بِتَصْنَعِ الْجَادِ: كَمَاكَ  
"شَقَاوَةٌ يَا صَغِيرِي بَيْدَبَا.

اشْتَدَّ ضَجُّكَ الشَّبَابِ، يُشَارِكُهُمْ ضَجُّكَهُمُ الشَّيْخُ وَبَيْدَبَا، إِلَى أَنْ هَذَا الْمَجْلِسُ، وَعَادَ  
إِلَيْهِ هُدُوءٌ وَوَقَارٌ، وَهَذَا عَادَ الشَّيْخُ، إِلَى مُتَابَعَةِ حَدِيثِهِ قَانِلًا: إِذَا عُدْنَا أَيُّهَا الشَّبَابُ إِلَى مَا  
كُنَّا نَتَخَدُّثُ فِيهِ فَاغْلَمُوا أَنَّهُ بَقِيَ هُنَاكَ أَمْرٌ آخَرٌ مَعَهُمْ، لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ أَشْبَهُ  
بِمِلْحِ الطَّعَامِ، الَّذِي لَا يَلْتَذُّ الطَّعَامُ مِنْ دُونِهِ، مَهْمَا كَانَ الطَّعَامُ غَنِيًّا وَمَغْنِيًّا، وَذَلِكَ هُوَ  
التَّغْبِيرُ عَنْ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالتَّقْدِيرِ، بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ، وَبَيْنَ الْأَقْرَبَاءِ، وَالْأَصْدِقَاءِ، وَالرِّفَاقِ،  
وَبَيْنَ كُلِّ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْحُبِّ وَالْمُؤَدَّةِ وَالتَّقْدِيرِ، وَخَاصَّةً أَيُّهَا الشَّبَابُ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ.

لَا يَكْفِي أَيُّهَا الشَّبَابُ؛ أَنْ نُجَسَّ مَشَاعِرَ الْحُبِّ فِي نُفُوسِنَا، وَأَنْ نُضَعِّي بِأَنْفُسِنَا، فِي سَبِيلِ  
مَنْ نُحِبُّ؛ بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا، أَنْ نُعَيِّرَ لِمَنْ نُحِبُّ، عَنْ حِينِنَا، وَعَنْ مَشَاعِرِنَا، وَالْأَنْغْفَلَ عَنْ  
ذَلِكَ بِسَبَبِ غَلْبَةِ مَسْئُولِيَّاتِ الْحَيَاةِ وَمَشَاغِلِنَا، فَلَا تَتَفَتَّحُ الْوُرُودُ، وَلَا تَزْهَرُ الْأَرْهَارُ، وَبِذَلِكَ

يَضِيعُ حُبْنَا وَتَذَوِي وَتَذَبُلُ، وَتَتَقَلَّتْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَتَضِيعُ، كَمَا تَجْفُ الْجُدُورُ وَتَذَوِي  
الْوُرُودُ وَالرُّهُورُ، الَّتِي حُبِمَنْ عَنْهَا نَدَى الْفَجْرِ، وَنَسَمَةُ رِيحِ الشَّمَالِ، وَشَمْسُ ضَحَى  
الرَّبِيعِ.

إِنَّ التَّعْبِيرَ، أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، عَنْ حُبِّنَا وَتَقْدِيرِنَا لِمَنْ نُحِبُّ وَنُقَدِّرُ، أَرْوَاجًا،  
وَأَبَاءً، وَأُمَّهَاتٍ، وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ، وَكُلٌّ مَنْ نُحِبُّ وَنُقَدِّرُ، هُوَ مِثْلُ الْمَاءِ، الَّذِي لَا تُوَجَدُ مِنْ  
دُونِهِ حَيَاةٌ، وَالَّذِي إِذَا ارْتَوَتْ بِهِ الْأَرْهَارُ، وَالْقِمَارُ، وَالْأَشْجَارُ، فَاحَ أَرِيحُهَا، وَخَلَا  
مَذَاهِقَهَا، وَازْدَادَتْ رَوْعَةً وَجَمَالًا. وَإِنَّ التَّعْبِيرَ عَنْ حُبِّنَا هُوَ مِثْلُ الْهَوَاءِ؛ الَّذِي هُوَ-أَيْهَا  
الْأَخْبَابُ- أَثْمَنُ شَيْءٍ فِي حَيَاتِنَا، بَرَزَعِمُ أَنَّهُ أَقْلَبُهَا تَكْلِفَةً، وَلَكِنْ مِنْ دُونِهِ لَا تُوَجَدُ حَيَاةٌ.  
وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الْخَطِيئَةِ الْفَادِحِ فِي حَيَاتِنَا، أَنْ تَبْخَلَ بِالْحُبِّ، وَبِالتَّعْبِيرِ عَنْ مَشَاعِرِ هَذَا  
الْحُبِّ، عَلَى أَيِّ أَحَدٍ مِمَّنْ نُوَدُّ وَنُحِبُّ.

احذَرُوا أَيْهَا الشَّبَابُ، وَاسْمَعُوا نَصِيحَةَ شَيْخِ مُجَرَّبٍ، أَلَّا تُعْبِرُوا عَنْ مَشَاعِرِكُمْ،  
إِلَّا فِي لِحَطَاتِ الْغَضَبِ وَالسُّخْطِ وَعَدَمِ الرِّضَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْقِدُ الْحَيَاةَ لَذَائِقَتِهَا  
وَمَعْنَاهَا، بَلْ إِنْ طَعِمَ حَيَاةً مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِثْلَهَا مِثْلُ مَنْ يَحْرِمُ نَفْسَهُ مِنَ الْمَاءِ  
وَالْهَوَاءِ، فَهِيَ حَيَاةٌ لَا طَعْمَ لَهَا وَلَا رَوْقَ، وَتَكَادُ وَجُودُهَا أَنْ يُصْبِحَ أَخْلَكَ مِنَ الْعَدَمِ.

تُوفِّرُ الْحَاجَاتِ وَالْجِدْمَاتِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ، أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ، وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مِثْلًا  
 وَضْرُورِيًّا، إِلَّا أَنَّهَا حَاجَاتٌ وَجِدْمَاتٌ يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَهَّرَ وَأَنْ تُشْتَرَى بِالْمَالِ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ إِلَّا  
 تُسَمِينَا حَاجَاتِ الْمَعَاشِ حَاجَاتِ الْقُلُوبِ وَمَشَاعِرِ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ الرَّوْحِيَّةِ وَالْأَبْوِيَّةِ  
 وَالْأُسْرِيَّةِ وَالْمَسَائِمِ النَّاعِمَةِ الْحَيَاتِيَّةِ وَمَا تُؤَلِّدُهُ مِنْ رَوَابِطِ الْأَلْفَةِ وَالْأَمْنِ وَالثِّقَةِ، وَهِيَ  
 حَاجَاتٌ لَا تُشْتَرَى بِالْمَالِ، وَلَا طَعْمٌ وَلَا مَعْنَى لِلْحَيَاةِ مِنْ دُونِهَا، وَكَمَا يَقُولُونَ: "سَاعَةٌ  
 وَمَسَاعَةٌ".

وَالْعَجِيبُ الْعَجِيبُ يَا بَيْدَبَا: أَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ وَاللُّمْسَةَ الْخَائِنَةَ وَالنِّسْمَةَ الْمُشْرِقَةَ لَا  
 تُكَلِّفُ الْمَرْءَ شَيْئًا، وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنَّا يَا بَيْدَبَا -رِجَالًا وَنِسَاءً، وَأَبَاءً وَأُمَّهَاتٍ، وَأَبْنَاةَ  
 وَأَقْرِبَاءَ وَأَصْدِقَاءَ- يَبْخُلُونَ بِهَا أَشَدَّ الْبُخْلِ فِي وَجْهِ مَنْ يَقْبِرُونَ وَمَنْ يُودُونَ وَيُحِبُّونَ.  
 نَعَمْ يَا بَيْدَبَا: عَلَى الْأَزْوَاجِ وَعَلَى الْأَخْيَابِ، أَيُّهَا الْأَخْيَابُ، أَنْ يُعَيَّرُوا عَنْ حُبِّهِمْ، لَيْسَ  
 بِالْبَدْلِ وَالتَّضْحِيحَةِ وَالْعَطَاءِ فَقَطْ، وَلَكِنْ بِالْكَلِمَةِ الْحَلُوةِ، وَالْحَرَكَةِ الْمُعْتَبَرَةِ، وَاللُّمْسَةِ  
 الْخَائِنَةِ، لِيَدُومَ الْحُبُّ وَيَتَمَوَّزَ وَيُزْهِرَ، فَيُبْهِجَ النُّفُوسَ وَالْقُلُوبَ، وَيُعِينُ بِمَشَاعِرِهِ الْخُنُونَةَ  
 عَلَى مُوَاجَهَةِ مَصَاعِبِ الْحَيَاةِ، وَيَدْمُلُ جُرُوحَهَا، وَيَمْحُو أَوْصَابَهَا.  
 وَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا الشِّيَابُ إِلَّا تَتَرَدَّدُوا فِي طَلَبِ الْعَوْنِ وَالْمَشُورَةِ مِنَ الْحُكَمَاءِ، كُلَّمَا وَاجَهْتُمُ

أَزْمَةٌ أَوْ مُشْكِلَةٌ - أَيَا كَانَتْ - نَفْسِيَّةٌ أَوْ جَسَدِيَّةٌ، لِتَلَا فِي تَفَاقُمِ الْأَزْمَاتِ وَالْمَتَاعِبِ  
وَمُضَاعَفَاتِهَا فَيَطْوِلُ أَمْدُهَا وَيَصْعَبُ عِلاجُهَا.

صَمَتَ الشَّيْخُ بُرْهَةً ثُمَّ تَوَجَّهَ بِالْحَدِيثِ إِلَى الْأَخْوَاتِ عَنْ يَسَارِ الْمَجْلِسِ قَائِلًا: إِنَّ  
التَّعْبِيرَ الصَّادِقَ وَالْمُؤَيَّرَ عَنْ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالتَّقْدِيرِ أَيُّهَا الْأَخْوَاتُ، هُوَ "مَوْنَةٌ" الْبِنَاءِ،  
فَلَنْ يَسْتَقِمَّ دُونَهُ طَوْبُ الْبِنَاءِ وَأَحْجَارُهُ وَجُدْرَانُهُ، وَإِلَّا كَانَ الْبِنَاءُ مَهْلِكًا، مُهْتَدًا  
بِالْإِهْتِارِ عَلَى زُفُوسِ أَصْحَابِهِ، كُلَّمَا هَبَّتْ عَاصِفَةٌ، أَوْ مَرَّ بِالدِّيَارِ إِعْصَارٌ، وَالْأَسَى  
وَالْأَسْفُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الشَّبَابِ وَالْأَزْوَاجِ لَا يُدْرِكُونَ ذَلِكَ، وَإِنْ أَدْرَكُوهُ يَكُونُ ذَلِكَ فِي  
كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ بَعْدَ فُوتِ الْأَوَانِ.

أَيُّهَا الْأَخْوَاتُ لَدَيْ نَصِيحَةٍ عَامَّةٍ، وَلَكِنَّهَا تَخْصُكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سِوَاكُمْ، لِأَنَّكُمْ الْأُمُومَةُ  
وَالْمَحْضَنُ وَالْمَسْكُونُ، لِذَلِكَ فَمِنَ الْمُهَيِّجِ، أَنْ تُدْرِكَنَّ طَبِيعَةَ دُورِكُنَّ الْفِطْرِيَّ،  
وَطَبِيعَةَ عِلَاقَتِكُنَّ بِأَزْوَاجِكُنَّ وَأَبْنَائِكُنَّ وَأَسْرِكُنَّ، وَلِهَذَا فَاحْذَرْنَ أَنْ تَقَعْنَ بِدَوَاقِعِ  
الْغَضَبِ أَوْ الدَّلَالِ، أَوْ يَسَبِّبِ الْإِنْصِيَاعَ لِنَصَائِحِ الْجَاهِلَاتِ، وَالْأَمْسُورِ مِنْ ذَلِكَ السَّمَاعِ  
لِنَصَائِحِ الْكَاذِبَاتِ أَوْ مَا تَدْعُوهُنَّ "خَرَاتِبَاتِ الْبُهْتُوبِ" بِأَنْ تَعْمَلْنَ عَلَى إِفَارَةِ غَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ  
بِبَدْءِ الْإِعْجَابِ بِرُجُولِهِ سِوَاهُمْ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْدُرُ بِدُورِ الشُّكِّ وَعَدَمِ الْيَقِينَةِ



خبرناك الميمون

الْمُدْمِرَةِ، وَتُنزَلُ مَشَاعِرَ الْأَمْنِ وَالطَّمَأِينَةِ فِي نُفُوسِ الْأُرَاجِ، فَالثِّقَةُ فِي إِخْلَاصِ الزَّوْجَةِ لِرُؤُوسِهَا هُوَ الْأَسَاسُ الْأَهْمُّ لِبِنَاءِ الْأُسْرَةِ وَدَوَامِهَا، اخْذَرُوا أَيُّهَا الشَّبَابُ وَالشَّبَابَاتُ أَنْ تَسْتَمْعُوا لِكُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ، وَاطْلُبُوا النَّصِيحَ الْمُخْلِصَ دَائِمًا مِنْ أَهْلِهِ.

قَالَ بَيْنِيَا: نَعَمْ لَقَدْ أَصَبَتْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ كَيْدَ الْحَقِيقَةِ فِي نَصِيحَتِكَ لِأَخَوَاتِنَا، وَلَكِنْ مَاذَا عَنِ الْأُرَاجِ؟ وَمَاذَا عَنِ اسْتِهَانَةِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ بِمَشَاعِرِ زُوجَاتِهِمْ وَكِرَامِيَّتِهِمْ بِالتَّحْدِيقِ وَ"الْبَحْلَقَةِ" فِي كُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ، مِمَّنْ تَطَوَّلَهُ أَعْيُنُهُمْ مِنَ النِّسَاءِ؟ فَيَسْأَلُ الشُّكُّ إِلَى قَلْبِ الزَّوْجَةِ، وَتَفْقَدُ حَسَنَ الثِّقَةِ وَالْأَمْنِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُّوطَةَ: نَعَمْ يَا بَيْنِيَا مَا تَقُولُهُ صَوَابٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى جَهْلِ وَاسْتِهَانَةِ مَنْ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ بِكِرَامِيَّتِهِمْ وَكِرَامَةِ زُوجَاتِهِمْ، وَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ - كَمَا ذَكَرْتَ - يَا بَيْنِيَا تُتْرَكُ فِي نُفُوسِ الزَّوْجَاتِ جُرُوحًا نَفْسِيَّةً غَائِرَةً، تُنَزَلُ حَسَنَ الْأَمْنِ وَالثِّقَةِ فِي نُفُوسِهِنَّ فِي بِنَاءِ الْأُسْرَةِ، وَكَمَا تَنَالُ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ الْحَقِيقَاءُ مِنْ حَسَنِ الْمَرْأَةِ فَإِنَّهَا تَنَالُ مِنْ كِرَامَةِ الرَّجُلِ، وَمَا أَشَدَّ وَقَعَ ذَلِكَ عَلَى نُفُوسِ الْأَبْنَاءِ، وَأَثَارَةُ السَّلْبِيَّةِ الرَّيْبِيَّةِ عَلَى نَفْسِيَّاتِهِمْ، وَأَخْلَاقِيَّاتِهِمْ، وَجِسْمِيَّاتِهِمْ بِكِرَامِيَّتِهِمْ، وَكِرَامَةِ أُسْرِهِمْ.

مَنْ يَرِدُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الشَّبَابُ، أَنْ يَمْسِيَ زَافِعَ الرَّأْسِ، مَوْفُودَ الْكِرَامَةِ وَائِثًا مُطْمَئِنًّا، يَسْعَى

وَرَوْجُهُ مِسْوَارَ الْحَيَاةِ ظَهْرًا إِلَى ظَهْرٍ فَلْيَحْفَظْ أَسْرَتَهُ وَيَسْعَ - بِكُلِّ وَسِيلَةٍ حَكِيمَةٍ  
مُمْكِنَةٍ - فِي صَلَاحِهَا، عِشْرَةَ بَعْدَلٍ وَكُزْمٍ وَ"مَعْرُوفٍ"، وَتَفْرِيقًا إِذَا كَانَ - حَمَانًا لِلَّهِ  
وَإِيَّاكُمْ - لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، أَيَا كَانَ السَّبَبُ، أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ بَعْدَلٍ وَكُزْمٍ وَ"إِحْسَانٍ"، رِعَايَةً  
لِلرَّحِمِ، وَمَشَاعِرِ الْأَبْنَاءِ وَصِلَاتِ الْأَقْرَبَاءِ.

صَمَتَ الشَّيْخُ بُرْهَةَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَرْجُو أَنْ يُدْرِكَ شَبَابَنَا وَمَشَابَاتَنَا، أَهْمِيَّةً  
هَذِهِ النَّصَائِحِ، وَأَنْ يُقْبِرُوهَا، حَقِّ قَدْرَهَا.

وَنَصِيحَةٌ لَكُمْ مِنِّي: أَيُّهَا الْأُرْوَاجُ، وَأَيُّهَا الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ، تَتَغَلَّقُ بِاسْتِقْرَارِ عِلَاقَاتِكُمْ،  
وَفَاعِلِيَّةِ تَرْبِيَّتِكُمْ، عَلَيْكُمْ بِالسَّمَاخِ، وَتَيْمِيرِ الْأُمُورِ، وَالسَّمَاخِ بِمَا لَا يَضُرُّ، وَدَعُوا  
الصِّغَارَ لِيَتَعَلَّمُوا مِنْ أَخْطَائِهِمُ الصَّغِيرَةِ، وَاحْذَرُوا الْعُنْفَ وَالتَّعَبِثَ الْمَادِيَّ  
وَالنَّفْسِيَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى الْعِنَادِ وَالْإِصْرَارِ، وَإِنَّمَا يُورِثُ الْجَبِينَ وَالكَذِبَ،  
وَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْأُرْوَاجُ وَالْآبَاءُ أَنْ تَهْتَدُوا أَوْ تَتَوَعَّدُوا، بِمَا لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، أَوْ لَا تَرْغَبُونَ  
فِيهِ، أَوْ لَا تَنْوُونَ فِعْلَهُ وَنَفَاذَهُ، فَلَا يَعْلَمُ عِنْدَهَا الرُّوجُ، أَوْ الرُّوْحَةُ، وَالصَّغِيرُ أَوْ  
الكَبِيرُ، جِدَّكُمْ مِنْ هَرَلِكُمْ؛ وَهَذَا قَدْ يَضْطَرُّكُمْ - حِينَ تَتَفَاقَمُ الْأُمُورُ - إِلَى مَا لَا تُحِبُّونَ،  
وَلَا تَرْغَبُونَ، كَالرَّاعِي الَّذِي اسْتَصْرَخَ الْقَرْنَةَ هَارِلًا هَجْمَةَ الدِّبَابِ عَلَيْهِ وَعَلَى غَنَمِهِ،

فَلَمَّا تَسَابَقُوا، بِرِمَاجِهِمْ، وَعَصِيْبِهِمْ، إِلَى نَجْدَتِهِ، وَخَدُّوا صَرَخَتَهُ كَذِبًا وَهَرَلًا، لَا جِدُّ فِيهِ،  
فَلَمَّا اسْتَصْرَخْتَهُمْ ذَلِكَ الرَّاعِي الْأَحْمَقُ مَرَّةً أُخْرَى، وَالْأَمْرُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ جِدُّ كُلِّ الْجِدِّ،  
وَالنَّجْمَةُ حَقِيقَةٌ، فَلَمْ يَأْخُذْ أَحَدٌ صَرَخَتَهُ مَا خَذَ الْجِدِّ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعُودُوا يَعْلَمُونَ جِدَّهُ مِنْ  
هَرَلِهِ، وَلَا صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ، "لِيَنْتَدِمَ وَأَلَاتِ سَاعَةَ مَنْتَدِمٍ" كَمَا يَقُولُونَ.

كَذَلِكَ أَيْهَا الشَّبَابُ، فَإِنَّ مَنْ يَتَّهَدُّ وَيَتَوَعَّدُ، بِمَا لَا يَرْغِبُ، أَوْ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِنْقَاذِهِ،  
وَيَتَرَكُ الْمُخَاطَبَ، لَا يَعْلَمُ الْجِدَّ مِنْ غَيْرِ الْجِدِّ، فَإِنَّهُ لَا يَعُودُ لِلْكَلِمَاتِ مَعْنَى أَوْ دَلَالَةً، وَتُصْبِحُ  
الْعَلَاقَاتُ فِي مَوْجِ لُجِّي خَالِكٍ، دُونَ مُرْتَبِدٍ وَلَا ذَلِيلٍ.  
وَبِالْمِثْلِ أَيْهَا الشَّبَابُ وَالشَّائِبَاتُ، أَرْوَاجًا وَأَبْيَاءً وَأُمَّهَاتٍ، إِذَا وَعَدْتُمْ خَيْرًا، فَأَحْرِصُوا عَلَى  
الْوَفَاءِ، وَ"خَيْرُ الْبَرِّ عَاجِلُهُ".

هَذَا وَقَفَ أَحَدُ الشَّبَابِ زَائِعًا يَدُهُ يَطْلُبُ الْكَلِمَةَ، وَهَذَا عَاجِلُهُ الْفَيْلَسُوفُ بَيِّنًا بِالْكَلَامِ  
رَحْمَةً بِالشَّيْخِ مِنْ تَهَمِ الشَّبَابِ إِلَى مَزِيدٍ مِنْ فَهْمِ الْمَعْرِفَةِ وَالْخَبِيرَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَطَمَعًا فِي حُبِّ  
الشَّيْخِ لِلشَّبَابِ، وَرَغْبَةً فِي إِفَادَتِهِمْ مَا أَمْكَنَهُ وَالْجُهْدُ، لِذَلِكَ التَّفَتُّ الشَّيْخُ إِلَى بَيِّنَاتٍ كَمَا هِيَ  
عَادَتُهُ فِي إِكْرَامِ تَلَامِيذَتِهِ قَائِلًا لَهُ: هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا بَهْدِيَا، وَشُكْرًا لَكَ فِي جَرِيصِكَ عَلَى رَاحَتِي،  
وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ أَيْضًا شَدِيدَ الْحُبِّ وَالرِّعَايَةِ لِلشَّبَابِ، وَأَنَّكَ حَرِيصٌ عَلَى السَّمْعِ لَهُمْ



وَإِفَادِهِمْ، فَدَعْنَا نَسْمَعُ مِنْ أَحْيَانَا الْعَزِيزِ مَسْأَلَتَهُ وَمَا يَزُغِبُ فِي إِثَارَتِهِ وَمَعْرِفَةِ زَيْنَا  
وَنُصْحِنَا فِيهِ، ثُمَّ التَّفَتَ الشَّيْخُ إِلَى الشُّبَابِ وَقَالَ: هَاتِ أَمَّا الْقَيِّ مَسْأَلَتِكَ.

قَالَ الشُّبَابُ وَقَدِ امْتَلَأَتْ نَظْرَاتُهُ وَنَظَرَاتُ إِخْوَانِهِ بِالشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ لِكَرَمِ الشَّيْخِ  
وَسَعَةِ صَدْرِهِ: أَمَّا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ لَقَدْ تَكْرَّمَتْ بِالْقَوْلِ فِي سِيَتَايَ خَدِيثِكَ الثَّمِينِ عَنِ  
الْأُسْرَةِ، وَسُبُلِ هَدَائِمَا، وَالْجِفَاطِ عَلَى كِيَانِمَا، عِبَارَةٌ أَوْدٌ وَإِخْوَانِي تَوْضِيحِنَا، وَكُنَّا  
نَطْفَعُ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ فِيهَا؟

قَالَ الشَّيْخُ: وَمَا هِيَ هَذِهِ الْعِبَارَةُ الَّتِي تَوَدُّ تَوْضِيحِنَا وَتَرْغَبُ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ  
بِشَأْنِهَا.

قَالَ الشُّبَابُ: قُلْتَ يَا سَيِّدِي فِيمَا قُلْتَ عَنْ عِلَاقَاتِ الْأُسْرَةِ (عِشْرَةَ بَعْدَلٍ وَكَرَمٍ  
وَمَعْرُوفٍ، وَتَفْرِيقٍ - إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ - بَعْدَلٍ وَكَرَمٍ وَإِحْسَانٍ، رِعَايَةَ لِلرَّجَمِ  
وَمَشَاعِرِ الْأَبْنَاءِ وَصِلَاتِ الْقُرْبَى). وَإِنَّا أَمَّا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ نَطْفَعُ فِي كَرَمِكَ بِمَزِيدٍ مِنْ  
تَوْضِيحِ الْأَمْرِ وَتَفْصِيلِهِ، فَكَثِيرًا مَا يَجْرُ فِرَاقُ الْأَزْوَاجِ مَعَهُ عِدَاوَاتٍ وَبِرَاعَاتٍ، لَا تَكُونُ  
بَيْنَ الْأَزْوَاجِ فَحَسَبٌ، وَلَكِنْ بَيْنَ أَسْرِ الْأَزْوَاجِ وَفِرَاتِهِمْ؛ لِتَضْيِغِ الْمُحَاكِمِ سَاخَةَ  
لِلْمُكَايِدِ وَالْعِرَاكِ، وَلِتَتَخَوَّلَ جِلْسَاتُ السُّقْمِ إِلَى نُدَوَاتٍ فِي نَعْدَادِ مَثَالِبِ الْآخِرِ؛ تَبْيِيرًا

لِمَا حَدَّثَ، وَتَجْمِيلًا بِحَقِّي أَوْ بِنَاطِلِي - لِلذَّاتِ، وَتَنْصِلًا مِنْ مَسئُولِيَّةِ مَا حَدَّثَ مِنْ أخطاءٍ  
وَتَعْيِيَاتٍ؛ الأَمْرُ الَّذِي يَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَيُنْشِئُ السَّيْرَ، وَيُدْمِي قُلُوبَ الأَبْنَاءِ، وَيُدْمِرُهَا فِي صِرَاعِ  
الأَوْلَاءِ بَيْنَ الأَبَاءِ والأُمَّهَاتِ، وَكَرَامَةِ الإِنْتِمَاءِ.

فَكَيْفَ يُمَكِّنُ، يَا سَيِّدِي، أَنْ يَتَحَقَّقَ "الإِحْسَانُ" وَمَاذَا تَنْصَحُ بِهِ؟ فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالِ  
وَهَذِهِ المُقَارَنَاتِ؟ هَذَا مَا نَوَدُّ أَنْ نَسْمَعَ مِنْكَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّوْضِيحِ وَالتَّفْصِيلِ.  
وَعِنْدَ ذَلِكَ الحَدِّ مِنَ السُّؤَالِ جَلَسَ الشَّابُّ، وَالأَجْمِيعُ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى سَمَاعِ الشَّيْخِ وَهُمْ  
وَاجِمُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ المُسَاسِي الَّتِي تَفَاقَمُ مِنْ آثارِ إهدَامِ عُنَى الأُمُورِ، وَمُعَانَاةِ  
أَبْنَائِهَا، وَلا يَسْتَهْمِرُ غَيْبُ الخَوَاصِلِ مِنْ صِغَارِهَا.

ظَلَّ الشَّيْخُ بُرْهَةً خَافِضَ الرِّاسِ فِي صَنْمَبٍ عَمِيقٍ، لِيَرْفَعَ رَأْسَهُ فِي بُطْءٍ وَهُوَ يُجِيلُ بَصَرَهُ  
فِي وُجُوهِ الخَاضِرِينَ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ أَمَّا الإِخْوَةُ، مَا ذَكَرَهُ أَحُوكُمْ شَيْءٌ يُسْتَحَقُّ الوُقُوفَ عِنْدَهُ  
وَنَسَطَ بَعْضُ جَوَانِبِهِ؛ لَكِنَّ آثارَ النِّفْسِيَّةِ وَالإِجْتِمَاعِيَّةِ - حِينَ يَتَحَوَّلُ فِرَاقُ الأَزْوَاجِ إِلَى سَاحَةِ  
بِرَاقٍ وَعِرَاكٍ - لَهُ وَلا شَكَّ آثارٌ سَلْبِيَّةٌ مُدْمِرَةٌ عَلَى الأَطْرَافِ كَافَّةً، وَخَاصَّةً عَلَى الأَبْنَاءِ وَمَسِيرَةِ  
حَيَاتِهِمْ؛ لِغَدَاخَةِ آثارِ إهدَامِ أَسْرَتِهِمْ، وَنُشُوءِ سُمْغَةِ وَالدِيهِمْ، وَتَنَازُعِ وَلائِهِمْ بَيْنَ الأَبِّ وَالأُمِّ  
وَأُسْرَةِ الأَبِّ وَأُسْرَةِ الأُمِّ، وَمَا يَلْحَقُ بِهِمْ مِنْ جِرَاحِ وَالأَمِّ، فِي أَثَوْنِ هَذِهِ المُعَارِكِ.

وَلَا أَجِدُ أَهْلَ الشَّبَابِ، أَنْ أَحَدًا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُعَبِّرَ بِأَوْجَزٍ وَأَحْكَمَ، لِتَوْضِيحِ الْأَسْلُوبِ الصَّحِيحِ، فِي مُعَالَجَةِ آثَارِ فِرَاقِ الْوَالِدَيْنِ، وَاتِّهَادِ الْعُشِيِّ، بِأَقْلَى الْأَضْرَارِ الْمُمَكِّنَةِ، خَاصَّةً عَلَى نَفْسِيَّاتِ الْأَبْنَاءِ، وَمِمَّا أَفَادَنَا بِهِ السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ، إِجَابَةٌ عَنْ سُؤَالِ الْمُعَلِّمِ فِيمَا ذَارَبْتَهُمْ بِهَذَا الشَّأْنِ ذَاتِهِ مِنْ أَحَادِيثَ.

فَمَازَا قَالَ السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ إِجَابَةً لِلسَّيِّدِ الْمُعَلِّمِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَهْلَ الشَّبَابِ؟!  
يَدَأُ السَّيِّدُ الْمُعَلِّمُ بِتَفْصِيلِ الْأَمْرِ كَمَا صَوَّرَهُ السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ، فَخَاطَبَنِي قَائِلًا: كُلُّنَا نَعْلَمُ أَهْلَ السَّيِّدِ الْمُعَلِّمِ أَنَّهُ لَا يَدُ فِي أَيِّ مُجْتَمَعٍ مِنْ وَفُوعِ خَالَاتٍ مِنَ الْفِرَاقِ، وَلَكِنْ مِنَ الْمُهِّمِ أَنْ تَكُونَ مَاسِي خَالَاتِ الْفِرَاقِ قَلِيلَةً وَاسْتِنَائِيَّةً وَأَنْ يَتِمَّ عِلَاجُهَا بِالْأَسْلُوبِ الصَّحِيحِ، وَالنُّصُوحِ السَّلِيمِ، لِجَمِيعِ أَطْرَافِ الْعِلَاقَةِ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ بِذَلِكَ قَلَابِي جُلًّا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ مِنْ أَضْرَارِهَا وَآثَارِهَا، أَمَّا إِذَا شَاعَتْ ظَاهِرَةُ الطَّلَاقِ، وَتَفَاقَمَتْ ظَاهِرَةُ الْفِرَاقِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ جِئِنْدِ بِأَبْعَادِ أَخْلَاقِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ، يَجِبُ الْعَمَلُ عَلَى مُوَاجَهَتِهَا وَإِصْلَاحِهَا وَالْقَضَاءِ عَلَيْهَا فِي جُذُورِهَا.

وَتَابَعَ السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ حَدِيثَهُ إِلَى السَّيِّدِ الْمُعَلِّمِ قَائِلًا: لَقَدْ مَرَّبِي شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخَالَاتِ، وَأَمَكَّنَ بِحَمْدِ اللَّهِ، إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ إِخْتَادَ النَّارِ، وَالتَّخْفِيفِ مِنْ آثَارِهَا الْمُتَدَمِّرَةِ.

على أطراف العَلاقة، وخاصَّةً على الأبناء الأبرياء، وإنَّ النُّصحَ المَطْلُوبَ لِأَطْرَافِ البِزَاعِ  
 وَالْفِرَاقِ وَالَّذِي يَجِبُ البَدْءُ بِهِ فِي هَذِهِ الخَالِ، هُوَ تَذْكِيرُ أَطْرَافِ العَلاقةِ، الَّذِينَ هُمُ الوَالِدَانِ  
 وَأَسْرَتَاهُمَا، بِأَنَّ مَا حَدَثَ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الأَسْبَابِ- فَدُ حَدَثَ، وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِعَادَةَ عَقَارِبِ  
 المِشَاعَةِ إِلَى الوِزَاءِ، وَأَنَّ مِنَ المِهمِّ لِموَاجَهَةِ المَوْقِفِ- بَعْدَ حُدُوثِ مَا حَدَثَ- هُوَ الخَدُّ مِنَ  
 الأَضْرَارِ، خَاصَّةً عَلَى الأَبْنَاءِ، لِأَنَّ فِرَاقَ وَالنِّسْبَةَ، وَكُلَّ مَا يَفْسُدُ مِسمَعَةَ أبْوَيْهِمْ يُؤْذِيهِمْ أَشَدَّ  
 الأَذَى، وَلَنْ يُفِيدَ البِزَاعُ وَالصِّرَاعُ وَالإِنْتِقَامُ أَيُّ أَحَدٍ مِنَ الوَالِدَيْنِ، وَلَنْ يُعِيدَ عَقَارِبِ المِشَاعَةِ  
 إِلَى الوِزَاءِ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ انْصِرَافُ فِكْرِ الأَطْرَافِ إِلَى التَّفَكُّيرِ وَالتَّوْبِينِ- قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ- إِلَى  
 مَا يُخَفِّفُ مِنَ آثارِ كَارِثَةِ الفِرَاقِ، وَهَدْمِ عُنَى الأُسْرَةِ، عَلَى رُؤُوسِ الأَبْنَاءِ وَعَلَى عَلاقاتِ الرِّجَمِ  
 وَالقَرَابَاتِ وَالْمَصَالِحِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَجْنِيبِ جَمِيعِ الأَطْرَافِ الصِّرَاعَاتِ الَّتِي لَا فَايِدَةَ مِنْهَا وَلَا  
 جَدْوَى مِنَ وِزَائِهَا.

يَقُولُ السَّيِّدُ المَكِّيُّ: إِنَّ مِنَ المِهمِّ أَنْ يَتَّضِحَ لِكِلَا الطَّرْفَيْنِ وَضُوحًا تَامًا أَنْ أَيُّ تَشْوِيهِ  
 بِخَقِي أَوْ بِبَاطِلٍ- مِنْ أَحَدِ الأَطْرَافِ لِسَمْعَةِ الطَّرْفِ الأُخْرِي أَيْ هُوَ تَشْوِيهِ لِسَمْعَةِ الأبِّ  
 وَسَبْرَتِهِ، أَوْ تَشْوِيهِ لِسَمْعَةِ الأُمِّ وَسَبْرَتِهَا، وَهَذَا يُؤْذِي قَبْلَ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ مِشَاعَةَ الأَبْنَاءِ وَبِشَوِّهِ  
 مِسْبَرَتِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ، كَمَا يُؤْذِي مِشَاعَةَ القَرَابَاتِ، فَيَكُونُ الإِنْتِقَامُ

كَالْخَنْجَرِ يَغْمِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي صَدْرِهِ وَصَدْرُ أَجْبَانِهِ وَأَعْرَافِهِ.

يَقُولُ السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ: إِنَّ خُلَاصَةَ هَذَا الْفَهْمِ فِي مُعَالَجَةِ كَارِثَةِ فِرَاقِ الْأَرْوَاحِ، هُوَ ضَرُورَةُ الْفِرَاقِ "بِإِحْسَانٍ"، وَذَلِكَ بِأَنْ يُؤْفَى كُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ مَسْئُولِيَّاتِهِ، وَيُؤَدَّى حُقُوقِ الطَّرْفِ الْآخَرَ، وَأَنْ يَزْعَى الْحُرْمَاتِ، وَلَا يَتَخَدَّثَ عَنِ الْآخَرِ بِشَيْءٍ مِنَ السُّوءِ؛ لِأَنَّ مَا حَدَّثَ قَدْ حَدَّثَ، وَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَلَا جَدْوَى مِنَ الْأَحْقَادِ وَالصِّبْرَاعِ، وَلَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَّا إِلَى مَزِيدٍ مِنْ أَدَى الْأَبْنَاءِ وَتَقْطِيعِ الْأَرْحَامِ وَالْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَمَزِيدٍ مِنْ مَرَارَةِ الذِّكْرَاتِ وَأَحْقَادِهَا وَالْأَمِيمَا وَجَزَاخَاتِهَا النَّفْسِيَّةِ، لِيَكُونَ الْحَالُ "كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضُهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ".

إِنَّ هَذَا الْمُلُوكُ أَيْهَا الشَّبَابِ وَالشَّبَابَاتِ، هُوَ الْمُلُوكُ الَّذِي يَلِيقُ بِالْكِزَامِ وَالْعُقْلَاءِ، وَهُوَ "الشَّسْرِخُ وَالْفِرَاقُ بِإِحْسَانٍ"، وَالْأَوَّلَى بِالْأَطْرَافِ كَأَفَّةٍ نَسِيَانُ مَا حَدَّثَ، وَطَرَحُهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ صَنَعَتِ الْمَشِيخُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: لَا أَظُنُّ أَنَّ عِنْدِي مَا أَضِيفُهُ إِلَى حِكْمَةِ السَّيِّدِ مَكِّيِّ؛ بِخُصُوصِ السُّلُوكِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُعِينَ الْفُرَقَاءَ عَلَى حُسْنِ فَهْمِ قَضِيَّتِهِمْ، وَالْحَدِّ مِنْ أَثَارِ مُصِيبَتِهِمْ، وَالْحَدِّ عَلَى حَمَلِ مَسْئُولِيَّاتِهِمْ، وَرِعَايَةِ حُرْمَاتِ عِلَاقَاتِ الْقُرْبَى وَالرَّجِيمِ بَيْنَهُمْ.

صَمَتَ الشَّيْخُ بُرْهَةً ثُمَّ قَالَ: أَرْجُوا أَنْ يَكُونَ السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ هَذَا أَحَابِكُمْ أَهْمًا الشُّبَابُ عَنْ  
سُؤَالِكُمْ وَقَدَّمَ لَكُمْ النَّصِيحَ فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ الصَّحِيحِ مَعَ مَا يَنْزِلُ بِهِ أَوْ يَنْزِلُ بِأَحَدٍ مِمَّنْ  
حَوْلَهُ نَائِلَةٌ مِنْ هَذِهِ النَّوَازِلِ؟ وَقَانَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ السَّوَةَ.

عِنْدَ هَذَا أَحَدٍ مِنْ حَدِيثِ الشَّيْخِ سَارِعٌ يَنْدُبُنَا إِلَى الْقَوْلِ، وَهُوَ يُخَاطِبُ الشَّيْخَ الْجَلِيلَ:  
نَعَمْ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ لَقَدْ وَفَيْتَ، وَوَفَى السَّيِّدُ الْمَكِّيُّ، تَوْضِيحُ الْأَمْرِ، فَجَزَاكُمَا اللَّهُ عَنَّا  
خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وَمَا إِنْ انْتَهَى يَنْدُبُنَا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى رَدَّدَ الشُّبَابُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ كَلِمَاتِ الْفَيْلَسُوفِ بَيْنَنَا،  
نَعَمْ جَزَاكُمَا اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ.

انْتَظَرَ الشَّيْخُ حَتَّى هَذَا الْمَجْلِسِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا وَإِنَّكُمْ قَدْ قَدَّرْتُمْ نَصِيحَ السَّيِّدِ الْمَكِّيِّ حَقَّ  
قَدْرِهِ، فَإِنِّي أَوْدُ الْأَيُّوْبِيِّ فِي هَذِهِ الْجَلْسَةِ أَهْمًا الشُّبَابُ: أَنْ أُعِيدَ عَلَيَّ مَسَامِعَكُمْ الْقَاعِدَةَ  
الذَّهَبِيَّةَ الَّتِي رَوَاهَا لِي الْمُعَلِّمُ عَنِ السَّيِّدِ الْمَكِّيِّ وَمَنْهَجِهِ الْحَكِيمِ فِي تَرْبِيَةِ الْأَطْفَالِ الَّتِي  
شَهِدَ لَهَا الْمُعَلِّمُ بِنَجَاحِهَا وَطَيِّبَ ثَمَرِهَا فِيمَا رَأَى مِنْ خَالِ أَبْنَائِهِ.

قَالَ الْمُعَلِّمُ: قُلْتُ لِلسَّيِّدِ الْمَكِّيِّ: لَقَدْ سَعِدْتُ بِمَا سَمِعْتُ مِنْكَ، وَمَا رَأَيْتُ فِي تَعَامُلِكَ مَعَ  
رُؤُوسِكَ وَأَبْنَائِكَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَالِيهِمْ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُخَبِّرَنِي عَنْ بَعْضِ أَهْمِ مَا تُنصِّحُ بِهِ فِي

## تربية الأبناء؟

قال المعلم: أجابني السيد المكي قائلاً: "حُبًا وكرامةً" فقد سألت يسيرًا، وما أشد حاجة الشباب اليوم إلى معرفة ذلك وإدراكه، وهو أساسٌ لحسن تربية الأبناء.

قال المعلم: قلت للسيد المكي: افعل أيها السيد وأخبرني فأنا في أشد الشوق لسفاح ما لديك، لعل الله ينفع به كثيرًا من أبناء هذا الزمان وشبابه.

قال السيد المكي: القاعدة الذهبية الأساسية في تربية الأبناء أيها المعلم هو "أن تعامل الطفل وتعامل معه في طفولته بما تحب أن تراهُ يُعامل به ويتعامل به مع الآخرين وهو إنسان بالغ".

فإن أنت أيها الوالد (أبا أو أمًا) عاملت طفلك على أنه كائنٌ قاصِرٌ لا يعي ولا يدرك، فتأخذه بالأمر والقسر، وبالصفع والضرب والإهانة على ما يقع منه من هفوات وزلات وجهالات؛ الأمر الذي يفقده الثقة بنفسه، واحترام ذاته، وينقصه على منابع الجرأة النفسية والمبادرة الفكرية في أصل بناء وجدانه، ومع كل ذلك فأنت أيها المرء تظن وتعلم أن ذلك الطفل إذا بلغ الرشد رجلًا كان أم امرأةً سيكون ذلك الإنسان الوائق من نفسه، المعتد بكرامته، والذي يتعامل مع الآخرين مُعاملًا



الأنداد، فلا يخفي الرأس للإهانات، ولا يدل لأصحاب الجاه والرئاسات، ولا يتابع خضوعاً  
وقرلاً دون اقتناع، إذا ظننت ذلك أمها الوالد والمرتي وحلمت به في جهلك وجهالتك فانت  
واهم، "فمن شىء على شئ، شاب عليه"، و"لا يستقيم الخلل والعود أعوج".

على الوالد والمرتي أمها المعلم أن يعامل الطفل بكرامة واقتناع وأن يفسح له للجوار  
والنقاش والنقد، والتعبير عن الذات، وأن يفسح ويرحب بما يئدي من مبادرات.

وهذا لا يعني أن يتغاضى المرتي عن الرلات والأخطاء، بل عليه أن يقومها بالترشيد  
والتعويد والإصرار على التزام الآداب وقواعد الأخلاق، وإذا احتاج الأمر إلى التعبير عن عدم  
الرضا عن بعض الأخطاء والرلات فلا بأس من العقاب، إذا كان ضرورياً، شريطة أن يأتي  
ذلك العقاب بعد الجوار والمشرح والتوضيح، وبفترة حازمة رصينة، وليس بصراخ الضعف  
والشكوى، وأن يأتي العقاب محتملاً؛ حتى لا يدفع الطفل إلى حماية نفسه بالكذب؛ لأن  
جوهر عقاب الوالد والمرتي، أمها المعلم، إذا دعت إليه الضرورة القصوى، لسوء الرلة، أو  
لفداختها، ليس في عنب العقاب، ولكن في تغييره الهادي الحازم الرصين، الدال على عدم  
رضا الوالد والمرتي عن تلك الرلات، فالطفل الذي يحظى بالعناية والرعاية في بيئة نظيفة،  
يكون شديد الولع برضا والديه، وتكفي الطفل "الحز" من المرتي الإشارة.





كَمَا يَجِبُ عَلَى الْمُرْتَبِي أَنْ يَغْرِمَ فِي قِرَاةِ ضَمِيرِ النَّاسِي وَفِرَاةِ وَعْيِهِ مَبْدَأَ السُّلُوكِ  
السُّوِيِّ وَمِيزَانَ الخُلُقِ الرَّفِيعِ، وَهُوَ أَنْ "يُعَامِلَ النَّاسَ، بِمَا يَجِبُ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ"، وَأَنْ  
مِنَ الخَمَافَةِ وَالْعَارِ وَأَنْجِطَاطِ المَعْدِينِ وَالخُلُقِ أَنْ يَقُولَ الإِنْسَانُ مَا لَا يَفْعَلُ.  
وَبِذَلِكَ، أَيْهَا المُعَلِّمُ، يَكْبُرُ الطِّفْلُ فَيَكُونُ بِالعَارِ رَاشِدًا، كَرِيمَ النَّفْسِ قَوِيًّا صَادِقًا،  
يَأْتِي الكَذِبَ وَالعِشْنَ وَالنِّفَاقَ وَالرِّيَاءَ، وَيَكُونُ مِقْدَامًا يُقَدِّرُ المَسْئُولِيَّةَ، حَسَنَ الخُلُقِ  
مَرْضِي السَّمَائِلِ.

فَمَنْ نَسِيَ عَوْدَهُ أَيْهَا المُعَلِّمُ قَوِيًّا مُسْتَقِيمًا، سَتَرْتَفِعُ قَامَتُهُ رَاشِدًا، عُوْدًا سَامِقًا قَوِيًّا  
مُسْتَقِيمًا، وَمَنْ يَرْفَعُ عُوْدَ قَامَتِهِ هَزِيلًا مُعْوَجًّا، سَتَبْهَقُ حَتَّى المَشِيْبِ ظِلًّا قَامَةً هَزِيلًا  
مُعْوَجًّا، "فَلَنْ يَسْتَقِيمَ عُوْدُ شَبَابِ الإِنْسَانِ" أَيْهَا المُعَلِّمُ "وَجَدَرْتَبْتُ الطُّفُولَةَ أَعْوَجُّ"  
هَذِهِ القَاعِدَةُ الذَّهَبِيَّةُ فِي آدَاءِ وَاجِبِ حَسَنِ تَرْبِيَةِ النَّسَاءِ لَنْ تَتَأْتِيَ، أَيْهَا المُعَلِّمُ،  
إِلَّا بِالعِلْمِيَّةِ وَالجِدِّيَّةِ وَبِالصَّبْرِ فِي التَّرْبِيَةِ، وَالثَّمَرَةُ جَيِّدِي لِلوَالِدِ وَالمُرْتَبِي سَعَادَةُ  
"العَاجِلَةِ" وَ"الأَجَلَةِ".

عِنْدَ هَذَا الخَدِ وَقَفَ أَحَدُ المَشَابِ وَاسْتَأْذَنَ الشَّيْخَ فِي الخَدِيثِ.  
قَالَ الشَّابُّ يُخَاطِبُ الشَّيْخَ: كُلُّ مَا قُلْتَهُ أَيْهَا الشَّيْخُ الجَلِيلُ حَقٌّ لَا أَظُنُّ أَحَدًا مِنَّا  
يُخَالِفُكَ فِيهِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ حَالَةٌ أَوْدُ أَنْ أَطْرَحَهَا أَمَامَكَ لِأَرَى رَأْيَكَ الخَكِيمَ فِيهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَأْسَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَقِي، هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنَّهُ يُهَيِّئُ أَنْ تَتَّضِحَ لِلشَّبَابِ رِجَالًا وَنِسَاءً كُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُسْرَةِ وَعَلاَقَاتِهَا لِتَحْقِيقِ هَمَائِهَا، وَتَجَنَّبَ كُلَّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعَكِّرَ صَفْوَهَا وَيُهَيِّدَ أَمْنَهَا، فَالْأُسْرَةُ هِيَ الْأَسَامِنُ الْمَكِينُ لِكُلِّ أُمَّةٍ وَكُلُّ مُجْتَمَعٍ، وَمَا دَمَّرَ الْخَضَارَاتِ السَّالِفَةَ، مُنْذُ عَهْدِ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْفُرَاعِيينَ، إِلَّا انْتِهَارُ الْأُسْرَةِ وَأَخْلَاقِيَّاتِهَا، فَعِندَ ذَلِكَ لَا رَجْعَةَ وَلَا دَوَاءَ.

قَالَ الْفَقِي: يَا سَيِّدِي هُنَاكَ الْبَعْضُ مِمَّنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ نَزَوَاتُهُ، وَتَتَطَلَّعُ إِلَى تَعَدُّدِ الْعَلاَقَاتِ وَمَزِيدٍ مِنَ الْقَلْدَاتِ، أَقْلَيْسِنِ الْأَوْلَى أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ بِتَعَدُّدِ الرُّوْحَاتِ بَدَلًا مِنْ تَعَدُّدِ الْخَلِيلَاتِ، فَمَا رَأَيْتَ شَهْجَنَا الْجَلِيلِ فِي هَذِهِ الْمُسْكَلَةِ الْمُخَيَّرَةِ، عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ أَخَذَ الشَّبَابُ مَجْلِسَهُ، مُنْتَظِرًا مَعَ الْحَاضِرِينَ جَوَابَ الشَّيْخِ عَنِ الْمُسْكَلَةِ الَّتِي طَرَحَهَا هَذَا الشَّبَابُ الْجَرِيءُ عَلَى مَسَامِعِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ.

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْفَقِي لَوْ كَانَ الْخِيَارُ مَحْصُورًا بَيْنَ اتِّخَاذِ الرُّوْحَاتِ أَوْ اتِّخَاذِ الْخَلِيلَاتِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ اتِّخَاذَ الرُّوْحَاتِ وَحَمْلَ مَسْئُولِيَّةِ الْمَرَاةِ وَمَا قَدْ يَنْجُمُ عَنْ هَذِهِ الْعَلاَقَاتِ مِنْ أَطْفَالٍ، أَوْلَى وَأَخْفُ ضَرَرًا مِنْ اتِّخَاذِ الْخَلِيلَاتِ، وَمَا يَغْتَبِهَ ذَلِكَ مِنْ انْتِهَارِ كَامِلِ لِنِظَامِ الْأُسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَانْتِهَارِ أَخْلَاقِيَّاتِهَا.

وَتَابَعِ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: وَلَكِنَّ الْأَمْرَ أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ لَيْسَ فِي جَوْهَرِهِ عَلَى  
 هَذِهِ الصُّورَةِ، وَلَا عَلَى هَذَا الْخِيَارِ؛ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ تُدْرِكَ أَوْلًا أَنْ هَذِهِ التَّرَوَاتِ الَّتِي  
 تُزَلِّلُ كَيَانَ الْأُسْرَةِ بِتَعَدُّ الْعِلَاقَاتِ يُنْبِئُ عَنْ أَمْرٍ خَطِيرٍ، هُوَ خَلَلٌ فِي الْمَقَاهِيمِ وَفِي  
 التَّرْبِيَةِ وَتَبَلُّدٌ فِي جِسْمِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَعِلَاجُ هَذِهِ الْحَالَاتِ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى لَا يَكُونُ بِتَرْكِ  
 الْخَبْلِ عَلَى الْعَارِبِ، بَلْ بِالتَّنْبِيهِ إِلَى أَصْلِ الدَّاءِ، وَهُوَ خَلَلُ التَّرْبِيَةِ وَمَا يَنْجُمُ عَنْهَا، لَيْسَ  
 فَقَطْ بِضَعْفِ جِسْمِ الْمَسْئُولِيَّةِ فِي شُئُونِ الْأُسْرَةِ وَحَقِّي الرُّوْحَةِ وَالْأَبْنَاءِ بِالتَّعَدُّدِ  
 فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ هُوَ ذَاتُهُ السَّبَبُ خَلْفَ مَا تُعَانِي مِنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ الْأَقَابِ  
 الْاجْتِمَاعِيَّةِ، فِي الْإِسْتِخْفَافِ بِالْأُسْرَةِ وَبِمَسْئُولِيَّاتِهَا، وَبِالْآثَارِ النَّاجِمَةِ عَنْ تَفَكُّكِهَا، مِنْ  
 مِثْلِ انْتِشَارِ الطَّلَاقِ وَتَفَكُّكِ عُرَى زَوَائِجِ وَأَوْلَادِ الْأُسْرَةِ وَالتَّقْصِيرِ فِي أَذَاءِ الْحُقُوقِ وَخَفَلِ  
 الْمَسْئُولِيَّةِ نَحْوَ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الضَّعِيفِ وَالصِّغَارِ، وَمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ شُئُونِ الْأُسْرَةِ فِي  
 جَوَانِبِ الْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالْإِسْتِهَانَةِ بِهَا.

صَمَتَ الشَّيْخُ بَعْدَ ذَلِكَ لِحُظَّةٍ ثُمَّ تَابَعَ حَدِيثَهُ إِلَى الشَّبَابِ قَائِلًا: إِنَّ مِنَ الْخَطْرِ أَيْهَا  
 الشَّبَابُ أَنْ تُحَاوَلَ حَلُّ مُشْكِلَةٍ بِخَلْقِ مُشْكِلَةٍ أُخْرَى، كَأَنْ نَحُلَّ الْمَشْكِلَةَ  
 الْإِقْتِصَادِيَّةَ، كَمَا يَحْدُثُ فِي بَعْضِ الْمُجْتَمَعَاتِ، عَلَى حِسَابِ الْأُسْرَةِ وَحِسَابِ أُوْلُوئِهَا

حُقوقِ الأُمومةِ، أو بِمُحاوَلَةِ حَلِّ مُشكِلةِ ضَعْفِ التَّربِيَةِ وَجِسِّ المُسئُولِيَّةِ لَدَى  
النَّاشِئَةِ بِتَسهِيلِ الإِسْتِجَابَةِ لِذَوَاعِي التَّرَوَاتِ.

هَذَا السُّلُوكُ يُصَبِّحُ لَدَيْنَا أَهْمًا الشَّيْبَابُ عِوَضَ الإِشْكَالِ الوَاحِدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ  
نُواجهَهُ وَنَحُلَّ مُعضِلَتَهُ فِي مَجَالِهِ وَجْهًا لِوَجْهِهِ إِشْكَالًا، كَمَا نَحُلُّ المُشْكِلةَ  
الإِقْتِصَادِيَّةَ فِي ضَعْفِ القُدْرَاتِ بِسَبَبِ ضَعْفِ التَّربِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّخْطِيطِ، وَبِالتَّالِي  
ضَعْفِ الإِنْتِاجِيَّةِ، فَتَلْجَأُ إِلَى إِخْرَاجِ النِّسَاءِ الشَّابَّاتِ، وَهُنَّ فِي سِنِّ الأُمومةِ، لِلْعَمَلِ  
أَسْوَدَ بِالرِّجَالِ بَدَلًا مِنْ أَوْلِيَّةِ الأُمومةِ فِي هَذِهِ المَرخَلَةِ مِنْ حَيَاةِ المَرأةِ، فَتَضَعُ  
عِنَايَةَ الأُمِّ بِالأَبْنَاءِ، إِنْ أُحْبِبْتَهُمْ، وَتَشْغَلُ عَنْهُمْ، فَيَزْدَادُ ضَعْفُ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ  
وَقدْرَاتِهِمْ وَإِنْتِاجِهِمْ، وَتَزْدَادُ بِذَلِكَ تَدَهُورُ قُدْرَاتِ أَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ وَتَدَهُورُ أَخْلَاقِيَّاتِ  
المُجْتَمَعِ، وَتَزْدَادُ تَفَكُّكُ بِنَائِهِ الإِجْتِمَاعِي، وَبِالتَّالِي يَزْدَادُ ضَعْفُ بِنَائِهِ الإِنْتِاجِي  
وَالإِقْتِصَادِي؛ فَتَكُونُ حَرَكَةُ الأُمَّةِ، حَرَكَةُ سُفْلِيَّةِ حَلَزُونِيَّةِ، تَزْدَادُ ضِعْفًا، وَآلِي  
الْأَسْفَلِ وَالْأَسْوَأِ، وَتُصْبِحُ الأُمَّةُ قَرِيضَةً لِكُلِّ طَامِعٍ فِيهَا، يَنْهَبُ خَيْرَاتِهَا، وَيَسْتَبِيحُ  
دِمَاءَهَا، وَيُبْذِلُ رِقَابَ أَبْنَائِهَا.

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَنْ نَحُلَّ ضَعْفَ جِسِّ التَّربِيَةِ وَجِسِّ المُسئُولِيَّةِ بِتَسهِيلِ التَّرَوَاتِ

بِالْخَلِيَّاتِ، أَوْ بِتَعَدُّدِ الزُّوجَاتِ مِنْ دُونِ ضَرُورَةٍ، بَدَلًا مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ  
الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَثَرِيَّةِ، وَخَلِّهَا فِي جُدُورِهَا، وَفِي كِلْتَا الْخَالَتَيْنِ وَمَا فِي حُكْمَيْهَا، نَحْنُ  
بِهَذَا التَّصَرُّفِ الْهَرُوبِيِّ الْعَاجِزِ السَّيِّئِ- لَا نَحُلُّ الْمُسْكِةَ الْأَصْلِيَّةَ، وَلَكِنَّا نُوَلِّدُ إِلَى  
جَانِبِ الْمُسْكِةِ مُسْكِةً أُخْرَى أَعْوَصَ مِنْهَا وَأَكْبَرَ وَأَخْطَرَ.

فَالْحَلُّ الصَّحِيحُ، وَالْخِيَارُ الصَّحِيحُ، أَهْمَا السَّبَابُ، لَيْسَ فِي حَلِّ الْمُسْكِةِ بِمُسْكِةٍ  
أُخْرَى؛ لِيُصْبِحَ لَدَيْنَا بَدَلُ الْمُسْكِةِ الْوَاحِدِ مُسْكِاتٍ، وَيُصْبِحَ لَدَيْنَا بَدَلُ الدَّاءِ الْوَاحِدِ  
دَاءَانِ، وَلَكِنَّ الْحَلَّ الصَّحِيحَ إِنَّمَا يَكُونُ بِمُوَاجَهَةِ الْمُسْكِةِ الْأَسَاسِ، وَخَلِّهِ بِمَا يُحَقِّقُ  
إِصْلَاحَ أَصْلِ الدَّاءِ، وَيُحَقِّقُ غَلَاظَاتِ الْمُجْتَمَعِ السَّلِيمَةِ، وَيَحْفَظُ مَصَالِحَ الْفَرْدِ  
وَالْمُجْتَمَعِ وَقِيَمَتِهِمُ الْأَخْلَاقِيَّةَ الْقَوِيمَةَ.

صَفَّتِ الشَّيْخُ بُرْهَةً ثُمَّ تَوَجَّهَ بِالْخَبِيثِ إِلَى جَمِيعِ السَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ فِي الْمَجْلِسِ  
قَائِلًا: أَهْمَا السَّبَابُ؛ مَنْ مِنْكُمْ الَّذِي يَرْضَى أَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ لِابْنَتِهِ أَوْ لِابْنِهِ؟ مَنْ مِنْكُمْ  
مَنْ يَرْضَى أَنْ يُشَارِكَ ابْنَتَهُ زَوْجَاتٍ أُخْرَيَاتٍ، أَوْ أَنْ تَتَوَزَّعَ أُسْرَةُ ابْنِهِ وَأَطْفَالُهُ بَيْنَ  
زَوْجَاتٍ مُتَشَاكِسَاتٍ؟ مَنْ يَرْضَى ذَلِكَ مِنْكُمْ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ وَيُوضِّحْ لَنَا بِالرَّحْبِ  
وَالسَّعَةِ وَجْهَةَ نَظَرِهِ، فَكُلِّي، أَنَا وَبِنْدِيَا، أَسْمَاعُ صَبَاحِيَّةٌ؟  
خَيِّمِ الصَّمْتُ عَلَى الْمَجْلِسِ، وَلَكِنَّ أَحَدًا مِنَ الْجَالِسِينَ لَمْ يَرْفَعْ يَدَهُ.

عِنْدَ ذَلِكَ تَابَعَ الشَّيْخُ الْخَطَابَ إِلَى الشَّبَابِ قَائِلًا: أَجِيبُونِي أَيُّهَا الشَّبَابُ هَلْ تَرْضَوْنَ هَذَا لِأُمَّهَاتِكُمْ، هَلْ تَرْضَوْنَ هَذَا لِأَبْنَائِكُمْ أَوْ لِأَبْنَاتِكُمْ.

هُنَا صَجَّتِ الْقَاعَةُ بِأَصْوَاتِ الشَّبَابِ مُجَلِّجَةً بِكَلِمَةِ "لَا"، وَارْتَفَعَتْ جَمِيعُ أَيْدِيهِمْ تَلَوُّحٌ مُشِيرَةٌ بِ( لَا لَا ): رَفْضًا لِهَذَا الْمُلُوكِ، وَإِنكَارًا لِهَذَا الْخَلِّ الْمُتَقَلِّبِ الْمُرْزَلِ لِرُوحِ الْأَسْرَةِ وَمَسَاعِدَتِهَا، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَكُونُ لَهُ مُبَرَّرٌ يَدْعُمُ الْأَسْرَةَ وَيُشِيعُ فِيهَا مَزِيدًا مِنْ رُوحِ الْأَمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمَسَاعَاةِ.

عِنْدَ ذَلِكَ أَشَارَ الشَّيْخُ إِلَى الشَّبَابِ لِيَعُوذَ الْهُدُوءَ إِلَى الْقَاعَةِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّبَابُ، نَعَمْ مَا قُلْتُمْ، وَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، نَعَمْ، "عَلَيْنَا أَنْ نُعَامِلَ النَّاسَ بِمَا نُحِبُّ أَنْ نُعَامَلَ بِهِ"، فَلَا تَرْضَى لِأَزْوَاجِنَا وَأَسْرِ أبنائِنَا، مَا لَا فَرْصَاهُ لِأبنائِنَا وَأَسْرِ أبنائِنَا.

صَمَّتِ الشَّيْخُ لِحِظَّةِ أُخْرَى ثُمَّ تَابَعَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: لَعَلِّي أَيُّهَا الشَّبَابُ بِمَا ذَكَرْتُ لَكُمْ قَدْ وَضَّحْتُ الْأَمْرَ، وَوَضَّحْتُ ضَرُورَةَ أَنْ نُوَاجِهَ مَسْئُولِيَّاتِنَا الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةَ، بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا، بِمَا يُحَقِّقُ سَعَادَتَنَا وَمَسَاعَاةَ مُجْتَمَعِنَا، وَتُحْيِي أبنَاءَنَا وَشَبَابَنَا؛ لِنَعِيشُوا فِي أَسْرٍ وَعَلَاقَاتٍ إِنْسَانِيَّةٍ قِيَمَةِ الْأَمْسِ مَبِينَةِ الْبُلِّيَانِ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ التَّفَتَّ الشَّيْخُ نَحْوَ الْفَتَاةِ الَّتِي رَغِبَتْ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لَهُ، وَوَجَّهَ إِلَيْهَا

حَدِيثُهُ قَائِلًا: أَيُّهَا الْأَخْتُ الْكَرِيمَةُ أَرْجُو بَعْدَ أَنْ مَسَمَعْتَ إِلَى مَا دَارَ مِنْ جَوَارِبِ بِشَانِ  
الْأُسْرَةِ أَنْ تَعْلِمِي أَنِّي -كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ لَكَ- لَسْتُ بِالزَّوْجِ الْمُنَاسِبِ لَكَ، فَلَسْتُ  
كَمَا تَرَيْنِ، أَيُّهَا الْإِثْنَةُ الْكَرِيمَةُ، فِي السِّنِّ الَّتِي يَلِيقُ بِشَيْخٍ مِثْلِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا زَوْجًا -عَلَى  
أَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ- لِفَتَاةٍ جَمِيلَةٍ مُهَذَّبَةٍ فِي مُقْبَلِ الْعُمُرِ مِثْلِكَ، وَلَكِنِّي أَسْتَأْذِنُكَ أَنْ  
تَقْبَلِي بِي أَبَا، وَأَنْ أَحْطَبِكَ لِمَنْ أَطْلَعَهُ -بِمَا رَأَيْتُ فِي شَخْصِهِ مِنْ مَخَاطِلِ الذِّكَاةِ وَالْقُدْرَةِ  
وَكَرِيمِ الْخُلُقِ، وَمَا رَأَيْتُ لَكَ فِي عَيْنَيْهِ مِنْ مَشَاعِرِ الْوُدِّ وَالْمَحَبَّةِ- خَيْرَ زَوْجٍ لَكَ، وَخَيْرَ أَبٍ  
لِأَبْنَائِكَ، وَخَيْرَ أَلْفٍ وَزَفِيرٍ لَكَ فِي رَحْلَةِ الْحَيَاةِ الْمُعْبِيدَةِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى شَابٍ حَمِيهِ الطَّلَعَةُ وَالْبَهْدَامُ، كَانَ يَجْلِسُ إِلَى يَمِينِ الْمَجْلِسِ،  
فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَيَجْلِسَ إِلَى جَانِبِهَا، فَأَسْرَعَ الشَّابُّ مُلَبِّيًا الطَّلَبَ، ثُمَّ نَظَرَ الشَّيْخُ  
إِلَى شَابٍ آخَرَ يُضَاهِيهِ طَّلَعَةً وَبَهْدَامًا وَتَمَقُّطَةً وَذِكَاءً، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَيْضًا، وَأَنْ  
يَجْلِسَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ، فَلَمَّى الشَّابُّ فِي سُرْعَةٍ وَخَجَلَ طَلَبَ الشَّيْخِ.

نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى فَتَاةٍ أُخْرَى شَابَّةٍ جَمِيلَةٍ تُضَاهِي الْأُولَى بِنَاءً وَجَمَالًا،  
وَطَلَبَ إِلَيْهَا أَنْ تَجْلِسَ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ إِلَى جَانِبِهِ، ثُمَّ قَالَ مُخَاطِبًا الشَّابَّ إِلَى يَمِينِهِ:  
لَمْ يَهْتَنِي يَا فَتَى مَا كُنْتَ تُرْسِلُهُ مِنَ النَّظَرَاتِ الْوَالِهَةِ إِلَى فَتَاتِكَ الَّتِي إِلَى جَانِبِكَ، وَلَمْ

يَغِيبُ عَن فِطْنَتِي نَظَرَاتُ حَيَاتِهَا وَخَجَلِهَا مِن اخْتِلَاسَاتِ نَظَرَاتِكَ. فَهَلْ تَأْذِينٌ لِي يَا  
فَتَاتِي أَنْ أُحْطَبِكَ إِلَى الشَّابِّ النَّابِهِ الْجَالِسِ إِلَى جَانِبِكَ؟

أَرَحِبُ الْفَتَاةَ رَأْسَهَا، وَأَحْمَرْتُ وَجْنَتَاهَا وَكَانَ صَمْتُهَا أْبْلَغُ فِي التَّعْبِيرِ عَن رِضَاهَا.  
ثُمَّ التَّفَتَ الشَّيْخُ إِلَى الشَّابِّ الْأَخْرَجِ إِلَى يَسَارِهِ، وَقَالَ لَهُ: هَلْ تَأْذِنُ لِي أَيْضًا يَا بُنَيَّ أَنْ  
أُحْطَبَ لَكَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ فَتَأْتِكَ الْجَمِيلَةُ الَّتِي إِلَى جَانِبِكَ؟ فَمَا أَظُنُّ شَائِئِينَ نَائِبِينَ  
مِثْلَكُمَا بَعْدَ أَنْ خَبَرْنَا مِنْ فَتَاتَيْكُمَا رُؤُوسَهُنِ صَالِحَتَيْنِ لَكُمَا، وَمَا أَظُنُّهُمَا مُتَّجِدَانِ خَيْرًا  
مِنْكُمَا رُؤُوسَهُنِ صَالِحَتَيْنِ لَهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ التَّفَتَ الشَّيْخُ إِلَى الْفَتَاةِ وَقَالَ: هَلْ تُفِيلِينَ يَا فَتَاتِي جِطْبَتِي لَكَ لِهَذَا الشَّابِّ  
الْجَالِسِ إِلَى جَانِبِكَ؟ وَجَاءَ جَوَابُهَا حَيَاءً وَخَفَرًا وَصَمْتًا أْبْلَغُ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفَرَحَةِ  
وَالرِّضَا.

أَمَّا الشَّابُّ فَقَدْ حَفَّضُوا رُؤُوسَهُمْ وَنَظَرُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالُوا لَهُ: أَنْتِ أُمُّهُ الشَّيْخُ  
الْجَلِيلُ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ لَنَا جَمِيعًا، وَكُلُّنَا نَرْضَى بِمَا نَرْضَاهُ لَنَا، وَلَنْ نَعْصِي أَحَدًا مِنَّا لَكَ  
أَمْرًا.

التَّفَتَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَحَةَ إِلَى يَمِينِهِ وَقَالَ لَهُ: سَأُبْعَثُ مَعَكَ أُمُّهُ الْحَكِيمُ فَتَاتِي



لِيَتَذَبَّرَ أَمْرَ أَفْرَاحِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَزَوْاجِ هَذَيْنِ الشَّابِّينِ مِنْ هَاتَيْنِ الْمُفَاتَيْنِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ،  
وَسَيَكُونُ الْعُرْسُ فِي دَارِي، فِي لَيْلَتِنَا بَعْدَ الْقَادِمَةِ وَعَلَى نَفْسِي، فَأُخْضِرُ مَعَكَ  
"الْمَأْذُونَ"، وَادْعُ الْأَهْلَ وَالْأَحْبَابَ وَكُلَّ مَنْ تَشَاءُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَوَارِ وَالْحَيِّ، وَسَاكُونَ أَنَا  
وَأَنْتَ يَا بَيْدَبَا سُهُودًا عَلَى هَذَا الرَّوَّاجِ الْمُبَارِكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا تَنْسَ يَا بَيْدَبَا أَنْ  
تُخْضِرَ أَرْتَابَ الْفَرْحِ وَالْمَرْحِ وَالطَّرْبِ وَالسَّمْرِ لِيَتَكُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ لَيْلَةٌ فَرْحٍ وَمَرْحٍ نَحْنُ بِهَا  
لِقَاءَ أَيْنَا الْمُبَارَكَةِ.

إِنِّي يَا بَيْدَبَا أُرِيدُ أَنْ أَكْفِي بِأَفْرَاحِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ صَبْرَكَ وَصَبْرَ إِخْوَانِكَ وَأَخْوَانِكَ مِنْ  
عَنَاءِ الْجَوَارِ وَالْفِكْرِ وَالدَّرْسِ، خِلَالَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الْمَاضِيَةِ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِيهَا خَيْرَ  
الْمُخَاوِرِينَ، وَخَيْرَ الْمُسْتَمِعِينَ.

وَيَهْدِيهِ الْكَلِمَاتِ الْحَكِيمَةِ الْفَاصِحَةِ وَالكَرَمِ الْأَبْوِيِّ وَقَفَ الشَّيْخُ وَقَالَ: كَفَانَا أَيْهَا  
الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ مَا تَحَدَّثْنَا بِهِ الْيَوْمَ وَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِتَنْهِي جُلُوسَةِ هَذَا الْيَوْمِ قَبْلَ أَنْ  
يَنَالَ مِنَّا التَّعَبُ أَكْثَرُ مِمَّا نَالَ.

## أُمِّي الَّتِي لَمْ تَلِدْنِي

وفي اليوم التالي توافد الشباب كالمعتاد، وأخذوا وأخذ الشيخ ويديها وقطعة الشيخ مجلسهم، استعداذا للجوار والمداومة، وفجأة اهتز المجلس بضجة وصراخ غاضب وبكاء وغويل مجهم يصدر عن الدار المجاوزة لمجلس الشيخ، مما أثار ذهشة الشيخ وأفرغ مشاعره، وزفغ عيناها إلى يديها متسائلا عن مصدر هذه الضجة والغويل وأمنائها.

نادى بيديا على الفتي متعبد فيهم المنزل والمُشرف عليه طالبا يطلُب إليه أن ينظر سبب هذه الضجة، ولما لم يُبادر الرجل بالحركة لمعرفة حقيقة ما يحدث، ولما سأله الشيخ لماذا لم يُبادر بالحركة والذهاب لمعرفة ما يحدث؟ أجاب الرجل قائلاً: لا تُفرغ يا سيدي فهذا أمر يحدث كثيرا من حين لأخر في دار جارنا، لأن لهذه الجارة أبناء لزوجها، وهي مثل سواها من زوجات الأباء، تضيق ذرعا بهؤلاء الأطفال، وهي لذلك تنهال عليهم تعنيفا وضربا كلما تعرضوا لأحد إخوانهم من أبنائها، أو كلما ارتكبوا شيئا من أخطاء الأطفال وزلاتهم، تأديبا لهم وتنفيسا عن ضيق صدرها ومشاعرها لها لهم كزوجة أب ابتليت بمسئولية تربية أطفال ليسوا بأطفالها.

قال: أخذ الشَّيَابِ، لا أرى يا شيخنا الجليل إلا أن نواصِلَ عَمَلِنَا فلا أَظُنُّ أن هُنَاكَ ما يُمَكِّنُنَا فِعْلُهُ في مِثْلِ هَذِهِ الحَالِ.

قال الشَّيْخُ: لا يا بُعْثِي، بل هُنَاكَ ما يُفَكِّنُ فِعْلُهُ، لِأَنَّ ما يَحْدُثُ فِعْلُهُ هُوَ تَصَرُّفٌ جَاهِلٌ، يَضُرُّ المَرْأَةَ وَأَطْفَالَهَا، كَمَا يَضُرُّ هَؤُلَاءِ الأَطْفَالَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى كُلِّ الأَحْوالِ إِخْوَتُهُمْ.

قال بَيِّنَدًا: لَكُمْ هُوَ مَوْلَمٌ حَالٌ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الصِّغارِ، لَيْسَ فَحْطٌ، لِقَدْرِ جِصْبِ الأُمِّ، بل وَلِقِسْوَةِ ما يَلْقَوْنَ مِنَ زَوْجَاتِ الأَباءِ الجَاهِلاتِ، اللَّاتِي لا يَحْتَمِلْنَ رِعايَةَ أبنائِ الرُّوجِ، وَيَكْرَهُونَ مُشارَكَةَ هَؤُلَاءِ الأَطْفالِ، دُورَهُنَّ وَدُورَ أَطْفالِهِنَّ، لِمَا فِي فِطْرَتِهِنَّ مِنَ الأَذانِيَّةِ، وَالجِزْصِ عَلَى كُلِّ ما تَطُولُهُ أَيديهم، مِنَ النَّفْعِ وَالرِّفاهِ لِيَكُونَ لِهِنَّ وَلابْنائِهِنَّ فَحْطٌ.

قال الشَّيْخُ: ما تَقُولُهُ يا بَيِّنَدًا صَحِيحٌ، وَهُوَ لِلأَمْسَفِ، الفِهُمُ وَالإِحْساسُ الخَاطِلُ، المُسْتَحِيلُ عَلَى أَكْثَرِ النِّساءِ، مِنَ زَوْجَاتِ الأَباءِ، بل وَالْحالُ صَحِيحٌ أَيضًا، عَلَى تَصَرُّفاتِ كَثِيرٍ مِنَ أزْواجِ الأُمَّهاتِ نَحْوَ أبنائِ زَوْجائِهِنَّ، وَإِنْ يَكُنُّ فِي أَغْلَبِ الأَحْوالِ بِقَدْرِ أَقلِّ سَوْءٍ، لِأَنَّ دُورَ الرَّجُلِ في تَرْبِيَةِ الأَطْفالِ، وَمُعاناةِ حَاجَتِهِمْ، وَخَمَلِ مَسْئُولِيَّاتِهِمْ، بِأَقْلٍ وَأَهْوَنَ كَثِيرًا مِنَ حَالِ الأُمَّهاتِ.

وَتَابِعَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: إِنَّ مَا أَرْجُوهُ يَا بَيْدِيَا، أَنْ تَبْعَثَ بِثَلَاثٍ مِنَ السَّيِّدَاتِ إِلَى هَذِهِ الْجَارَةِ لِتَدْعُوَنَهَا وَرُؤُوسَهَا إِلَى حَضُورِ مَجْلِسِنَا، وَإِنْ كَانَ لَهَا أُمٌّ وَأَخْتُ أَوْ أَخَوَاتٌ فَإِنَّ مِنَ الْأَفْضَلِ، دَعْوَتُهُنَّ مَعَهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَفْضَلَ لِمَا أُرِيدُ الْحَدِيثُ مَعَهَا بِشَأْنِ الْأَطْفَالِ مِنْ أَبْنَاءِ رُؤُوسِهَا وَبَنَاتِهِ.

اخْتَارَ بَيْدِيَا ثَلَاثًا مِنَ السَّيِّدَاتِ الْمُتَقَدِّمَاتِ فِي السِّنِّ، لِزِيَارَةِ دَارِ السَّيِّدَةِ، وَدَعْوَتِهَا وَرُؤُوسَهَا لِمَجْلِسِ دَرَسِ الشَّيْخِ، فَذَهَبُوا إِلَيْهَا، وَتَلَطَّفُوا فِي دَعْوَتِهَا، وَشَرَحُوا مَا لِلشَّيْخِ مِنْ عِلْمٍ وَقَضَلٍ سَوْفَ يُعِينُهَا عَلَى مَا تُعَانِي مِنْ أَمْرِ أَبْنَاءِ رُؤُوسِهَا، وَمَا يُسَبِّبُونَهُ لَهَا، مِنَ الْمَتَاعِبِ.

رَحِبَتِ الرُّؤُوسَةُ، وَوَعَدَتْ بِحَضُورِهَا وَرُؤُوسِهَا، وَبِحَضُورِ أُمَّهَا وَأَخِيَّتِهَا إِلَى مَجْلِسِ الشَّيْخِ فِي جَلْسَةِ ذَلِكَ الْمَسَاءِ، وَفِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ، انْتَضَمَ الْمَجْلِسُ كَالْمُعْتَادِ، وَكَانَ مَوْضِعَ حَدِيثِ الشَّيْخِ عَنْ صِلَةِ الرَّجِمِ، وَعَنْ مَثُوبَةِ الْعَطْفِ عَلَى الْإِيْتَامِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْيَتَامَى، وَالتَّخْفِيفِ مِنْ مُعَانَاةِيهِمْ، وَكَانَ حَدِيثًا مُؤَيَّرًا أَدْمَعَ الْعُيُونَ خَاصَّةً عُيُونَ السَّيِّدَاتِ، وَخَتَمَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ إِلَى الْمَجْلِسِ، طَالِبًا مِنْهُمُ الْإِذْنَ، بِأَنْ يَخْلُومَعَ أُسْرَةَ الْجَارِ لِتَبْعِثَ الْحَدِيثَ.

انْتَقَلَ الشَّيْخُ وَمَعَهُ بَيْدِيَا وَرُؤُوسُهُ، وَالْجَارُ وَرُؤُوسُهُ، بِصُحْبَةِ امْرَأَتِهَا وَأَخِيهَا، وَمَعَهُمُ  
 السَّيِّدَاتُ الثَّلَاثُ، اللَّائِي قَمْنَ بِزِينَةِ امْرَأَةِ الْجَارِ، وَدَعَوْتَهَا، وَذَلِكَ لِغَايَةِ فِي نَفْسِ  
 الشَّيْخِ، لَمْ يَشَأْ أَنْ يُفْصِحَ عَنْهَا، إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَجْلِسِ، وَالْحَدِيثُ إِلَى امْرَأَةِ الْجَارِ.  
 تَوَجَّهَ الشَّيْخُ إِلَى امْرَأَةِ الْجَارِ، وَخَاصَّةً زَوْجَةَ الْجَارِ، وَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ ضُحَى الْيَوْمِ  
 مَا حَدَّثَ لَدَيْكَ بِالْدارِ، مَعَ ابْنَاءِ زَوْجِكَ، فَصَدَّ تَأْدِيبَهُمْ، وَقَدْ أَحْسَسْتُ بِمَا أَحْسَسْتُ  
 بِهِ مِنْ إِجْهَادٍ وَمُغَانَاةٍ، بِسَبَبِ عِبَاءِ مَسْئُولِيَّاتِكَ الْأَسْرِيَّةِ، نَحْوَ زَوْجِكَ، وَبَيْتِكَ،  
 وَأَبْنَائِكَ، مُضَافًا إِلَيْهَا فَوْقَ ذَلِكَ عِبَاءُ مَسْئُولِيَّاتِكَ، بِخِدْمَةِ ابْنَاءِ زَوْجِكَ، وَمَسْئُولِيَّةِ  
 تَرْبِيَتِهِمْ وَهُمْ ابْنَاءُ امْرَأَةٍ أُخْرَى، لِتَكُونِي، دُونَ خِيَارِ مَنْكَ، بَدِيلًا لِأُمِّهِمْ، وَرَغْمَ صُعُوبَةِ  
 تَرْبِيَةِ الْأَطْفَالِ، وَلَوْ كَانُوا ابْنَاءَكَ، فَإِنَّ صُعُوبَةَ تَرْبِيَةِ ابْنَاءِ الرَّوْحِ، لَا شَكَّ صُعُوبَةُ  
 مُضَاعَفَةٌ، لِأُمِّهِمْ وَلَا شَكَّ يَعْتَبِرُونَكَ، بِشَكْلِ وَاعٍ أَوْ غَيْرِ وَاعٍ، الْمَرْأَةُ الَّتِي اغْتَصَبَتْ  
 مَكَانَ أُمِّهِمْ، وَحَرَمَتْهُمْ دِفْءَ عَشِيرَتِهِمْ.

وَإِذَا كَانَتْ أُمُّهُمْ، أَيْهَا الْمُعْلِمُ أَيْضًا امْرَأَةً غَيْرَ وَاعِيَةٍ، وَلَجَأَتْ إِلَى تَأْجِيجِ هَذَا الشُّعُورِ  
 الْعَدَائِيِّ فِي نُفُوسِهِمْ نَحْوَكِ، وَتَرْزِيفِ دُورِكَ فِي مَسْئُولِيَّةِ مَا أَصَابَتْهُمْ بِسَبَبِ فِرَاقِهِمْ  
 لِأُمِّهِمْ، إِضَافَةً إِلَى مَا قَدْ تَرَدَّدَ أُمُّهُمْ أَيْضًا عَلَى مَسَامِعِهِمْ، مِنْ لُشُوبِهِ سِيرَتِكَ وَسِيرَةِ

أبيهم، انتقاماً منه وكذلك منك، وظناً منها، أنها بذلك تكسبُ وُدَّهُمْ وولاءَهُمْ، وكلُّ ذلك يزيدُ أيضاً ولا شك من متاعيك وثقل أعبائك، مما يضاعفُ شقاءك وشقاء هؤلاء الأطفال، فليس من مصلحتهم على كل الأحوال إزدراء أمهم أو أبيهم.

صمّت الشيخ لحظة، وذلك حتى يتيح للزوجة والزوج فرصة لاستيعاب ما تحدثت به، والقصد من ذلك أن يوضح حسن فهمه لمعاناة الزوجة، وتغاطفه معها ومع معاناتها، ولتكون وأسرتها أكثر قبولا وتفهماً لما يقصد إليه الشيخ وينصح به، ولا يتحول إلى ما سبقته من نصح لدى أي أحد منهم خصوصاً زوج الجارة وأبو أولئك الأطفال، إلى إحساس سلبي، أو موقف لوم وإذاعة لزوجته، لما يراه تفعله بأبنائه. تابع الشيخ حديثه قائلاً: والسؤال المهمُّ أيها الإخوة والأخوات، بعد كل ما تحدثنا عنه، هو كيف نتعامل مع هذه المعضلة، وكيف نخفف من آثارها المأساوية، على كل الأطراف خاصة هؤلاء الأطفال الصغار وزوجة الأب وهي الإنسان الذي يقع عليها عبءٌ مسئولية تربيتهم ورعايتهم، ونقضي على ما يواجهونه من متاعب وسلبيات، بل وكيف نحول السلبيات إلى إيجابيات.

صمّت الشيخ مرةً أخرى، وأعين الجميع تنطلق إليه، وكلها لهفة لما سيقوله

الشَّيْخُ، وَكَيْفَ يُمَكِّنُ بَعْدَ كُلِّ مَا قِيلَ وَوَصَفَ تَحْوِيلَ تِلْكَ الْمَسْئَلَاتِ إِلَى إِجَابَاتِهَا.  
 تَابَعَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ وَقَالَ: مِنَ الْمُهْمِ أَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، أَنْ نَعْلَمَ وَأَنْ نَتَيَقَّنَ أَوْلَاءَ  
 أَنْ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ هُمْ أَطْفَالُ صِبَاغِ السِّنِّ، أَبْرِيَاءُ، وَعَلَيْنَا نَحْنُ الْكِبَارُ أَنْ  
 نَعْرِفَ كَيْفَ نَحْتَوِيهِمْ وَنَتَعَامَلَ مَعَهُمْ، وَكَيْفَ نُرْشِدُهُمْ وَنَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ، وَنَكْسِبُ  
 بُقَّتَهُمْ، وَنَتَغَلَّبُ عَلَى مَا يُعَانُونَ مِنْ آلامٍ، وَمَشَاعِرَ نَفْسِيَّةٍ مَرِيضَةٍ، وَبِذَلِكَ نُسَبِّحُ كَثِيرًا فِي  
 تَخْفِيفِ أَعْيَاءِ زَوْجَةِ الْأَبِ الَّتِي تَحْمِلُ أَعْيَاءَ مَسْئُولِيَّةِ تَرْبِيَةِ أَبْنَاءِ الرَّوْحِ وَبَنَاتِهِ.  
 وَالسُّؤَالُ الْمُهْمُ الثَّانِي الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا أَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ أَنْ نَسْأَلَهُ لِأَنْفُسِنَا،  
 هُوَ: كَيْفَ يُمَكِّنُ لِمَنْ يَقْضَى مِنْ زَوْجَاتِ الْأَبَاءِ عَلَى أَمْرِ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ وَتَحْمِلُنَ  
 مَسْئُولِيَّةَ تَرْبِيَتِهِمْ أَنْ يَكْسِبْنَ مَعْرَكَةَ ثِقَةِ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ وَمَوَدَّتِهِمْ، وَهُنَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا  
 مِنْ فِطْرَةٍ وَمَا يَتَحَمَّلْنَ مِنْ أَعْيَاءِ مَسْئُولِيَّتَيْنِ وَحِرْصَيْنِ الْبَالِغِ عَلَى مَصَالِحِ أَبْنَائِهِنَّ.  
 وَتَابَعَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: السُّؤَالُ الصَّعْبُ أَمَّا الْأَصْدِقَاءُ هُوَ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ  
 يَحْدُثَ ذَلِكَ، إِذَا كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى جُلِّ النَّفُوسِ، نِسَاءً أَوْ رِجَالًا، تَحْمِلُ مِثْلَ هَذَا  
 الْقَدْرِ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالْعَنَاءِ، لِغَيْرِ أَبْنَائِهِمْ إِضَافَةً إِلَى مَا يُثْقَلُ كَاهِلُهُمْ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ  
 أَبْنَائِهِمْ.

وَالجَوَابُ أُمُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ، هُوَ أَنَّهُ لَا يَسْهَلُ تَقْبُلُ مِثْلَ هَذَا العِبءِ عَلَى أَحَدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِي فِطْرَتِهِ أَوْ مَصْلَحَةٌ لَهُ فِي القِيَامِ بِهِ وَتَحْمُلِ أَعْيَانِهِ. وَلَكِنْ دَعَوْنَا أُمُّهَا الإِخْوَةَ وَالأَخَوَاتُ نَنظُرُ فِي الأَمْرِ نَظْرَةً ثَانِيَةً مُتَأَنِّيَةً، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَسْهَلُ التَّنَبُّهُ إِلَيْهِ مِنَ التَّنْظَرِ السَّطْحِيِّ المُتَعَجِّلَةِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ نَرَى كَيْفَ أَنْ لِرِزْوَجَةِ الأَبِ، فِي حُسْنِ رِغَايَةِ أبنَاءِ رِزْوَجَتِهَا، أَصْلًا فِي فِطْرَتِهَا، وَمَصْلَحَةً كَثِيرَى لَهَا، وَلِأبنَائِهَا، بِشَرِطِ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَتَتَنَبَّهُ إِلَيْهِ وَتَعْلَمَهُ، وَحِينَئِذٍ سَوْفَ يَنَالُ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ مِنْ عِنَايَتِهَا وَرِغَايَتِهَا، بَلْ وَمِنْ جَهْدِهَا وَجَرِيصَتِهَا عَلَيَّهِمْ وَعَلَى حُسْنِ تَنَشِئَتِهِمْ مِثْلَ مَا يَنَالُ أبنَاءَ لَحْمِيهَا وَذَمِيهَا.

اِنْسَعَتْ أَعْيُنُ الحَاضِرِينَ دَهْشَةً وَتَرْقِيًا لِمَا سَيَقُولُهُ الشَّيْخُ، شَرَحًا لِمَا أَجْمَلَ، وَتَوْضِيحًا لِكَيْفِيَّةِ حَلِّ هَذَا اللُّغْزِ العَجِيبِ المُخْبِرِ. قَالَ الشَّيْخُ: نَعْلَمُ جَمِيعًا أُمُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ بِمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا، أَنَّ هَؤُلَاءِ الأَطْفَالَ الصِّغَارَ هُمْ صَحَابَا بَرِيئَةٍ، لِأَخْطَاءِ وَأَحْدَاثِ لَا يَدُ لَهُمْ فِيهَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الحَقِّ وَالْعَدْلِ، أَنْ لَا تُرَاعَى طُرُوفُهُمْ، أَوْ أَنْ يُعَاقَبُوا عَلَى حَمَاقَاتِ غَيْرِهِمْ وَأَخْطَاءِ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ.



كذلك أيها الإخوة والأخوات فإنا نعلم فيما ذكرنا أيضا، ما في حُسن رعاية مثل هؤلاء وتخفيف آلامهم وذملي جراحاتهم من سُموم التَّيْلِ، وعِظَم الأجر. قال بيديا: صدقت أيها الشيخ ولكن ما هو الجديد في كل ما تقول؟ فإنا لا نرى في ذلك خلا للفر الذي طرخت، أو متبنا حقيقيا لكي يُغَيَّر زُوجَات الأباء موقِفهنَّ ومُعَامَلتهنَّ لِأبناء أزواجهنَّ.

قال الشيخ ياسما: هوَنَ عَلَيْكَ يَا بَيْدِيَا وَلَا تَعْجَلْ، فَسَتَسْمَعُ الْجَدِيدَ الَّذِي يُجِيبُ عَلَى سُؤَالِكَ الصَّعْبِ، وَتَحُلُّ ذَلِكَ اللُّغْزَ الَّذِي شَهِدْتَ شَخْصِيًّا أَثَارَةَ الرَّايَعَةِ، فِي حَيَاةِ نِسَاءٍ وَزُوجَاتِ آبَاءٍ كَثِيرَاتٍ، مِنْ اللَّابِي كُنَّ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ ضَيْقًا وَشَقَاءً، بِأبناءِ أَزْوَاجِهِنَّ، بَلْ وَكَانَ يَعْضُنَ عَلَى قَدْرِ عَظِيمٍ مِنَ الْقِسْوَةِ عَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ، لِيُصْبِحَنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ عِنَايَةً وَرِعَايَةً لِأبناءِ أَزْوَاجِهِنَّ.

إنَّ الْجَدِيدَ يَا بَيْدِيَا، هُوَ أَنَّ نَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ، لَيْسُوا فَقَطْ أَبْنَاءَ الرُّوْجِ، بَلْ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ وَأَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّهُمْ أَيْضًا إِخْوَانُ أَطْفَالِ زُوجَاتِ الْأَبَاءِ، يَرْبِطُهُمُ النَّسَبُ بِإِخْوَانِهِمْ مِنْ آبِهِمْ بِرِثَاطِ مُقَدَّمٍ مِنْ صِلَةِ الدَّمِ، وَهُوَ رِثَاطٌ لَا يَنْقُصُ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَا يُصِيبُ أَيًّا مِنْهُمْ مِنْ ضَرَرٍ فِي النَّفْسِ أَوْ فِي الْمَعَاشِ أَوْ فِي السَّمْعَةِ

بَيْنَ النَّاسِ يَتَالُ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَانِهِ، وَمِنْ شَرَفِهِمْ وَمُتَعَمِّمِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ، كَمَا أَنَّ مَا يَتَالُ  
أَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ خَيْرِ وَجَاهٍ وَسُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ، يُشْرِفُ كُلَّ إِخْوَانِهِ وَيُدْعِمُهُمْ، لَا فَرْقَ بَيْنَ  
شَقِيقِي، أَوْ غَيْرِ شَقِيقِي.

وَلِذَلِكَ يَا بَيْدَبَا فَإِنَّهُمْ إِذَا خَسُنَتْ تَرْبِيَتُهُمْ، مَمَّنَّتْ رَابِطَةُ الْمَحَبَّةِ وَالتَّأَزُّرِ بَيْنَهُمْ، لِأَنَّ  
الْأُمُومَةَ وَالْأَخُوَّةَ لَيْسَ لِمَنْ جَرَتْ دِمَاؤُهَا فِي الْعُرُوقِ قَطُّ، بَلْ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ  
وَبِالدَّرَجَةِ الْأُولَى، لِمَنْ تَفْتَحَتِ الْعَيْنُ عَلَى حُبِّهِ وَرِعَايَتِهِ، وَذَلِكَ أَقْرَبُ بِالْفِطْرَةِ إِلَى  
الْقَلْبِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ حِينَ يَنْتَصِبُ الْعُودُ وَيَتَكَبَّرُ الصَّغِيرُ، وَيُدْرِكُ قِيَمَةَ مَا نَالَ مِنْ حُبِّ،  
وَعِنَايَةٍ، وَرِعَايَةٍ، تَجْعَلُ لِلْأُمِّ الْمُرْتَبَةَ، النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنَ الْحُبِّ وَالتَّعَلُّقِ وَالْعِرْفَانِ  
بِالْجَمِيلِ، وَهُوَ مَا رَأَيْتُهُ يَا بَيْدَبَا، مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ نَالَ هَذِهِ الْعِنَايَةَ وَالرِّعَايَةَ الْأُمُومِيَّةَ  
الصَّادِقَةَ مِنَ الْعَاقِلَاتِ النَّاضِجَاتِ مِنْ زُوجَاتِ الْأَبَاءِ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً لَهَا  
وَلِأَبْنَائِهَا، وَتَخْفِيفًا لِأَعْيَابِهَا، وَمَزِيدًا مِنَ الْحُبِّ وَالْعِرْفَانِ مِنْ قِبَلِ زُوجِهَا.

إِنَّ الْمَسْئُولَ يَا بَيْدَبَا، عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا نَرَى، مِنْ سُلُوكِيَّاتِ حَمَقَاءِ طَائِفَةِ مَنْ زُوجَاتِ  
الْأَبَاءِ، وَأَزْوَاجِ الْأُمَّهَاتِ يَرْجِعُ إِلَى سَطْحِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ، وَعَدَمِ الْخَوْضِ إِلَى جَوْهَرِ الْأُمُورِ،  
وَالْأَلْرَاتِ وَتَيَقُّنَتْ مَنْ تَحَمَّلَتْ مَسْئُولِيَّةَ إِخْوَانِ أبنَائِهَا وَحُجَّةِ النُّبْلِ وَالْخَيْرِ وَالْمَصْلَحَةِ،

فِيهَا ثَقِيلَةٌ لَهُمْ وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ تَرْبِيَّتِهِمْ.

صَنَعَتِ الشَّيْخُ بُرْهَةً ثُمَّ قَالَ: لِذَلِكَ يَا أَيُّهَا الْجَارَةُ الْعَزِيزَةُ، لَوْلَيْسَ هَؤُلَاءِ الصَّبَاغُ مِنْكَ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّبْرِ وَالْمُدَارَاةِ وَالْحُبِّ وَالْجِرْصِ الْأُمُومِيِّ عَلَيْهِمْ، فَسَوْفَ وَلَا شَكَّ، تَتَغَلَّبِينَ عَلَى خَوْفِهِمْ، وَعَلَى تَوَجُّسِهِمْ وَعَلَى آلامِ جِرَاحِهِمْ، وَسَوْفَ تَنَالِينَ مِنْهُمْ كُلَّ مَشَاعِرِ حُبِّ الْبُنُوَّةِ وَحَمِيلِ الْعِرْفَانِ فِي "الْعَاجِلَةِ" وَعِظَمِ الْأَجْرِ، لِمَا قَدُمْتَ مِنْ صَادِقِ الْبَدَلِ وَنَيْلِ الْمَشَاعِرِ لَهُؤُلَاءِ الرَّغَبِ الضَّعَافِ فِي "الْأَجَلَةِ".

تَمَعْتُ أَعْيُنُ السَّيِّدَاتِ، وَسَأَلْتُ عَيْنُ الْجَارَةَ، وَمَنْهَضَتْ تَبَغِي تَقْبِيلَ يَدِ الشَّيْخِ وَرَأْسِهِ، لِمَا سَمِعَتْ وَوَعَتْ، فَأَجْلَسَهَا الشَّيْخُ بِرَفْقٍ وَقَالَ: لِي، أَيُّهَا الْأَخْتُ الْعَزِيزَةُ، طَلَبْنَا أَطْلُبُهُ مِنْكَ قَبْلَ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ، وَذَلِكَ لِمَا أَرَى فِيكَ، وَفِيهَا عَثَرْتُ عَنْهُ بِدَمْعِ مَشَاعِرِكَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى نَيْلِ مَعْدِنِكَ، وَهُوَ مَا أَطْلُبُهُ أَيْضًا مِنْ بَقِيَّةِ الْأَخَوَاتِ الْخَاضِرَاتِ، فِي هَذَا الْمَجْلِسِ وَفِي مَجْلِسِ طُلَّابِنَا، وَمَنْ تَرَوْنَ وَتَرْغَبْنَ مِنْ مَسْئِدَاتِ الْمُجْتَمَعِ سِوَاهُنَّ، وَطَلَبِي هُوَ: أَنْ تَنْسِنُوا جَمْعِيَّةَ خَيْرِيَّةَ تَطَوُّعِيَّةَ تَتَوَلَّى أَمْرَ تَوْعِيَّةِ رُوحَاتِ الْأَبَاءِ اللَّاتِي يَرْغَبُونَ الصَّبَاغَ الضَّعْفَاءَ مِنْ أَبْنَاءِ الْكُرُوجِ الَّذِينَ هُمْ فِي حُكْمِ الْيَتَامَى، وَتَبْصِيرَهُنَّ بِقِيَمَةِ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّيْلِ وَالْمَصْلَحَةِ لِيَكُنَّ فِي "الْعَاجِلَةِ" أُمَّهَاتِ صَالِحَاتٍ وَاعِيَاتٍ، وَفِي "الْأَجَلَةِ" أُمَّهَاتِ فَأْجُورَاتٍ مُكْرَمَاتٍ.

وَأَرَى أَنْ تَبْدَأَ جَمْعِيَّتِكُمْ الشَّطْوُعِيَّةَ الْخَيْرِيَّةَ النَّبِيلَةَ، بِالْتَّرْفُقِ وَالْإِتِّصَالِ بِطَلِيقَةِ  
 زَوْجِكَ وَهِيَ أُمٌّ مَنْ لَدَيْكَ مِنْ أَبْنَاءِ زَوْجِكَ، لِكَيْ تُبَصِّرَ بِأَنْ تَنْتَهِيَ عَنْ كُلِّ مَا يُشَوِّهُ  
 صُورَةَ أَبِيهِمْ وَزَوْجَةِ أَبِيهِمْ فِي عَيْنِ أَبْنَائِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ يُسِيءُ إِلَى أَوْطَانِهَا، وَيُشَوِّهُ  
 نَفْسِيَّاتِهِمْ، وَيَنْتَهِي مَشَاعِرَ النِّقْمَةِ، لَيْسَ عَلَى أَبِيهِمْ وَزَوْجَةِ أَبِيهِمْ فَقَطْ، بَلْ يَمْتَدُّ ذَلِكَ  
 إِلَى كُلِّ مَنْ حَوْلَهُمْ، لِيَتَشَبَّهُوا مِنَ النَّاقِمِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى الْمُجْتَمَعِ، بِكُلِّ مَا يَحْمِلُ  
 ذَلِكَ لَهُمْ، مِنَ الْمَخَاطِرِ وَالْأَضْرَارِ، فَتَكُونُ بِلَدِّكَ الْأُمُّ، مِنْ حَيْثُ لَا تُدْرِي، بِجَهْلِهَا، كَمَنْ  
 يَغْمِدُ نَصْلَ سِلَاحِهِ فِي صَدْرِهِ، وَكَانَ الْأَوْلَى بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَأَلَّهَا، وَيَتَأَلَّ كُلُّ مَنْ  
 حَوْلَهَا، حُبُّهُمْ وَتَقْدِيرُهُمْ نَفْسِيًّا وَعَاطِفِيًّا، وَمَادِيًّا، إِنْ أَهْتَضَى الْأَمْرُ، وَدَعَتِ الْحَاجَةُ.  
 عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ صَمَّتِ الشَّيْخُ وَكَثَفَى بِمَا قَالَ وَلْتَقِفِ الْجَارِدُ وَمَنْ مَعَهَا وَتَقُولُ:  
 جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا يَا سَيِّدِي خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَطَلَبَكَ يَا سَيِّدِي مُطَاعًا، فَقَدْ بَصُرْتَنَا وَأَنْزَلْتَ  
 الطَّرِيقَ أَمَامَنَا، وَمَا أَظُنُّ أَحَدًا مِنَ الْخَاضِرَاتِ، لَا يَرْغَبُ فِي الْقِيَامِ بِمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ  
 النَّبِيلِ.

وَهُنَا قَالَتْ جَمَاعَةُ الْخَاضِرَاتِ وَعَلَى صَوْتٍ وَاحِدٍ، نَعَمْ يَسُرُّنَا وَيُسَعِدُنَا يَا شَيْخَنَا  
 الْجَلِيلِ، أَنْ نَشْطُوَعَ لِمِثْلِ هَذَا الْمَشْرُوعِ الْخَيْرِيِّ النَّبِيلِ، وَنَحْنُ عَلَى يَقِينَةٍ أَنَّ الْكَثِيرَاتِ

سَيُنْضَمُونَ إِلَى صُفُوفِنَا فِي هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الرَّائِعَةِ، الَّتِي سَتُرْغَى جَمِيعَ الْأَطْفَالِ الضُّعْفَاءِ، وَأَسْرَهُمْ. نَعْمَ يَا سَيِّدِي بِالْمُؤَسَّسَاتِ تَدْوِمِ الْأَعْمَالِ، وَتَعْمُ النِّفْعِ. نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى بَيْدِنَا، وَرَأَى عَلَيَّ وَجْهَهُ ابْتِسَامَةً مَاجِرَةً، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: مَاذَا يَدُورُ بِرَأْسِكَ، أَيُّهَا الْحَكِيمُ بَيْدِنَا، فَإِنِّي أَرَى عَلَيَّ مَخَيَّاتٍ، لَمَحَّةَ ابْتِسَامَةٍ مَاجِرَةٍ، فَمَاذَا عِنْدَكَ. اسْتَعَتْ بِسَمَةِ الْحَكِيمِ بَيْدِنَا وَقَالَ: تَذَكَّرْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ قِصَّةَ زَوْأَهَا لِي أَخْدُ الْأَصْدِقَاءَ عَنْ رَجُلٍ كَانَ فِي كِفَالَتِهِ بَعْضُ أَبْنَاءِ زَوْجَتِهِ، وَكَانَ يُصَبِّرُ عَلَيَّ أَنْ يَضَعَ "صَبِيئَةً" أَوْأِي الطَّلَعَامِ عَلَيَّ رَأْسِهِ، فِي صَبْرِ، وَذَلِكَ كُلَّمَا أَرَادَ أَبْنَاءُ زَوْجَتِهِ تَنَاوُلَ الطَّلَعَامِ بِخَضْرَتِهِ، وَمِنْ الْعَجِيبِ يَا سَيِّدِي، أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ، كَانَ لَا يُجِيبُ عَلَيَّ مَنْ يُسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ هَذَا الْإِكْرَامِ وَالْعِنَاءِ الْمُبَالِغِ فِيهِ، فِي إِطْعَامِ أَبْنَاءِ زَوْجَتِهِ، وَخِدْمَتِهِمْ، وَكَانَ يَكْتَفِي بِأَنْ يَخْفِضَ نَظْرَهُ وَتَبْصِرَهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَا يُجِيبُ. فَسَارَتْ بِسِيرَةٍ كَرَمِهِ وَتُبِّلَهُ الرُّكْبَانُ كَمَا يَقُولُونَ.

سَكَتَ بَيْدِنَا لِحُظَّةٍ نَاطِلًا إِلَى وُجُوهِ الْخَاضِرِينَ وَخَاصَّةً وُجُوهُ الْمَسِيدَاتِ وَنَظَرَاتِ الْإِعْجَابِ وَالتَّقْدِيرِ فِي أَعْيُنِهِمْ مَمْضُوحِيَّةً بِقَطْرَاتٍ مِنَ الدَّمْعِ عَلَيَّ وَجَنَاتِهِمْ.

قَالَ بَيِّنَا يُخَاطِبُ الْمَيِّدَاتِ: إِنِّي أَرَى نَظْرَاتِ الْإِعْجَابِ وَالتَّقْدِيرِ عَلَى قَسَمَاتِ  
 وَجُوهِكُمْ، مِمَّا يُعْبِرُ عَنْ نَيْلِ مَشَاعِرِكُمْ، وَتَقْدِيرِكُمْ لِهَذَا الرَّجُلِ.  
 أَجَابَتِ الْمَيِّدَاتُ قَائِلَاتٍ: يَا حَكِيمِنَا الْعَزِيزِ، إِنَّ مَنْ يُطِيقُ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الصَّبْرِ  
 وَالتَّوَاضُّعِ وَالْإِكْرَامِ، لَا يَكُونُ إِلَّا كَرِيمًا، حَنُونًا، نَبِيلَ الشَّمَائِلِ.  
 وَعِنْدَ ذَلِكَ التَّفَتُّ بَيِّنَا إِلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَطْوَلَةَ قَائِلًا: لَمْ أَسْمَعْ بَعْدُ رَأْيَكَ أَيُّهَا  
 الشَّيْخُ الْجَلِيلُ فِيمَا سَمِعْتَ مِنِّي، وَمَا سَمِعْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَيِّدَاتِ الْكَرِيمَاتِ.  
 أَجَابَ الشَّيْخُ وَهُوَ يُرْسِلُ نَظْرَةَ تَفْكُرٍ وَتَمَعْنٍ وَقَالَ: إِنَّ مَا ذَكَرْتَهُ يَا بَيِّنَا يُثِيرُ عِنْدِي،  
 زَعْمَ مَا يَبْدُو فِي ظَاهِرِهِ مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ وَتَوَاضُّعِهِ، مِنَ الْأَسْبَلَةِ، أَكْثَرُ مِمَّا يُمِدُّنِي  
 بِالْأُجُونَةِ، لِأَنِّي لَا أَفْهَمُ مَعْنَى لِهَذَا الْعَنَاءِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ وَرَائِهِ عِنَاءٌ، كَمَا لَا أَفْهَمُ مَعْنَى  
 لِلْإِصْرَارِ عَلَى الْحَقِّ وَإِرْخَاءِ الطَّرْفِ.

قَالَ بَيِّنَا: نَعَمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، إِنَّ مَنْ يَرَى فِيمَا يَفْعَلُهُ رُوحَ الْأَمِّ، عَلَى أَنَّهُ كَرِيمٌ  
 وَتَوَاضُّعٌ فَلَهُ أَسْبَابُهُ الظَّاهِرَةُ، أَمَا مَنْ كَانَ بِخَيْرَةِ شَيْخِ جَالِ الْأَفَاقِ وَخَيْرِ الرِّجَالِ فَلَا  
 غَرَابَةَ أَنْ لَا يَأْخُذَ بِظَاهِرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ الرَّجُلُ.  
 أَنَا قَوْلُ الْفِيلَسُوفِ دَهْشَةَ الْحَاضِرِينَ، وَاشْرَايْتُ أَعْنَاقَهُمْ، وَسَارَعَتِ الْحَاضِرَاتُ

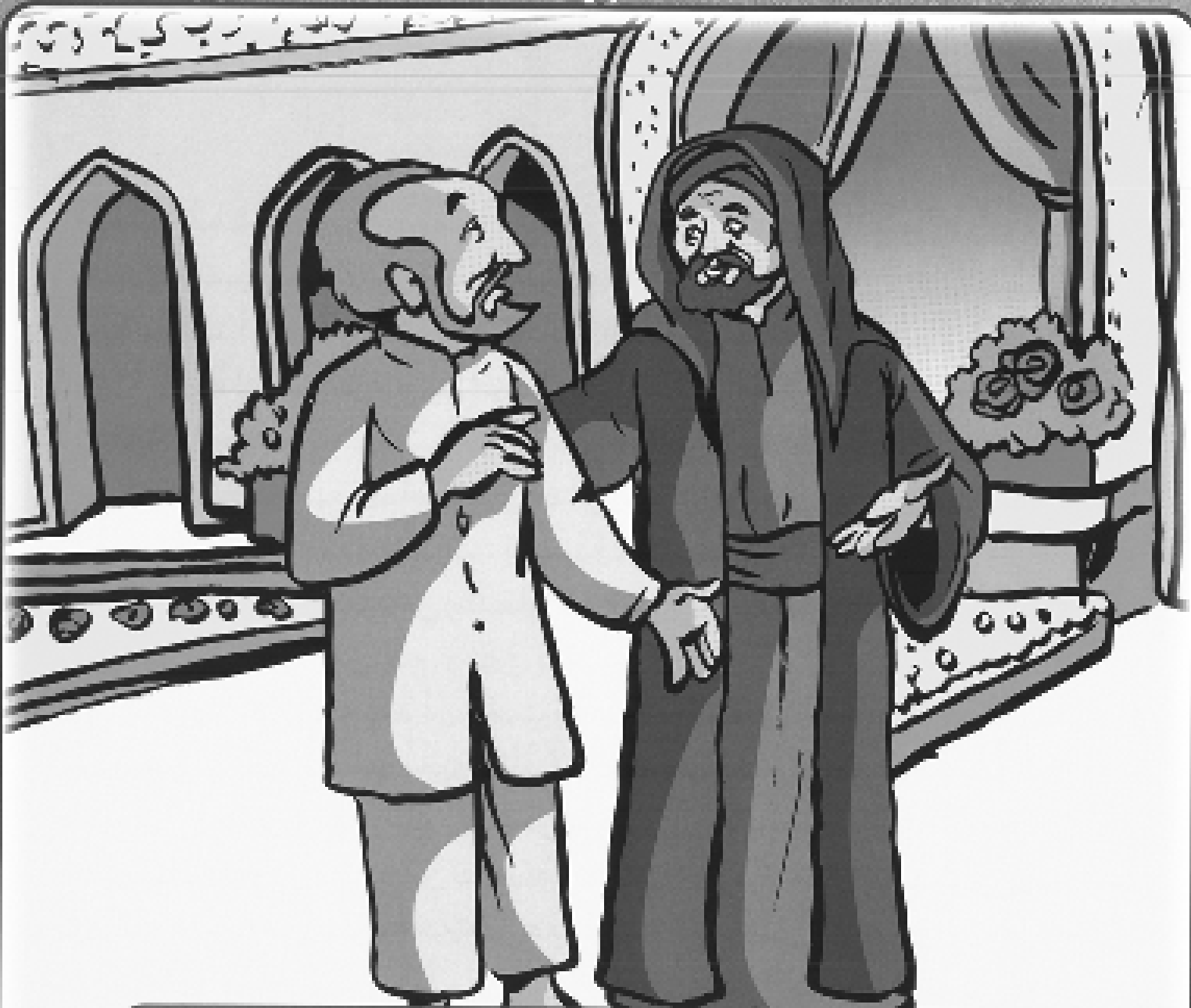
قَائِلَاتٍ: مَاذَا تَعْنِي بِمَا تَقُولُ أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ، أَخْبِرْنَا بِمَا لَدَيْكَ مِنْ مَزِيدِ الْغَرَائِبِ؟  
بَعْدَ أَنْ أَطَالَ بِيَدَيَا الصُّفْتِ رَغْبَةً فِي مَزِيدٍ مِنَ التَّمْشِيقِ قَالَ لَمَّا أَلَحَّ أَحَدُ أَصْدِقَاءِ زَوْجِ  
الْأُمِّ، عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ لِمَا يَعْرِفُهُ ذَلِكَ الصَّدِيقُ مِنْ طِبَاعِهِ وَخِصَالِهِ الَّتِي لَا مَجَالَ لِذَلِكَ  
التَّهْلِيلِ فِيهَا: اضْطَرَّ الرَّجُلُ أَنْ يُسِرَّ إِلَى ذَلِكَ الصَّدِيقِ بِمَا كَانَ يُخْفِيهِ فِي نَفْسِهِ وَتَدْعُوهُ إِلَى  
حَمْلِ الطَّعَامِ عَلَى رَأْسِهِ، حِينَ يَتَنَاوَلُ أَبْنَاءُ زَوْجَتِهِ الطَّعَامَ بِخَضْرَتِهِ.

وَهَذَا الْمِسْرُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، ثُمَّ سَكَتَ بِيَدَيَا مُجَدِّدًا، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْحَاضِرِينَ  
مُبْتَسِمًا، دُونَ أَنْ يَنْبَسُ بِبَيْتِ شَفَةِ، وَلَمَّا طَالَ صِفْتُ بِيَدَيَا، صَرَخَ الْجَالِسُونَ وَالْجَالِمَاتُ  
فِي وَجْهِهِ قَائِلِينَ: هَيْئًا أَخْبِرْنَا أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ بِمَا لَدَيْكَ، وَإِلَّا فَإِنَّا لَنْ نَدَعَكَ تُغَادِرَ هَذَا  
الْمَجْلِسَ حَتَّى تُخْبِرَنَا بِمَا أَسْرَيْهِ إِلَيْكَ صَدِيقُ ذَلِكَ الرَّجُلِ.

قَالَ بِيَدَيَا ضَاحِكًا: عَلَى هَوْنِكُمْ أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ سَأُخْبِرُكُمْ إِنْ وَعَدْتُمُونِي بِقِطْعَةٍ إِضَافِيَّةٍ  
مِنَ الْفَالُودِجِ هَذَا الْمَسَاءِ.

مَتَارَعَتِ الْمَسِيدَاتِ إِلَى وَعْدِهِ بِقِطْعَتَيْنِ بَدَلًا مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ.

عِنْدَهَا قَالَ بِيَدَيَا: الْمِسْرُ أَيُّهَا الْمَسَادَةُ وَالسَّيِّدَاتُ الَّذِي بَاحَ بِهِ الرَّجُلُ إِلَى صَدِيقِهِ، هُوَ أَنَّهُ  
مَا كَانَ يُطِيقُ أَنْ يَرَى أَبْنَاءَ زَوْجَتِهِ يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ أَمَامَهُ، فَكَانَ لِذَلِكَ يَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ  
حَتَّى لَا يَرَاهُمْ وَهُمْ يَأْكُلُونَ.



بيديا وقيم الدار يعتكفان أفضال الشيخ



أَخَذَتِ الدُّهْمَةُ نُفُوسَ المَئَامِعِينَ، لِيَبْصُحَ المَجْلِسُ بَعْدَ أَنْ أَفَاقُوا مِنْ غَرَابَةِ المَفَاجَأَةِ،  
بِالضُّجُكِ وَتَفْصِيحِ وَجْهِ الرُّجُلِ لِبُحْلِهِ وَأَنَانِيَّتِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ هَذَا المَجْلِسُ قَالَ الجَارُ مُخَاطِبًا الشَّيْخَ ابْنَ بَطُوطَةَ: إِنَّهُ مَتَوَفَّ يَكُونُ هُوَ أَيْضًا  
جَمْعِيَّةَ خَيْرِيَّةٍ لِيَتَّبِعَ الأَرَوَاحَ مِنَ الرِّجَالِ مِمَّنْ يَعُولُونَ أَمْثَالَ هؤُلَاءِ الأَطْفَالِ المَحْرُومِينَ  
مِنَ رِغَايَةِ آبَائِهِمْ، بِمَا بَصَّرِيهِ شَيْخُنَا العَجَلِيلُ أَخَوَاتِنَا الشَّهَدَاتِ.

شَكَرَ الشَّيْخُ لِلجَمِيعِ مَشَاعِرَهُمْ، وَوَقَّفَ إِيْدَانَا بِالخُرُوجِ إِلَى مَجْلِسِ الجَمَاعَةِ، لِيَتَنَاوَلَ  
وَإِيَّاهُمْ، مَا تَيَسَّرَ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، يَخْلُدُ بَعْدَهُ إِلَى خَاصَّةِ دَارِهِ، طَلَبًا لِلرَّاحَةِ وَاسْتِغْدَادًا  
لِيَتَّوَمَ وَلِقَاءِ جَدِيدٍ، مِنَ التَّدَارُيسِ وَالتَّحَاوُرِ مَعَ الشَّبَابِ، فِيمَا يَشْغَلُ بِأَلْهَمِهِ، وَنَحْتَاجُونَ فِيهِ  
لِبَعْضِ مَا لَدَى الشَّيْخِ مِنْ عِلْمٍ، وَخَيْرَةٍ، وَتَجْرِبَةٍ.

وَتَتَذَكَّرُ بِيَدِنَا ذِكْرَاتِهِ بَعْدَ أَنْ مَضَتِ السُّنُونُ، وَتَقَدَّمَتِ السِّنُّ بِالقَيْمِ سَعِيدٍ قِيمَ دَارِ  
الشَّيْخِ جَيْنَ زَارَ الجَزِيرَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَأَقْبَلَ القَيْمِ وَهُوَ يَمْتَشِي بِبُطُوءٍ، وَالْبِسْمَةَ تَمَلًّا وَجَهَةً  
المُتَغَضِّبِ، وَجَلَسَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَتَّصَدَّرُ المَجْلِسَ إِلَى جَانِبِ بِيَدِنَا، وَقَدْ كَانَ مَجْلِسَ عُرْمِي  
صُغْرَى بَنَاتِ جَارِ دَارِ الشَّيْخِ ابْنِ بَطُوطَةَ جَيْنَ نَزَلَ الجَزِيرَةَ، وَقَالَ يَتَخَدَّثُ إِلَى بِيَدِنَا هَاتِلًا:  
جَزَى اللهُ الشَّيْخَ ابْنَ بَطُوطَةَ خَيْرًا عَنِ هَذِهِ الفَتَاةِ الَّتِي نَحْتَفِلُ اليَوْمَ بِزَوَاجِهَا هِيَ وَأَخَوَاتِهَا

وَإِخْوَانِهَا، فَمُنَدُ الْيَوْمِ الَّذِي جَلَسَ فِيهِ إِلَى أَهْلِ دَارِ جِوَارِ الشَّيْخِ، لَمْ أَسْمَعْ عَلَى مَرِّ كَلِّ  
هَذِهِ السَّنِينَ، إِلَّا أَضْحُوكَاتِ الشَّرُوزِ وَالسَّعَادَةِ فِي دَارِهِمْ، وَكَمْ كَانَ سَارًا وَمُفْرِحًا، وَأَنَا  
أَرَى هَذِهِ الْعَرُوسَ، وَهِيَ تَحْضُنُ زَوْجَةَ أَبِيهَا الَّتِي هِيَ "أُمُّ الرِّتَابَةِ وَالْبَدَلِ، كَمَا تَحْضُنُ  
أُمَّهَا، أُمَّ الْحَمَلِ وَالنَّسَبِ، وَتُقْبِلُ رُؤُوسَ كِلْتَاهُمَا، وَمَا بَيْنَ حَاجِبَيْهِمَا، وَمَا أَسْعَدَ  
الْعَرُوسِينَ وَالْإِخْوَةَ وَالْأَخْوَاتِ جَمِيعَهُمْ وَهُمْ يَحْفُونَ بِهِمْ يَمْنَةً وَيَسْرَةً.

إِنِّي كُلَّمَا رَأَيْتُ الْبَسْمَةَ وَالْهِنَاءَ، عَلَى وَجْهِ الصِّغَارِ، مِنَ الْأَيْتَامِ وَالضُّعْفَاءِ  
وَالْمَحْرُومِينَ، الَّذِينَ أَخَذَتِ الْجَمْعِيَّاتُ الَّتِي أَقْتَرَحَ فِكْرَتَهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ابْنُ بَطْوَاطَةَ  
فِي هَذِهِ الدِّيَارِ، هُنَا قَلْبِي إِلَى الشَّيْخِ، وَهَرَّتُهُ ذِكْرِي صُحْبَتِهِ، وَلَيْحَ قَلْبِي وَكَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِي  
لَهُ بِالذُّعَاءِ بِعَظِيمِ الْمُتَوَبَّةِ وَالْأَجْرِ.

## الشَّيْخُ شَاعِرًا

قَالَ بَيْدِيَا وَهُوَ يَتَوَجَّهُ إِلَى زِيَارَةِ الشَّيْخِ فِي دَارِهِ فِي صُحْبَةِ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ: لَقَدْ سُرِرْتُ بِمَا أَبْدَاهُ الشَّيْبَابُ مِنْ إِعْجَابٍ، بِقِصَّةِ السَّيِّدِ الْمَكِّيِّ، وَمَا فِيهَا مِنْ حِكْمٍ وَفَيْهِمْ لِأَسْسِ الْحَيَاةِ الرَّوْحِيَّةِ، وَدَعَائِمِ اسْتِقْرَارِ أَفْرَادِهَا، وَأَمْنِهِمْ، وَتَعَاوُنِهِمْ، وَتَكَامُلِ أَدْوَارِهِمْ، بِمَا يُحَقِّقُ فِطْرَتَهُمْ وَسَعَادَتَهُمْ، وَمِمَّا أَيَّدُوهُ مِنْ تَقْدِيرِ نَصِيحَةِ الشَّيْخِ عَنْ أَهَمِّيَّةِ التَّعْبِيرِ عَنْ مَشَاعِرِ الْحُبِّ لِإِمْتِنَاعِ الْحَيَاةِ، وَدَوَامِ نَهْجَتِهَا، وَتَقْوِيَةِ أَوَابِرِ عِلَاقَاتِهَا، وَكَذَلِكَ نَصَائِحُهُ لِرُؤُوحَاتِ الْآبَاءِ، بِمَا يُسَعِدُهُنَّ، وَيُسَعِدُ أَيْتَاءَهُنَّ، وَأَبْنَاءَ أَرْوَاجِهِنَّ.

يَقُولُ بَيْدِيَا حِينَ جَمَعْنَا إِلَى مَجْلِسِ الشَّيْخِ وَأَخَذْنَا نَتَبَادَلُ الْحَدِيثَ وَنَتَنَاوَلُ مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْخُلُوعِ وَالْمَشْرُوبَاتِ، التَّفَّتِ الشَّيْخُ ابْنَ بَطْلُوطَةَ إِلَى وَدَسَ فِي يَدِي وَرَقَةً فِيهَا أَهْرُوجَةٌ عِنَانِيَّةٌ بِمُنَاسَبَةِ الْعُرْسِ الَّذِي قَرِيبَ مَوْعِدِهِ، وَالَّتِي كَانَ الشَّيْخُ قَدْ أَمْضَى لَيْلَتَهُ فِي تَسْطِيرِهَا، لَكِنِّي يَزُفُّ عَلَى كَلِمَاتِهَا الْعُرْسَانِ: تَعْبِيرًا مِنْهُ عَنِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ السَّعِيدَةِ، وَلِيَهْدِي بِهَا أَطْيَبَ التَّمَنِّيَاتِ لِلْعُرْسَانِ، وَنَرْجُو لَهُمْ فِيهَا كُلَّ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالرِّفَاقِ.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَطْوَيْطَةَ مُخَاجِلًا بِيَدَيَا: خُذْ هَذِهِ الرُّفْعَةَ وَمَا سَطَرْتَهُ فِيهَا يَا بِيَدَيَا،  
وَأَدْفَعْ بِهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنْ أَقْدَرِ الْمُلْجِنِينَ فِي الْبَلَدَةِ؛ لِيَضَعَهَا لَهَا اللَّحْنَ الْمُنَاسِبَ كَمَا  
يُنْشِدُهَا الشَّبَابُ وَالشَّابَّاتُ فِي زَفَةِ الْعُرْسَانِ، وَمَنْ سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ، بِإِذْنِ اللَّهِ.  
قَالَ بِيَدَيَا تَبَسَّمْتُ وَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ ذَلِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ، وَمَسْتَسْمَعُ مِنْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ  
أَنْشُودَةَ فَرَحٍ وَمَنْحَ تَهْنِئَةٍ بِعِمَامَتِكَ، وَتَطْرِبُ بِرَائِقِي لَحْيَتَهَا، وَجَمِيلِ كَلِمَاتِهَا، وَعَذْبِ  
إِتْمَادِهَا أذُنَيْكَ.

وَفِي مَسَاءِ (يَوْمِ الْعُرْسِ) أَقْبَلَ الْأَهْلُ وَالْأَحْبَابُ وَالْأَصْحَابُ وَأَبْنَاءُ الْحَيِّ شَيْبًا  
وَشَبَابًا، رِجَالًا وَنِسَاءً، فِي أَزْهِ حَلِيهِمُ الشَّعْبِيَّةِ الْمُحْتَشِمَةِ الْمَسَابِقَةِ، وَيَأْجَمِلُ الْأَلْوَانَ  
الَّتِي تَتَأَلَّقُ وَتَتَأَرْجِحُ عَلَى أَرْشِقِ الْقَامَاتِ وَأَجْمَلِ الْوُجُوهِ؛ كَأَنَّهُمْ النُّجُومُ الْمُتَلَالِفَةُ فِي  
السَّمَاءِ الرَّزْقَاءِ الصَّافِيَّةِ، وَالَّتِي تَسْتَدْعِي بِهَا طَلَعَاتُ الشَّبَابِ النِّيَّةُ فِي النُّفُوسِ أَسْعَى  
الْأَخَامِيسِ وَأَنْبِلَ الْعَوَاطِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فِي الْأَلْفَةِ وَالْأَنْسِ وَالْمَخِيَّةِ؛ الَّتِي تَنْزَهَتْ عَنْ  
عُرُوضِ مَقَاتِلِ الْجِنْسِ وَالْجَسَدِ وَحُرْمَاتِهِ، وَالَّتِي لَا خَاجَةَ وَلَا ضَرُورَةَ لَهَا، فِي هَذَا  
الْمُجْتَمَعِ الرَّائِقِ الْأَخْلَاقِيِّ الْمُتَحَضِّرِ حَقًّا، لِأَنَّ مَقَاتِلَ الْجِنْسِ هِيَ مِنْ شَأْنِ الْأُسْرَةِ  
وَالزَّوْجِيَّةِ، وَلَيْسَتْ كَأَلْمُبَاحَا، وَلَا عُرُوضًا وَدَعْوَاتٍ حَيَوَانِيَّةً تَسْتَدْعِيهَا مَقَاتِلُ



الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَهَى لِأَدَاءِ رَفِصَاتِهِمُ الْمُتَعَبَةِ

الْحَسِيدُ الْعَارِي بِقَصْدٍ أَوْ بغيرِ قَصْدٍ، لِتَسْتَيْزِرُ لَوَاعِجَ وَخَيَالَاتِ كُلِّ مَنْ هَبَّ وَذَبَّ، وَتُثِيرُ تَطَلُّعَاتِهِ، وَتَتَّبِعُ بِهَا - مِنْ دُونِ حَاجَةٍ أَوْ ضَرُورَةٍ - خُرُوقَ الْإِنْجِرَاقَاتِ، وَانْفِلَاتِ النَّوَازِعِ وَالشَّهَوَاتِ، وَتُوَجِّحُهَا.

وَلِذَلِكَ يَقُولُ بِنِدْبَةٍ فَإِنَّ أَحَدًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمُجْتَمَعِ الْمُحْتَشِمِ الرَّاقِي، لَا يَرَى مِنَ النِّسَاءِ وَالْفَتَيَاتِ - فِي مَلَابِسِهِنَّ السَّابِغَةِ الْمُحْتَشِمَةِ الْجَمِيلَةِ - إِلَّا وَجُوهَهُنَّ الْوَضَاءَةَ وَأَيْدِيَهُنَّ؛ لِأَنَّ بَدَنَ الْإِنْسَانِ إِذَا عَمِلَ وَتَصَرَّفَ فِيهِ، وَلِأَنَّ وَجْهَ الْإِنْسَانِ هُوَ شَخْصِيَّتُهُ وَإِرَادَتُهُ وَحَقُّهُ الْمُقَدَّسُ؛ وَالَّذِي لَا يَصِحُّ طَمَسُهُ وَخَجْبُهُ وَالْعُدْوَانُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحِبَّ مَنْ وَتُسَجَّنَ فَهُوَ الْأَخْرَقُ الْمُعْتَدِي وَالنِّسَ الْمُحْتَشِمَةَ الْمُهْتَدِبَةَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهَا، وَالْإِنْسَانُ السَّوِيُّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسِيءَ إِلَى الْمُحْتَشِمَةِ، وَمَرِيضُ النَّفْسِ وَالَّذِي لَا يَرُدُّعُهُ جَبَابٌ وَلِبَاسٌ سَابِغٌ فَلَيْسَ لِمِثْلِهِ إِلَّا إِعَادَةُ التَّرْبِيَةِ وَالْقَادِيْبِ وَالْعِقَابُ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْهُ.

بِهَذِهِ الْخُلَى الْجَمِيلَةِ، وَالْخُطُوبَاتِ الْفَرِيحَةِ الرَّشِيقَةِ، انْتَشَرَتْ جُمُوعُ الشَّبَابِ فِي فَرَحٍ وَمَرَحٍ؛ اسْتَعْدَادًا لِلْإِنْشَاءِ وَالْغِنَاءِ بِأَجْمَلِ الْأَغَانِي وَأَعْدَبِ الْأَلْحَانِ، وَمَلَتْهُوا السَّاحَةَ الْوَاسِعَةَ الْمُهْتَدَّةَ أَمَامَ الدَّارِ، وَاصْطَفَقُوا فِي الْمَسَاحَةِ صَبُوفًا مُتَقَابِلَةً مِنْ

الفثيان والفثيات لإداء رقصاتهم الشعبية فيما يشبه ما يعرفه بعض أهل بلاد  
الجنوب، برقصه "الدبكة" التي تتميز بحسن الأنفة والكرامة، ومعاني الإباء  
والشجاعة، بكل المرح والخفة والرشاقة.

وكم كان منظرًا شبايبًا رائعًا حين أخذ الشباب في "الدبك" والرقص الشعبي؛  
حيث تقارب صفوفهم وتتبعد على وقع الألقان، ثم تلتف في حركة رشيقة دائية على  
شكل دوائر من الفثيان، ودوائر من الفثيات، متقابلة متتالية، لتفرج من جديد في  
صفوف متقابلة، ولتعود من جديد إلى صفوف من الفثيان و صفوف من الفثيات،  
متوازنة متتالية متباعدة؛ لتوفر فسحة كافية لحرية الحركة الإيقاعية الشبايبية  
المتألقة الرشيقة، ولتتفرط الدوائر كلها بعد ذلك في دائرة كبيرة، في جانب منها  
الفثيان، وفي الجانب الآخر منها الفثيات؛ لتتفرط من جديد في صفين متقابلين،  
تقارب وتتباعد على أنغام الموسيقى ووقع الطبول، صف من الشباب، وصف من  
الشابات، وهكذا دواليك في غناء وطرب وفرح ومرح ونشوة إيقاعية شبايبية بريئة  
رشيقة، وليمتد إلى ذلك منتصف الليل حين أهبل أرتاب الدفوف يتقدمون  
العريمان الذين بدوا على أنهم ما يكونون من التالقي والجمالي، كالأقمار في ليلة التمام  
بهاء وجمالًا وحياء، والفرحة الغامرة تشع من أعينهم، وتفيض بها وجناتهم.

وَمَعَ حُضُورِ الْعَرْسَانِ، تَوَقَّفَ الشَّبَابُ وَالشَّابَّاتُ، عَنِ "الدُّبُكِ" وَاصْطَلَفُوا فِي  
 صَفَّيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، وَأَخَذُوا يُنْشِدُونَ فِي اسْتِقبالِ الْعَرْسَانِ الْأَنْشُودَةَ التَّرَائِيهَ الَّتِي زَوَّجَتْهَا  
 لَهُمْ كَتَبُ التَّارِيخِ وَالرِّخَالَةُ أَمْثَالُ الشَّيْخِ ابْنِ بَطْوَطَةَ فِي التَّرْجِيهِ بِمَقْدَمِ النَّبِيِّ  
 الْمُصْطَلَفِي عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَرْكَى النَّسْلِيمِ؛ حِينَ قَدِمَ إِلَى حَاضِرَةِ الْمَدِينَةِ  
 الْمُنَوَّرَةِ لِيُنْبَلِجَ فَجْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَتَمَطَّعَ شَمْسُهُ فِي سَمَاءِ الْبَشَرِيَّةِ، لِيُنِيرَ بِلَادَ  
 الْجَنُوبِ وَبِقَاعِ الشَّمَالِ وَذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّغْيِيرِ عَنْ حُبِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، وَالْقِيَمُنِ بِذِكْرِهِ فِي تِلْكَ الْمُنَاسِبَةِ الْمُسَعِدَةِ، فَانْشَدُوا هَاتِلِينَ:

طَلَعَ الْهَدْرُ عَلَيْنَا  
 مِنْ نَيْبَاتِ الْوَدَاعِ  
 وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا  
 مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ  
 أَتَيْهَا الْمُبْعُوثُ فِينَا  
 جَفَّتْ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ





وَمَا مِنْ أَسْمَقْرٍ الْقَامِ بِالْعَرَسَانِ عَلَى أَرْأَتِكِهِنَّ تَقْدَمُ أَصْحَابُ الْقُفُوفِ

وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّ الْمَقَامُ بِالْعَرْسَانِ عَلَى أَرَائِكِهِنَّ تَقَدَّمَ أَصْحَابُ الدُّهُوفِ، وَتَقَدَّمَ  
الْمُنَشِدُونَ، وَوَقَفُوا وَسَطَ الصُّفُوفِ أَمَامَ مَجْلِسِ الْعَرْسَانِ، وَأَخَذُوا فِي التَّرَنُّمِ  
وَالهَزْجِ، فِي خُطُوبِ فَرِحَةٍ رَاقِصَةٍ بِالْأَنْشُودَةِ الْآخَرَى الَّتِي نَظَمَهَا لِهَذَا الْعُرْسِ الشَّيْخُ  
ابْنُ بَطْوَلَةَ الَّذِي جَلَسَ فِي مُقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ هُوَ وَبَيْدِيَا وَقَيْمُ دَارِ الشَّيْخِ، يُجِيطُ بِهِمْ  
خَاصَّةً أَهْلَ الْعَرْسَانِ:

تَقُولُ أَنْشُودَةُ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ تَعْبِيرًا عَنِ فَرِحَتِهِ وَفَرِحَةِ الْأَهْلِ وَالْأَخْبَابِ بِالْمُنَاسَبَةِ  
السَّعِيدَةِ.

يَا أَهْلَ هَذَا الْحَيِّ  
يَا أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ  
صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ  
وَصَبِّحِيهِ الْأَخْيَارِ  
صَلُّوا

\*\*\*\*\*

يَا أَهْلَ خَارِجِنَا  
يَا أَهْلَ بَلَدِنَا  
الَّيْلَةُ لَيْلُنَا  
الَّيْلَةُ فَرِحْنَا  
بِأَجْمَلِ الْعُرْسَانِ  
وَأَتَبِلِ الْعُرْسَانِ  
فِي كُلِّ بَلَدِنَا  
\*\*\*\*\*

يَا أَهْلَ هَذَا الْحَيِّ  
يَا أَهْلَ هَذِي الدَّارِ  
يَا أَهْلَ خَارِجِنَا  
يَا أَهْلَ دِيرِنَا  
غَنُّوا لَهُمْ غَنُّوا  
بِأَجْمَلِ الْأَخَانِ

وَأَجْفَلِ الْأَشْغَارِ  
عُنُّوا لَهُمْ عُنُّوا  
وَأَطْرَبُوا السُّمَّازِ

\*\*\*\*\*

يَا كُلَّ أَحْبَابِنَا  
يَا كُلَّ أَصْحَابِنَا  
ذُقُوا طَبِوْنَ الْفَرْحِ  
فِي فَرْخَةِ الْأَحْبَابِ

يَا أَهْلَنَا

قُلُوبِنَا

نَشْوَةَ وَفَرْحِ

فِي لَيْلِ فَرْحَتِنَا

بِزِينَةِ الْعَرَمَانِ

فِي كُلِّ بَلَدَتِنَا

فِي كُلِّ دِيرَتِنَا

\*\*\*\*\*

يَا نَسْمَةَ النُّوَارِ  
وَعُنُودَ الْأَطْيَارِ  
فِي لَيْلَةِ الْأَفْرَاحِ  
هَيُّوا حَيَاتِنَا  
وَعُنُّوا لِحَيَاتِنَا  
وَجُمِّعَةَ حَبَائِبِنَا  
\*\*\*\*\*

يَا أَهْلَ بَلَدِنَا  
وَكُلَّ أَحْيَابِنَا  
بِالْحُبِّ وَالْأَشْغَارِ  
وَالْوَزْدِ وَالْأَزْهَارِ  
حَيُّوا حَبَائِبِنَا  
وَهَيُّوا حَبَائِبِنَا  
\*\*\*\*\*

يَا أَهْلَ خَارِجَتِنَا  
وَأَهْلَ بَلَدِينَا  
وَأَهْلَ دِيرَتِنَا  
شَوْهُوا حَبَائِبِنَا  
نَالُوا الْمُنَى نَالُوا  
نَالُوا الْهِنَا نَالُوا  
وَفَرَّحُوا الْأَحْبَابَ  
هَنُّوا حَبَائِبِنَا  
وَعَنُّوا لِحَبَائِبِنَا  
\*\*\*\*\*

دُقُّوا طُبُوقَ الْفُرَجِ  
غَنُّوا أَغْنِي الْفُرَجِ  
فِي فَرْحَةِ الْأَحْبَابِ  
فِي لَيْلِ فَرْحَتِنَا  
عَنُّوا لِحَبَائِبِنَا  
وَهَنُّوا حَبَائِبِنَا  
\*\*\*\*\*

يَا رَبِّ تَحْمِيهِمْ  
يَا رَبِّ تُسْعِدُهُمْ  
تُسْعِدُ لِيَالِيَهُمْ  
مَا حَطَّ طَيْرٌ وَطَارَ  
وَمَلَعَبَ الْكُرْهَارُ  
وَعَثَبَ الْأَطْيَارُ  
وَطَلَّ نُورُ الضُّحَى  
وَهَلَلَبَ الْأَقْمَارُ  
فِي كُلِّ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ  
فِي كُلِّ لَيْلٍ وَنَهَارٍ  
عَنُّوا لِحَبَائِبِنَا  
وَهَنُّوا حَبَائِبِنَا  
وَادْعُوا لِحَبَائِبِنَا  
\*\*\*\*\*

يَا أَهْلَ كُلِّ الْحَيِّ  
وَكُلِّ أَحْيَانِنَا  
صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ  
وَالِهِ الْأَطْيَارِ  
وَصَخْبِهِ الْأَخْيَارِ  
صَلُّوا عَلَيْهِ صَلُّوا  
صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ  
مَا ذَرَفَرُنُ الشَّمْسِ  
وَوَطَلَّ نُورُ الشَّجَرِ  
يُفْتَحُ الْأَرْهَارُ  
وَيَزْهَرُ النَّوَارُ  
صَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ  
يَا أَهْلَ بَلَدِنَا  
وَأَهْلَ حَارَتِنَا  
وَأَهْلَ دِيرَتِنَا



صَلُّوا عَلَيْهِ صَلُّوا  
صَلُّوا

\*\*\*\*\*

عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْجَمِيعُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ:  
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

\*\*\*\*\*

وَمَعَ انْتِهَاءِ الْأَنْشُودَةِ قَامَ الْعِرْسَانُ يَتْبَعُهُمُ الشَّيْخُ ابْنُ بَطُّوطَةَ وَبِنْدَتَا، وَالْأَهْلُ  
وَالْمَدْعُوْنَ كَافَّةً إِلَى مَوَائِدِ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ الَّذِي أَبْدَعَ بِنْدَتَا فِي حُسْنِ اخْتِيَارِهِ؛ لِتَكُونَ  
حَقًّا لَيْلَةً فَرِحَ وَمَرِحَ لِالأَخْبَابِ وَالْأَصْحَابِ كَافَّةً.  
وَزَعَمَ وَفَرَّةَ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ، فَإِنَّ حَظَّ الشَّيْخِ الْعَازِلِ قَدْ أَجْلَسَ قَيْمَ دَارِهِ إِلَى جَانِبِهِ،  
وَقَدْ انْتَهَرَ الْقَيْمُ سَعِيدَ الْفُرْصَةِ لِيَتَّخِذَتْ إِلَى الشَّيْخِ، فِي أَمْرِ شَغَلَتْ بَالَهُ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ  
مَشَاغِلِ الشَّيْخِ فِي مَجَالِسِ عِلْمِهِ، وَاسْتِقْبَالِ زَائِرِيهِ وَمُحِبِّيهِ، مِنْ جَانِبٍ، وَلِكَثْرَةِ  
مَشَاغِلِ قَيْمِ الدَّارِ، فِي خِدْمَةِ ضَيْوْفِ الشَّيْخِ، وَفِي تَدْبِيرِ أُمُورِ الدَّارِ، وَالَّتِي تَمْتَدُّ عَادَةً،  
إِلَى وَقْتِ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَمَا لَمْ يَتَّحِ لِلْقَيْمِ فُرْصَةً مُنَاسِبَةً، لِلْخُذِيثِ إِلَى الشَّيْخِ،

فَضْلًا يَتَرَدَّدُ بُرْهَةً فِي طَرِحِ الْأَمْرِ عَلَى الشَّيْخِ، وَطَلَبَ نُصْحَهُ، وَالْإِفَادَةَ مِنْ عِلْمِهِ، وَخَيْرَتِهِ بِشُؤْنِ النَّاسِ وَالْحَيَاةِ.

أَنْتَهَزَ الْقِيَمُ الْفُرْصَةَ، وَقَالَ إِلَى الشَّيْخِ الْجَالِسِ إِلَى يَمِينِهِ هَامِسًا وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، أَنْتَ تَعْلَمُ مَدَى انْشِغَالِكَ بِطَلَابِكَ وَرُؤَاكِ، وَمَدَى انْشِغَالِي بِتَدْيِيرِ ضِيَاقِهِمْ وَتَدْيِيرِ شُؤْنِ الدَّارِ، وَأَنَا يَا مَسِيدِي مَمْرُورٌ بِخِدْمَتِكَ وَخِدْمَةِ رُؤَاكِ الْكِرَامِ، وَلَكِنَّ هُنَاكَ أَمْرًا يَنْشِغُلُ بَالِي، وَأَوْدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ فِيهِ النَّصِيحَ وَالْإِشْرَادَ، وَقَدْ سَنَيْتُ لِي الْيَوْمَ الْفُرْصَةَ لِلْجُلُوسِ إِلَى جَانِبِكَ، وَالنَّاسُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ بِالطَّعَامِ، وَالِاحْتِفَاءِ بِالْعَرِيسَانِ، وَالِاسْتِمْتَاعِ بِمَبَاهِجِ الْفَرَحِ، وَالتَّعَارُفِ بَيْنَهُمْ، وَالْحَدِيثِ إِلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، حَتَّى الْأَمْنَاتُ يَجِدْنَ فِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتِ فُرْصَةً لِلتَّعَرُّفِ عَلَى الْفَتَيَاتِ لِتَخْتَارَ كُلُّ أُمٍّ مَنْ تَطْلُبُهَا صَالِحَةً لِابْنِهَا، وَتَتَأَخَّضَ لِلْفَتْيَةِ وَالْفَتَيَاتِ فُرْصَةً أُسْرِيَّةً لِلْحَدِيثِ وَالتَّعَارُفِ مِمَّا يُعِينُ عِنْدَ الرِّوَاجِ عَلَى تَوْافُقِ أَكْبَرِ لِهَوْلَاءِ الشَّبَابِ وَتَكْوِينِ أَسْرِ سَعِيدَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَاصَلَ الْقِيَمُ حَدِيثَهُ الْهَامِسَ إِلَى الشَّيْخِ قَائِلًا: وَلَمَّا أَعْرِفُهُ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَسَمَاحَةٍ وَتَضَاجُعَةٍ، فَإِنِّي أَمَلُ أَنْ أَنْتَهَزَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَأَفْضِي إِلَيْكَ بِمَا يُهْمُنِي وَيُقْلِقُ خَاطِرِي.

قَالَ الشَّيْخُ: لَا تَأْتِهِ يَا أَحِي الكَرِيم بِأَمْرِ الطَّعَامِ وَانْشَغَالِنَا عَنْهُ، بِالْخَبِيثِ وَالتَّفَكُّرِ  
فِيمَا يُهْمُكَ وَيُثْقِلُ بِأَلِكِ، وَالأَمْرُ الأَهْمُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْ - إِنْ شَاءَ اللهُ - مَا يُبَيِّرُ الأَمْرَ  
عَلَيْكَ وَيُزِيلُ عَنْكَ الأَهْمَ وَالثَّقَلِ، فَأَنْتِ صَاحِبُ فَضْلِ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ إِخْلَاصِكَ وَتَفَانِيكَ  
فِي عَمَلِكَ، وَهِيَ صِفَةٌ كَرِيمَةٌ يَسْتَجِبُ مَنْ يَتَحَلَّى بِهَا أَعْظَمَ الإِكْرَامِ، فَلَا تَتَزَدَّدُ وَهَابَ مَا  
عِنْدَكَ.

قَالَ القَيْمُ: إِنَّ مَا رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ مِنْكَ، بِشَأْنِ أُسْرَةِ جَارِنَا، وَكَيْفَ كَانَ عِلْمُكَ  
وَحِكْمَتُكَ، سَبَبًا فِي وَضْعِ حَدِّ لِحْيَتِهِمْ وَمُعَانَاتِهِمْ وَمُعَانَاتِ ابْنَائِهِمْ، وَكَيْفَ أَمْكَنَ أَنْ  
تَجْعَلَ مَسِيدَاتِ بَلَدِنَا، يَبْدَعُونَ مَشْرُوعًا، لَا يَقِفُ أَثَرُهُ عِنْدَ أُسْرَةِ جَارِنَا، وَلَكِنْ لِيَمْتَدُّ  
لِيَشْمَلَ حَالَ الأَطْفَالِ البُؤْسَاءِ يَبْنُونَا وَيُجِيلُ شِقَاءَهُمْ سَعَادَةً وَهَنَاءً.

وَوَاصِلَ القَيْمِ حَدِيثُهُ قَائِلًا: لَيْسَ هَذَا فَحَقًّا يَا سَيِّدِي فَأَنْتِ أَيْضًا هُوَ الَّذِي أَسْعَدَ  
هَذِهِ القُلُوبَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَقَامَ سُنَّةَ فَرَحِ عُرْسِ جَمَاعِي فِي بَلَدِنَا، سَتَكُونُ بِإِذْنِ  
اللهِ، مِثَالًا فِي التَّعَاوُنِ وَالتَّكَاتُفِ وَتَبْيِيرِ أَمْرِ الرِّوَاكِ الَّذِي يُثْقِلُ كَاهِلَ كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ  
وَأَسْرِهِمْ وَيَكُونُ سَبَبًا فِي تَأْخِيرِ الرِّوَاكِ وَمُعَانَاتِهِمْ.

كُلُّ هَذَا يَا سَيِّدِي هُوَ الشَّيْبُ فِي انْتِهَارِ الفُرْصَةِ، لِعَرْضِ الأَمْرِ عَلَيْكَ، وَالْجُرْحِ عَلَيَّ  
سَمَاعَ رَأْيِكَ وَنُصْحِكَ بِشَأْنِ مَا أَغَابَ مِنهُ.

قَالَ الشَّيْخُ: لَا تُضِعِ الوَقْتَ أَتَيْتَ الأَخَ الكَرِيمَ وَهَاتِ مَا عِنْدَكَ وَكُلِّي آذَانَ صَاعِيَةً.  
قَالَ القَيِّمُ: أَنْتَ قَدْ لَا تَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنَّ لِي إِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ، وَأَنَا أَسْعَى لِمُسَاعَدَتِهِمْ  
وَتَوْفِيرِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَكُلُّ هَبِّي هُوَ أَنْ أُوفِّرَ لَهُمْ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ السَّعَادَةِ وَالْهَيَاءِ،  
فَهُمْ جَمِيعًا وَدِيعَةٌ أُمِّي وَأَبِي وَالَّذِي لَا هَمَّ لِي اليَوْمَ فِي الحَيَاةِ سِوَاهَا.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنَّ عَلَيَّ أَنْ أُعِدَّ هَؤُلَاءِ الإِخْوَةَ وَالْأَخَوَاتِ لِلْحَيَاةِ بِالتَّعْلِيمِ الَّذِي  
يُفِيدُهُمْ وَيُوَهِّلُهُمْ لِلْحَيَاةِ، وَالَّذِي يُمَكِّنُ فِي نُفُوسِهِمْ حِسَّ الكَرَامَةِ وَالثِّقَةِ بِالنَّفْسِ،  
وَالْقُدْرَةَ عَلَى مُوَاجَهَةِ ظُرُوفِ الحَيَاةِ وَغَوَائِلِ الدَّهْرِ. وَعِلَاوَةَ عَلَيَّ ذَلِكَ عَلَيَّ أَنْ أَسْعَى  
إِلَى تَرْوِيجِ الأَخَوَاتِ إِلَى أَزْوَاجٍ مِنْ خَيْرَةِ الشَّبَابِ لِتُقِيمَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَسْرَتَهَا  
السَّعِيدَةَ بِإِذْنِ اللّهِ.

وَالسُّؤَالُ يَا سَيِّدِي الفَاضِلُ، مَتَى وَفِي أَيِّ مَسَبِّ يَحْسُنُ الإِهْتِمَامُ وَالإِجْتِهَادُ فِي أَمْرِ  
زَوْاجِهِنَّ، وَفِي أَيِّ مُسْتَوَى مِنْ مُسْتَوَاتِ التَّعْلِيمِ وَالإِعْدَادِ وَالتَّدْرِيبِ أَكْتَفِي بِهِ فِي  
إِعْدَادِهِنَّ مِنْ قَبْلِ الزَّوَاجِ، لِتَبْدَأَ بِقُدْرَةٍ وَكَفَاءَةٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جَمَلِ حَيَاتِهَا

الأسرّة بكلّ أعبائها ومسئولياتها؟ وكما ذكرت لك يا سيدي، فإنّ أبي وأمي لم يعودا معنا، ولو كانوا معنا فلعلّهم يسبّهم وخبرهم كقوئي مثونة مثل هذه القزارات، فهل لك يا سيدي بما لك من علم وخبرة وحكمة، أن تُرشدني وتشير عليّ.

قال الشيخُ يُخاطبُ القِيم: بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا أُخِي، مَا أَثْمَنُ مَعْدِنِكَ، وَجَزَاكَ اللهُ عَنِ وَالِدَيْكَ وَإِخْوَانِكَ وَأَخَوَاتِكَ كُلِّ خَيْرٍ. وَسؤالُكَ يَدُلُّ يَا بُنَيَّ عَلَى ذكائك وحسني تصرفك وتسيدي قزاراتك والتخطيط الجيد لما يُلقي على عاتقك من المهام. صممت الشيخُ بعد ذلك برهته، ثمّ تابع حديثه إلى قِيم الدار قائلاً: نعم يا بُنَيَّ، فإنّ لديّ ما أقوله لك ولكلّ والدٍ ووالدةٍ في هذا الشأن.

إنّ المهمّ في الأمر أن تعلم يا بُنَيَّ، وأنّ تعلم الوالدين والأبناء ما هي المعايير التي تؤخذ في الحسبان، لإتخاذ قرارٍ توقيهت الرّواج وبناء الأسرّة، وخاصّة فيما يتعلّق بالفتيات، لأهميّة دور الأمومة، وبناء الأسرّة، وثقل عبء مسؤوليتها عند المرأة.

وتابع الشيخُ حديثه قائلاً: إنّ تقاليد الشعوب وإمكانياتها يا بُنَيَّ، تختلف من بلدٍ إلى بلدٍ ومن شعبٍ إلى آخر، فمن كان من هذه البلاد والشعوب موفّور القدرة ومعيها على توفير متطلّبات الأسرّة والرّواج للشباب، فإنّ من الممكن أن تكمل الرّوحة

تَعْلِيمِهَا الْعَالِي الْأَسَاسِيَّ إِنْ تَزَوَّجْتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ قَبْلَ الزَّوْاجِ لِأَنَّ الزَّوْجَةَ تَكُونُ عَادَةً  
أَصْغَرَ سِنًا مِنَ الزَّوْجِ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِمْكَانَاتِ الزَّوْجِ وَمَا يَتَوَقَّفُ لَهُ مِنْ دَعْمِ أُسْرَتِهِ وَمَا  
يُفَكِّنُ الزَّوْجَةَ مِنْ إِكْمَالِ تَعْلِيمِهَا.

أَمَّا الشُّغُوبُ الَّتِي هِيَ أَقْلُ قُدْرَةٌ وَمَوَارِدٌ، فَإِنَّهَا تُؤَخِّرُ سِنَّ الزَّوْاجِ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ  
مُتَسَعِّعٌ مِنَ الْوَقْتِ لِكَيْ تَكْمَلَ الْفَتَاةُ تَعْلِيمُهَا وَتَدْرِيَّتُهَا وَإِعْدَادَ ذَاتِهَا، وَهِيَ بِذَلِكَ تُعِدُّ  
نَفْسَهَا لِلْعَمَلِ وَلَوْ مِنَ الْمَنْزِلِ أَوْ جُزْءًا مِنَ الْوَقْتِ لِتُسَاعِدَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْخَلُوفِ فِي  
تَحْمَلِ بَعْضِ أَعْيَاءِ الْأُسْرَةِ إِنْ لَزِمَ الْأَمْرُ، وَلِتَكُونَ بِذَلِكَ عَامِلًا مُنْتِجًا بَعْدَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِهَا  
الْبَيْتُ وَقَدْ سَبَّ الْأَبْنَاءُ، وَأَوْقَتْ مَسْئُولِيَّاتِ الْأُمُومَةِ، فَتُسَهِّمُ الْمَرْأَةُ بِذَلِكَ فِي خِدْمَةِ  
الْمُجْتَمَعِ وَزَهَابِهِ مِنَ الْأَبْنَاءِ وَعَوْنِهِمْ عَلَى تَكَالِيفِ بَدَنِهِمْ مِشْوَارِ حَيَاتِهِمْ.

قَالَ قَيْمُ الدَّارِ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي إِنِّي أَدْرِكُ مَا تَقُولُ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حِكْمَةٍ وَخَيْرَةٍ،  
وَلَكِنِّي مَازَلْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّوْضِيحِ.

قَالَ الشَّيْخُ: صَبْرًا يَا بُنَيَّ فَإِنَّ هُنَاكَ الْمَزِيدَ الَّذِي يُجِيبُ عَلَى تَسْأَلَاتِكَ، وَتُعِينُكَ  
عَلَى حُمْنِ اتِّخَاذِ قَرَارَاتِكَ فِيهَا يَخْصُ زَوْاجَ أَحْوَاتِكَ السَّعِيدِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

تَابَعَ الشَّيْخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: مَا يُسْتَفَادُ مِنْ ذِكْرِكَ لَكِ أَيُّ الْأَخِ الْكَرِيمِ، هُوَ أَنَّهُ يَجِبُ

حُسْنُ اخْتِيَارِ الْوَقْتِ لِعَرْضِ الْفَتَاةِ لِلزَّوْاجِ وَالْأَيْتِمِ ذَلِكَ أَيْدًا قَبْلَ بُلُوغِهَا مِنْ  
النُّضُجِ، فِي جَسَدِهَا وَنَفْسِيَّتِهَا وَتَعْلِيمِهَا، وَأَنْ يُرَاعَى فِي زَوَاجِهَا مَا أَمْكَنَ أَنْ لَا يَزِيدَ مِنْ  
"الْعَرِيسِ" الْمَشْهُودِ كَثِيرًا عَنْ عَشْرِينَ مِنْ سِنِّ "الْعَرُوسِ"، فَإِنَّ غَيْرَ ذَلِكَ لَهُ  
-عَادَةً- عَوَاقِبُهُ فِي التَّوَاصُلِ نَفْسِيًّا بَيْنَ الرَّؤُوسَيْنِ، بَلْ وَقَدْ يَكُونُ لَهُ أَثَارُهُ الْجَسَدِيَّةُ  
عِنْدَ تَقَدُّمِ سِنِّ الزَّوْجِ.

وَهَكَذَا فَإِنَّهُ لَا مَجَالَ لِزَوَاجِ الْفَتَاةِ النَّاضِجِ السَّعِيدِ يَا بِنْتِي، دُونَ بُلُوغِ الْفَتَاةِ الْحَدِّ  
الَّذِي لِلنُّضُجِ الْجِنْسِيِّ وَالْجَسَدِيِّ وَالْقَدْرِ التَّعْلِيمِيِّ الْعَامِّ فِي الْمُجْتَمَعِ وَهَذَا لَا يَكُونُ  
كَمَا يَقُولُ الْخَبْرَاءُ دُونَ سِنِّ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ، وَهِيَ سِنُّ إِتْمَاءِ التَّعْلِيمِ الْعَامِّ لَدَى جُلَى  
الشُّعُوبِ الْمُقْتَدِرَةِ اقْتِصَادِيًّا، وَالْمُلْتَزِمَةِ بِأَخْلَاقِيَّاتِ الْأُسْرَةِ، حَيْثُ يَكُونُ سِنُّ الزَّوْاجِ  
عِنْدَ الْفِتْيَانِ عَادَةً هُوَ مَا بَيْنَ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَالرَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ، وَهُوَ الْمَيَّنُّ الَّذِي  
يُكْمَلُ فِيهِ الْقِيَّ الدَّرَجَةُ الْأَسَاسِيَّةُ الْعَالِيَّةُ فِي إِعْدَادِهِ الْعِلْمِيِّ وَالْمَرْيِيِّ، وَيُصْبِحُ مُؤَهَّلًا  
لِدُخُولِ سُوقِ الْعَمَلِ وَتَحْمُلِ مَسْئُولِيَّاتِ الْأُسْرَةِ.

أَمَّا فِي حَالَةِ الشُّعُوبِ الَّتِي تَكُونُ لِلْأَسْفِ، الْأَقْلَّ قُدْرَةً مِنَ النَّاحِيَةِ الْإِنْتِاجِيَّةِ  
وَالْإِقْتِصَادِيَّةِ، فَإِنَّ سِنَّ الزَّوْاجِ يَا بِنْتِي، تَتَأَخَّرُ لِلْجِنْسَيْنِ، حَيْثُ قَدْ يَصِلُ سِنُّ الْفَتَاةِ

إلى الخامسة والعشرين أو الثلاثين وإلى سبعمائة أو الثمانين للفتى، وهي سنٌ تُنبئُ عن خالٍ إنجابيٍ واقتصاديٍ واجتماعيٍ يُعاني ويحتاج إلى إصلاح، وإلا فإنَّ المُجتمعَ ينتهي بالتضحية بسعادة الأسرة وتهديد أسس بنائه وبنائها، وذلك بضغف الإقبال على الزواج، وانتشار العنوسة بين الفتيات، مما لا يحل الإشكال المادي بل يضيف إلى ذلك الإشكال إشكالات اجتماعية أخرى شديدة الخطورة، لتولد بدورها مزيداً من المشاكل التي سوف تنخر في أساس المجتمع وثقافته وهويته واستقراره ومقومات وجوده.

صمت الشيخ قليلاً ثمَّ واصل حديثه إلى القيم قائلاً: ما علينا الآن أيها الفتى من هموم المجتمع، ودعنا نتحدث بشكلٍ مباشرٍ فيما يتعلقُ ببنك وما الذي يجب أن تأخذ في الاعتبار، في حدود خالٍ مجتمعك، لتقرير توقيت زواج أخواتك، والكيفية التي تُعين عليه.

إنَّ أهمَّ ما يجب أن تُدرِكهُ بالإضافة إلى ما ذكرنا يا بُنيَّ هو أن تُدرِك أن أمر الزواج وبناء الأسرة يخضعُ مثل كلِّ شيءٍ آخر لقانون العرض والطلب. وهُنا ارتفعت حاجتي القيمة، ذهبت واستغرابتاً من حديث الشيخ عن العرض



وَالطَّلَبِ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ.

تَابِعَ السُّيُخُ حَدِيثَهُ قَائِلًا: الْعَرَضُ وَالطَّلَبُ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَا بُنَيَّ هُوَ مَتَى تُصْبِحُ  
الْفَتَاةُ مُؤَهَّلَةً لِلزَّوْجِ وَيَمْسَعِي الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ لِلزَّوْجِ الْفَتَيَاتِ وَتَعِدُّ الْفَتَاةُ نَفْسَهَا  
لِلزَّوْجِ وَبِنَاءِ الْأُسْرَةِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الزَّوْجَ، كَمَا ذَكَرْنَا، يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ فِي السِّنِّ الَّذِي  
يُصْبِحُ فِيهِ الْفَتَيَانُ وَالْفَتَيَاتُ مُؤَهَّلِينَ وَقَادِرِينَ عَلَى بِنَاءِ الْأُسْرَةِ وَحَمْلِ مَسْئُولِيَّاتِهَا،  
أَمَا مَنْ لَا يَلْحَظُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِثْلُ مَنْ يَقْصِدُ السُّوقَ بَائِعًا أَوْ شَارِيًا، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ  
الْبَائِعُونَ وَالشَّارُونَ قَدْ أَهْقَلُوا مَتَاجِرَهُمْ وَهَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، فَلَنْ يَجِدَ الْبَائِعُ  
شَارِيًا مَهْمَا أَزْدَانَتْ وَحَسُنَتْ بِضَاعَتُهُ، وَلَنْ يَجِدَ الشَّارِي بِضَاعَةً يَحْصُلُ عَلَيْهَا مَهْمَا  
كَانَتْ وَفَرَةً مَا مَعَهُ مِنْ نُقُودٍ.

هَذِهِ أَيْهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ أَهْمُ قَاعِدَةٍ وَأَهْمُ مُؤَشِّرٍ يَجِبُ أَنْ يَلْحَظَهَا الْوَالِدَانِ وَعَلَى  
الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ فَهَمَّهَا وَمُرَاعَاةَاتُهَا، لِيَهْتَدُوا إِلَى السُّوقِ وَهِيَ مُشْرَعَةٌ لِيَكُونَ لَهُمْ حُسْنُ  
الِاخْتِيَارِ، وَلِيَحْصُلُوا عَلَى خَيْرٍ مَا يُرِيدُونَ، لِأَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ لَا يَتَحَقَّقُ مَعَهُ الْمُطْلُوبُ يَا بُنَيَّ  
إِلَّا مُصَادَفَةً وَإِلَّا "زَمِنَةٌ مِنْ غَيْرِ زَامٍ"، مِمَّا يُقَالُ فَرَصَ الزَّوْجَ النَّاجِحَ، وَكَمَا يَقُولُ  
خَبْرَاءُ الْأَسْوَاقِ "حُسْنُ السُّوقِ وَلَا حُسْنُ الْبِضَاعَةِ".

صَفَتِ الشَّيْخُ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عَيْنِي الْقَيِّمِ وَقَالَ لَهُ: أَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ أَدْرَكْتَ مَعْنَى مَا خَدَّثْتُكَ بِهِ، وَأَعْرِفْ أَيْضًا سُوقَكَ الَّتِي بِهَا طَلَبْتِكَ فَلَا تَطْلُبِ الدَّهَبَ وَاللُّؤْلُؤَ مِنْ مَتَجَرِ الْجَزَارِ، أَوْ مِنْ سُوقِ الْخَضَارِ، وَأَعْرِفْ مَتَى يُشْرَعُ السُّوقُ أَبْوَابَهُ، فَتَنْجَحَ إِلَى السُّوقِ الَّتِي تَجِدُ فِيهَا مَا تُرِيدُ بَيْعَهُ أَوْ شِرَاءَهُ، لَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْوَاقِ، لِأَنَّ لِكُلِّ بَضَاعَةٍ سُوقًا، وَلِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ السُّوقَ الْمُنَاسِبَةَ، وَالْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْحَالِ أَمَّا الْحَبِيبُ، هُوَ الدَّائِرَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الَّتِي يُنَاسِبُ أَبْنَاءَهَا مَا تُرِيدُهُ لِابْنِكَ أَوْ ابْنَتِكَ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ السُّوقُ مُشْرَعَةً وَيَمْلَأُهَا رُؤَادُ الْعَرْضِ وَالطَّلَبِ مِنْ فَتَيَاتٍ وَفَتَيَانٍ فِي سِنِّ الزُّوَاجِ وَمِنْ أُمَّهَاتٍ وَأَبَاءٍ يَسْعَوْنَ لِلْبَحْثِ عَنْ شُرَكَاءِ الْحَيَاةِ لِأَبْنَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، وَيَتَوَفَّقِي اللَّهُ تَحْصُلًا عَلَى خَيْرِ مَا يُمَكِّنُ لِطَلَبَتِكَ.

وَإِنِّي يَا بُنَيَّ عَلَى بَقَّةٍ أَنْ مَنْ كَانَ فِي ذَكَائِكَ وَبَنَاتِكَ، فَإِنَّهُ مَسُوفَ يَعْرِفُ الدَّوَائِرَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ الْمُنَاسِبَةَ لِأَسْرَتِهِ، وَأَنْ يَسْعَى إِلَى تَوْسِعِ دَائِرَةِ التَّوَاصُلِ مَعَهَا، وَأَنْ يَرْتَادَهَا وَأَسْرَتَهُ عَلَى أَحْسَنِ هَيْئَةٍ تُنَاسِبُ الْحَالِ مِمَّا يَجْعَلُ فُرْصَ التَّوَفَّقِ وَالتَّجَاحِ مُتَوَفِّرَةً بِأَكْبَرِ قَدْرِ مُمَكِّنٍ بِإِذْنِ اللَّهِ.

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ يَأْذِرُ الْقَيِّمُ بِشُكْرِ الشَّيْخِ وَالِدَعَاءِ لَهُ لِمَا قَدَّمَ لَهُ مِنَ النَّصِيحِ فِي مَا

أَهْمُهُ، فِي أَيْنَ يَنْظُرُ، وَأَيْنَ يَبْحَثُ، وَمَتَى يَرْتَادُ.  
وَقَفَ الْقَيْمُ، وَأَذَارَ بَصْرَهُ، لِيَجِدَ الْقَوْمَ قَدْ قَارَبُوا انْتِهَاءَ اخْتِقَالِهِمْ، وَاسْتَعَدَّ  
الْعِرْسَانُ لِمُعَادَرَةِ مَنَاحَةِ الْحَقْلِ، وَهُوَ قَدْ أَشْغَلَ الشَّيْخَ عَنِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، فَقَامَ  
بِخِفَةِ الْغَزَالِ، لِيَحْمِلَ لِلشَّيْخِ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ، وَهُوَ لَا يَكُلُ عَنِ الدُّعَاءِ لِلشَّيْخِ،  
لِيَحْمِلَ مَعَهُ مَا جَمَعَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ إِلَى الدَّارِ يَتَنَاوَلُهُ الشَّيْخُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ الطَّوِيلِ  
الْمُضْبِيِّ.

وَهُنَا أَهْبَلُ بِيَدِنَا عَلَى الشَّيْخِ وَالْقَيْمِ إِلَى جَانِبِهِ يَحْمِلُ الطَّعَامَ، وَأَذْرَكَ مَا خَافَ  
بِالشَّيْخِ حِينَ انْفَرَدَ الْقَيْمُ بِالشَّيْخِ، وَقَالَ يُخَاطِبُ الشَّيْخَ إِنِّي أَنْحَمَلُ شَيْئًا مِنْ  
مَسْئُولِيَّةٍ مَا حَدَثَ لَكَ أَمَّا الشَّيْخُ، حِينَ انْفَرَدَ بِكَ أَحْوَنًا الْقَيْمُ، وَلَكِنْ لَا تَأْمَنُ فَلَنْ  
أَدْعَ مِثْلَ هَذَا يَحْدُثُ لَكَ أَمَّا الشَّيْخُ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّةً أُخْرَى ضَبَحَكَ الشَّيْخُ وَضَبَحَكَ  
الْقَيْمُ وَتَمَّمُوا جَمِيعًا نَحْوَ مَجْلِسِ الْعِرْسَانِ لِتَهْنِئَتِهِمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ بِالسَّعَادَةِ  
وَالثَّوْفِيقِ، وَلِيَنْحَصِرُوا بَعْدَ ذَلِكَ، اسْتَعَدَّذَا لِيَوْمٍ جَدِيدٍ مِنْ دُرُوسِ الشَّيْخِ  
وَمُدَارَسَاتِهِ وَجَوَارَاتِهِ.

يَقُولُ بَيْنَنَا: لَقَدْ كَانَتْ لَيْلَةٌ بِكُلِّ الْمَقَائِدِ مَعْبُودَةٌ لَا تَسْنَاهَا أَحَدٌ مِمَّنْ خَضَرَهَا،  
وَقَدْ ضَاعَفَتْ مَسْرَاتِنَا، وَضَاعَفَتْ حُبَّنَا لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ، وَجَعَلَتْ رَحِيلَهُ وَوَدَاعَهُ مِنْ  
بَعْدِ أَشَدِّ وَقَعَا عَلَى النُّفُوسِ وَالْمَا لِلْقُلُوبِ، وَلَكِنَّهَا أَبَقَتْ لَهُ فِي نَفُوسِنَا أَطْيَبَ مَا  
يَسْتَجِقُّ مِنْ ذِكْرِى الْحُبِّ وَالْإِعْزَازِ وَالنُّفْيِ.



حَالُ نَفَرٍ الْكَلْبِ

## حَلُّ نَعْرِ الْكَتْرِ

هَمَمَنَ يَبِيدُنَا فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يَرَى قَائِدَ الشَّرْطَةِ يُهْرَوِلُ غَائِبًا مُقْتَرِبًا مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ: مَا لِي أَرَى قَائِدَ الشَّرْطَةِ غَائِبًا وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ، أَرْجُو أَلَّا يُعَكِّرَ صَفْوَ الْمَسْرَاتِ مُعَكِّرًا.

وَلِحُسْنِ الْحِطِّ، أَنَّ قَائِدَ الشَّرْطَةِ لِفِطْنَتِهِ لَمْ يُهْرَوِلْ إِلَى مَقَامِ الشَّيْخِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ انْقَضَ الْحَفْلُ بِكُلِّ الْمَرْحِ وَالْبَهْجَةِ، فَاقْتَرَبَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَّا الْقَائِدُ وَنَحْنُ مَعَهُمُ بِالْخُرُوجِ، لِأَصْحَبِ الشَّيْخِ إِلَى دَارِهِ قَبْلَ أَنْ أَنْصَرِفَ إِلَى دَارِي.

أَقْبَلَ قَائِدَ الشَّرْطَةِ وَمَعَهُ رَجُلٌ الْجَرَامَةِ وَالْأَمْنِ عَلَى الشَّيْخِ لِيُخْبِرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ قَبَضُوا عَلَى الْمُتَسَلِّلِ إِلَى دَارِهِ الَّذِي اعْتَادَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَنْ يُبَغِّزَ أَثَاثَ الدَّارِ، وَكَأَنَّهُ يَبْحَثُ فِيهِ عَنْ شَيْءٍ ثَمِينٍ أَوْ خَطِيرٍ، حَتَّى يَلْغَ بِهِ الْأَمْرُ أَنْ يَضْرِبَ بِهَرَاوِيهِ الْجِدَارِ، وَكَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ كُوَّةٍ أَوْ مَكَانٍ سِرِّيٍّ فِي الْجِدَارِ، فَدُ نَجِدُ فِيهِ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ فِي دَارِ الشَّيْخِ.

قَالَ قَائِدَ الشَّرْطَةِ: مَا يَسْرُنَا وَيُؤَسِّطُنَا يَا سَيِّدِي فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنْ الْمُتَسَلِّلَ لَيْسَ مِنْ أبنَاءِ بَلَدِنَا، وَلَكِنَّهُ الْبَحَّارُ مَسْعُودٌ الَّذِي صَنَجَبَكَ عَلَى الْمَرْكَبِ الَّذِي حَمَلَكَ إِلَى بَلَدِنَا، وَالَّذِي كَانَ مِنْ بَيْنِ رُؤَادِ مَجْلِسِكَ الْمُوَاطِّبِينَ عَلَى حُضُورِ دُرُوسِكَ وَجَوَارَاتِكَ.

إِنَّمَا لَمْ تُصَبِّقِي يَا سَيِّدِي أَعْيُنُنَا حِينَ قَبِضْنَا عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ سَوَّفَ نَلْقَى، عَلَى أَيِّ خَالٍ، عَلَى هَذِهِ الصُّغْلَةِ السَّيِّئَةِ أَشَدَّ الْعِقَابِ.  
قَالَ بَيْدَبَا: لَقَدْ غَلَبَتِ الدَّهْمَةُ وَجْهَ الشَّيْخِ، فَقَدْ فُوجِئَ بِالْأَمْرِ كَمَا فُوجِئْنَا نَحْنُ بِهِ جَمِيعًا.

قَالَ الشَّيْخُ بِهَدْوِيهِ الْمُعْتَادِ: لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَأْخُذُونِي إِلَى حَيْثُ أَوْقَفْتُمُ الرَّجُلَ لِأَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ، وَيَعْدَ ذَلِكَ مَنَنْتُشَاوَرُ بِشَأْنِ مَصِيرِهِ بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. سَارَ قَائِدُ الشَّرْطَةِ يَتَّبِعُهُ الشَّيْخُ، وَإِلَى جَانِبِهِ بَيْدَبَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُحَاوِلُ فِي رَأْسِهِ أَنْ يُخَمِّنَ مَعْنَى مَا حَدَّثَ وَأَسْبَابَهُ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى.

وَصَلَّ الشَّيْخُ إِلَى مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ: حَيْثُ رَحَّبَ رَئِيسُ الدَّائِرَةِ بِهِ وَبِالْحَكِيمِ بَيْدَبَا، وَأَجْلَسَهُمَا عَلَى مَقَاعِدَ أَعِدَّتْ لِاسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ، وَأَمَرَ بِأَخْضَارِ الْبَحَّارِ مَسْعُودٍ، يَقُولُ بَيْدَبَا: أَحْضِرِ الْبَحَّارُ مَسْعُودٌ وَهُوَ مُقَيَّدُ الْيَدَيْنِ بِأَصْفَادِ حَدِيدِيَّةٍ، وَوَقَّفَ أَقَامَ الشَّيْخُ مُحَضَّرَ الْوَجْهِ، خَافِضَ الْبَصَرِ: خِزْيًا مِمَّا اقْتَرَفَتْ يَدَاؤُهُ فِي حَقِّ الشَّيْخِ. طَلَبَ الشَّيْخُ لِمَسْعُودٍ كُرْسِيًّا، وَطَلَبَ إِلَى مُدِيرِ الْمَرْكَزِ أَنْ يَأْمُرَ بِفِكِّ أَعْلَالِ مَسْعُودٍ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ.

جَلَسَ مَسْعُودٌ عَلَى طَرْفِ الْكُرْسِيِّ خَوْفًا وَخَجَلًا مِنَ الشَّيْخِ، عِنْدَهَا تَوَجُّهُ الشَّيْخِ  
إِلَى مَسْعُودٍ يَسْأَلُهُ عَنِ السَّبَبِ فِي اقْتِرَافِ مَا فَعَلَ، وَعَنِ الشَّيْءِ الَّذِي كَانَ يَبْتَخْتُ عَنْهُ  
مِنْ ذَوْنِ كَلْبٍ أَوْ مَلَأٍ، مَا تَسْبَبَ فِي كُلِّ مَا أَصَابَ ذَاكَ الشَّيْخَ وَغُرْفَةً تُوَمِّهِ مِنَ الْعَيْثِ  
وَالضَّرَبِ.

قَالَ الشَّيْخُ لِمَسْعُودٍ، أَنْتَ كُنْتَ مَعِيَ عَلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ الَّذِي حَمَلْنَا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ،  
وَأَنْتَ صَاحِبِي طَوَالَ السَّفَرِ، وَكُنْتَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا تَكَاذُ تُقَارِقُنِي، وَتَقِيبُ  
عَلَى قُرْبِكَ وَصُحْبَتِكَ بَعْدَ أَنْ بَلَّغْنَا هَذِهِ الْبِلَادَ، وَكُنْتَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ وَالطَّلَابِ  
مُؤَاطَبَةً عَلَيَّ حُضُورِ دُرُوسِنَا وَجِوَارَاتِنَا، فَكُنْتَ الْأَجْدَرَ أَنْ تَعْلَمَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ  
أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ أَحَدٌ أَوْ يَرْجُو الْحُصُولَ عَلَيْهِ، فَإِنَّا كَمَا يَعْلَمُ الْجَمِيعُ  
أَكَاذُ لَا أَمْلِكُ إِلَّا مَا يَفِي بِأَقْلِي الْحَاجَةِ وَسِدِّ الرَّمَقِ، فَلِمَاذَا يَا مَسْعُودُ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ،  
وَجَنَيْتَ مَا جَنَيْتَ؟ وَمَاذَا كُنْتَ تَطْلُبُ؟ لَقَدْ أَتَاكَ بِتِلْكَ التَّصَرُّفَاتِ الْعَجِيبَةِ فِي نَفْسِي،  
مُنْذُ أَنْ جِئْنَا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ، الْخَيْرَةُ وَالْقَلِقُ، وَأَنَا الْيَوْمَ أَشَدُّ خَيْرَةً فِي أَمْرِ تَصَرُّفِكَ،  
بَقِيَ مَسْعُودٌ صَامِتًا يَكَاذُ لَا يُجِيبُ جَوَابًا، قَالَ الشَّيْخُ لِمَسْعُودٍ، أَجِيبْنِي عَمَّا سَأَلْتُكَ  
عَنْهُ يَا مَسْعُودُ، وَقَسِّرْ لِي لُغزَ فِعْلِكَ؛ فَذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ، إِنْ صَدَقْتَنَا الْقَوْلَ، إِلَى



نَجَاتِكَ مِمَّا قَدْ يَلْتَقِظُكَ مِنَ الْعِقَابِ.

قَالَ مَسْعُودٌ: يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ أَحْسَنِي أَلَا تُصَدِّقُنِي لَوْ أَخْبَرْتُكَ بِالْحَقِيقَةِ.  
قَالَ الشَّيْخُ: لَا عَلَيْكَ، فَقَطُّ أَخْبَرْنَا بِالْحَقِيقَةِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَفْضَلُ فِي مِثْلِ  
هَذَا الْمَوْقِفِ مِنَ الصِّدْقِ.

قَالَ الْبَحَّارُ: السَّبَبُ يَا سَيِّدِي أَنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ، وَخَلْفِي زَوْجَةٌ وَأُمٌّ وَصِغَارٌ أَكْثَرُ  
وَأَسْفَى مِنْ أَجْلِهِمْ وَأَغْيَبُ الشُّهُورِ الطَّوَالَ فِي الْبَحْرِ لِأَوْقِرَ لَهُمْ لُقْمَةَ الْعَيْشِ، وَقَدْ  
سَمِعْتُكَ يَا سَيِّدِي حِينَ كُنَّا عَلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ، فِي عَرْضِ الْبَحْرِ، تَتَخَدُّثُ إِلَى أَحَدِ  
رُكَّابِ السُّفِينَةِ عَنْ كَثَرِ غَزِيرٍ عَلَيْكَ لَا تَكَادُ تُفَارِقُهُ قَطُّ فِي خَلِّكَ وَتُرْخَالِكَ، وَلَا تُغْدِلُ بِهِ  
الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ مَهْمَا كَثُرَتْ.

كَانَتْ اللَّيْلَةُ الْأَخِيرَةُ قَبْلَ وَصُولِنَا إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ عَلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ وَهَدِ انْتَهَرْتُ  
فُرْصَةَ ذَهَابِكَ إِلَى الصَّلَاةِ عَلَى سَطْحِ الْمَرْكَبِ، وَجُئْتُ فِي مَتَاعِكَ أَفْتِيئًا عَنْ هَذَا  
الْكَثْرِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَيُّي لَمْ أَعْتِزْ عَلَى شَيْءٍ.

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ أَذْكَرُ أَنَّي حِينَ عُدْتُ إِلَى مَرْقَدِي فِي الْمَرْكَبِ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ،  
وَجَدْتُ مَتَاعِي مُبَعَثَرًا، وَلِكَيْتِي لَمْ أَلْقِ لِدَيْكَ بَالًا، وَظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ حَدَثَ بِسَبَبِ حَرَكَةِ

الْمَرْكَبِ وَالرِّيَاحِ الْبُخْرِيَّةِ الْمُتَقَلِّبَةِ.

ثُمَّ تَابَعَ الشَّيْخُ قَائِلًا: نَعَمْ أَكْمِلْ أَمِّهَا الْفَتَى، وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

قَالَ مَسْعُودٌ: لِذَلِكَ حَرَصْتُ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى صُحْبَتِكَ وَتَتَبِعُ خُطُواتِكَ لَعَلِّي أَغْتَرَّ عَلَى كَيْتِكَ، وَأَقْضِي عَلَى حَيَاةِ الْعَوَزِ وَالْقَفْرِ؛ وَلِذَلِكَ كُنْتُ أَتَرْقُبُ عِيَانَكَ وَعِيَابَ مُرَافِقِكَ وَأَتَسَلَّلُ إِلَى الدَّارِ، وَأَفْتِشُ فِيهَا عَنْ ذَلِكَ الْكُتْرِ حَتَّى أَنْفِي حَرَصْتُ فَحَرَصْتُ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ عَلَى الذَّهَابِ كُلِّ يَوْمٍ إِلَى دَارِكَ مُنْتَهَرًا فُرْصَةَ انْتِشَالِكَ بِطَلَّابِ عِلْمِكَ وَمُرِيدِكَ، وَبِأَفْرَاحِ زَوْاجِهِمْ لَعَلِّي أَصِلُ إِلَى الْكُتْرِ، وَخَاصَّةً أَنَّهُ قَدْ أَنْ أَوَانُ الرَّجِيلِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ يَضِيعَ مِنِّي الْكُتْرُ.

لَقَدْ كَانَتْ مُخَاطَرَةٌ حَمَقَاءَ يَا سَيِّدِي أَنْ أَسَلَّنَ إِلَى دَارِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى رَغْمِ أَنِّي كُنْتُ أَجِسُ حُضُورَ رِجَالِ الْأَمْنِ حَوْلَ الدَّارِ وَتَشْدِيدَ الْجِرَاسَةِ فِي الْمِنْطَقَةِ، وَلِكَيْهَا الْحَاجَةُ وَالْعَوَزُ وَالطَّمَعُ وَالْأَمَلُ يَا سَيِّدِي.

التفت الجميع إلى الشيخ وأعينهم تستفسر عن هذا الكثر الذي يتحدث عنه البحار مسعود.

حيث الصمت على الجميع برهة في انتظار ما سيقوله الشيخ ويُقصد به هذه الألفاظ

وَالْأَحَاجِي الَّتِي سَمِعُوهَا، مِنْ دُونِ أَنْ يَفْقَهُوا مِنْهَا شَيْئًا أَوْ يُصَدِّقُوهَا.  
انْفَجَرَ الشَّيْخُ ضَاحِكًا مُقْبِلًا حَتَّى كَادَتْ عِيَامَتُهُ أَنْ تَسْقُطَ مِنْ عُنُقِ رَأْسِهِ، لَوْلَا  
أَنَّهُ مَنَارِعٌ وَأَمْسَكَهَا.

زَادَتْ دَهْشَةُ الْحَاضِرِينَ، مِمَّا يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ، فَهَقْدُ كَانَ ضَبْحُ الشَّيْخِ مُفَاجِئًا  
أُخْرَى لَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَهَا وَلَا يُدْرِكُونَ مَا الَّذِي أَضْحَكَ الشَّيْخَ وَسَطَّ هَذِهِ الْخَيْرَةُ  
وَالْأَلْغَازِ.

قَالَ بِنْدَبْنَا: التَّفْتُ إِلَى شَيْخِنَا الْجَلِيلِ وَكَلِمَةِ دَهْشَةٍ وَاسْتِعْرَابٍ، وَقُلْتُ لَهُ: أَضْحَكَ  
اللَّهُ سِنِّكَ يَا سَيِّدِي، وَلَكِنَّا لَا نَدْرِي مَا الَّذِي يُضْحِكُكَ فِيمَا قَالَهُ مَسْعُودٌ، وَمَا هُوَ أَمْرٌ  
هَذَا الْكَثْرَ الَّذِي ذَكَرَ مَسْعُودٌ أَنَّكَ تَحَدَّثُ عَنْهُ وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ؟

قَالَ الشَّيْخُ: عَلَى رِسَالِكُمْ؛ فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي مَنْ يَمْلِكُ الْأَسْوَالَ وَيَكْتُمُ  
الْجَوَابَ وَالْمَعَادِينَ التَّفَيْسَةَ، وَلَكِنِّي الْآنَ أَذْرِكُ لِمَاذَا طَنَّ هَذَا الْبَائِسُ لِحَيْلِهِ بِأَمْرِي،  
أَتَنِي أَمْلِكُ كَثْرًا مِنَ الْمَالِ، لَقَدْ أَضَيَّ هَذَا الْمِسْكِينُ نَفْسَهُ فِي الْبَحْثِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ  
لَا وَجُودَ لَهُ، وَأَزْعَجَنِي وَأَوْفَعَ نَفْسَهُ فِي وَرْطَةٍ بِفُضُولِهِ وَطَمَعِهِ؛ وَلَوْ كَانَ عَلَى ذَرَّةٍ مِنْ  
عَقْلِ وَفِطْنَةٍ لَأَذْرَكَ أَتَنِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَكُونَ أَتَحَدَّثُ بِمَا قُلْتُ عَنْ مَالٍ أَوْ جَوَاهِرٍ.

الكثير العزيز الغالي على نفسي، والذي لا تعدُّهُ الأموال الطائلة عندي أيها السادة؛  
 لم يكن إلا مُصنَّحاً وسجادةً للصلاة، هما أعزُّ وأغلى ما تركهُ لي أبي وأمي، وقد كان  
 ذلك المُصنَّحُ وتلك السجادةُ زفيقين لهما في عبادتهما وقراءتهما وصلاتهما  
 وتبجدهما، وكثيراً ما كنتُ وأنا طفلٌ صغيرٌ أشاركهما السجادةَ في الصلاة، وأحياناً  
 أنامُ عليهما بين أيديهما، وكثيراً ما شاركتهما القراءة وتعلُّم القراءة في ذلك المُصنَّح،  
 ولذلك فإنَّ لتلك السجادةِ وذلك المُصنَّح، ذكرياتٍ عزيزةٍ في نفسي، وأنا أجدُ  
 فيها رائحةَ والدي التي لا أُعِدُّ بهما شيئاً من المتاع والذكريات في هذه الدنيا، إنني  
 أستعيدُ، وهذا المُصنَّحُ وهذه السجادةُ معي وبين يدي، ذكريات طفولتي،  
 وذكريات صُحبتهما الخبيبةِ إلى نفسي، وكأني على الرُّغم من سني وشيخوختي أدمسُ  
 رأسي في حضنتهما كعندي بهما في طفولتي.

لقد كان كبري أمام عينيهِ على "الجوان" في مجلسي، ولكن هيهات أن يرى من  
 استولى الجهل والطمع على نفسه مثل هذا الكثر؟  
 قال بيدها: أخذتنا إجابة الشيخ إلى ذهنةِ أعظم مما مرَّينا في يومنا المفاجئات  
 ومن الدهشات.

قَالَ بَيْنَمَا: لَقَدْ أَذْهَلْتُنَا حَقًّا الْمُفَاجَأَةُ، الَّتِي لَا يُدَانِيهَا الْخِيَالُ، وَفَعَرْنَا أَهْوَاهُنَا، لَا  
 نَعْلَمُ مَا نَقُولُ، وَلَكِنْ بَعْدَ لَحْظَةٍ صَمْتٍ انْفَجَرْنَا جَمِيعًا فِي ضَجِّكَ عَالٍ تَجَمَّعَ مَعَهُ مَنْ  
 فِي الْمَرْكَزِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا يَجْرِي بَأَيْدِيهَاشِ وَأَسْتَيْغْرَابٍ، وَنَحْنُ لَا نَكْفُ عَنِ الضَّجِّكَ،  
 جَمَعْنَا أَشْتَاتَ نَفُوسِنَا لِنَقُولَ الشَّيْخَ لِقَائِدِ الشَّرْطَةِ: لَقَدْ سَمِعْتِ يَا سَيِّدِي مَا  
 جَرَى، وَقَدْ تَمَّ خَلُّ اللَّغْزِ الَّذِي خَيَّرْتَنِي وَخَيَّرْتَكُمْ، وَمَا أَرْجُوهُ يَا سَيِّدِي أَنْ تُخَلِّيَ سَبِيلَ  
 الْبَحَّارِ لِمَا عَلِمْنَا مِنْ خَالِهِ وَخَالِ بَصْغَارِهِ، وَأَنَا عَلَى ثِقَةٍ أَنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ دَرْسَهُ، وَلَنْ يَعُودَ  
 إِلَيَّ مِثْلَ هَذِهِ الْحَمَاقَةِ، وَأَنْ يَفْتَعَّ بِالنَّكْسِ بِالْخَلَالِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.  
 انْكَفَأَ مَسْعُودٌ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ يُرِيدُ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ اخْتَبَرًا مَا لِكِرَامَتِهِ  
 الْإِنْسَانِيَّةِ لَمْ يُمْكِنَهُ مِثْلُهَا، وَرَفَعَهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ.

قَالَ مَسْعُودٌ: أَعَاهِدُكَ اللَّهُ يَا سَيِّدِي الشَّيْخَ عَلَى الثَّوْبَةِ، وَأَنْ أَكُونَ التَّلْمِيذَ وَالتَّابِعَ  
 الْمُخْلِصَ لَكَ، وَأَنْ أزيلَ الطَّمَعِ مِنْ نَفْسِي، وَأَجَلَ الْقِنَاعَةِ فِيهَا بِالْخَلَالِ، وَأَنْ أَجِدُ فِي  
 الْعَمَلِ وَأَنْ أَقْلِعَ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ أَدَى لِلنَّفْسِ وَهَدْرٌ لِلْمَالِ، وَلَنْ يُخَيِّبَ اللَّهُ مَسْعِي وَهُوَ  
 يَرْزُقُنِي خَاجَتِي وَخَاجَةَ مَنْ وَرَائِي.

قَالَ قَائِدُ الشَّرْطَةِ: لَقَدْ غَفَوْنَا عَنْكَ يَا مَسْعُودُ إِكْرَامًا لِلشَّيْخِ وَرَأْفَةً بِبَصْغَارِكَ.

وَتَقَّةُ بِتَوْبَتِكَ.

قَالَ بَيْنَدِيَا: مَا أَعْظَمَ خُلُقِي الشَّيْخِ وَكَرَمِهِ، وَكَمْ تَعَلَّمْنَا مِمَّا حَدَّثَ فَدَى سَمَاحَةِ كِبَارِ  
النُّفُوسِ وَتَسَامُحِهِمْ، وَتَعَلَّمْنَا مَعْنَى حُبِّ الْوَالِدَيْنِ وَمَكَائِبِهِمَا لَدَى كِرَامِ النُّفُوسِ مِنَ  
الْبَشَرِ.

يَقُولُ بَيْنَدِيَا: بَعْدَ انْتِهَتْ قِصَّتِنَا مَعَ الشَّيْخِ الرَّحَالَةِ الْحَكِيمِ ابْنِ تَطُوطَةَ، وَإِنِّي أَرْجُو  
بِمَا بَدَلْتُ مِنَ الْجُهْدِ فِي كِتَابَتِهَا وَحِكَايَتِهَا أَنْ أَكُونَ قَدْ وَهَيْتُ بِوَعْدِي لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ،  
وَأَنْ أَكُونَ قَدْ يَسَّرْتُ بِهَا أَمْرَ الْإِفَادَةِ مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَتَجَرِبَتِهِ لِكُلِّ مَنْ يَقْرَأُهَا مِنْ  
أَبْنَاءِ الْأَجْيَالِ الْمُقْبِلَةِ مِنْ بَعْدِنَا؛ لِتَكُونَ عَوْنًا لَهُمْ فِي وُضُوحِ الرُّؤْيَا الَّتِي تُعِينُهُمْ عَلَى  
فَهْمِ مَعْنَى حَيَاتِهِمْ، وَبُلُوغِ غَايَتِهَا الْخَيْرَةَ فِي تَحْقِيقِ الذَّاتِ وَتَوْفِيرِ الْحَاجَاتِ بِالْجِدِّ  
وَالْإِبْدَاعِ؛ فِي سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ وَالْقَلَّاحِ، وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَبِنَاءِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ لِخَيْرِ الْبَشَرِ  
مِنْ جَمَالَاتِ الْعُمْرَانِ، وَمَنَافِعِ الْحَضَارَةِ وَمُنْتَعِبِهَا الطَّيِّبَةِ الْفِطْرِيَّةِ الْخَالِصَةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ.



شَرَّاعُ الرِّحَالِ يَمُصُّ الْجَنُوبَ

## شَرَاغُ الرَّحَالَةِ يَقْصِدُ الْجَنُوبَ

خَانَتْ لِحِظَةَ الرَّجِيلِ، وَكَانَتْ الرِّيحُ سَاكِنَةً، وَالْأَفْقُ شَاجِبًا، وَقَرِصُ عَيْنِ الشَّمْسِ مُحْمَرًّا، وَكَأَنَّ السُّحُبَ مِنْ حَوْلِ عَيْنِ الشَّمْسِ وَعَلَى صَفْحَتَيْهَا، دُمُوعٌ أَسَى وَحُزْنٌ تَتَسَاقَطُ عَلَى وَجْهَتَيْهَا، وَقَدْ وَقَفَ الْمُودِعُونَ يُلقُونَ النَّظْرَةَ الْأَخِيرَةَ إِلَى الشَّيْخِ الْجَلِيلِ، وَقَدْ وَقَفَ الْبَحَّارُ مَسْعُودًا خَلْفَهُ، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ مَمْلُوءَةً بِالْأَسَى وَالْحُزْنِ لِفِرَاقِهِ، وَأَخَذُوا جَمِيعًا صِغَارًا وَكِبَارًا، رِجَالًا وَنِسَاءً يَلْوَحُونَ لَهُ بِأَيْدِيهِمْ حُبًّا وَوَدَاعًا لِيَطْلُعَتِهِ الْجَلِيلَةَ، وَهُوَ يَمْتَشِي مَرْكَبَ الرَّجِيلِ؛ الَّذِي سَوْفَ يَحْمِلُهُ الْمَوْجُ، وَيُبْعِدُهُ الشَّرَاغَ، إِلَى عَمْقِ الْأَفْقِ الْحَزِينِ، وَقَدْ وَدَّعَ مِنْ أَرْضِهِمُ الْأَحْبَابَ عَلَى أَمَلٍ لِقَاءِ مَنْ سَلَفَ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْأَحْبَابِ، وَلَيْسَ مِنْ أَمَلٍ فِي الْعُودَةِ وَاللِّقَاءِ.

يَقُولُ بِنِدْبَا: لَقَدْ أَصْبَحَ فِيمَا عَلِمْنَا أَنَّ الْبَحَّارَ مَسْعُودًا مِنْ خَيْرَةِ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ، وَأَصْبَحَ مُخْلِصًا فِي عَمَلِهِ، كَمَا أَصْبَحَ عَلَى خَيْرِ حَالٍ، فَقَدْ أَصْبَحَ رَثَانٌ سَفِينَةٍ مِنْ أَكْثَرِ سَفِينِ بَحَارِ الْجَنُوبِ، الَّتِي كَثِيرًا مَا كَانَ الشَّيْخُ يَرْكَبُهَا فِي أَسْفَارِهِ الْمُدَوَّنَةِ الشَّهِيرَةِ بَاجْتِئَانًا مُنْقِبًا فِي بِلَادِ اللَّهِ، وَمُتَعَرِّفًا عَلَى شُعُوبِ الْأَرْضِ وَثِقَافَاتِهِمْ، نَاشِرًا الْعِلْمَ وَالِدُّعَاةَ بَيْنَهُمْ، وَزَاوِيَا أَخْبَارِهِمْ لِبَنِي قَوْمِهِ لِلْعِبْرَةِ وَالتَّوَاصُلِ وَتَبَادُلِ الْمَنَافِعِ، وَكَانَ مَسْعُودًا



خَيْرَ رَفِيقٍ لِلشَّيْخِ، وَهَذَا خَالَ كُلِّ مَنْ أَتَقَنَّ وَأَخْلَصَ فِي عَمَلِهِ، وَحَرَصَ عَلَى صُحْبَةِ  
الأَخْيَارِ مِنَ النَّاسِ. فَرَأَيْتَهُ مَنْ صَاحَبَ "الرِّبَالَ" لَيْسَتْ كَرَائِحَةَ مَنْ صَاحَبَ  
"العَطَارَ".

وَهَكَذَا أَتَيْهَا الْقَارِيءُ الْعَزِيزُ؛ وَدَعَّ الشَّيْخُ ابْنَ يَطْوِطَةَ الْحَكِيمُ بِيَدَيَا وَأَصْحَابَهُ،  
مُتَّجِبًا إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ وَكُلُّهُمْ حُبُّ لَهُ، وَحَزَنٌ عَلَى فِرَاقِهِ.

يَقُولُ بِيَدَيَا: لَقَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَخْبَارِ الشَّيْخِ أَنَّ فِطْنَتَهُ الْمُدْهِشَةَ "قُلَّةٌ" هَذَا أَنْجَبَتْ  
عِذًّا مِنَ الصَّغَارِ، وَاحْتَلَّتْ وَصِغَارَهَا رُكْنَا وَأَسْعَا فِي غُرْفَةِ نَوْمِ الشَّيْخِ تَتَرَقَّبُ الْفُتْرَانَ  
وَالهَيَامَ لَوْ سَاوَرَتْهَا نُفُوسُهَا أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ غُرْفَةِ الشَّيْخِ، وَلَكِنْ كَمَ أَصْبَحَ الشَّيْخُ يُعَايِي  
مِنْ "سَقَاوَةِ" الصَّغَارِ الَّذِينَ يُذَكِّرُونَهُ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ "قُلَّةٌ" وَهِيَ صَغِيرَةٌ مِنْ سَقَاوَةِ  
وَمُطَارِزَةٍ كُلِّ شَيْءٍ يَتَحَرَّكُ، حَتَّى لَوْ كَانَ ذَيْلَهَا.

كَمَا عَلِمْتُ مِنْ أَخْبَارِ الشَّيْخِ أَنَّ "قُلَّةٌ" لَمْ تَعُدْ تَكْرَهُ مَسْعُودًا، أَوْ تَيْتَعِدُ عَنْهُ، بَلْ  
إِنَّهَا كَثِيرًا مَا تَجْلِسُ فِي جِجْرِ مَسْعُودٍ تَرَقَّبُ الشَّيْخَ وَهُوَ يُلْقِي دُرُوسَهُ عَلَى طَلَابِهِ، وَكَثِيرًا  
مَا كَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ بِصَّغَارِهَا لِإِبْلَاعِهِمْ، وَيَمَسِّحُ فِرَاءَهُمْ، وَتَأْتِيَنَ بِهِمْ، فَقَدْ أَصْبَحَ  
مَسْعُودٌ كَمَا ذَكَرْنَا بَلْمِيدًا وَمُرِيدًا مُجِبًّا وَمُخْلِصًا لِلشَّيْخِ؛ وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الشَّيْخَ حَقًّا.

فَقَدْ عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى قَلْبِ قِطْبِهِ "فَلَّةً".

يَقُولُ بِيَدَيْهَا: كَمْ مِنَ الْعَجْمَاوَاتِ مَنْ هُوَ أُنْبَلُ وَأَخْلَصُ مِنْ بَعْضِ بَنِي الْبَشَرِ؛ وَيَقُولُ  
الْحَكِيمُ: فَلَيْتَنُحْزِرُ كُلَّ إِنْسَانٍ كَيْفَ يَفْعَلُ! وَمَاذَا يُفْعَلُ! وَأَيْنَ يَضَعُ نَفْسَهُ! وَكَيْفَ تَكُونُ  
الْعَاقِبَةُ وَالْمَثَالُ!

وَمِنَ الْمُهَيْمِ فِي نَهَايَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمَلِيئَةِ بِالْحِكْمِ وَالْعِبَرِ مِنْ رُؤُوسِ حَطَبِنَا الشَّيْبِ،  
وَطَالَ بِهَا السَّفَرُ وَالسَّهَرُ، أَنْ نَعْلَمَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ أَنَّنَا، بَعْدَ أَنْ رُزْنَا جَزِيرَةَ الْبَنَاتَيْنِ  
وَشَاهَدْنَا بِأَمِّ أَعْيُنِنَا وَإِدْبِهِمُ الْأَخْضَرَ الْجَمِيلِ: وَجَدْنَا صِدْقَ مَا حَدَّثْنَا بِهِ الشَّيْخُ  
الْجَلِيلُ الرَّخَالَةُ ابْنُ بَطْوَيْطَةَ، وَرَوَاهُ لَنَا الْحَكِيمُ بِيَدَيْهَا، عَنْ أَبْنَاءِ جَزِيرَةِ الْبَنَاتَيْنِ،  
وَوَادِيهِمُ الْمُزْهِرِ الْأَخْضَرَ الْمُثْمِرِ الْجَمِيلِ، وَمُوَاطِنِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ؛ بِسُمُومِ  
غَايَتِهِمْ، وَوَضُوحِ رُؤْيِيهِمْ، وَسَلَامَةِ مَنَهِجِ فِكْرِهِمْ وَبِنَاءِ وَجْدَانِهِمْ، وَإِبْدَاعِ أَدَابِهِمْ،  
وَإِخْلَاصِهِمْ فِي عَمَلِهِمْ، وَعِلْمِنَا أَنَّهُ قَدْ تَمَكَّنَ شَبَابُ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنْ أَخَذِ الْمُبَادِرَاتِ،  
وَإِقَامَةِ الْمُؤَسَّسَاتِ وَالْمَشَارِيعِ الَّتِي أَسْتَهْمَتْ فِعْلًا فِي إِعْقَارِ بِلَادِهِمْ، وَتَسْخِيرِ مَوَارِدِهَا،  
وَتَجْلِيَةِ رَوْعِهَا وَجَمَالِهَا، وَرَأَيْنَا كَيْفَ نَظَّمْ أَبْنَاءُ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مُجْتَمَعُهُمْ، وَأَقَامُوا  
سُلْطَانِيَهُمُ السَّيْتِ، وَنَظَّمُوا دَوْلَتَهُمْ وَحُكُومَتَهُمْ، وَمَكَّنُوا جُهُودَ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ

وَالْإِصْلَاحَ بَيْنَ أُنْبَاءِ جَزِيرَتِهِمْ ، وَبِذَلِكَ تَمَكَّنُوا مِنْ طَرْدِ أَعْدَائِهِمْ: لِيَتَعِيشُوا فِي حُبِّ  
وَتَعَاوُنٍ، وَرَعْدٍ وَتَمَوُّرٍ وَأَمْنٍ وَمَسْلَامٍ، وَكَمَا تَقُولُ الْأَمْثَالُ الْحَكِيمَةُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَ) وَ(مَنْ  
زَرَعَ حَصَدَ)، وَ(مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ) وَ(كَمَا تَكُونُوا بُولَ عَلَيْكُمْ).

وَتَخْتِمُ الْحَكِيمُ بِنَدِيَا رِوَايَةِ فِصِيَّتِهِ عَنِ جَزِيرَةِ الْبَنَائِينَ وَرِحْلَةِ الشَّيْخِ الرَّحَّالِ ابْنِ  
بَطْلُوخَةَ إِلَى أَرْضِهَا السَّعِيدَةِ قَائِلًا: إِنَّ الدَّرْسَ الَّذِي تَتَعَلَّمُهُ الْمُصْلِحُونَ مِنْ رِحْلَةِ  
حَكِيمِنَا الرَّحَّالِ إِلَى جَزِيرَةِ الْبَنَائِينَ هُوَ أَنَّ بِنَاءَ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ الرُّوْحِيَّةِ الْإِعْقَابِيَّةِ السَّامِيَّةِ، لَا يَدُ أَنْ تَكُونَ لَهَا رُؤْيَةٌ كُونِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ غَائِبَةٌ  
أَخْلَاقِيَّةٌ غَيْرُ مَشْهُوقَةٍ، تَقُومُ عَلَى قِيَمِ الْعَدْلِ وَالْإِحَاءِ وَالْتَّكَامُلِ وَالتَّكَاوُلِ وَالتَّرَاحُمِ  
وَالْمَسْلَامِ، وَلَا يَدُ أَنْ يَكُونَ لَهَا مِنْهَجٌ عَقْلِيٌّ سُنِّيٌّ لَا تُشَوِّهُهُ شَوَائِبُ الْخُرَافَةِ  
وَالْخُرْعَانَاتِ، مِمَّا يَسْتَلْزِمُ كِفَاةً مُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِ وَشُمُولِيَّتَهُ فِي كَافَةِ مَرَاجِلِ  
التَّعْلِيمِ وَالتَّأْهِيلِ وَالتَّدْرِيبِ الْمَغْرِبِيِّ وَالْمُهَيَّبِيِّ بَدْمًا بِالطُّفُولَةِ حَتَّى أَعْلَى دَرَجَاتِ  
التَّعْلِيمِ وَالتَّبَحُّثِ الْعِلْمِيِّ وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَنْقَصِمُ عَنْ حُسْنِ إِعْدَادِ الْمُعَلِّمِ وَالتَّمْدِيرِ،  
فَيَقْدِرُ مَا لَدَى هَؤُلَاءِ مِنْ خِفَاسٍ وَقُدْرَةٍ وَإِخْلَاصٍ، بِقَدْرِ مَا يُحْمَسُنُ تَأْهِيلُ الْكَوَادِرِ  
الْعِلْمِيَّةِ وَالْمُهَيَّبِيَّةِ وَالْقِيَادِيَّةِ، وَلِذَلِكَ فَيَقْدِرُ مَا يُحْسِنُ إِعْدَادَ كَوَادِرِ الْمُعَلِّمِينَ

وَالْمُرَبِّينَ وَيُكْرِمُونَ بِقَدْرِ مَا يُقْبَلُ أَكْثَرُ شَبَابِ الْأُمَّةِ هُدْرَةٌ إِلَى مَيْدَانِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ  
وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَهُوَ أخطرُ مَيَادِينِ بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَنَجَاحِهَا وَسَدَادِ مَسِيرَتِهَا وَبِنَاءِ  
حَضَارَتِهَا.

وَيَسْتَطِرِدُ الْحَكِيمُ يَهْدِيًا لِيَقُولَ: وَإِذَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ وَالتَّعْلِيمُ هُمَا أَسَاسُ مَهْمٍ  
لِبِنَاءِ هُدْرَةِ الْأَدَاءِ وَالتَّبْنَاءِ، فَإِنَّ سَلَامَةَ التَّرْبِيَةِ وَحُسْنَ بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ وَطَاقَاتِهَا  
الْوَجْدَانِيَّةِ هُوَ الْأَسَاسُ الْأَهْمُ لِمَتَانَةِ بِنَاءِ الْأُمَّةِ وَمَصْدَرُهَا هُوَ الْأَسْرَةُ وَعَلاَقَاتِهَا  
وَتَفَاعُلَاتِهَا الْوَجْدَانِيَّةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ بِرُوحِ الْقَنَاعَةِ وَالْجَوَارِ وَالْإِنْضِیَاطِ مِمَّا يُورِثُ الْأَبْنَاءَ  
الْبِقَّةَ بِالنَّفْسِ وَعِزَّتِهَا، وَيُنْعِي رُوحَ الْمُبَادَرَةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالتَّقَانِ الْأَدَاءِ فِي نَفُوسِ الْأَبْنَاءِ،  
وَهُوَ النَّقِيضُ لِلْمُمَارَسَاتِ التَّرْتُوبِيَّةِ الْجَاهِلَةِ الْمُسَوِّمَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الْعُنْفِ وَإِرْهَابِ  
السُّلْطُونِيَّةِ الَّتِي تُورِثُ التَّهَيُّبَ وَالخَوْفَ وَالتُّلَّ وَالْيَابَ الْكُذِبَ، وَيُمْكِنُ لِصِفَاتِ  
الْخُضُوعِ وَالتَّبَاقِ لِجَمَاعِيَّةِ الدَّاتِ مِنْ أَلْوَانِ مَا يُلَاقُونَهُ مِنَ التَّرْوِيعِ وَالْعُنْفِ أَنَّهُ يَجِبُ  
أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلْأُمَّةِ أَنْ تُحْسِنَ التَّرْبِيَةَ إِلَّا بِاهْتِمَامِ الْمُفَكِّرِينَ وَالتَّرْتُوبِينَ  
بِالْأَدَبِيَّاتِ التَّرْتُوبِيَّةِ الْوَالِدِيَّةِ، وَدُونَ تَنْوِينِ قُدْرَاتِ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَبَاءِ التَّرْتُوبِيَّةِ الْوَالِدِيَّةِ،  
فَلَا مَجَالَ لِامْتِلَاكِ الشُّوَّةِ وَالْمُدْرَةِ وَجُودَةِ الْأَدَاءِ، وَبِنَاءِ الْأَنْظُمَةِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ

وَتَحْقِيقِ الْغَايَاتِ وَالْمَقَاصِدِ وَالتَّفُوقِ فِي سِبَاقِ آدَاءِ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ.  
وَيَكُنِ التَّفَكُّرُ وَالتَّأَمُّلُ يَقُولُ بِيَدِنَا: نَعَمْ، صَدَقَ الْقَائِلُ "مَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ".

يَقُولُ الشَّيْخُ: إِذَا رَأَيْتَ أُمَّةً، تُسَيِّدُ إِلَى خَيْرَةِ شَبَابِهَا، مِهْنَةَ التَّعْلِيمِ، وَتُعِزُّهُمْ، وَتُكْرِمُهُمْ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَشَبَابِهَا، فِي خَيْرٍ، وَقِيَادَاتِهَا فِي خَيْرٍ وَمُسْتَقْبَلِهَا فِي خَيْرٍ، أَمَّا إِذَا رَأَيْتَ الْمُعَلِّمِينَ فِيهَا، الْأَقْلَّ كِفَاءَةً وَقُدْرَةً، وَالْأَقْلَّ إِكْرَامًا وَإِعْزَازًا، فَاعْلَمْ أَنَّهَا أُمَّةٌ خَاسِرَةٌ، ضَائِعَةٌ، مُضَيَّعَةٌ، وَأَنَّ حَيَاتِهَا مُتَخَبِّطَةٌ، مُظْلِمَةٌ، وَأَنَّ مُسْتَقْبَلِهَا، أَشَدُّ إِظْلَامًا، وَضَعْفًا، وَانْحِطَاطًا.

يَهْدِيهِ الْيَهْيَاةِ السُّعِيدَةِ انْتَهَتْ أَهْلِهَا الْأَعْرَاءُ قِصَّةَ الْحَكِيمِ بِيَدِنَا عَنْ جَزِيرَةِ الْبِنَائِينَ، وَمَا كَانَ مِنْ خَالِ أَهْلِهَا، وَكَيْفَ -بِالتَّعَاوُنِ وَالتَّأَزُّرِ وَالتَّكَاوُلِ وَالتَّمَاوُرِ وَالإِخْلَاصِ- غَيَّرُوا خَالَهُمُ السَّيِّئِ إِلَى أَحْسَنِ خَالٍ، هَذَا كُلُّ مَا وَجَدَ مُدَوِّنَا بِكُلِّ الدِّقَّةِ وَالعِنَايَةِ، فِي الْقِصَّةِ الْمَفْقُودَةِ، مِنْ رِوَايَاتِ الْكِتَابِ الْقِصَصِيِّ التَّرَاثِيِّ الشَّهِيرِ "كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ"، فَعَسَى أَنَّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ أَنْ تَسْتَفِيدَ نَحْنُ أَيْضًا مِمَّا جَاءَ فِيهَا، كَمَا هِيَ غَايَةٌ مِنْ كَتَبِهَا

مِنْ نُصْحٍ وَحِكْمَةٍ وَتُبْصِيرٍ لِقَهُمْ مَعْنَى حَيَاتِنَا، وَبِنَاءِ نِظَامِنَا، وَحِمَايَةِ أَمْنِنَا وَبِلَادِنَا،  
وَتَسْخِيرِ مَوَارِدِنَا لِسَدِّ حَاجَاتِنَا، وَصِيَانَةِ كَرَامَتِنَا، وَإِعْمَارِ عَالَمِنَا، وَحَقِّ عَلَيْنَا أَنْ نَعْبَرَ  
لِقَيْلَسُوفِنَا الْعَزِيزِ بَيْدِنَا وَاللَّشِيخِ الْجَلِيلِ الرَّحَالَةِ ابْنِ بَطْوَطَةَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ وَتَقْدِيرٍ عَلَى  
مَا أَسَدَيَاهُ لَنَا مِنَ التَّوْضِيحِ وَالنُّصْحِ، وَالتُّبْصِيرِ وَالتَّخْذِيرِ.

وَإِذَا تَصَوَّرْنَا أَيُّهَا الْقَارِيءُ الْعَزِيزُ، أَنَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، جِئْتَ تُفَكِّرُ فِي السِّتَاحَةِ شَرْقًا  
وَعَرْبًا، وَشَمَالًا وَجَنُوبًا، وَتَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ؛ لِتَصِلَ إِلَى الْأَفْقِ الْوَاسِعِ،  
خَلْفَ خَطِّ الشَّفَقِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَ مَطْلِعِ الْقَمَرِ، وَتَنْزِلُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْوَادِعَةِ  
الْجَمِيلَةِ؛ فَإِنَّكَ وَلَا شَكَّ، سَوْفَ تَقْضِي أَيَّامًا طَيِّبَةً، فِي ذَلِكَ الْوَادِي الْأَخْضَرَ الْبَدِيعِ،  
بَيْنَ أَيْتَائِهِ الْأَقْوَانِ الْعَامِلِينَ الطَّيِّبِينَ السَّلَامِيِّينَ، وَسَوْفَ تَسْتَمْتَعُ مَعَهُمْ، بِكُلِّ  
الطَّيِّبَاتِ الشَّهِيَّةِ اللَّذِيذَةِ، دُونَ أَنْ يُعْكَزَّ صَفْوُكَ أَحَدٌ مِنَ الْكُؤَاسِرِ الضَّآكَةِ الشَّرِيزَةِ،  
وَسَوْفَ تَعُودُ مِنْ بِلَادِهِمُ الْجَمِيلَةِ، بِإِذْنِ اللَّهِ، بِكَثِيرٍ مِنَ الْهَدَايَا وَالنُّحْبِ الرَّائِعَةِ  
الْمُتَّقِنَةِ.

أَيُّهَا الْقَارِيءُ الْعَزِيزُ؛ فِي نِهَايَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَالَّتِي نَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا،  
وَاسْتَفَدْتَ مِنْ عِظَائِهَا وَدُرُومِهَا وَجَوَارَاتِهَا، وَبِمَا فِيهَا مِنْ جِوَارِ الْقَيْلَسُوفِ بَيْدِنَا

وَالشَّيخَ الرَّحَّالَةَ الْحَكِيمِ ابْنِ يَطُوطَةَ، وَأَيْنَا نَتَمَنَّى لَكَ مُسْتَقْبَلًا مَبْعِيدًا، وَحَيَاةً  
مُبْدِعَةً مُنْتِجَةً، وَمُجْتَمَعًا عَامِلًا مُتَكَافِلًا مُتَّحِدًا مُقَارِرًا، وَأُمَّةً إِسْلَامِيَّةً عَزِيزَةً قَادِرَةً  
بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

## المفهوم القرآني : أمة يدعون إلى الخير

قدّم القرآن الكريم الكثير من المفاهيم التي يجب أن تقوم عليها الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية هداية للبشرية، وترك لهم أمر أسلوب تحقيقها ووسائلها المتغيرة المتطورة، على ما يقتضيه تطور أحوال الزمان والمكان، في اتساع متفب العلم والمعرفة والتقدم الحضاري الإنساني، وما يلحق ذلك من تغيرات وتطورات وإمكانيات وتحديات.

ومن أبرز المفاهيم التي تنبئ لها مفكرو الأمة منذ أمم ليس بالبعيد، "مفهوم الشورى" بصفته مؤسسة اجتماعية هامة أهمل شأنها، ولم تحوّل إلى مؤسسة اجتماعية فاعلة في الماضي.

ولذلك نحن نلفت النظر إلى أهميّة إعادة قراءة القرآن الكريم للتنبه إلى العديد من المفاهيم الأخرى اللازمة لبناء النظام الاجتماعي الإسلامي المعاصر، وبشكل فعال سليم، وهي مفاهيم لم يتنبه لها المفكرون، بالشكل المناسب، اليوم؛ وذلك، إلى حد كبير، بسبب تعدد أدوار الرسول صلى الله عليه وسلم، بوصفه رسولا مبلّغا موحى إليه، ويكونه داعية ومعلما، ويكونه رئيس دولة، وبإني مجتمع، وهي



الأدوار التي كان يجب أن يفصل المسلمون بعضها عن بعضي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فدور النبوة وبلاغ الرسالة انتهى بوفاء الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولكن الصوفيَّة والشيعة عملوا على استمرار هذا الدور في كرامات المشايخ والأولياء والمعصومين والهاماتهم وتواصلاتهم؛ أما دور الرسول صلى الله عليه وسلم داعية ومعلمًا فكان يجب أن يفصل عن دور رئيس الحكومة وبرامج حكوماته السياسيَّة ومن يمثلهم بالضرورة من القوى والمصالح، وبذلك لا يوظف الدين والقدسيَّة في خدمة المصالح السياسيَّة الخاصَّة، والتي سوف تلتهم ولا شك، وكما أثبت تاريخ الأمة إلى توظيف الدين سياسيًّا، وتمكين حكم الاستبداد والفساد.

إن استئصال دور التعليم والدعوة وإسنادها إلى إدارة وتنظيم مؤسسية أو مؤسسات تختار قياداتها الأمة، بشكل مباشر وتمكين دورها المستقل في بناء شخصيَّة المسلم وعقله ووجدانه، فإن ذلك هو الذي يدغم الوعي، ويمكِّن دور الدين والقيم، ويحمي حقوق الأمة، ويجعل من الأمة وصيًا على الحكام، وموجهًا لإدائهم وبرامجهم السياسيَّة، وليمن أمة جاهلة خائفة مستغيدة وذئابا وصباغا.

وَتَعَالَيْتِ أَوْصِيَاءَ.

وَهُنَا نَلْحِظُ أَنَّ الثَّبَاتَ النَّسَبِيَّ لِطَبِيعَةِ الْعَصْرِ مُنْذُ بَدَأَ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْأَمْدُ طَوِيلٌ تَمَاعَدٌ عَلَى صَرْفِ أَنْظَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفَكِّرِينَ، عَمَلِيًّا، إِلَى تَرْتِيبَاتِ الْمُنْتَهَى النَّبَوِيَّةِ الْمَشْرِفَةِ الزَّمَانِيَّةِ الْمَكَانِيَّةِ فِي مُجْمَلِهَا، أَكْثَرِمْنَهُ إِلَى اسْتِلْهَامِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَقَاهِيمِهِ وَأَبْعَادِهِ الْأَزْمَانِيَّةِ وَالْأَمَّاكَانِيَّةِ.

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ نَوَدُّ أَنْ نَلْفِتَ النَّظَرَ إِلَى آيَتَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ، تَتَعَلَّقَانِ بِمَفْهُومِ الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ الدِّيْنِيِّ، يَوْصِفُهُ مَوْسِسَةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ نَزَوْتِيَّةٌ هَامَةٌ، كَانَ يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهَا مَوْسِسَةً مُسْتَقْلِلَةً، وَتَكُونُ لَهَا جَمِيعُ صِفَاتِ الْإِسْتِقْلَالِ، عَلَى قَدَمِ الْمُسَاوَاةِ مَعَ مَوْسِسَةِ الدُّسْتُورِ، وَمَوْسِسَةِ الشُّورَى، وَمَوْسِسَةِ الْقَضَاءِ، وَمَعَ بَقِيَّةِ مَوْسِسَاتِ النِّظَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْأَسَاسِيَّةِ، حَتَّى تَبْقَى عَلَى غِرَارِهَا، مَوْسِسَةً مُسْتَقْلِلَةً تُؤَدِّي ذَوْرَهَا الْبِنَاءَ الْفَعَّالَ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ الدِّيْنِيِّ وَالْقِيَمِيِّ؛ بَعِيدًا عَنِ آفَةِ النَّشْوَبِ وَالْتَّمْيِشِ، أَيَّا كَانَ نَوْعُهُ، بِالْإِلْغَاءِ، وَبِتَحْوِيلِ مَفْهُومِ الدِّيْنِ وَالدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ الْقِيَمِيِّ إِلَى مُجَرَّدِ شِعَارَاتٍ فَارِغَةٍ جَوْفَاءَ، وَإِقَامَةِ الْحَفَلَاتِ وَالْمَوَالِدِ، وَاسْتِصْذَارِ قِتَاوَى الدَّعْمِ وَالتَّأْيِيدِ لِأَصْحَابِ الْمُلْطَانِ، وَمَعَارِكِهِمُ الْبِيْتَاَسِيَّةِ، أَوْ

بِالِاسْتِغْلَالِ وَالنُّشُوبِ؛ وَذَلِكَ بِتَوْظِيْفِ الدِّينِ وَالْقِدَامَةِ مِنْ قِبَلِ رِجَالِ السِّيَاسَةِ  
وَالسُّلْطَةِ وَالْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ؛ بِاسْتِخْدَامِ قِدَاسَةِ الدِّينِ وَسِبِيلَةَ لِإِشَاعَةِ الْخَوْفِ  
وَالرُّعْبِ، وَتَكْمِيمِ الْأَفْوَاهِ، وَإِلْغَاءِ الْعُقُولِ؛ خِدْمَةً لِلسُّلْطَةِ وَسِيَّاسَاتِيهَا وَمَصَالِحِهَا  
الْخَاصَّةِ، فِي الْأَسْتِبْدَادِ وَالْفُسَادِ.

أَمَّا الْآيَتَانِ أَوْ الْمَفْهُومَانِ الْقُرْآنِيَّانِ فِهِنَا قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ  
أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)  
أَلْ عِمْرَانَ (٣: ١٠٤) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ  
فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ، لَعَلَّهُمْ  
يَحْذَرُونَ) التَّوْبَةَ (٩: ١٢٢)، وَكَلِمَةُ (الْأُمَّةِ) هُنَا تَعْنِي فِئَةً أَوْ جَمَاعَةً أَوْ هَيْئَةً أَوْ مَوْسِسَةً  
مُسْتَقِيلَةً، بِمَعْنَى أَنَّهَا جَمَاعَةٌ أَوْ بَلْغَةُ الْعَصْرِ مَوْسِسَةٌ مُسْتَقِيلَةٌ لَا تُرَاعِي إِلَّا مَهْمَتَهَا،  
وَالْوُظُفِيَّةَ الْمَنُوطَةَ بِهَا، مِنْ دُونِ سُلْطَةٍ وَلَا تَأْثِيرٍ مِنْ أَيِّ مَصَالِحٍ أَوْ اعْتِبَارَاتٍ، إِلَّا مِنْ  
بِقَّةِ الْأُمَّةِ، وَدَعْمِهَا، وَالِاقْتِنَاعِ بِأَدَائِهَا، وَبِاقْتِنَاعِهَا، وَبِرِقَابَةِ مَهْمَتِهَا.

كَمَا نُوَدُّ أَنْ نُلْفِتَ النَّظْرَ أَيْضًا إِلَى أَنَّ هُنَاكَ مَفَاهِيمَ قُرْآنِيَّةً أُخْرَى عَدِيدَةٌ عَدَا  
هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ يَجِبُ التَّنَبُّهُ لَهَا، وَمَا يَهْمُنَا هُنَا هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى مَفْهُومَيْنِ آخَرَيْنِ فِي

القرآن الكريم يجب أن يكونا موضع مزيد من البحث العلمي، والاهتمام؛ لكوننا أساس بناء قوايين الأسرة وتطبيقاتها المعاصرة، وذلك في ضوء تطور الواقع والإمكانات والحاجات والتحديات، وأن يُعاد النظر في أمر أي تطبيقات تراثية لا تُحقق -لتغير الظروف والحاجات والإمكانات والتحديات- هذه المفاهيم القرآنية والغاية منها؛ فإنها يجب تعديلها؛ يتم -بشكل حقيقي وفعال- تحقيق هذه المفاهيم وأهدافها والغاية منها، في علاقات الأسرة والمحافظة عليها.

وهذان المفهومان القرآنيان هما: "إمساك بمعروف" أو: "تسريح بإحسان"، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الطلاق: (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) (٦٥: ٢)، ويقول سبحانه في سورة البقرة: (الطلاق مرتان فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان) (٢: ٢٢٩).

وبرغم أن علماء السلف قد تنهوا إلى مفهوم تعدد الأدوار التي أداها الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته في العهد النبوي، وبالذات إلى دور الرسالة والتبليغ، ودور الحكم وبناء الدولة، ولكن نظرا إلى الظروف المتسارعة، والموروثات المتجذرة، والمصالح الطاغية، وما ألم بالنظام الاجتماعي على العهد الأول من كوارث انهيار

نظام الخلافة الراشدة، وسيطرة مفاهيم النظام القبلي وقيام نظام الاستبداد  
والمُلك العضوض العزقي، وما تبع ذلك من ثقافات البلدان والأمم التي دخلت  
الإسلام، وطغيان رجال السلطة، ومصالحهم ومصالح أعوانهم، إلى جانب عزل  
رجال المفكرين الإسلاميين من رجال مدرسة المدينة والعلماء، والتكيل بهم  
وبالتالي عزل مفاهيم الدين ومقاصده عن الحياة السياسية، هذا من ناحية، ولعدم  
تغير طبيعة الزمن بشكل جذري لأمد طويل من حيث الإمكانيات والإحتياجات  
والتحديات من ناحية أخرى، فإن ذلك كله قد أسهم بصفة عامة وجوهريّة في  
محدوديّة فكر جُلّ العلماء والمفكرين في البلاد الإسلاميّة، وجعلهم يميلون اليوم  
إلى التقليد والمحاكاة والاعتماد على التطبيقات التشريعيّة للعهد النبوي، وسلب  
الفقهاء التي خاطبت أحوال المجتمع، على العهد النبوي، وقرون لاحقة بعد ذلك  
وتلزمون حرفتها، أكثر من اعتمادهم على المفاهيم التشريعيّة القرآنيّة، ودلالاتها  
ومقاصدها، الأزقانيّة والأمكنانيّة، وتطور تطبيقاتها؛ بما يلائم جوهر المتغيرات  
المعاصرة وأثارها الاجتماعيّة، وعرفت هذه الظاهرة في الفكر الإسلامي منذ قرون  
طويلة بظاهرة التقليد وهقل باب الاجتهاد من جهة، والتي اتسمت بالمبالغة في

تَصِيدُ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ وَالثَّرَائِيَّةِ وَالتَّسْتَرِ خَلْفَ قُدْسِيَّهَا.

وَيُهَيِّئُنَا هُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ نَجَاحَ عَهْدِ الْخَلِيفَتَيْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَصَدْرَ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ فَصْلِ دَوْرِ الدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ عَنْ دَوْرِ السُّلْطَةِ وَالْحُكْمِ، هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْعُهُودَ بَقِيَتْ فِيهَا تَرْتِيبَاتُ الْحُكْمِ وَرِجَالِهِ وَأَذْوَارِهِمْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ. وَلَكِنْ مَعَ مَوْتِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ، وَضَعْفِ جُلَيْهِمْ، وَتَقَدُّمِ سَبِيهِمْ، وَمَعَ تَغْيِيرِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَالْعَصْرِ بَعْدَ ائْتِمَاعِ الدَّوْلَةِ، وَامْتِدَادِ الْفُتُوحِ، وَدُخُولِ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فِي الدَّوْلَةِ وَالْإِسْلَامِ، فَقَدْ أَخَذَتِ الْأَثَارُ السَّلْبِيَّةُ تُظْهِرُ فِيهَا رَأْيَنَا مِنْ خَالِ الدَّوْلَةِ وَالْحُكْمِ، وَمَا دَارَ مِنْ صِرَاعَاتٍ انْتَهَتْ بِإِنْتِهَايَةِ عَهْدِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَتَمَكَّنِ الْقَبِيلِيَّةُ وَالشُّعُوبِيَّةُ وَالْإِسْتِبْدَادُ وَالْفَسَادُ وَالْكِبَاهِنَةُ وَالْمُلْكُ الْعَضُوضُ.

وَفِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي نَعِيشُهُ، وَالْمُتَبَاعِدِ جَذْرًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْوُجُوهِ، عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْضَاعُ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الطُّرُوقِ السَّالِفَةِ، وَخَاصَّةً مَعَ تَنَامِي الْهَجْمَةِ الْفِكْرِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، بِقَضَائِيَّاتِهَا وَعَنْكَبُوتِيَّاتِهَا وَنُفُودِهَا الْعِلْمِيِّ وَالتِّكْنُولُوجِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ، وَتَأْثِيرِهَا السَّلْبِيِّ فِي الْأُمَّةِ، وَفِي شِبَابِهَا؛ نَجِدُ أَنَّ الْأُمَّةَ بِحَاجَةٍ إِلَى مُرَاجَعَةِ

مَقُولَاتِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ عَامَّةً، وَالسِّيَاسِيِّ مِنْهُ خَاصَّةً، وَإِلَى مُرَاجَعَاتِ خَالِ مَفَاهِجِ الْأُمَّةِ الْحَيَاتِيَّةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ التَّشْرِيعَاتِ التُّرَاثِيَّةِ، وَذَلِكَ بِالْعَوْدَةِ إِلَى مُنْطَلَقِ الْمَفَاهِيمِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَمَقَاصِدِهَا، وَإِلَى الْأَسْتِفَادَةِ مِنْ حِكْمَةِ التَّنْزِيلِ التَّبْوِيِّ وَالْعَهْدِ الرَّاشِدِ عَلَى خِيَالِ زَمَانِهِمْ وَمَكَانِهِمْ لِتَوَاقِبِ تَطَوُّرَاتِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَإِمْكَانَاتِهَا وَتَحْدِيدَاتِهَا؛ بِحَيْثُ تُحَدَّدُ الثَّوَابِتُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَتُوضَّحُ مَقَاصِدُهَا، وَتُجَدَّدُ خَطَايَاهَا؛ فَلَا تُخْلَطُ الثَّوَابِتُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِغَيْرِ الثَّوَابِتِ أَوْ يُسَاءَ فَهْمُهَا؛ طَلَبًا لِتَحْقِيقِ غَايَاتِ الْهُدَايَةِ الْقُرْآنِيَّةِ عَلَى تَعَاقِبِ الْأَمَاكِنِ وَالْأَزْمَانِ، وَاخْتِلَافِهَا.

وَفِي هَذَا الصَّدَدِ مِنَ الشَّهِمِ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ مُؤَسَّسَاتِ التَّرْبِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ وَالتَّنْبِيْهِرِ لِلْأَدْيَانِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ السَّالِفَةِ، الَّتِي هِيَ الْمَعْبُدُ وَالْكَنِيْمَةُ، كَانَتْ مِنَ الْمُفَكِّينَ أَنْ يَكُونَ تَأْيِيْرُهَا وَعَطَاؤُهَا مُضَاعَفًا وَأَعْظَمَ فَاعِلِيَّةً رُوجِيَّةً، لَوْلَا مَا أَصَابَ هَذِهِ الْأَدْيَانِ مِنْ انْحِرَافَاتٍ وَتَحْرِيفَاتٍ وَخُرَافَاتٍ، مَا جَاءَ الْإِسْلَامُ إِلَّا لِصَحْحَتِهَا، وَلِيُرْسِدَ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي مَرَحَلَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَالَمِيَّةِ وَتَحْدِيدَاتِهَا.

وَالْإِسْلَامُ بِاعْتِبَارِهِ الرِّسَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْخَاتِمَةَ، الْمُهَيْمَنَةَ، عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَخَاصَّةً أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَهُوَ الْمَصْدَرُ الْأَسَاسُ وَالْأَوَّلُ لِهَذَا الدِّيْنِ.

"وَالْمُهَيِّمِينَ" الْمُصَحِّحُ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الرِّسَالَاتِ (وَأَنْزَلْنَا الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) (الْمَائِدَةُ: ٤٨)، كَمَا حَفِظَتْ جُهُودُ الْعُلَمَاءِ الْكَثِيرِينَ مِنْ صَحِيحِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ: رَوَايَةً وَمَثْنًا مِنْ ذَاءِ التَّحْرِيفِ وَالْخُرَافَةِ وَالشُّعُودَةِ؛ كُلُّ ذَلِكَ يَجْعَلُ بِنَاءَ مَوْسِسَاتِ التَّعْلِيمِ عَامَّةً وَمَوْسِسَاتِ الدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ وَالدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ خَاصَّةً، وَفَصَلَهَا عَنِ مَوْسِسَةِ السُّلْطَةِ وَالْحُكْمِ، ضَرْبُورَةً شَدِيدَةً، وَعَنْصُرًا مُهِمًّا لِلْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْتِبْدَادِ وَالْفَسَادِ، وَإِلْتِهَاسِ الْأُمَّةِ وَإِصْلَاحِ رُؤْيَيْهَا وَفِكْرِهَا وَمَنَاجِحِ تَعْلِيمِ وَتَرْبِيَةِ أبنَائِهَا بَعِيدًا عَنِ أَيَّةِ مَوْثِرَاتٍ خَاصَّةٍ أَوْ سَلْبِيَّةٍ، تُوظَّفُ الدِّينَ أَوْ تُهَيِّئُهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَسْجِدُ وَالْمَدْرَسَةُ، وَتَكُونُ مَنَاجِحِ الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، مِمَّا تَخْتَصُّ بِهِ وَخَدَهَا، غَيْرَ خَاضِعَةٍ لِلسُّلْطَةِ التَّنْفِيذِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ وَمَا لَهَا أَيْ تَحْكُمُ فِيهَا، أَوْ سُلْطَةِ عَلَيَّهَا؛ وَبِحَيْثُ لَا تَكُونُ هُنَاكَ رِقَابَةٌ عَلَى هَذِهِ الْمَوْسِسَاتِ الْعَامَّةِ مِنْهَا وَالْخَاصَّةِ، وَلَا عَلَى وَسَائِلِهَا وَتَشَاطِئِهَا، إِلَّا رِقَابَةُ الْأُمَّةِ وَمَوْسِمَاتِهَا وَمُمَثِّلِيهَا الْمَوْهَلِينَ الْمُنتَخِبِينَ لِهَذَا الْغَرَضِ وَخَدُّ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يُفَكَّنُ أَنْ تُصَنَّفَ الرُّؤْيَةُ، وَتُسْتَقِيمَ الْفِكْرُ وَتُقَضَى عَلَى الْإِسْتِبْدَادِ وَالْفَسَادِ، وَتُسْتَقِيمَ بِنَاءَ مَوْسِسَاتِ الْحُكْمِ وَالْحَيَاةِ الْعَامَّةِ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، عَلَى أَسْمٍ وَمَقَاصِدٍ رُوحِيَّةٍ حَضَارِيَّةٍ.



وَمَلْحُوظَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ مِنَ الْمُهَيْمِ أَلَّا يَسْتَمِرَّ خُلُطُ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ السِّيَاسِيِّ  
 بِشَأْنِ عِلَاقَةِ، الدِّينِ بِالدَّوْلَةِ وَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِعِلَاقَةِ سُلْطَةِ الْحُكْمِ (السُّلْطَةِ التَّنْفِيذِيَّةِ)  
 بِالذِّينِ وَالِدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ الدِّيْنِيِّ وَالتَّعْلِيمِ الْعَامِّ، وَهَلْ يُعَدُّ كَفُّ يَدِ السُّلْطَةِ  
 وَمَصَالِحِهَا عَنِ السَّيْطَرَةِ عَلَى دَوْرِ الدِّينِ وَالِدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ، فِي  
 الدَّوْلَةِ وَالْمُجْتَمَعِ، أَمْرًا إِجَابِيًّا؟ أَمْ هُوَ فَصْلٌ لِلذِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ أَمْ هُوَ كَفُّ لِيَدِ السُّلْطَةِ  
 عَنْ تَشْوِيهِ الدِّينِ بِالتَّهْمِيْشِ أَوْ بِالتَّوْظِيْفِ وَالإِسْتِعْلَالِ لِجِدْمَةِ مَصَالِحِ الْحُكْمِ  
 وَالْحُكَّامِ وَأَصْحَابِ الْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ؟ فَهَذِهِ قَضِيَّةٌ اِخْتَلَطَ فِيهَا الْأَمْرُ عَلَى الْكَثِيرِينَ،  
 وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الْمُهَيْمِ أَنْ تُدْرَكَ أَنَّ فَصْلَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ عَنِ  
 السُّلْطَةِ التَّنْفِيذِيَّةِ، وَعَنْ يَرَامِجِهَا الْخِيَائِيَّةِ الْمِيْثَاسِيَّةِ، وَعَنْ الْمَصَالِحِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا  
 وَتُنْحَارُ إِلَيْهَا، لَيْسَ فَصْلًا لِلذِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ، وَلَكِنَّهُ خِدْمَةٌ لِلأُمَّةِ وَالدَّوْلَةِ، وَحِفْظٌ  
 لِلذِّينِ وَالْعَقَائِدِ وَالْقِدَاسَةِ عَنِ التَّهْمِيْشِ أَوْ التَّوْظِيْفِ لِجِدْمَةِ السُّلْطَةِ وَرِجَالِهَا  
 وَالْمَصَالِحِ وَالْفِتَنِ الَّتِي تُنْحَارُ إِلَيْهَا، فَسُلْطَةُ الْحُكْمِ لَيْسَتْ الدَّوْلَةُ، بَلْ إِنَّ الشَّعْبَ هُوَ  
 الْأَمْسَامُ وَالْأَهْمُ فِي تَكْوِينِ الدَّوْلَةِ، وَتُسْتَمَدُّ مِنْ خِيَارِهِ شَرْعِيَّةُ الْحُكَّامِ، فَالْمَطْلُوبُ هُوَ  
 أَنْ يُجْعَلَ أَمْرُ الدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ فِي يَدِ الأُمَّةِ لِتَكْوِينِ كَوَادِرِهَا، وَتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا،  
 عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيْحِ، بَعِيدًا عَنِ مُؤَثِّرَاتِ الْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ.

فالأمرُ هو إسنادُ الدينِ والقيمِ والدعوةِ والتربيةِ والتعليمِ الدينيِّ إلى الأمة؛ لكي تُعدَّ أبناءَها لإداءِ أدوارهم، وإصلاحِ مؤسساتِ حياتهم العاقبة، بما في ذلك مؤسسته الحكم والسلطة، وفق أولوياتهم المبنية على مفاهيم الدين ومبادئه وقيمه السامية.

إنَّ تعليمَ الدينِ والعقائدِ والأخلاقِ، تكونُ خالصةً من الشوائبِ والمآربِ هو أفضلُ السبلِ لخدمةِ الدينِ والعقائدِ والقيمِ في المجتمعِ والدولةِ، وأهمُّ خطوةٍ لبناءِ قاعدةِ الوعيِ السليمِ والاجتماعيِّ السليمِ الذي يُرشِدُ خياراتِ المواطنينِ بشأنِ التشريعاتِ الاجتماعيةِ والنزاجِ الحياتيةِ السياسيةِ، ويُوعِيهم بشكلٍ توافقيٍّ إلى تحقيقِ مقاصدِ الدينِ، وإعلاءِ شأنِ القيمِ والأخلاقِ في المجتمعِ.

وهذا يعني باختصارٍ أنَّ فصلَ الدينِ والقُداسَةِ عن السلطةِ التنفيذيةِ هو حمايةٌ للدينِ والقُداسَةِ من التهميشِ والتشويهِ والاستغلالِ، وتحقيقِ مقاصدها، وإعلاءِ مكانتها في الدولةِ والمجتمعِ، أي أنَّ فصلَ الدينِ والقُداسَةِ سَطوودَ عن السلطةِ التنفيذيةِ وليسَ فصلًا لهما عن الدولةِ، بل هو قُوَّةٌ وتمكينٌ لهما في الدولةِ والمجتمعِ.

ومن المهمِّ الإشارةُ هنا إلى أنه لكي تكونَ الأمةُ هي الوصيُّ على السلطةِ ومنبعِ الشرعيةِ في واقعِ العالمِ المعاصرِ، فإنَّ قيامَ مؤسساتِ إعلاميةِ مستقلةٍ تُخدمُ إرادةَ

الأمة وتعتبر عن مصالحها أمر ضروري، على غرار مؤسسات التعليم الديني المستقلة التي تُمِدُّ الأمة بالرؤية والقيم؛ وذلك أن هذه القنوات الإعلامية المستقلة العامة من أجل مصالح الأمة وحدها، والممولة من قبل الأوقاف والمال العام، هي التي تُمِدُّ الأمة بالحقائق، وتُقدِّم لها الدليل المرشد، في مواجهة مصالح الإعلام الخاص والتجاري وتضليلاته، وفي مواجهة الإعلام الحكومي (السلطة التنفيذية) وتحيّزاته، وكذلك في مواجهة مصالح الإعلام الأجنبي وشركه.

إن دور الإعلام في ترشيد الأمة أمام قنوات أوقاف المصالح الخاصة والسلطة التنفيذية إذا لم يواجه بإعلام عام مهني جيد مستقل، فإن الإعلام الخاص وإعلام السلطة التنفيذية المروجين لوجهة نظرهم ومصالحهم، وهو الداء الذي تواجهه ما يُسمى بالأنظمة الديمقراطية المعاصرة، والتي إذا وجد فيها قنوات إعلام عام مستقل فهو ليس على المستوى المطلوب قدرة وكفاءة وتمويلًا مما تدفع معه هذه الشعوب ثمنًا غاليًا من مواردها ودمائها وإنسانيتها ثمنًا للتفريط فيه، ولذلك فإن قنوات هذا النوع من الإعلام المهني الجيد العام المستقل التمويل تمويلًا جيدًا، أمر إلى جانب التعليم العام والمهني والديني على وجه الخصوص، أمرًا استراتيجيًا لا غنى

عنه لإحفاية الأمة ومصالحها ورأيها العام من المصادرة والتضليل وقيل ذلك وتعد ذلك، فإن من المهم أن يصلح النظام الإقتصادي وأسواق المال الذي مكن القلة من تهب أموال الأمم وثرواتها وبسراء سامتها وجرشعويتها إلى الفقر والحروب وسفك الدماء وعندئذ فقط تأتي رؤية الأمة وقراراتها رشيدة تخدم مصالحها الحقيقية المشروعة، ولا تسيطر عليها المصالح الخاصة، ولا يسهل معها شراء الساسة ورجال السلطة، وبذلك لا يستطيعون أن يتغولوا ويقهروا الأمم؛ خدمة للمصالح الخاصة والجزئية تبعاً لها، وهو الداء العضال الذي تعاني منه الدول المعاصرة، "والليبرالي والديموقراطي" الغربي مبثها على وجه الخصوص.

وليس أسوأ من تلك الدول إلا الدول المتخلفة المشوهة الرؤية والثقافة، والتي تفتقد المؤسسات العامة الفاعلة، والتي تفهز نخبتها إرادة أممهم وتستهبدها، وتستأثر فيها بالسلطة والثروة؛ لتقع هذه الأمم فريسة الفقر والجهل والذل والمهانة ولتصبح لقمة سائغة للأعداء والمترصبين بها، حاكماً ومحكوماً.

(٢) الملحق التوضيحي الثاني:

## مفهوم القانون : إقليمية القانون ، وشخصية القانون

كما نعلم القارئ تكوّن القانون على نوعين: قانون الدولة أو الإقليم (إقليمية القانون) (State law)، وشخصية القانون (Personal law).

وقانون الدولة أو الإقليم (إقليمية القانون): هو قانون أوزني نتج عن تطور المجتمع الأوروبي وما تاز فيه من صراعات دينية، وخاصة بين الكاثوليك الثقلبيين والإصلاحيين البروتستانت، وما ترتب على ذلك من صراعات سياسية بين الأمراء، انتهت بالنسليم للملوك والأمراء بأن يفرضوا على سكان ممالكهم وبلاذهم القوانين التي يصدرونها لتطبق على جميع سكان الإقليم أو المملكة أو الإمارة من دون تمييز أو امتياع، ويُعامل المواطنون بموجبها معاملة الأتباع الذين لا خيار لهم، بغض النظر عن انتماءاتهم وهوياتهم وأوضاعهم الخاصة والشخصية.

أما القانون الشخصي أو شخصية القانون: فهو القانون الذي يزعي انتماءات أفراد زعيّة الدولة وهوياتهم وخصوصياتهم الشخصية، ما أمكن ذلك، فتتعدّد في هذا النظام القوانين -فيما لا ضرورة ولا مصلحة عامة في توحيدها- بتعدد الانتماءات والخصوصيات الشخصية والمصالح، انطلاقاً من مفهوم احترام

إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ، وَحُرِّيَّاتِهِ الْأَسَاسِيَّةِ، وَحُقُوقِهِ وَخُصُوصِيَّاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مُنْطَلَقَ شَخْصِيَّةِ الْقَانُونِ أَوْ الْقَانُونِ الشَّخْصِيِّ فِي مَدَاهُ وَأَفَاقِهِ هُوَ أَكْثَرُ قَابِلِيَّةٍ لِلتَّوَافُقِ وَاحْتِرَامِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَخُصُوصِيَّاتِهِ وَانْتِمَاءَاتِهِ مِنْ مُنْطَلَقِ قَانُونِ الدَّوْلَةِ أَوْ إِقْلِيمِيَّةِ الْقَانُونِ.

وَمِنْ مُفَارَقَاتِ إِقْلِيمِيَّةِ الْقَانُونِ -عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ- أَنْ مِنَ الْمُمْكِنِ فِي بَعْضِ هَذِهِ الدَّوَلِ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ لَوُثِّتَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنَّهُ تَزْوُجُ زَوْاجًا إِسْلَامِيًّا شَرْعِيًّا بِأَكْثَرِ مِنْ امْرَأَةٍ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ أَسْبَابِهِ، لَعُدَّ مُخَالِفًا لِقَانُونِ الدَّوْلَةِ أَوْ قَانُونِ الْإِقْلِيمِ، وَيَكُونُ بِذَلِكَ مُعَرَّضًا لِلْعِقَابِ، فِي حِينٍ لَوُثِّتَ أَنَّهُ أَوْ أَيُّ أَحَدٍ آخَرَ قَدْ اتَّخَذَ خَلِيلَةً، أَوْ مَارَسَ عِلَاقَةً غَيْرَ مَشْرُوعَةٍ، لَمَّا عُدَّ مُخَالِفًا لِقَانُونِ، وَلَا يَكُونُ مُعَرَّضًا لِلْعُقُوبَاتِ.

وَإِقْلِيمِيَّةُ الْقَانُونِ تُوجِبُ عَلَى كُلِّ الْمُواجِلِينَ طَاعَتَهُ فِي كُلِّ شَأْنِهِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْخُصُوصِيَّاتِ وَالْانْتِمَاءَاتِ؛ وَهَذَا يَعْنِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَالَاتِ عُدْوَانَ الْأَعْلِيَّةِ عَلَى حُقُوقِ الْأَقْلِيَّاتِ وَحُرِّيَّاتِهِمْ الشَّخْصِيَّةِ، وَمِنْ مُفَارَقَاتِ هَذَا الْقَانُونِ مَا سَرَعَتْهُ أُمَّ الْحُرِّيَّاتِ الْأَوْرُتِيَّةِ بِشَأْنِ إِظْهَارِ بَعْضِ الشَّارَاتِ الَّتِي تُعَلِّنُ هُوِيَّةَ الْأَشْخَاصِ وَتُظْهِرُ انْتِمَاءَاتِهِمْ الدِّيْنِيَّةَ؛ فَأَبَاحَتْ ارْتِدَاءَ الصُّلَيْبِ مَا دَامَ صَغِيرَ الْحَجْمِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ فِي حَدِّ

ذاته يكفي لإعلان الانتماء والهوية الدينية المسيحية؛ ولكنها في الوقت نفسه لا تسمح للفتاة المسلمة المواطنة بإرتداء الحجاب في المدارس وفي مؤسسات الدولة لأنه ينم عن الانتماء والهوية الدينية الإسلامية، على الرغم من أن جمهور علماء المسلمين يعدون الحجاب واجباً دينياً، وبذلك ينكروا القانون على المرأة المسلمة المواطنة خاصة، وعلى فئات دينية أخرى غير مسيحية، حقوقها إنسانية، وهذا يمثل في الحقيقة اغتداء ممن يدعونها "أم الخريبات" على الحرية الشخصية للمواطن المسلم؛ وذلك بعدم السماح بإرتداء ما يعد واجباً دينياً؛ بزعم أن ذلك يفهم منه الانتماء الديني والثقافي، والذي هو حق إنساني طبيعي، ولا يمثل ضرراً ولا عدواناً على أحد، وعلى الرغم من أن التشريع قد أباح للمسيحي ارتداء الصليب ما دام صغير الحجم، وهو يعلن ولا شك -صغراً أم كبراً- الهوية المسيحية التي تمثل هوية الأغلبية ومؤروثها الثقافي، وهو انتهاك لحق من الحقوق الإنسانية الأساسية من قبل الأغلبية للحرية الشخصية الإنسانية، وتخير ضد المواطن المختلف الآخر، وقس على ذلك قضية المأذن، وقضية انتهاك حرقات مقدساتهم الروحية

بِالرِّيَاسَاتِ وَالرُّسُومِ وَالْأَغَانِي وَالْأَفْلامِ وَصِرَاعِ بَعْضِ دَوْلِ الْغَرْبِ مَعَ الْعَدِيدِ مِنَ الشُّعُوبِ  
 الْمُسْلِمَةِ. وَالْعُدُوَانُ عَلَيَّهَا، لَا تَكْمُنُ الْإِجَابَةُ عَلَيْهِ فِي السَّمَاحِ لَهُمْ بِمَزِيدٍ مِنَ الْعُدُوَانِ مِنْ  
 هَذِهِ الدُّوَلِ عَلَى حُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَأُوطَانِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، بَلْ أَوْلَا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ يَكْمُنُ فِي  
 إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي الْمَبَاهِيسَاتِ الْعُدُوَانِيَّةِ الْخَاطِلَةِ فِي حَقِّ أَيْدَاءِ تِلْكَ الشُّعُوبِ، وَمَقْتِرَاتِهِمْ،  
 فَالْمُغَالَطَاتُ وَالْتَّمَادِي فِي الْعُدُوَانِ وَالتَّدْمِيرِ لَنْ يَزِيدَ الطَّيْنَ إِلَّا بِلَّةً، وَيُدْفَعُ الْجَمِيعُ  
 بِخِمَاقَتِهِمْ ثَمَنَهُ الْغَالِي الْمُتَّفَاقِمِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ الْمُعْتَدِي وَيَكْفُفَ عَنْ عُدُوَانِهِ، وَيُعِيدَ  
 النَّظَرَ فِي سِيَاسَاتِهِ الْخَمَقَاءِ، وَمَوَاقِفِهِ الْمُؤَيَّدَةِ وَالِدَاعِمَةِ لِإِنْتِهَاكِ حُقُوقِ هَذِهِ الشُّعُوبِ؛  
 فَيُخَمِدَ نَارَ الرُّفْضِ وَالتَّارُودِ وَذَوَاقِعَهُمَا فِي النُّفُوسِ، وَمَا تَدْفَعُ إِلَيْهِ بَشَرِيًّا مِنْ خَمَاقَاتِ  
 وَقَسْوَةٍ وَتَعَبِيَّاتٍ غَيْرِ إِنْسَانِيَّةٍ مُمَاتِلَةٍ، وَالتِّي سَقَطَ وَمَا يَزَالُ يَسْقُطُ ضَحِيَّتُهَا عَلَى  
 الْجَانِبَيْنِ الْآلَفِ الضُّخْمَيْنِ الْأَبْرِيَاءِ.

وَعَلَى عَكْسِ مَفْهُومِ إِقْلِيمِيَّةِ الْقَانُونِ فَمِنْ الْمَلَاخِظِ هُنَا، أَنَّهُ فِي ظِلِّ مَفْهُومِ شَخْصِيَّةِ  
 الْقَانُونِ، يَتَوَجَّبُ إِعْطَاءُ كُلِّ فِئَةٍ فِي هَذَا النِّظَامِ حَقَّهَا الدِّيْنِيَّ وَالثَّقَافِيَّ وَحُرِّيَّاتِهَا الْعَقْدِيَّةِ  
 وَالشُّخْصِيَّةِ فِي الْمَفَارِسَاتِ الَّتِي تَتَوَجَّبُ عَلَيَّهَا، أَوْ يَرْغَبُ فِيهَا أَتْبَاعُهَا مِنْ أَصْحَابِ  
 الْإِنْتِمَاءَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ مَا دَامَ ذَلِكَ لَا يَسْتَتْبِعُ ضَرَرًا وَلَا عُدُوَانًا عَلَى أَحَدٍ، وَيُخْضِعُ الْجَمِيعُ



لِمَبْدَأِ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ وَالْتِمَتِّ بِالْحُقُوقِ وَالْحُرِّيَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ السُّوِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ.  
وَمِنَ الْمُفِيدِ الْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ أَهَمَّ حَضَارَةَ التَّرْتَمَتْ مَفْهُومَ شَخْصِيَّةِ الْقَانُونِ هِيَ  
الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، مِنْ مُنْطَلَقِ دِينِ الْإِسْلَامِ فِي احْتِرَامِ إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَحَقِّهِ فِي  
الْإِخْتِلَافِ وَالتَّمَايُزِ وَالْجِنَايَةِ، وَتَحْقِيقًا لِمَبْدَأِ "الْعَدْلِ" الَّذِي هُوَ أَهَمُّ مَبْدَأِ التَّرْتَمَةِ  
الْإِسْلَامِ فِي التَّعَامُلِ بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ، وَلِأَنَّ التَّمَايُزَ وَالْجِنَايَةَ هُوَ جَوْهَرُ الْإِسْتِخْلَافِ  
وَالْأَمَانَةِ وَالْإِعْمَارِ الْإِنْسَانِيِّ لِلْأَرْضِ، وَلِذَلِكَ كَانَ هُوَ مِيزَانُ الْحِسَابِ وَالْمَالِ فِي عَالَمِ  
الرُّوحِ وَالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

وَقَدْ التَّرْتَمَتْ دَوْلُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَمَالِكُهَا فِيمَا مَضَى هَذَا الْمَبْدَأُ وَعُرِفَ هَذَا  
الْمَبْدَأُ فِي الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ آخِرُ دَوْلِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِاسْمِ "قَانُونِ الْمِلَّةِ"،  
أَوْ "نِظَامِ الْمِلَّةِ".

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْعَدِمُ مَفْهُومُ شَخْصِيَّةِ الْقَانُونِ فِي عَالَمِ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ  
وَالدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّةِ، فَإِنَّمَا مَا نَزَالُ نَرَى بَعْضَ آثَارِهِ الْإِيجَابِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ الْقَوْمِيَّةِ  
الْمُهْجِنَةِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَخَاصَّةً فِي التَّشْرِيعَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِاتِّبَاعِ الْأَدْيَانِ فِي هَذِهِ  
الدُّوَلِ، فِيمَا يُسَمَّى "قَوَانِينِ الْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ".

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالْهِدَايَةُ وَالرِّشَادُ.

وَأَجْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

### المعهد العالمي للفكر الإسلامي

مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة،  
أنشئت في الولايات المتحدة في مطلع القرن  
الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ/١٩٨١م)  
من أهدافه:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل  
قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط  
الجزئيات بالكليات والمقاصد والغايات  
الإسلامية العامة.

- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية  
للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية  
العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا  
الفكر الإسلامي.

- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر،  
لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية  
ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية  
وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.  
ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل  
عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية  
لمتخصصة

- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات  
ومراكز البحث العلمي ونشر النتائج العلمي  
المتميز.

- توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة  
قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد مكاتب وفروع في عدد من العواصم  
العربية والإسلامية وغيرها، يمارس من خلالها  
أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقيات للتعاون  
العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية  
والإسلامية والغربية في مختلف أنحاء العالم.

## هذه القصة

تروي أحداث هذه القصة على لسان الفيلسوف الحكيم بيدبا على هيئة حوارات فكرية معمقة بين الفيلسوف بيدبا والشيخ الرحالة ابن بطوطة وتلامذتهم.

وحوارات هذه القصة وقضاياها هي امتداد لقضايا قصة جزيرة البنائين التربوية العامة الموجهة لتكوين عقلية الناشئة والشباب.

إن الغاية من حوارات هذه القصة الموجهة إلى الشباب والآباء والمربين هو طرح قضايا الأمة الاجتماعية، وإعادة صياغة مفاهيمها ورؤيتها الكونية على ضوء الرؤية الكونية القرآنية الحضارية وحكمة التطبيقات النبوية على واقع عهد الرسالة، وإزالة ما أصاب فكر الأمة وثقافتها وسلوكها وممارستها من تشوه في عصور الجمود والتخلف. إن من أهم ما يميز منهج أسلوب حوارات القصة هو إدراك ما يواجهه الآباء والمربون من قضايا تتعلق بتربية الأبناء، بما يعنيهم على تفعيل العقيدة الاستخلافية السمحة بأسلوب قصصي حوارى علمي مقنع، يسهم في جعلها فعلاً واقعاً إيجابياً مؤثراً في حياة الأمة وسلوك ناشئة أجيالها وعلاقاتهم الاجتماعية والأسرية، وهي أسلوب أداء مؤسساتهم التربوية والعلمية والتعليمية وجهودهم الدعوية.

